



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



عليه  
صباح  
الرمضان

www.ghaemiyeh.com  
www.ghaemiyeh.org  
www.ghaemiyeh.net  
www.ghaemiyeh.ir

# حجرات الأئمة



الجامعة الإسلامية في لبنان

تأليف

المعلم العلامة محمد باقر المجلسي

الشيخ محمد باقر المجلسي

ترجمة



مطبعة دار الفکر بيروت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار

كاتب:

محمد باقر بن محمد تقي المجلسي

نشرت في الطباعة:

دار احياء التراث العربي

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

# الفهرس

|     |  |
|-----|--|
| 5   | الفهرس   |
| 7   | بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار المجلد 3                                |
| 7   | هوية الكتاب  |
| 7   | كتاب التوحيد   |
| 7   | اشارة  |
| 7   | باب 1 ثواب الموحدين و العارفين و بيان وجوب المعرفة و علته و بيان ما هو حق معرفته تعالى |
| 22  | باب 2 علة احتجاب الله عز و جل عن خلقه  |
| 23  | باب 3 إثبات الصانع و الاستدلال بعجائب صنعه على وجوده و علمه و قدرته و سائر صفاته       |
| 64  | باب 4 الخبر المشتهر بتوحيد المفضل بن عمر   |
| 159 | باب 5 الخبر المروى عن المفضل بن عمر فى التوحيد المشتهر بالإهليلجة                      |
| 205 | باب 6 التوحيد و نفى الشريك و معنى الواحد و الأحد و الصمد و تفسير سورة التوحيد          |
| 205 | اشارة  |
| 238 | فأما البراهين  |
| 238 | فالأول   |
| 238 | و الثانى   |
| 238 | الثالث   |
| 238 | الرابع برهان التمانع   |
| 240 | الخامس تقرير آخر لبرهان التمانع ذكره المحقق الدوانى                                    |
| 240 | السادس   |
| 241 | السابع الأدلة السمعية  |
| 241 | و لنرجع الى حل الخبر و شرحه و قد قيل فيه وجوه  |
| 241 | الأول  |
| 242 | الثانى   |

|     |   |
|-----|---|
| 243 | الثالث  |
| 245 | الرابع  |
| 247 | الخامس  |
| 251 | باب 7 عبادة الأصنام والكواكب والأشجار والنبيرين وعلّة حدوثها وعقاب من عبدها أو قرب إليها قربانا   |
| 261 | باب 8 نفى الولد والصاحبة  |
| 264 | باب 9 النهى عن التفكير فى ذات الله تعالى والخوض فى مسائل التوحيد وإطلاق القول بأنه شىء            |
| 274 | باب 10 أدنى ما يجزى من المعرفة فى التوحيد وأنه لا يعرف الله إلا به                                |
| 274 | إشارة   |
| 281 | تبيين وتحقيق  |
| 281 | إشارة   |
| 281 | الأول   |
| 281 | الثانى  |
| 282 | الثالث  |
| 283 | باب 11 الدين الحنيف والفترة وصبغة الله والتعريف فى الميثاق  |
| 290 | باب 12 إثبات قدمه تعالى وامتناع الزوال عليه   |
| 295 | باب 13 نفى الجسم والصورة والتشبيه والحلول والاتحاد وأنه لا يدرك بالحواس والأوهام والعقول والأفهام |
| 317 | باب 14 نفى الزمان والمكان والحركة والانتقال عنه تعالى وتأويل الآيات والأخبار فى ذلك               |
| 348 | فهرست ما فى هذا الجزء   |
| 349 | رموز الكتاب   |
| 354 | تعريف مركز  |

هوية الكتاب

بطاقة تعريف: مجلسي محمد باقر بن محمد تقى 1037 - 1111 ق.

عنوان واسم المؤلف: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار المجلد 3: تأليف محمد باقر بن محمد تقى المجلسي.

عنوان واسم المؤلف: بيروت داراحياء التراث العربي [13-].

مظهر: ج - عينة.

ملاحظة: عربي.

ملاحظة: فهرس الكتابة على أساس المجلد الرابع والعشرين، 1403 ق. [1360].

ملاحظة: المجلد 24، 52، 65، 66، 67، 87، 92، 91، 94، 103، 108 (الطبعة الثالثة: 1403 ق.=1983 م.= [1361]).

ملاحظة: فهرس.

محتويات: ج. 24. كتاب الامامة. ج. 52. تاريخ الحجّة. ج. 65، 66، 67. الإيمان والكفر. ج. 87. كتاب الصلاة. ج. 91، 92. الذكر و الدعاء. ج. 94. كتاب السوم. ج. 103. فهرست المصادر. ج. 108. الفهرست. -

عنوان: أحاديث الشيعة — قرن 11 ق

ترتيب الكونجرس: BP135/م3ب31300 ي ح

تصنيف ديوي: 297/212

رقم الببليوغرافيا الوطنية: 1680946

ص: 1

كتاب التوحيد

اشارة

و هو المجلد الثاني من كتاب بحار الأنوار تأليف المذنب الخاطى الخاسر محمد المدعو بباقر ابن مروج أخبار الأئمة الطاهرين و محيى آثار أهل بيت سيد المرسلين صلى الله عليه و آله أجمعين محمد الملقب بالتقى حشره الله تعالى مع مواليه شفعا يوم الدين

باب 1 ثواب الموحدين و العارفين و بيان وجوب المعرفة و علته و بيان ما هو حق معرفته تعالى

(1) -يد، التوحيد لى، الأمالى للصدوق حمزة بن محمد بن أحمد بن جعفر العلوى عن علي بن إبراهيم عن إبراهيم بن إسحاق النهأوندى عن عبد الله بن حماد الأنصارى عن الحسين بن يحيى بن الحسين بن عمرو بن طلحة عن أسد باط بن نصر عن عكرمة (1) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله والذى بعثنى بالحق بشيراً لا يعذب الله بالنار مؤحداً أبداً وإن أهل التوحيد ليسوا فاعون فليسوا فاعون ثم قال صلى الله عليه وآله إنه إذا كان يوم القيامة أمر الله تبارك وتعالى بقوم ساءت أعمالهم فى دار الدنيا إلى النار فيقولون يا ربنا كيف تدخلنا النار وقد كنا نوحدك فى دار الدنيا وكيف تحرق بالنار ألسنتنا وقد نطقنا بتوحيدك فى

1- بكسر العين المهملة وسكون الكاف وكسر الراء المهملة هو مولى ابن عباس يكنى أبا عبد الله كان من علماء العامة، سمع من ابن عباس، مات سنة 105 و 107 على اختلاف ولم يرد من الاخبار أو علماء الرجال ما يدل على توثيقه



دَارِ الدُّنْيَا وَكَيْفَ تُحْرِقُ قُلُوبَنَا وَفَدَّ عَقَدَتَ عَلَى أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَمْ كَيْفَ تُحْرِقُ وُجُوهَنَا وَفَدَّ عَفْرَانَهَا لَكَ فِي التُّرَابِ (1) أَمْ كَيْفَ تُحْرِقُ  
 أَيْدِينَا وَقَدْ رَفَعْنَاهَا بِالدُّعَاءِ إِلَيْكَ فَيَقُولُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ عِبَادِي سَاءَتْ أَعْمَالُكُمْ فِي دَارِ الدُّنْيَا فَجَزَاؤُكُمْ نَارُ جَهَنَّمَ فَيَقُولُونَ يَا رَبَّنَا عَفْوُكَ أَعْظَمُ أَمْ  
 خَطِيئَتُنَا فَيَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَلْ عَفْوِي فَيَقُولُونَ رَحْمَتُكَ أَوْسَعُ أَمْ ذُنُوبُنَا فَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ بَلْ رَحْمَتِي فَيَقُولُونَ إِقْرَأْنَا بِتَوْحِيدِكَ أَعْظَمُ أَمْ ذُنُوبُنَا  
 فَيَقُولُ تَعَالَى بَلْ إِقْرَأْكُمْ بِتَوْحِيدِي أَعْظَمُ فَيَقُولُونَ يَا رَبَّنَا فَلْيَسِّرْ عَلَيْنَا عَفْوُكَ وَرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَيَقُولُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ مَلَأْتُكَتِي وَ  
 عَزَّتِي وَجَلَّ لِي مَا خَلَقْتَ خَلْقًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الْمُتَّوِّعِينَ بِتَوْحِيدِي وَأَنْ لَا إِلَهَ غَيْرِي وَحَقَّ عَلَيَّ أَنْ لَا أَصْلِحِي أَهْلَ تَوْحِيدِي أَدْخِلُوا عِبَادِي  
 الْجَنَّةَ.

بيان: قوله وحق على الظاهر أنه اسم أى واجب ولازم على ويمكن أن يقرأ على صيغة الماضى المعلوم والمجهول قال الجوهرى قال  
 الكسائى يقال حق لك أن تفعل هذا وحققت أن تفعل هذا بمعنى وحق له أن يفعل كذا وهو حقيق به ومحقوق به أى خليق له وحق  
 الشىء يحق بالكسر أى وجب وقال يقال صليت الرجل نارا إذا أدخلته النار وجعلته يصلها فإن ألقيته فيها إلقاء كأنك تريد الإحراق قلت  
 أصليته بالألف وصليته تصلية وقال صلى فلان النار يصلى صليا احترق.

(2)- يد، التوحيد لى، الأمالى للصدوق الحسن بن عبد الله بن سعيد عن محمد بن أحمد بن حمدان القشيري عن أحمد بن عيسى الكلابي  
 عن موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر (2) عن أبيه

ص: 2

1- عفر وجهه بالتراب أى مرغه ودسه فيه.

2- هو صاحب كتاب الجعفریات، المترجم فى ص 19 من رجال النجاشى بأنه سكن مصر وولده بها، وله كتب يروىها عن أبيه، عن آبائه،  
 منها: كتاب الطهارة، كتاب الصلاة، كتاب الزكاة، كتاب الصوم، كتاب الحج، كتاب الجنائز، كتاب الطلاق، كتاب النكاح، كتاب الحدود،  
 كتاب الدعاء، كتاب السنن والآداب، كتاب الرؤيا. أخبرنا الحسين بن عبيد الله قال: حدثنا أبو محمد سهل بن أحمد بن سهل، قال: حدثنا  
 أبو علي محمد بن محمد الأشعث بن محمد الكوفي بمصر قراءة عليه، قال حدثنا موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر قال: حدثنا أبى  
 بكتبه انتهى. أقول: ويسمى الجعفریات الأشعثيات أيضا لرواية محمد بن محمد الأشعث ذلك، وللعلامة النورى حول الكتاب وصاحبه  
 كلام فى ج 3 من المستدرک ص 290.

عَنْ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ مَا جَزَاءُ مَنْ أَنْعَمْتُ عَلَيْهِ بِالتَّوْحِيدِ إِلَّا الْجَنَّةُ.

ما، الأمامي للشيخ الطوسي شيخ الطائفة عن الحسين بن عبيد الله الغضائري عن الصدوق بالإسناد مثله- ما، الأمامي للشيخ الطوسي جماعة عن أبي المفضل عن أحمد بن إسحاق بن عباس بن إسحاق بن موسى بن جعفر عن أبيه عن جده عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه عن أمير المؤمنين عليه السلام مثله.

(3)- ما، الأمامي للشيخ الطوسي جماعة عن أبي المفضل عن جعفر بن محمد بن جعفر العلوي عن محمد بن علي بن الحسن بن زيد عن الرضا عن أبيه عليهم السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله التوحيد ثمن الجنة الخبر.

(4)- ع، علل الشرائع ل، الخصال في خبر أسد مآء النبي وأوصافه صلى الله عليه وآله وجعل اسمي في التوراة أحييد فبالتوحيد حرّم أجساد أممي على النار.

(5)- ثو، ثواب الأعمال يد، التوحيد ابن الوليد عن سعد بن أحمد بن هلال عن ابن فضال عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال سمعته يقول ما من شيء أعظم ثواباً من شهادة أن لا إله إلا الله لأن الله عز وجل لا يعدله شيء ولا يشركه في الأمر أحد.

بيان: لعل التعليل مبني على أنه إذا لم يعدله تعالى شيء لا يعدل ما يتعلق بألوهيته وكمالته ووجدانيته شيء إذ هذه الكلمة الطيبة أدل الأذكار على وجوده ووجدانيته واتصافه بالكمالات وتنزهه عن النقائص ويحتمل أن يكون المراد أنها لما كانت أصدق الأقوال فكانت أعظمها ثواباً.

(6)- يد، التوحيد ابن المتوكل عن الأسد عن التميمي عن التوفلي عن محمد بن سنان عن المفضل قال قال أبو عبد الله عليه السلام إن الله تبارك وتعالى ضامن للمؤمن ضامناً قال قلت وما هو قال ضامن له إن هو أقر له بالربوبية ولمحمد صلى الله عليه وآله بالتبوة ولعلي عليه السلام بالإمامة وأدى ما افترضه عليه أن يسكنه في جواره قال قلت فهذه

وَ اللَّهُ هِيَ الْكَرَامَةُ الَّتِي لَا يُشَبِّهُهَا كَرَامَةُ الْإِدْمِيِّينَ قَالَ ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ اعْمَلُوا قَلِيلًا تَتَّعَمُوا كَثِيرًا.

(7)- يد، التوحيد الهمداني عن علي عن أبيه عن ابن أبي عمير عن إبراهيم بن زياد الكرخي عن أبي عبد الله عن أبيه عن جدّه عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من مات ولا يشرك بالله شيئاً أحسن أو أساء دخل الجنة.

يد، التوحيد القطان عن السكري عن الجوهري عن جعفر بن محمد بن عمارة عن أبيه عن جعفر بن محمد عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وآله مثله.

(8)- يد، التوحيد ابن الوليد عن الصفار عن ابن أبي الخطاب عن ابن أسباط عن البطائني (1) عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ هو أهل التقوى وأهل المغفرة قال قال الله تبارك وتعالى أنا أهل أن أتقى ولا يشرك بي عبدي شيئاً وأنا أهل إن لم يشرك بي عبدي شيئاً أن أدخله الجنة وقال عليه السلام إن الله تبارك وتعالى أقسم بعزّته وجلاله أن لا يعذب أهل توحيدِه بالنار أبداً.

(9)- يد، التوحيد السناني عن الأسدي عن النخعي عن النوفلي عن علي بن سالم (2) عن أبي بصير قال قال أبو عبد الله عليه السلام إن الله تبارك وتعالى حرّم أجساد الموحّدين على النار.

(10)- ثو، ثواب الأعمال يد، التوحيد أبي عن سعد عن ابن عيسى عن الحسين بن سيف عن أخيه

ص: 4

1- بالباء المفتوحة و الطاء المهملة المفتوحة و الالف ثم الهمزة المكسورة، هو علي بن أبي حمزة سالم المترجم في ص 175 من رجال النجاشي بقوله: علي بن أبي حمزة، واسم أبي حمزة سالم البطائني أبو الحسن، مولى الأنصار، كوفي. وكان قائد أبي بصير يحيى بن القاسم، وله أخ يسمى جعفر بن أبي حمزة، روى عن أبي الحسن موسى و روى عن أبي عبد الله عليهما السلام، ثم وقف؛ وهو أحد عمد الواقفة، و صنف كتباً عدة، منها: كتاب الصلاة، كتاب الزكاة، كتاب التفسير وأكثره عن أبي بصير، كتاب جامع في أبواب الفقه- ثم ذكر طريقه إلى كتبه- و روى الكشي في ص 225 من كتابه روايات تدل على ذمه جدا-.

2- هو البطائني المتقدم.

عَلِيٍّ عَنِ أَبِيهِ سَيِّفِ بْنِ عَمِيرَةَ عَنِ الْحَجَّاجِ بْنِ أَرْطَاةَ (1) عَنِ أَبِي الزُّبَيْرِ (2) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ: الْمُوجِبَاتُ مَنْ مَاتَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا يَدْخُلُ النَّارَ.

(11)- ثو، ثواب الأعمال لي، الأما لي للصدوق يد، التوحيد بالإسناد المُتَقَدِّمِ عَنْ سَيِّفِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الصَّبَّاحِ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ مَنْ أَبِي أَنْ يَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

بيان: إشارة إلى قوله تعالى وَ خَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ

(12)- يد، التوحيد أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي بَكْرِ الْخُوَزِيِّ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ الْخُوَزِيِّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْجَوَيْبَارِيِّ وَيُقَالُ لَهُ الْهَرَوِيُّ وَ النَّهْرَوَانِيُّ وَ الشَّيْبَانِيُّ عَنِ الرَّضَا عَلِيِّ بْنِ مُوسَى عَنْ أَبِيهِ عَنْ آبَائِهِ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَا جَزَاءُ مَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ بِالتَّوْحِيدِ إِلَّا الْجَنَّةُ (3).

(13)- يد، التوحيد وَبِهَذَا الْإِسْمِ نَادِيَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةٌ عَظِيمَةٌ كَرِيمَةٌ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ قَالَهَا مُخْلِصًا اسْتَوْجَبَ الْجَنَّةَ وَمَنْ قَالَهَا كَاذِبًا عَصَمَتْ مَالَهُ وَدَمَهُ وَكَانَ مَصِيرُهُ إِلَى النَّارِ.

بيان: قوله عليه السلام: و من قالها كاذبا أى فى الإخبار عن الإذعان لها و التصديق بها.

(14)- ن، عيون أخبار الرضا عليه السلام يد، التوحيد مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الشَّاهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ النَّيْسَابُورِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبَّاسِ الطَّائِيُّ بِالْبَصْرَةِ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي فِي سَنَةِ سِتِّينَ وَ مِائَتَيْنِ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُوسَى الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَ سِتِّينَ وَ مِائَةٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي

ص: 5

1- حكى عن رجال الشيخ انه عده من أصحاب الباقر و الصادق عليهما السلام، و عن تقريب أن حجاج بن ارطاة الكوفى القاضى أحد الفقهاء، صدوق كثير الخطاء و التدليس، من السابعة، مات سنة خمس و أربعين أى بعد المائة. انتهى. أقول: لم نقف فى رجال الخاصة على ما يدل على توثيقه.

2- لم نقف على اسمه و على ما يدل على توثيقه، نعم ربما يستفاد ممّا ورد فى ص 27 و 29 من رجال الكشّى فى ترجمة جابر بن عبد الله كون الرجل إماميا حيث روى عن جابر حديث «على خير البشر، فمن أبى فقد كفر» و يأتى الحديث فى محله.

3- تقدم مثله مع صدر تحت الرقم 2.

مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي الْحُسَيْنِ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حِصْنِي فَمَنْ دَخَلَهُ أَمِنَ مِنْ عَذَابِي.

(15)-ن، عيون أخبار الرضا عليه السلام يد، التوحيد مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ النَّيْسَابُورِيُّ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْخَزْرَجِيِّ عَنْ أَبِي الصَّلْتِ الْهَرَوِيِّ (1) قَالَ: كُنْتُ مَعَ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ رَحَلَ مِنْ نَيْسَابُورَ وَهُوَ رَاكِبٌ بَغْلَةً شَهْبَاءَ فَإِذَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَأَحْمَدُ بْنُ حَرْبٍ وَ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوِيَةَ وَعِدَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ قَدْ تَعَلَّقُوا بِلِحَامِ بَعْلَتِهِ فِي الْمُرْبَعَةِ فَقَالُوا بِحَقِّ آبَائِكَ الطَّاهِرِينَ حَدَّثَنَا بِحَدِيثِ سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِيكَ فَأَخْرَجَ رَأْسَهُ مِنَ الْعَمَارِيَّةِ وَعَلَيْهِ مِطْرَفٌ خَزٌّ ذُو وَجْهَيْنِ وَقَالَ حَدَّثَنِي أَبِي الْعَبْدُ الصَّالِحُ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي الصَّادِقُ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بِأَقْرَبِ عِلْمِ الْأَنْبِيَاءِ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ سَيِّدِ الْعَابِدِينَ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي سَيِّدُ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْحُسَيْنُ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ لِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَأَعْبُدُونِي وَمَنْ جَاءَ مِنْكُمْ بِشَهَادَةٍ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ بِالْإِخْلَاصِ دَخَلَ فِي حِصْنِي وَ مَنْ دَخَلَ فِي حِصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي.

بيان: قال الجوهرى الشبهة فى الألوان البياض الذى غلب على السواد وقال المربع موضع القوم فى الربيع خاصة أقول يحتمل أن يكون المراد بالمربعة المتسع الذى كانوا يخرجون إليه فى الربيع للتنزه أو الموضع الذى كانوا يجتمعون فيه للعب من قولهم ربيع الحجر إذا أشاله ورفعاه لإظهار القوة وسمعت جماعة من أفاضل نيسابور أن المربعة اسم للموضع الذى عليه الآن نيسابور إذ كانت البلدة فى زمانه عليه السلام فى مكان آخر قريب من هذا الموضع و آثارها الآن معلومة و كان هذا الموضع من أعمالها و قراها وإنما كان يسمى بالمربعة لأنهم كانوا يقسمونه بالرباع

ص: 6

1- اسمه عبد السلام بن صالح و هو ثقة عند الخاصة و العامة، و من عدا الشيخ و العلامة فى القسم الثانى من الخلاصة صرحوا بكون الرجل إماميا، و لكن الشيخ فى رجاله و العلامة فى القسم الثانى قالوا: إنه عامى

الأربعة فكانوا يقولون ربع كذا وربع كذا وقالوا هذا الاصطلاح الآن أيضا دائر بيننا معروف في دفاتر السلطان وغيرها وقال الجوهري المطرف و المطرف واحد المطارف و هي أردية من خز مربعة لها أعلام قال الفراء وأصله الضم لأنه في المعنى مأخوذ من أطرف أى جعل في طرفيه العلمان ولكنهم استقلوا الضمة فكسروه.

(16) -«ثو، ثواب الأعمال مع، معانى الأخبارن، عيون أخبار الرضا عليه السلام يد، التوحيد ابن المتوكل عن الأسيدي عن محمد بن الحسين الصوفي عن يوسف بن عقيل عن إسحاق بن راهويه قال: لَمَا وَافَى أَبُو الْحَسَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ نَيْسَابُورَ وَ أَرَادَ أَنْ يُخْرَجَ مِنْهَا إِلَى الْمَأْمُونِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ فَقَالُوا لَهُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ تَرَحَّلْ عَنَّا وَ لَا تُحَدِّثْنَا بِحَدِيثِ فَتْسَدُ تَفِيدُهُ مِنْكَ وَ كَانَ قَدْ قَعَدَ فِي الْعَمَارِيَّةِ فَأُطْلِعَ رَأْسَهُ وَ قَالَ سَمِعْتُ أَبِي مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ يَقُولُ سَمِعْتُ أَبِي جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ يَقُولُ سَمِعْتُ أَبِي مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ يَقُولُ سَمِعْتُ أَبِي عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ يَقُولُ سَمِعْتُ أَبِي الْحُسَيْنِ بْنَ عَلِيٍّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ يَقُولُ سَمِعْتُ أَبِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ يَقُولُ سَمِعْتُ جَبْرِئِيلَ يَقُولُ سَمِعْتُ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حِصْنِي فَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ عَذَابِي قَالَ فَلَمَّا مَرَّتِ الرَّاحِلَةُ نَادَانَا بِشُرُوطِهَا وَ أَنَا مِنْ شُرُوطِهَا.

قال الصدوق رحمه الله من شروطها الإقرار للرضا عليه السلام بأنه إمام من قبل الله عز و جل على العباد مفترض الطاعة عليهم.

(17) -«يد، التوحيد أبو نصر محمد بن أحمد بن تميم السرخسي عن محمد بن إدريس الشامي عن إسحاق بن إسرائيل عن جرير (1) عن عبد العزيز عن زيد بن وهب عن أبي ذر رحمه الله قال: خَرَجْتُ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ يَمْشِي وَ حُدَّهُ لَيْسَ مَعَهُ إِنْسَانٌ فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَكْرَهُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَهُ أَحَدٌ قَالَ فَجَعَلْتُ أَمْشِي فِي ظِلِّ الْقَمَرِ فَالْتَمَعْتُ فَرَأَيْتُ فَقَالَ مَنْ هَذَا قُلْتُ أَبُو ذَرٍّ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ يَا أَبَا ذَرٍّ تَعَالَ فَمَشَيْتُ مَعَهُ سَاعَةً فَقَالَ إِنَّ الْمُكْثِرِينَ هُمُ الْأَقْلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ أُعْطَاهُ اللَّهُ خَيْرًا فَفَنَفَخَ فِيهِ بِيَمِينِهِ وَ شِدَّ مَالِهِ وَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَ وَرَاءَهُ وَ عَمِلَ فِيهِ خَيْرًا قَالَ فَمَشَيْتُ مَعَهُ سَاعَةً فَقَالَ اجْلِسْ هَاهُنَا

ص: 7

وَأَجْلَسَنِي فِي قَاعِ حَوْلِهِ حِجَارَةٌ فَقَالَ لِي اجْلِسْ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ قَالَ وَانْطَلَقَ فِي الْحَرَّةِ حَتَّى لَمْ أَرَهُ وَتَوَارَى عَنِّي فَأَطَالَ اللَّيْلُ ثُمَّ إِنِّي سَمِعْتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَهُوَ مُقْبِلٌ وَهُوَ يَقُولُ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قَالَ فَلَمَّا جَاءَ لَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ مَنْ تَكَلَّمْتُ فِي جَانِبِ الْحَرَّةِ فَإِنِّي مَا سَمِعْتُ أَحَدًا يَرُدُّ عَلَيْكَ شَيْئًا قَالَ ذَلِكَ جَبْرَيْلُ عَرَضَ لِي فِي جَانِبِ الْحَرَّةِ فَقَالَ بَشِّرْ أُمَّتَكَ أَنَّهُ مِنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ قَالَ قُلْتُ يَا جَبْرَيْلُ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قَالَ نَعَمْ وَإِنْ شَرِبَ الْخَمْرَ-.

قال الصدوق رحمه الله يعنى بذلك أنه يوفق للتوبة حتى يدخل الجنة بيان قال الجزري فيه المكثرون هم المقلون إلا من نفخ فيه يمينه و شماله أى ضرب يديه فيه بالعطاء النفخ الضرب و الرمي.

أقول: يظهر من الأخبار أن الإخلال بكل ما يجب الاعتقاد به وإنكاره يوجب الخروج عن الإسلام داخل في الشرك والتوحيد الموجب لدخول الجنة مشروط بعدمه (1) فلا- يلزم من ذلك دخول المخالفين الجنة (2) و أما أصحاب الكبائر من الشيعة فلا استبعاد في عدم دخولهم النار وإن عذبوا في البرزخ وفي القيامة مع أنه ليس في الخبر أنهم لا يدخلون النار وقد ورد في بعض الأخبار أن ارتكاب بعض الكبائر وترك بعض الفرائض أيضا داخلا في الشرك فلا- ينبغى الاعتراض بتلك الأخبار والاجترار بها على المعاصي وعلى ما عرفت لا حاجة إلى ما تكلفه الصدوق قدس سره.

«18»- ما، الأما لى للشيخ الطوسى مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ شَاذَانَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ عَنْ سَعْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَيْسَى عَنْ عَلِيِّ بْنِ بِلَالٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ بَشِيرِ الدَّهَّانِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَمَاعَةَ قَالَ: سَأَلَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ أَخْبِرْنِي أَىُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ قَالَ تَوْحِيدُكَ لِرَبِّكَ قَالَ فَمَا أَعْظَمَ الذُّنُوبِ قَالَ تَشْبِيهُكَ لِخَالِقِكَ.

«19»- يد، التوحيد أحمدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ غَالِبِ الْأَنْمَاطِيِّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ غَزْوَانَ

ص: 8

1- وفي نسخة: والتوحيد مشروط بعدمه.

2- سيأتى في أخبار البرزخ ما يدل على دخول المخالفين الجنة إذا لم يكونوا ناصبين كرواية زيد الكناسى عن الصادق عليه السلام وغيرها. ط.

عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَحْمَدَ عَنْ دَاوُدَ بْنِ عَمْرٍو عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَيْنَمَا رَجُلٌ مُسْتَلْقٍ عَلَى ظَهْرِهِ يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ وَإِلَى النَّجْمِ وَيَقُولُ وَاللَّهِ إِنَّ لَكَ لَرَبًّا هُوَ خَالِقُكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي قَالَ فَتَنَزَّرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ فَغَفَرَ لَهُ.

قال الصدوق رحمه الله وقد قال الله عز وجل أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَعْنِي بِذَلِكَ أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَفِي عَجَائِبِ صَنَعِهَا وَلَمْ يَنْظُرُوا فِي ذَلِكَ نَظْرَ مُسْتَدَلٍّ مَعْتَبَرٍ فَيَعْرِفُوا بِمَا يَرُونَ مَا أَقَامَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ (1) مَعَ عَظْمِ أَجْسَامِهَا وَثِقَلِهَا عَلَى غَيْرِ عَمْدٍ وَتَسْكِينِهَا بِهَا بَغِيرِ آلَةٍ فَيَسْتَدَلُّوْنَ بِذَلِكَ عَلَى خَالِقِهَا وَمَالِكِهَا وَمَقِيمِهَا أَنَّهُ لَا يَشْبَهُ الْأَجْسَامَ وَلَا مَا يَتَّخِذُهُ الْكَافِرُونَ إِلَهًا مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِذْ كَانَتْ الْأَجْسَامُ لَا تَقْدِرُ عَلَى إِقَامَةِ الصَّغِيرِ مِنَ الْأَجْسَامِ فِي الْهَوَاءِ بِغَيْرِ عَمْدٍ وَبَغِيرِ آلَةٍ فَيَعْرِفُوا بِذَلِكَ خَالِقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسَائِرِ الْأَجْسَامِ وَيَعْرِفُوا أَنَّهُ لَا يَشْبَهُهَا وَلَا تَشْبَهُهُ فِي قُدْرَةِ اللَّهِ وَمَلِكِهِ وَأَمَّا مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَهُوَ مَلِكُ اللَّهِ لَهَا وَاقْتِدَارُهُ عَلَيْهَا وَأَرَادَ بِذَلِكَ أَلَمْ يَنْظُرُوا وَيَتَفَكَّرُوا فِي السَّمَاوَاتِ (2) وَالْأَرْضِ فِي خَلْقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِيَّاهُمَا عَلَى مَا يَشَاهِدُونَهُمَا عَلَيْهِ فَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ مَالِكُهَا وَالْمُقْتَدِرُ عَلَيْهَا لِأَنَّهُمَا مَمْلُوكَةٌ مَخْلُوقَةٌ وَهِيَ فِي قُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ وَمَلِكِهِ فَجَعَلَ نَظْرَهُمْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَفِي خَلْقِ اللَّهِ لَهَا نَظْرًا فِي مَلَكُوتِهَا وَفِي مَلِكِ اللَّهِ لَهَا لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَخْلُقُ إِلَّا مَا يَمْلِكُهُ وَيَقْدِرُ عَلَيْهِ وَعَنِ بَقُولِهِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَعْنِي مِنْ أَصْنَافِ خَلْقِهِ فَيَسْتَدَلُّوْنَ بِهِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ خَالِقُهَا وَأَنَّ أَوْلَى بِالْإِلَهِيَّةِ مِنَ الْأَجْسَامِ الْمَحْدُوثَةِ الْمَخْلُوقَةِ.

«(20)»- يد، التوحيد عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي يَزِيدَ بْنِ مَحْبُوبِ الْمُزَنِيِّ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عِيْسَى السِّسْطَامِيِّ عَنْ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ عَبْدِ الْوَارِثِ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ خَالِدِ الْحَدَّاءِ عَنْ

ص: 9

1- وفي نسخة: والأرضين.

2- وفي نسخة: في ملكوت السماوات.



أَبِي بَشِيرٍ الْعَنْبَرِيِّ عَنْ حُمْرَانَ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ حَقٌّ دَخَلَ الْجَنَّةَ.

«(21)- يد، التوحيد الحسن بن علي بن محمد العطار عن محمد بن محمود عن حمران عن مالك بن إبراهيم عن حصين عن الأسود بن هلال (1) عن معاذ بن جبل قال: كنت ردف (2) النبي صلى الله عليه وآله قال يا معاذ هل تدري ما حق الله عز وجل على العباد يقولها ثلاثاً قال قلت لله ورسوله أعلم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله عز وجل على العباد أن لا يشركوا به شيئاً ثم قال صلى الله عليه وآله هل تدري ما حق العباد على الله عز وجل إذا فعلوا ذلك قال قلت لله ورسوله أعلم قال أن لا يعذبهم أو قال أن لا يدخلهم النار.

«(22)- ن، عيون أخبار الرضا عليه السلام أبو نصر أحمد بن الحسين عن أبي القاسم محمد بن عبيد الله عن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن هاشم عن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر عن أبيه علي بن محمد النقي عن آباءه عليهم السلام عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه عن النبي صلى الله عليه وآله عن جبرئيل سيد الملائكة قال: قال الله سبحانه يد السادات جل وعز إني أنا الله لا إله إلا أنا من أقر لي بالتوحيد دخل حصني ومن دخل حصني أمن عذابي.

«(23)- ن، عيون أخبار الرضا عليه السلام ع، علل الشرائع في علل الفضل عن الرضا عليه السلام فإن قال قائل لم أمر الله الخلق بالإقرار بالله وبرسوله وحججه وبما جاء من عند الله عز وجل قيل لعل كثيرة منها أن من لم يقرب بالله عز وجل لم يجتنب معاصيه ولم ينته عن ارتكاب الكبائر ولم يراقب أحداً فيما يشتهي ويستلذ من الفساد والظلم فإذا فعل الناس هذه الأشياء وارتكب كل إنسان ما يشتهي ويهواه من غير مراقبة لأحد كان في ذلك فساد الخلق أجمعين وثوب بعضهم على بعض فغصبوا الفروج والأموال وأباحوا الدماء والنساء وقتل بعضهم بعضاً من غير حق ولا جرم فيكون في ذلك خراب الدنيا وهلاك الخلق وفساد الحرث والنسل ومنها أن الله عز وجل حكيم ولا يكون الحكيم ولا يوصف بالحكمة إلا الذي يحظر الفساد ويأمر بالصلاح ويحذر عن الظلم وينهى عن الفواحش ولا يكون

ص: 10

1- وفي نسخة: عن الأسود بن بلال.

2- الردف بالكسر: الراكب خلف الراكب كالرديف والمرتدف.

حَظُرَ الْفَسَادَ وَالْأَمْرَ بِالصَّلَاحِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْفَوَاحِشِ إِلَّا بَعْدَ الْإِقْرَارِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَعْرِفَةِ الْأَمْرِ وَالنَّاهِي فَلَوْ تَرَكَ النَّاسُ بَعْضَ إِقْرَارِ بِاللَّهِ وَلَا مَعْرِفَتِهِ لَمْ يَثْبُتْ أَمْرٌ بِصَلَاحٍ وَلَا نَهْيٌ عَنِ فَسَادٍ إِذْ لَا أَمْرَ وَلَا نَاهِيَّ وَمِنْهَا أَنَا وَجَدْنَا الْخَلْقَ قَدْ يَفْسِدُونَ بِأُمُورٍ بَاطِنِيَّةٍ (1) مَسْتُورَةٍ عَنِ الْخَلْقِ فَلَوْ لَا الْإِقْرَارُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَخَشْيَتُهُ بِالْغَيْبِ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ إِذَا خَلَا بِشَهْوَتِهِ وَإِرَادَتِهِ يُرَاقِبُ أَحَدًا فِي تَرْكِ مَعْصِيَةٍ وَانْتِهَاكِ حُرْمَةٍ وَازْتِكَابِ كَبِيرَةٍ إِذَا كَانَ فِعْلُهُ ذَلِكَ مَسْتُورًا عَنِ الْخَلْقِ غَيْرِ مُرَاقِبٍ لِأَحَدٍ وَكَانَ يَكُونُ فِي ذَلِكَ هَلَاكُ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ فَلَمْ يَكُنْ قَوْمَ الْخَلْقِ وَصَلَاحُهُمْ إِلَّا بِالْإِقْرَارِ مِنْهُمْ بِعَلِيمٍ حَبِيرٍ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى أَمْرٍ بِالصَّلَاحِ نَاهٍ عَنِ الْفَسَادِ وَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ لِيَكُونَ فِي ذَلِكَ انْزِجَارٌ لَهُمْ عَمَّا يَخْلُونَ بِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْفَسَادِ فَإِنْ قَالَ فَلِمَ وَجَبَ عَلَيْهِمُ الْإِقْرَارُ وَالْمَعْرِفَةُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَاحِدٌ أَحَدٌ قِيلَ لِعِلَلٍ مِنْهَا أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِمُ الْإِقْرَارُ وَالْمَعْرِفَةُ لَجَارَ أَنْ يَتَوَهَّمُوا مُدْبِرِينَ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ وَإِذَا جَارَ ذَلِكَ لَمْ يَهْتَدُوا إِلَى الصَّانِعِ لَهُمْ مِنْ غَيْرِهِ لِأَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ كَانَ لَا يَتَدْرَى لَعَلَّهُ إِنَّمَا يَعْبُدُ غَيْرَ الَّذِي خَلَقَهُ وَيُطِيعُ غَيْرَ الَّذِي أَمَرَهُ فَلَا يَكُونُونَ عَلَى حَقِيقَةٍ مِنْ صَانِعِهِمْ وَخَالِقِهِمْ وَلَا يَثْبُتُ عِنْدَهُمْ أَمْرٌ أَمْرٍ وَلَا نَهْيٌ نَاهٍ إِذْ لَا يَعْرِفُ الْأَمْرَ بِعَيْنِهِ وَلَا النَّاهِيَّ مِنْ غَيْرِهِ وَمِنْهَا أَنْ لَوْ جَارَ أَنْ يَكُونَ اثْنَيْنِ لَمْ يَكُنْ أَحَدُ الشَّرِيكَيْنِ أَوْلَى بِأَنْ يُعْبَدَ وَيُطَاعَ مِنَ الْآخَرِ وَفِي إِجَارَةِ أَنْ يُطَاعَ ذَلِكَ الشَّرِيكُ إِجَارَةٌ أَنْ لَا يُطَاعَ اللَّهُ وَفِي أَنْ لَا يُطَاعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْكُفْرُ بِاللَّهِ وَبِجَمِيعِ كُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَإِثْبَاتُ كُلِّ بَاطِلٍ وَتَرْكُ كُلِّ حَقٍّ وَتَحْلِيلُ كُلِّ حَرَامٍ وَتَحْرِيمُ كُلِّ حَلَالٍ وَالذُّخُولُ فِي كُلِّ مَعْصِيَةٍ وَالْخُرُوجُ مِنْ كُلِّ طَاعَةٍ وَإِبَاحَةُ كُلِّ فَسَادٍ وَإِبْطَالُ كُلِّ حَقٍّ وَمِنْهَا أَنَّهُ لَوْ جَارَ أَنْ يَكُونَ أَكْثَرَ مِنْ وَاحِدٍ لَجَارَ لِإِبْلِيسَ أَنْ يَدَّعَى أَنَّهُ ذَلِكَ الْآخَرُ حَتَّى يُضَادَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي جَمِيعِ حُكْمِهِ وَيَصْرِفَ الْعِبَادَ إِلَى نَفْسِهِ فَيَكُونُ فِي ذَلِكَ أَعْظَمُ الْكُفْرِ وَأَشَدُّ التَّفَاقُ فَإِنْ قَالَ فَلِمَ وَجَبَ عَلَيْهِمُ الْإِقْرَارُ بِاللَّهِ بِأَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ قِيلَ لِعِلَلٍ مِنْهَا أَنْ يَكُونُوا قَاصِدِينَ نَحْوَهُ بِالْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ دُونَ غَيْرِهِ غَيْرِ مُشْتَبِهٍ عَلَيْهِمْ أَمْرٌ رَبِّهِمْ وَ

ص: 11

صَانِعِهِمْ وَرَازِقِهِمْ وَ مِنْهَا أَنَّهُمْ لَوْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ لَمْ يَدْرُوا لَعَلَّ رَبَّهُمْ وَ صَانِعَهُمْ هَذِهِ الْأَصْدَانُ الَّتِي نَصَبَتْهَا لَهُمْ آبَاؤُهُمْ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ وَ النَّيْرَانُ إِذَا كَانَ جَائِزاً أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِمْ مُسْتَبْهَةً (1) وَ كَانَ يَكُونُ فِي ذَلِكَ الْفَسَادُ وَ تَرْكُ طَاعَاتِهِ كُلِّهَا وَ اِزْتِكَابُ مَعَاصِيهِ كُلِّهَا عَلَى قَدْرِ مَا يَتَنَاهَى إِلَيْهِمْ مِنْ أَخْبَارِ هَذِهِ الْأَزْبَابِ وَ أَمْرَهَا وَ نَهْيَهَا وَ مِنْهَا أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِمْ أَنْ يَعْرِفُوا أَنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ لَجَارَ عِنْدَهُمْ أَنْ يَجْرِيَ عَلَيْهِ مَا يَجْرَى عَلَى الْمَخْلُوقِينَ مِنَ الْعَجْزِ وَ الْجَهْلِ وَ التَّغْيِيرِ وَ الرِّوَالِ وَ الْفَنَاءِ وَ الْكُذْبِ وَ الْإِعْتِدَاءِ وَ مَنْ جَارَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ لَمْ يُؤْمِنْ فَنَاوَهُ وَ لَمْ يُوَثِّقْ بَعْدْلِهِ وَ لَمْ يَحَقِّقْ قَوْلَهُ وَ أَمْرَهُ وَ نَهْيَهُ وَ وَعْدَهُ وَ وَعِيدَهُ وَ ثَوَابَهُ وَ عِقَابَهُ وَ فِي ذَلِكَ فِسَادُ الْخَلْقِ وَ إِبْطَالُ الرُّبُوبِيَّةِ.

«(24)- ثو، ثواب الأعمال أبي عن سة عد عن ابن عيسى و ابن هاشم و الحسن بن علي الكوفي جميعاً عن الحسن بن بن سيف عن أبيه عن أبي حازم المديني عن سة هل بن سة عد الأنصاري قال: سألت رسول الله صلى الله عليه و آله عن قول الله عز و جل و ما كنت بجانب الطور إذ نادينا قال كتب الله عز و جل كتاباً قبل أن يخلق الخلق بألفي عام في ورق آس ثم وصد معها على العرش ثم نادى يا أمة محمد إن رحمتي سبقت غضبي أعطيتكم قبل أن تسألوني و غفرت لكم قبل أن تسألوني فمن تغفروني فمن لغيتي منكم يس هدا أن لا إله إلا أنا و أن محمداً عبدي و رسولي أدخلته الجنة برحمتي.

«(25)- سن، المحاسن الوشاء عن أحمد بن عازد عن أبي الحسن السواق عن أبان بن تغلب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يا أبان إذا قدمت الكوفة فارو هذا الحديث من شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً و جبت له الجنة قال قلت له إله يأتيني كل صنّف من الأصناف فاروى لهم هذا الحديث قال نعم يا أبان إله إذا كان يوم القيامة و جمع الله الأولين و الآخرين فيسلب منهم لا إله إلا الله إلا من كان على هذا الأمر.

سن، المحاسن ابن محبوب عن عمرو بن أبي المقدم عن أبان بن تغلب مثله.

«(26)- سن، المحاسن صالح بن السندي عن جعفر بن بشير عن الصباح الحذاء عن أبان بن تغلب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة نادى مناد من شهد أن لا إله

إِلَّا اللَّهُ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَالَ قُلْتُ فَعَلِمْتُ تَخَاصُمُ النَّاسِ إِذَا كَانَ مِنْ شَهِدٍ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ فَقَالَ إِنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَسُوهَا.

(27)-صح، صحيفة الرضا عليه السلام عن الرضا عن أبيه عليهم السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله يقول الله عز وجل لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي.

(28)-ضا، فقه الرضا عليه السلام نروي أن رجلاً أتى أبا جعفر عليه السلام فسأله عن الحديث الذي روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال من قال لا إله إلا الله فقال لا إله إلا الله فقال لا إله إلا الله فقال أبو جعفر عليه السلام الخبر حق فوالى الرجل مديراً فلما خرج أمر برده ثم قال يا هذا إن لا إله إلا الله شرطاً ألا وإني من شرطها.

(29)-غو، غوالي اللثالي قال النبي صلى الله عليه وآله من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنى وإن سرق (1).

(30)-ما، الأماي للشيخ الطوسي جماعة عن أبي المفضل عن أحمد بن عيسى بن محمد بن القاسم بن إسماعيل عن إبراهيم بن عبد الحميد عن معتب مؤلى أبي عبد الله عليه السلام عنه عن أبيه عليه السلام (2) قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال يا رسول الله هل للجنة من ثمن قال نعم قال ما ثمنها قال لا إله إلا الله يقولها العبد مخلصاً بها قال وما إخلاصها قال العمل بما بعثت به في حقه وحب أهل بيته قال فذاك أبي وأمي وإن حب أهل البيت لمن حقه قال إن حبهم لأعظم حقه.

(31)-كنز الكراكي، روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: إن الله رفع درجة اللسان فأنطقه بتوحيده من بين الجوارح.

(32)-ضا، فقه الرضا عليه السلام إن أول ما افترض الله على عباده وأوجب على خلفه معرفة الوحدانية قال الله تبارك وتعالى وما قدرنا الله حق قدره يقول ما عرفوا الله حق معرفته.

(33)-ونروي عن بعض العلماء عليهم السلام أنه قال: في تفسير هذه الآية هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ما جزاء من أنعم الله عليه بالمعرفة إلا الجنة (3).

ص: 13

1- تقدم الحديث مسنداً عن التوحيد تحت الرقم 17.

2- في الأماي المطبوع: عن جابر بن عبد الله الأنصاري.

3- تقدم الحديث مسنداً عن التوحيد و الأماي تحت الرقم 2.

«34»- وَأَزْوَى أَنْ الْمَعْرِفَةَ التَّصَدِيقُ وَ التَّسْلِيمُ وَ الْإِحْلَاصُ فِي السِّرِّ وَ الْعَلَانِيَةِ.

وَ أَزْوَى أَنْ حَقَّ الْمَعْرِفَةَ أَنْ تُطِيعَ وَ لَا تَعْصِيَ وَ تَشْكُرَ وَ لَا تَكْفُرَ.

«35»- مص، مصباح الشريعة قَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْعَارِفُ شَخْصُهُ مَعَ الْخَلْقِ وَ قَلْبُهُ مَعَ اللَّهِ لَوْ سَهَا قَلْبُهُ عَنِ اللَّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ لَمَاتَ شَوْقًا إِلَيْهِ وَ الْعَارِفُ أَمِينٌ وَ دَائِعِ اللَّهِ وَ كَنْزُ أَسَدٍ رَارِهِ وَ مَعْدِنُ نُورِهِ وَ دَلِيلُ رَحْمَتِهِ عَلَى خَلْقِهِ وَ مَطِيئَةُ عُلُومِهِ وَ مِيزَانُ فَضْلِهِ وَ عَدْلُهُ قَدْ غَنَى عَنِ الْخَلْقِ وَ الْمُرَادِ وَ الدُّنْيَا فَلَا مُونِسَ لَهُ سِوَى اللَّهِ وَ لَا نَطَقَ وَ لَا إِشَارَةَ وَ لَا نَفْسَ إِلَّا بِاللَّهِ وَ لِلَّهِ وَ مِنَ اللَّهِ وَ مَعَ اللَّهِ فَهُوَ فِي رِيَاضِ قُدْسِهِ مُتَرَدِّدٌ وَ مِنْ لَطَائِفِ فَضْلِهِ إِلَيْهِ مُتَزَوِّدٌ وَ الْمَعْرِفَةُ أَصْلُ فَرْعِهِ الْإِيمَانُ.

«36»- جع، جامع الأخبار جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ قَالَ مَا رَأَسُ الْعِلْمِ قَالَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ قَالَ وَ مَا حَقَّ مَعْرِفَتِهِ قَالَ أَنْ تَعْرِفَهُ بِلَا مِثَالٍ وَ لَا شَبَهٍ وَ تَعْرِفَهُ إِلَهًا وَاحِدًا خَالِقًا قَادِرًا أَوَّلًا وَ آخِرًا وَ ظَاهِرًا وَ بَاطِنًا لَا كُفُوَ لَهُ وَ لَا مِثْلَ لَهُ فَذَلِكَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ.

«37»- جع، جامع الأخبار قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ أَفْضَلُكُمْ إِيْمَانًا أَفْضَلُكُمْ مَعْرِفَةً.

«38»- أقول، رَوَى الصَّدُوقُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِ صِفَاتِ الشَّيْعَةِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ إِدْرِيسَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ رَفَعَهُ إِلَى أَحَدِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: بَعْضُكُمْ أَكْثَرُ صَلَاةً مِنْ بَعْضٍ وَ بَعْضُكُمْ أَكْثَرُ حَجًّا مِنْ بَعْضٍ وَ بَعْضُكُمْ أَكْثَرُ صَدَقَةً مِنْ بَعْضٍ وَ بَعْضُكُمْ أَكْثَرُ صِيَامًا مِنْ بَعْضٍ وَ أَفْضَلُكُمْ أَفْضَلُكُمْ مَعْرِفَةً.

«39»- ما، الأمالى للشيخ الطوسي جَمَاعَةٌ عَنْ أَبِي الْمُفَضَّلِ عَنِ اللَّيْثِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعَنْبَرِيِّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ عَنِ خَالِهِ أَبِي الصَّلْتِ الْهَرَوِيِّ قَالَ: كُنْتُ مَعَ الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا دَخَلَ نَيْسَابُورَ وَ هُوَ رَاكِبٌ بَعْدَ شَهَابٍ وَ قَدْ خَرَجَ عُلَمَاءُ نَيْسَابُورَ فِي اسْتِقْبَالِهِ فَلَمَّا صَارَ إِلَى الْمُرْبَعَةِ تَعَلَّقُوا بِلِحَامِ بَعْلَتِهِ وَ قَالُوا يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ حَدِّثْنَا بِحَقِّ آبَائِكَ الطَّاهِرِينَ حَدِيثًا عَنْ آبَائِكَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ فَأَخْرَجَ رَأْسَهُ مِنَ الْهَوْدَجِ وَ عَلَيْهِ مِطْرَفٌ خَزٌّ فَقَالَ حَدَّثَنِي أَبِي مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ أَبِيهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ - عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ سَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ قَالَ أَخْبَرَنِي جَبْرِئِيلُ الرُّوحِ الْأَمِينُ عَنِ اللَّهِ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ وَ جَلَّ وَجْهُهُ قَالَ إِنِّي

أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحَدِيدِي عِبَادِي فَاعْبُدُونِي وَلِيَعْلَمَ مَنْ لَقِينِي مِنْكُمْ بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا بِهَا أَنَّهُ قَدْ دَخَلَ حِصْنِي وَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ عَذَابِي قَالُوا يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ وَمَا إِخْلَاصُ الشَّهَادَةِ لِلَّهِ قَالَ طَاعَةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَوَلَايَةُ أَهْلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

## باب 2 علة احتجاب الله عز وجل عن خلقه

(1) -ع، علل الشرائع الحسين بن أحمد عن أبيه عن محمد بن بندار عن محمد بن علي عن محمد بن عبد الله الخراساني خادم الرضا عليه السلام (1) قَالَ: قَالَ بَعْضُ الزَّنَادِقَةِ لِأَبِي الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِمَ احْتَجَبَ اللَّهُ فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّ الْحِجَابَ عَنِ الْخَلْقِ لِكثْرَةِ ذُنُوبِهِمْ (2) فَأَمَّا هُوَ فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ فِي آنَاءِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ قَالَ فَلِمَ لَا تُدْرِكُهُ حَاسَةُ الْبَصَرِ قَالَ لِلْفَرْقِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ الَّذِينَ تُدْرِكُهُمْ حَاسَةُ الْأَبْصَارِ ثُمَّ هُوَ أَجَلٌ مِنْ أَنْ تُدْرِكَهُ الْأَبْصَارُ أَوْ يُحِيطَ بِهِ وَهَمٌّ أَوْ يَصْدُ بَطْنُهُ عَقْلٌ قَالَ فَحَدِّدْ لِي قَالَ إِنَّهُ لَا يُحَدِّدُ قَالَ لِمَ قَالَ لِأَنَّ كُلَّ مَحْدُودٍ مُتَنَاهٍ إِلَى حَدٍّ فَإِذَا احْتَمَلَ التَّحْدِيدَ احْتَمَلَ الزِّيَادَةَ وَإِذَا احْتَمَلَ الزِّيَادَةَ احْتَمَلَ التَّقْصَانَ فَهُوَ غَيْرُ مَحْدُودٍ وَلَا مُتَزَايِدٍ وَلَا مُتَجَزِّءٍ وَلَا مُتَوَهِّمٍ.

(2) -ع، علل الشرائع علي بن حاتم عن القاسم بن محمد عن حمدان بن الحسين بن الحسين بن الوليد عن عبد الله بن سنان عن أبي حمزة الثمالي قَالَ: قُلْتُ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لِأَيِّ عِلَّةٍ حَجَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْخَلْقَ عَنْ نَفْسِهِ قَالَ لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَنَاهُمْ بُنْيَةً عَلَى الْجَهْلِ فَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَنْظُرُونَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَمَا كَانُوا بِالَّذِينَ يَهَابُونَهُ وَلَا يُعْظَمُونَهُ نَظِيرُ ذَلِكَ أَحَدُكُمْ إِذَا نَظَرَ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ أَوَّلَ مَرَّةٍ عَظَّمَهُ فَإِذَا أَتَتْ عَلَيْهِ أَيَّامٌ وَهُوَ يَرَاهُ لَا يَكَادُ أَنْ يَنْظَرَ إِلَيْهِ إِذَا مَرَّ بِهِ وَلَا يُعْظَمُهُ ذَلِكَ التَّعْظِيمَ.

بيان: لعل المراد بالنظر الألفاظ الخاصة التي تستلزم غاية العرفان والوصول

ص: 15

1- لم نجد له ذكرا في كتب الرجال

2- لعل السؤال كان عن احتجابه تعالى عن القلوب، أو حمل عليه السلام السؤال على ذلك، وربما يؤيد الأول سؤاله ثانيا بقوله: فلم لا تدركه حاسة البصر؟

أى لو كانت مبذولة لعامة الناس لكانت لعدم استحقاقهم ذلك مورثا لتهاونهم بربهم أو النظر إلى آثار عظمتها التي لا تظهر إلا للأنبياء و الأوصياء عليهم السلام كنزول الملائكة و عروجهم و مواقفهم و منازلهم و العرش و الكرسي و اللوح و القلم و غيرها على أنه يحتمل أن يكون دليلا آخر مع التنزل عن استحالة إدراكه بالبصر على وفق الأفهام العامية.

### باب 3 إثبات الصانع و الاستدلال بعجائب صنعه على وجوده و علمه و قدرته و سائر صفاته

الآيات؛

البقرة: «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَتَدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» (22) (وقال تعالى): «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصَوَّرَ رِيفَ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» (164)

يونس: «إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ» (6) (وقال): «قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ» (101)

الرعد: «اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ\* وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوَادًا وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجِينَ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ\* وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٍ وَجَنَاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِدْرٌ وَغَيْرُ صِدْرٍ نَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَّضَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» (2-4)

إبراهيم: «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ\*

ص: 16

وَسَحَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَحَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ\* وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ»(32-34)

الحجر: «وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ\* وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُطَانِ رَجِيمٍ\* إِلَّا مِنْ اسْتَرْقَى السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شَيْءٌ هَابٌ مُبِينٌ\* وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ\* وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ\* وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عَدَدْنَا خَزَائِنَهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بَقَدَرٍ مَعْلُومٍ\* وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسَدْنَا تَمِينًا كُمُوهَ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ\* وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ»(16-23)

النحل: «خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ\* وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ\* وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسَرَّحُونَ\* وَتَحْمِلُ أَوْثَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُفٌ رَحِيمٌ\* وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ»(4-8) (وقال تعالى): «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ\* يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ\* وَسَحَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مَسَّخَرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ\* وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ\* وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ\* وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لِعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ\* وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ»(10-16) (وقال تعالى): «وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ\* وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ\* وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ\* ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ



الثَّمَرَاتِ فَاسْمُ لِكِي سُبُلِ رَبِّكَ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَدَّ رَابٌّ مُخْتَلِفٌ الْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ\* وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَقَّأُكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يَرُدُّ إِلَى أَزْدِلِ الْعُمُرِ لِكِي لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ» (65-70) (وقال تعالى): «وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَلَيْسَ الْبَاطِلُ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ» (72) (وقال تعالى): «وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بَطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ\* أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ\* وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشَدِّ عَارِهَا أَثَانًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ\* وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَالسَّرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْبَأْسَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَسْلِمُونَ» (78-81)

الإسراء: «وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِيَتَّبِعُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِيَتَّعَلَّمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَ كُلُّ شَيْءٍ فِي فَضْلِنَا تَفْصِيلًا» (12) (وقال تعالى): «رَبُّكُمْ الَّذِي يُرْجَى لَكُمْ الْفَلَكَ فِي الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا\* وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضُوا وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا» (66-67)

طه: «الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى\* كُلُوا وَارْزُقُوا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَبْصَارِ\* مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى» (53-55)

الأنبياء: «أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ\* وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ\* وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ\* وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ» (30-33)

المؤمنون: «وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِنَّ لِقَادِرُونَ\* فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَحِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ\* وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْأَعْيُنِ\* وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِيُعَلِّمَنَّكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ\* وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ» (18-22) (وقال تعالى): «وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ\* وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ» (79-80) (وقال تعالى): «قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ\* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ\* قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ\* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ\* قُلْ مَنْ يَدْعُ مَلَكَوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ\* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ» (84-89)

النور: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ\* وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ\* أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ\* يَقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ\* وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (41-45)

الفرقان: «أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا\* ثُمَّ قَبَضْنَا نورهَ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا\* وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِيَسَآءَ وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا\* وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا\* لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا» (45-49) (وقال تعالى): «وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُراتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا\* وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا» (53-54) (وقال تعالى): «تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ

فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُنِيراً\* وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خَلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً» (61-62)

الشعراء: «أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ\* إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ» (7-8)

القصص: «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَمْ لَا تَسْمَعُونَ\* قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِاللَّيْلِ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَمْ لَا تُبْصِرُونَ\* وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» (71-73)

العنكبوت: «خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ» (44) (وقال تعالى): «وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ» (63) (وقال تعالى): «فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ» (65)

الروم: «وَ مِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ\* وَ مِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ\* وَ مِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ اخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَ أَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ\* وَ مِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَ ابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ\* وَ مِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَ طَمَعاً وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ\* وَ مِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَحْرُجُونَ\* وَ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلِّ لَهٌ قَانِتُونَ» (20-26) (وقال عز و جل): «وَ مِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَ لِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ لِيَجْزِيَ الْفُلُكَ بِأَمْرِهِ وَ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» (46) (وقال تعالى): «اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُ طُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَ يَجْعَلُهُ كَسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ\* وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ\*

فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (48-50) (وقال تعالى): «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ» (54)

لقمان: «خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَآلَقَى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ\* هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَزُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ» (10-11) (وقال تعالى): «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ\* ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ\* أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ\* وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلِيلِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ» (29-32)

التنزيل: «أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ» (27)

فاطر: «الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ\* مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَ مَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» (1-2) (وقال تعالى): «وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا» (11) (وقال تعالى): «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ\* وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ» (27-28)

يس: «وَآيَةٌ لَهُمْ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ\* وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ\* لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا

عَمَلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ\* سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ\* وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ\* وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمَسَدٍ يَمَسُّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ\* وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ\* لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ\* وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ\* وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ\* وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ\* إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ» (33-44) (وقال تعالى): «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ\* وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ\* وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ» (71-73) (وقال سبحانه): «أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ» (77)

الصفات: «فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ» (11)

الزمر: «خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يَكُوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ\* خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَىٰ تَصَدُّقُونَ» (5-6) (وقال تعالى): «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ» (21)

المؤمن: «هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ» (13) (وقال تعالى): «اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِيَسَّ كُنُوتًا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ\* ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَىٰ تَوْفُكُونَ\* كَذَلِكَ يُؤْفِكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ\* اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ\* هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ

لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ\* قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأَمُرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِربِّ الْعَالَمِينَ\* هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يَتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجْلاً مُّسَمًّى وَ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ\* هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» (61-68) (وقال عز وجل): «اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ\* وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ\* وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ» (79-81)

السجدة: «قُلْ أَإِنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَ تَجْعَلُونَ لَهُ أَتْدَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ\* وَ جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَ بَارَكَ فِيهَا وَ قَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ\* ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَ هِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ\* فَفَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَ أَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَ حِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ» (9-12) (وقال تعالى): «سَدَّ رِيحَهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَ فِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبْتَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ\* أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ» (53-54)

حمعسق: «فَاطَرُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَ مِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذُرُّكُمْ فِيهِ» (11) (وقال تعالى): «وَ مِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَ هُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ» (29) (وقال سبحانه): «وَ مِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ\* إِنْ يَشَأْ يُسِّدْ كِنَ الرِّيْحِ فَيَبْطَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ\* أَوْ يُوقِعَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَ يَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ\* وَ يَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ» (32-35)

الزخرف: «وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ\* الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَ جَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ\* وَ الَّذِي نَزَّلَ

مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ\* وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ\* لَيْسَ بِتَوْفَا  
عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ\* وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ» (9-14)

الجاثية: «إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ\* وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ\* وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ  
اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» (3-5) (وقال تعالى): «اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ  
لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ\* وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ  
لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» (12-13) (وقال سبحانه): «وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ  
هُم إِلَّا يَظُنُّونَ» (24)

الذاريات: «وَ فِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ\* وَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ» (20-21) (وقال جل و علا): «وَ السَّمَاءَ بَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ\*  
وَ الْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ\* وَ مِن كُلِّ شَيْءٍ ءِ خَلَقْنَا زَوْجِينَ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» (47-49)

الطور: «أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ءِ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ\* أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ» (35-36)

الرحمن: «الرَّحْمَنُ\* عَلَّمَ الْقُرْآنَ\* خَلَقَ الْإِنْسَانَ (إلى آخر الآيات)

الواقعة: «نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ\* أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ\* أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ\* نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَ مَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ\*  
عَلَىٰ أَنْ يُبَدَّلَ أَمْثَالِكُمْ وَ نُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ\* وَ لَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشَأَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ\* أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ\* أَأَنْتُمْ تَرْزَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ  
الزَّارِعُونَ\* لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ\* إِنَّا لَمُعْرِمُونَ\* بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ\* أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ\* أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ  
أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ\* لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ\* أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ\* أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمُ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ\* نَحْنُ جَعَلْنَاهَا  
تَذَكِّرَةً

الطلاق: «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا» (12)

الملك: «الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاطُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ \* ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ \* وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ» (3-5) (وقال تعالى): «أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّدُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ» (19) (وقال سبحانه): «أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ» (21) (وقال تعالى): «قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ \* قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَدُونَ» (23-24) (وقال سبحانه): «قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّنًا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَدِّ تَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ \* قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ» (29-30)

المرسلات: «أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ \* فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ \* إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ \* فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ \* وَيْلٌ لِّيَوْمِئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ \* أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءَ وَأَمْواتًا \* وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا \* وَيْلٌ لِّيَوْمِئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» (20-28)

النبأ: «أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا \* وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا \* وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا \* وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا \* وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا \* وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا \* وَبَيَّنَّا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا \* وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا \* وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا \* لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا \* وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا» (6-16)

النازعات: «أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا \* رَفَعَ سَدًّا مَكْهًا فَسَوَّاهَا \* وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا \* وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا \* أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا \* وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا \* مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ» (27-34)

عبس: «فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ \* أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا \* ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ



شَقًّا\* فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا\* وَعِنَبًا وَقَضْبًا\* وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا\* وَحَدَائِقَ غُلْبًا\* وَفَاكِهَةً وَأَبًّا\* مَتَاعًا لَكُمْ وَ لِأَنْعَامِكُمْ»(25-32)

الغاشية: «أَفَلَا- يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِنبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ\* وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ\* وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ\* وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ»(17-20)

(1)-ج، الإحتجاج عن أمير المؤمنين ص لَمَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَ لَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ الْقَدْرَةِ وَ جَسِيمِ النِّعْمَةِ لَرَجَعُوا إِلَى الطَّرِيقِ وَ خَافُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ وَ لَكِنِ الْقُلُوبُ عَلِيلَةٌ وَ الْأَبْصَارُ مَدْحُولَةٌ (1) أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى صَ غَيْرِ مَا خَلَقَ كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ وَ أَتَقَنَ تَرْكِيبَهُ وَ فَلَقَى لَهُ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ سَوَّى لَهُ الْعَظْمَ وَ الْبَشَرَ أَنْظُرُوا إِلَى النَّمْلَةِ فِي صَ عَرِ جُثَّتِهَا وَ لَطَافَةِ هَيْئَتِهَا لَا تَكَادُ تُتَالُ بِلِحْظِ الْبَصَرِ وَ لَا بِمُسْتَدْرِكِ الْفِكْرِ كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِهَا وَ ضَنَّتْ عَلَى رِزْقِهَا (2) تَنْقُلُ الْحَبَّةَ إِلَى جُحْرِهَا وَ تُعِدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِيَبْرُدَهَا وَ فِي وَرُودِهَا لِصُدُورِهَا (3) مَكْفُولٌ بِرِزْقِهَا مَرْزُوقَةٌ بِوَفْقِهَا لَا يُغْفِلُهَا الْمَنَانُ وَ لَا يَحْرِمُهَا الدِّيَانُ وَ لَوْ فِي الصِّفَا الْيَاسِ وَ الْحَجَرِ الْجَامِسِ لَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجَارِي أَكْلِهَا وَ فِي عُلوِّهَا وَ سُفْلِهَا وَ مَا فِي الْجَوْفِ مِنْ شَرَاسِيفِ بَطْنِهَا وَ مَا فِي الرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وَ أُذُنِهَا لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَبًا وَ لَقَيْتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَبًا فَتَعَالَى الَّذِي أَقَامَهَا عَلَى قَوَائِمِهَا وَ بَنَاهَا عَلَى دَعَائِمِهَا لَمْ يَشْرُكْهُ فِي فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ وَ لَمْ يُعِنِّهِ عَلَى خَلْقِهَا قَادِرٌ وَ لَوْ صَدْرَتْ فِي مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لِتَبْلُغَ غَايَاتِهِ مَا دَلَّتْكَ الدَّلَالَةُ إِلَّا عَلَى أَنَّ فَاطِرَ النَّمْلَةِ هُوَ فَاطِرُ النَّحْلَةِ لِذَيْقِ تَقْصِيدِ يَلِ كُلِّ شَيْءٍ وَ غَامِضِ اخْتِلَافِ كُلِّ حَيٍّ وَ مَا الْجَلِيلُ وَ اللَّطِيفُ وَ الثَّقِيلُ وَ الْخَفِيفُ وَ الْقَوِيُّ وَ الضَّعِيفُ فِي خَلْقِهِ إِلَّا سَوَاءٌ كَذَلِكَ السَّمَاءِ وَ الْهَوَاءِ وَ الرِّيحِ وَ الْمَاءِ فَانْظُرْ إِلَى الشَّمْسِ وَ الْقَمَرِ وَ النَّبَاتِ وَ الشَّجَرِ وَ الْمَاءِ وَ الْحَجَرِ وَ اخْتِلَافِ هَذَا اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ تَفْجُرِ هَذِهِ الْبِحَارِ وَ كَثْرَةِ هَذِهِ الْجِبَالِ وَ طُولِ هَذِهِ الْقَلَالِ وَ تَفَرُّقِ هَذِهِ اللَّغَاتِ وَ الْأَلْسُنِ الْمُخْتَلِفَاتِ فَالْوَيْلُ لِمَنْ أَنْكَرَ الْمُقَدَّرَ وَ جَحَدَ الْمُدَبَّرَ زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ وَ لَا لِاخْتِلَافِ صُورِهِمْ صَانِعٌ لَمْ يَلْجَأُوا إِلَى حُجَّةٍ فِيمَا ادَّعَوْا وَ لَا تَحْقِيقٍ لِمَا وَعَوْا وَ هَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَانٍ

ص: 26

1- وفي نسخة: والبصائر مدخولة

2- وفي نسخة من الكتاب والاحتجاج المطبوع: كيف صبت على رزقها.

3- وفي نسخة: لصدورها.

أَوْ جِنَايَةً مِنْ غَيْرِ جَانٍ وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي الْجَرَادَةِ إِذْ خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ حَمْرًا وَبَيْنَ أَسْرَجِ لَهَا حَدَقَتَيْنِ قَمْرًا وَبَيْنَ وَجْهِ لَهَا السَّمْعَ الْخَفِيَّ وَفَتَحَ لَهَا الْقَمَّ السَّوِيَّ وَجَعَلَ لَهَا الْحَسَّ الْقَوِيَّ وَنَابِينَ بِيْهَا تَقْرُضُ وَمِنْجَلَيْنِ بِيْهَا تَقْبِضُ تَرْهَبُهَا الزَّرَّاعُ فِي رَزْعِهِمْ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ دَبَّهَا وَلَا أَجْلَبُوا بِجَمْعِهِمْ حَتَّى تَرِدَ الْحَرثَ فِي نَزْوَاتِهَا وَتَقْضِي مِنْهُ شِدَّ هَوَاتِهَا وَخَلَقَهَا كُلُّهُ لَا يَكُونُ إِصْبَعًا مُسْتَدَقَّةً فَتَبَارَكَ الَّذِي يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَيَعْفُرُ لَهُ خَدًّا وَوَجْهًا وَيُلْقِي بِالطَّاعَةِ إِلَيْهِ سَلْمًا وَضِعْفًا وَيُعْطِي لَهُ الْقِيَادَ رَهْبَةً وَخَوْفًا فَالطَّيْرُ مُسَخَّرَةٌ لِأَمْرِهِ أَحْصَى عَدَدَ الرَّيْشِ مِنْهَا وَالنَّفْسِ وَأَزْسَى قَوَائِمَهَا عَلَى النَّدَى وَالْيَبْسِ قَدَّرَ أَقْوَاتَهَا وَأَحْصَى أَجْنَاسَهَا فَهَذَا عُرَابٌ وَهَذَا عَقَابٌ وَهَذَا حَمَامٌ وَهَذَا نَعَامٌ دَعَا كُلَّ طَائِرٍ بِاسْمِهِ وَكَفَّلَ لَهُ بِرِزْقِهِ وَأَنْشَأَ السَّحَابَ الثَّقَالَ فَأَهْطَلَ دِيمَمَهَا وَعَدَّدَ قِسْمَهَا فَبَلَّ الْأَرْضَ بَعْدَ جُفُوفِهَا وَأَخْرَجَ نَبْتَهَا بَعْدَ جُدُوبِهَا.

إيضاح: مدخولة أى معيوبة من الدخل بالتحريك وهو العيب والغش والفساد وقلق أى شق والبشر ظاهر جلد الإنسان ولا بمستدرك الفكر إما مصدر ميمي أى بإدراك الفكر أو اسم مفعول من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف (1) أى بإدراك الفكر الذى يدركه الإنسان بغاية سعيه أو اسم مكان والباء بمعنى فى أى فى محل إدراكه والغرض المبالغة فى صغرها بحيث لا يمكن إدراك تفاصيل أعضائه لا بالنظر ولا بالفكر كيف دبت أى نشت وضمنت بالضاد المعجمة والنون أى بنخت وفى بعض النسخ صبت بالصاد المهملة والباء الموحدة على بناء المجهول إما على القلب أى صب عليها الرزق أو كناية عن هجومها واجتماعها على رزقها بإلهامه تعالى فكانها صبت على الرزق ويمكن أن يقرأ على بناء المعلوم من الصبابة وهى حرارة الشوق لصدرها الصدر بالتحريك رجوع المسافر من مقصده والشاربة من الورد أى تجمع فى أيام التمكّن من الحركة لأيام العجز عنها فإنها تخفى فى شدة الشتاء لعجزها عن البرد والمنان هو كثير المن والعطاء والديان القهار والقاضى والحاكم والسائس و

ص: 27

1- فى بعض النسخ: إلى الموصوف الخاص، والمراد بالفكر الذى يدركه الإنسان بغاية سعيه.

المجازى والصفاء مقصورا جمع الصفاة وهى الحجر الصلد الضخم الذى لا ينبت والجامس اليابس الجامد قال الخليل فى كتاب العين جمس الماء جمد وصخرة جامسة لزمت مكانا انتهى والضمير فى علوها وسفلها إما راجع إلى المجارى أو إلى النملة أى ارتفاع أجزاء بدنها وانخفاضها على وجه تقتضيه الحكمة وقال الجوهري الشراسيف مقاط الأضلاع وهى أطرافها التى تشرف على البطن ويقال الشرسوف غضروف معلق بكل ضلع مثل غضروف الكتف لقضيت من خلقها عجا القضاء بمعنى الأداء أى لأذيت عجا ويحتمل أن يكون بمعنى الموت أى لقضيت نحبك من شدة تعجبك ويكون عجا مفعولا لأجله ولو ضربت أى سرت كما قال تعالى إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ غَايَاتِهِ أَى غَايَاتِ فِكْرِكُ إِلَّا سَوَاءٌ أَى فِي دَقَّةِ الصَّنْعَةِ وَغَمُوضِ الْخَلْقَةِ أَوْ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْفَاطِرِ وَكَمَالِ قُدْرَتِهِ وَعِلْمِهِ وَالْقَلَالِ بِالْكَسْرِ جَمْعُ قَلَّةٍ بِالضَّمِّ وَهِيَ أَعْلَى الْجَبَلِ زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ أَى كَمَا زَعَمُوا فِي النَّبَاتِ أَوْ كَنَبَاتٍ لَا زَارِعَ لَهُ حَيْثُ لَا يَنْسَبُ إِلَى الزَّارِعِ وَإِنْ نَسَبَ إِلَى رَبِّهِ تَعَالَى لَمَا وَعُوا أَى جَمَعُوا وَحَفَظُوا وَأَسْرَجَ لَهَا حَدَقَتَيْنِ أَى جَعَلَهُمَا مُضِيئَتَيْنِ كَالسَّرَاجِ وَيُقَالُ حَدَقَةُ قَمْرَاءٍ أَى مِنْبِرَةٌ كَمَا يُقَالُ لَيْلَةُ قَمْرَاءٍ أَى نِيرَةٌ بِضَوْءِ الْقَمَرِ بَهَمَا تَقْرُضُ بِكَسْرِ الرَّاءِ أَى تَقْطَعُ وَالْمَنْجَلُ كَمَنْبِرٍ حَدِيدَةٍ يَقْضَبُ بِهَا الزَّرْعَ شَبِهَتْ بِهَا يَدَاها وَالذَّبُّ الدَّفْعُ وَالْمَنْعُ فِي نَزْوَاتِها أَى وَثَبَاتِها وَخَلَقَها كَلَهُ الْوَاوُ حَالِيَةً سَلَمًا بِالْكَسْرِ وَبِالتَّحْرِيكِ أَى اسْتِسْلَامًا وَانْقِيَادًا وَأَرْسَى أَى أَثْبَتَ أَى جَعَلَ لَهَا رِجْلَيْنِ يُمْكِنُها الْاسْتِقْرَارُ بَهَمَا عَلَى الْأَرْضِ الْيَابِسَةِ وَالنَّدِيَّةِ وَالهَطْلُ تَتَابَعُ الْمَطَرِ وَالدِيمُ بِكَسْرِ الدَّالِ وَفَتْحِ الْيَاءِ جَمْعُ الدِيمَةِ بِالْكَسْرِ وَهِيَ الْمَطَرُ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ رَعْدٌ وَلَا بَرْقٌ وَالْجَذُوبُ قَلَّةُ النَّبَاتِ وَالزَّرْعُ.

(2) -ج، الإحتجاج عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى وَ مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى قَالَ فَمَنْ لَمْ يَدُلَّهُ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَ دَوْرَانُ الْفُلْكِ بِالشَّمْسِ وَ الْقَمَرِ وَ الْآيَاتُ الْعَجِيبَاتُ عَلَى أَنْ وَرَاءَ ذَلِكَ أَمْرًا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى قَالَ فَهُوَ عَمَّا لَمْ يُعَايِنِ أَعْمَى وَ أَضَلُّ سَبِيلًا.

بيان: لعل المراد على هذا التفسير فهو فى أمر الآخرة التى لم ير آثارها أشد عمى و ضلالة.

(3)-ج، الإحتجاج روى عن هشام بن الحكم أنه قال: كان من سؤال الرنديق الذي أتى أبا عبد الله عليه السلام قال ما الدليل على صانع العالم فقال أبو عبد الله عليه السلام وجود الأفاعيل التي دلت على أن صانعها صنعها ألا ترى أنك إذا نظرت إلى بناء مسيد مبنئ علمت أن له بانياً وإن كنت لم تر الباني ولم تشاهده قال وما هو قال هو شيء بخلاف الأشياء ارجع بقولي شيء إلى إثباته وأنه شيء بحقيقة الشئية غير أنه لا جسم ولا صورة ولا يحس ولا يدرك بالحواس الخمس لا تدركه الأوهام ولا تنقصه الدهور ولا يعيره الزمان قال السائل فإنما لم نجد مؤهوماً إلا مخلوقاً قال أبو عبد الله عليه السلام لو كان ذلك كما تقول لكان التوحيد مناً مرتفعاً (1) فإنما لم نكلف أن نعتقد غير مؤهوم لکننا نقول كل مؤهوم بالحواس مدرك بها تحده الحواس ممثلاً فهو مخلوق ولا بد من إثبات صانع الأشياء خارجاً من الجهتين المذمومتين إحداهما النقي إذ كان النقي هو الإبطال والعدم والجهة الثانية الشبيهة بصفة المخلوق الظاهر التركيب والتأليف فلم يكن بد من إثبات الصانع لوجود المصنوعين والاضطرار منهم إليه أنهم مصنوعون وأن صانعهم غيرهم وليس مثلهم إذ كان مثلهم شبيهاً بهم (2) في ظاهر التركيب والتأليف وفيما جرى عليهم من حدودهم بعد أن لم يكونوا وتقلهم من صغر إلى كبر وسواد إلى بياض وقوة إلى ضعف وأحوال موجودة لا حاجة بنا إلى نفسه لثباتها ووجودها قال السائل فأتت قد حددته إذ أثبتت وجوده قال أبو عبد الله عليه السلام لم أحددته ولكن أثبتته إذ لم يكن بين الإثبات والنفي منزلة قال السائل فقوله الرحمن على العرش استوى قال أبو عبد الله عليه السلام بذلك وصف نفسه وكذلك هو مستول على العرش بائن من خلقه من غير أن يكون العرش حاملاً له ولا أن العرش محل له لکننا نقول هو حامل للعرش وممسك للعرش ونقول في ذلك ما قال وسع كرسيه السموات والأرض فثبتنا من العرش والكرسي ما ثبتته ونفينا أن يكون العرش والكرسي

ص: 29

1- وفي نسخة: لكان التوحيد عناً مرتفعاً.

2- وفي نسخة: إذ كان مثلهم شبيهاً لهم.

حَاوِيَا لَهُ وَ أَنْ يَكُونَ عَزَّ وَ جَلَّ مُحْتَاجًا إِلَى مَكَانٍ أَوْ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا خَلَقَ بَلْ خَلَقَهُ مُحْتَاجُونَ إِلَيْهِ قَالَ السَّائِلُ فَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ أَنْ تَرْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ إِلَى السَّمَاءِ وَ بَيْنَ أَنْ تَحْفِضُوهَا نَحْوَ الْأَرْضِ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَلِكَ فِي عِلْمِهِ وَ إِحَاطَتِهِ وَ قُدْرَتِهِ سَوَاءٌ وَ لَكِنَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ أَمْرَ أَوْلِيَاءَهُ وَ عِبَادَهُ يَرْفَعُ أَيْدِيهِمْ إِلَى السَّمَاءِ نَحْوَ الْعَرْشِ لِأَنَّهُ جَعَلَهُ مَعْدِنَ الرِّزْقِ فَتَبَتْنَا مَا تَبَتَّهُ الْقُرْآنُ وَ الْأَخْبَارُ عَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ حِينَ قَالَ ارْزُقُوا أَيْدِيَكُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ هَذَا تُجْمَعُ عَلَيْهِ فِرَقُ الْأُمَّةِ كُلِّهَا.

يد، التوحيد الدقاق عن أبي القاسم العلوي عن البرمكي عن الحسين بن الحسن عن إبراهيم بن هاشم القمي عن العباس بن عمرو الفقيمي عن هشام بن الحكم مثله مع زيادة أثبتها في باب احتجاج الصادق عليه السلام على الزنادقة بيان قوله عليه السلام: وأنه شيء بحقية الشيئية المراد بالشيئية إما الوجود أو معنى مساوق له وعلى التقديرين فالمراد إما بيان عينية الوجود أو قطع طمع السائل عن تعقل كنهه تعالى بل بأنه شيء و أنه بخلاف الأشياء و الجس بالجسيم المس قوله فإننا لم نجد موهوما إلا مخلوقا أى يلزم مما ذكرت أنه لا تدركه الأوهام أن كل ما يحصل في الوهم يكون مخلوقا فأجاب عليه السلام بما حاصله أن مرادنا أنه تعالى لا يدرك كنه حقيقته العقول و الأوهام و لا يتمثل أيضا في الحواس إذ هو مستلزم للتشبيه بالمخلوقين و لو كان كما توهمت من أنه لا يمكن تصوره تعالى بوجه من الوجوه لكان تكليفنا بالتصديق بوجوده و توحيده و سائر صفاته تكليفا بالمحال إذ لا يمكن التصديق بثبوت شيء لشيء بدون تصور ذلك الشيء فهذا القول مستلزم لنفي وجوده و سائر صفاته عنه تعالى بل لا بد في التوحيد من إخراجه عن حد النفي و التعطيل و عن حد التشبيه بالمخلوقين ثم استدل عليه السلام بتركيبهم و حدوثهم و تغير أحوالهم و تبدل أوضاعهم على احتياجهم إلى صانع منزه عن جميع ذلك غير مشابه لهم في الصفات الإمكانية و إلا لكان هو أيضا مفتقرا إلى صانع لاشارك علة الافتقار.

قوله فقد حددته إذا ثبتت وجوده أى إثبات الوجود له يوجب التحديد إما

بناء على توهم أن كل موجود لا بد أن يكون محدودا بحدود جسمانية أو بحدود عقلانية أو باعتبار التحدد بصفة هو الوجود أو باعتبار كونه محكوما عليه فيكون موجودا في الذهن محاطا به فأجاب عليه السلام بأنه لا يلزم أن يكون كل موجود جسما أو جسمانيا حتى يكون محدودا بحدود جسمانية و لا أن يكون مركبا حتى يكون محدودا بحدود عقلانية أو لا يلزم كون حقيقته حاصلة في الذهن أو محدودة بصفة فإن الحكم لا يستدعى حصول الحقيقة في الذهن و الوجود ليس من الصفات الموجودة المغايرة التي تحد بها الأشياء.

«(4) -ج، الإحتجاج عن هشام بن الحكم قال: دَخَلَ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ عَلَى الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ الصَّادِقُ يَا ابْنَ أَبِي الْعَوْجَاءِ أَمْصُنُوعٌ أَنْتَ أَمْ غَيْرُ مَصَّنُوعٍ قَالَ لَسْتُ بِمَصَّنُوعٍ فَقَالَ لَهُ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَوْ كُنْتَ مَصَّنُوعًا كَيْفَ كُنْتَ تَكُونُ فَلَمْ يُجِرِ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ جَوَابًا وَقَامَ وَخَرَجَ.

يد، التوحيد الهمداني عن علي عن أبيه عن العباس بن عمرو الفقيمي عن هشام مثله بيان لما كان التصديق بوجود الصانع تعالى ضروريا نبهه عليه السلام بأن العقل يحكم بديهته بالفرق بين المصنوع وغيره وفيك جميع صفات المصنوعين فكيف لم تكن مصنوعا (1)

«(5) -ج، الإحتجاج دَخَلَ أَبُو شَاكِرٍ الدَّيَّصَانِيُّ وَهُوَ زَنْدِيقٌ (2) عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ يَا جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ ذَلَّنِي عَلَى مَعْبُودِي فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ اجْلِسْ فَإِذَا غُلَامٌ صَغِيرٌ فِي كَفِّهِ بَيْضَةٌ يَلْعَبُ بِهَا فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَاوِلْنِي يَا غُلَامُ الْبَيْضَةَ فَنَاوَلَهُ إِيَّاهَا فَقَالَ

ص: 31

1- لا يخفى أن الرواية غير مسوقة للتنبيه على ما ذكره، بل إلزام له بالترجيح بلا مرجح فان اختياره عدم المصنوعية مع جواز مصنوعيته قول بلا دليل. ط.

2- الزنديق بالكسر من الثوية أو القائل بالنور والظلمة، أو من لا يؤمن بالآخرة والربوبية أو من يبطن الكفر ويظهر الايمان، أو هو معرب زن دين أي دين المرأة. قاله في القاموس. وفي المصباح: المشهور على السنة الناس أن الزنديق هو الذي لا يتمسك بشريعة ويقول بدوام الدهر والعرب تعبر عن هذا بقولهم: ملحد، أي طاعن في الأديان. انتهى. ونقل عن مفاتيح العلوم: أن الزنادقة هم المانوية وكانت المزدكية يسمون بذلك. أقول: و الظاهر أن الزنديق معرب لزنددين، و الزند اسم لكتاب المجوس جاء زردشت الذي يزعم المجوس أنه نبي، أو معرب زندي أي المنسوب إلى زند فاخذ كلمة واحدة وزيد عليه القاف وله نظائر.

أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَا دَيْصَانِي هَذَا حِصْنٌ مَكْنُونٌ لَهُ جِلْدٌ غَلِيظٌ وَتَحْتَ الْجِلْدِ الْغَلِيظِ جِلْدٌ رَقِيقٌ وَتَحْتَ الرَّقِيقِ ذَهَبَةٌ مَانِعَةٌ وَفِصَّةٌ ذَائِبَةٌ فَلَا ذَهَبَةَ الْمَانِعَةَ تَخْتَلِطُ بِالْفِصَّةِ الذَّائِبَةِ وَلَا الْفِصَّةُ الذَّائِبَةُ تَخْتَلِطُ بِالذَّهَبَةِ الْمَانِعَةِ فَهِيَ عَلَيَّ حَالِهَا لَمْ يَخْرُجْ (1) مِنْهَا خَارِجٌ مُصْلِحٌ فَيَخْبِرُ عَنْ إِصْلَاحِهَا وَ لَمْ يَدْخُلْ (2) فِيهَا دَاخِلٌ مُفْسِدٌ فَيَخْبِرُ عَنْ إِفْسَادِهَا لَا يُدْرَى لِلذَّكْرِ خُلِقَتْ أَمْ لِلأُنْثَى تَنْفَلِقُ عَنْ مِثْلِ أَلْوَانِ الطَّوَاوِيسِ أ تَرَى لَهَا مُدْبِرًا قَالَ فَأَطْرَقَ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ أَشْهُدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهُدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّكَ إِمَامٌ وَحُجَّةٌ مِنَ اللَّهِ عَلَيَّ خَلَقَهُ وَأَنَا تَائِبٌ مِمَّا كُنْتُ فِيهِ.

(6) -يد، التوحيد ابن المَتَوَكَّلِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي إِسْحَاقَ الْخَفَافِ عَنْ عِدَّةٍ مِنْ أَصْحَابِنَا أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ الدَّيْصَانِيَّ أَتَى بَابَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ فَأُذِنَ لَهُ فَلَمَّا قَعَدَ قَالَ لَهُ يَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ دَلَّنِي عَلَى مَعْبُودِي فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا اسْمُكَ فَخَرَجَ عَنْهُ وَ لَمْ يُخْبِرْهُ بِاسْمِهِ فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ كَيْفَ لَمْ تُخْبِرْهُ بِاسْمِكَ قَالَ لَوْ كُنْتُ قُلْتُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ كَانَ يَقُولُ مَنْ هَذَا الَّذِي أَنْتَ لَهُ عَبْدٌ فَقَالُوا لَهُ عُدَّ إِلَيْهِ فَقُلْ يَدُلُّكَ عَلَى مَعْبُودِكَ وَ لَا يَسْأَلُكَ عَنْ اسْمِكَ فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ يَا جَعْفَرُ دَلَّنِي عَلَى مَعْبُودِي وَ لَا تَسْأَلْنِي عَنْ اسْمِي فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ اجْلِسْ وَإِذَا غَلَامٌ صَغِيرٌ إِلَى آخِرِ الْخَبَرِ.

بيان: قد أوردنا الخبر بتمامه في باب القدرة و تقرير استدلاله عليه السلام أن ما في البيضة من الأحكام و الإلتقان و الاشتغال على ما به صلاحها و عدم اختلاط ما فيها من الجسمين السيليين و الحال أنه ليس فيها حافظ لها من الأجسام فيخرج منخرا عن صلاحها و لا يدخلها جسماني من خارج فيفسدها و هي تنفلق عن مثل ألوان الطواويس يدل على أن له مبدأ غير جسم و لا جسماني و لا يخفى لطف نسبة الإصلاح إلى ما يخرج منها و الإفساد إلى ما يدخل فيها لأن هذا شأن أهل الحصن الحافظين له و حال الداخل فيه بالقهر و الغلبة.

ص: 32

1- في الاحتجاج المطبوع: لا يخرج.

2- في الاحتجاج المطبوع: و لا تدخل.

(7) -ج، الإحتجاج عن عيسى بن يونس قال: كان ابن أبي العوجاء (1) من تلامذة الحسن البصري فأنحرف عن التوحيد فقيل له تركت مذهب صاحبك ودخلت فيما لا أصل له ولا حقيقة قال إن صاحبي كان مخلطاً يقول طوراً بالقدر وطوراً بالجبر فما أعلمه اعتقد مذهباً دام عليه فقدم مكة تمرداً وإنكاراً على من يحج وكان يكره العلماء مجالسته ومساءلته لخبث لسانه وفساد ضميره فأتى أبا عبد الله عليه السلام فجلس إليه في جماعة من نظرائه فقال يا أبا عبد الله إن المجالس بالأمانات ولا بد لكل من به سعال أن يسعل أفتأذن لي في الكلام فقال الصادق عليه السلام تكلم بما شئت فقال إلى كم تدوسون هذا البيدر (2) وتلذذون بهذا الحجر وتعبدون هذا البيت المرفوع بالطوب والمدر وتهزلون حوله كهزولة البعير إذا نفر إن من فكر في هذا وقدر علم أن هذا فعل أسسه غير حكيم ولا ذى نظر فقل فإنك رأس هذا الأمر وسنامه وأبوك أسه ونظامه فقال أبو عبد الله عليه السلام إن من أضله الله وأعمى قلبه استوخم الحق ولم يستعذبه وصار الشيطان وليه يورده مناهل الهلكة ثم لا يصدده وهذا بيت استعبد الله به عباده ليختبر طاعتهم في إتيانه فحثهم على تعظيمه وزيارته وجعله محل أنبيائه وقبلة للمصلين له فهو شعبة من رضوانه وطريق يؤدي إلى غفرانه منصوب على استواء الكمال ومجتمع العظمة والجلال خلقه الله قبل دحو الأرض بألفي عام فأحرق من أطيع فيما أمر وانتهى عما نهى عنه وزجر الله المنشئ للأرواح والصور فقال ابن أبي العوجاء ذكرت الله (3) فأحلت على غائب فقال أبو عبد الله عليه السلام ويحك كيف يكون غائباً من هو مع خلقه شاهد وإيهم أقرب من حبل الوريد يسمع كلامهم ويرى أشخاصهم ويعلم أسرارهم

ص: 33

1- عده السيد المرتضى رحمه الله في كتابه الأمالي ممن كان يتستر باظهار الإسلام ويحقن باظهار شعائره والدخول في جملة أهله دمه و ماله، وكان في الباطن زنديقا ملحدا، وكافرا مشركا، وقال: حكى ان عبد الكريم بن أبي العوجاء قال- لما قبض عليه محمد بن سليمان و هو والى الكوفة من قبل المنصور، وأحضره للقتل، وأيقن بمفارقة الحياة:- لان تلتمنى لقد وضعت في أحاديثكم أربعة آلاف حديث مكدوبة مصنوعة.

2- البيدر: الموضع الذي يجمع فيه الحصيد ويداس ويدق

3- في الأمالي: ذكرت يا أبا عبد الله.



فَقَالَ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ فَهُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ إِذَا كَانَ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَكُونُ فِي الْأَرْضِ وَإِذَا كَانَ فِي الْأَرْضِ كَيْفَ يَكُونُ فِي السَّمَاءِ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّمَا وَصَفْتَ الْمَخْلُوقَ الَّذِي إِذَا انْتَقَلَ مِنْ مَكَانٍ اسْتَعْلَلَ بِهِ مَكَانٌ وَحَلَا مِنْهُ مَكَانٌ فَلَا يَدْرِي فِي الْمَكَانِ الَّذِي صَارَ إِلَيْهِ مَا حَدَّثَ فِي الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ فِيهِ فَأَمَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الشَّانِ الْمَلِكُ الدَّيَّانُ فَلَا يَخْلُو مِنْهُ مَكَانٌ وَلَا يَسْتَعْلِلُ بِهِ مَكَانٌ وَلَا يَكُونُ إِلَى مَكَانٍ أَقْرَبَ مِنْهُ إِلَى مَكَانٍ.

لى، الأمالى للصدوق ابن مسرور عن ابن عامر عن عمه عن أبي أحمد محمد بن زياد الأزدي عن الفضل بن يونس مثله-ع، علل الشرائع الهمداني و المکتب و الوراق جميعا عن على عن أبيه عن الفضل مثله.

«(8) -يد، التوحيد الدقاق عن حمزة بن القاسم العلوي عن البرمكي عن داود بن عبد الله عن عمرو بن محمد عن عيسى بن يونس مثله و زاد في آخره و الذي بعثه بالآيات المحكممة و البراهين الواضحة و أيده بنصره و اختاره لتبليغ رسالته صدقنا قوله بأن ربه بعثه و كلمه فقام عنه ابن أبي العوجاء و قال لأصم حابه من القاني في بحر هذا و في رواية ابن الوليد من القاني في بحر هذا سألتكم أن تلتمسوا لى حمزة فالتقموني على حمزة قالوا ما كُنت في مجلسه إلا حقيراً قال إنه ابن من حلق رؤوس من ترون.

بيان: الطوب بالضم الآجر و طعام و خيم غير موافق و استوخمه أى لم يستمره و لم يستعذبه أى لم يدرك عذوبته و حاصل ما ذكره عليه السلام أنه تعالى إنما استعبدهم بذلك ليختبرهم فى إطاعتهم له و الاختبار فيما خفى وجه الحكمة فيه على أكثر العقول مع أن لخصوص هذا المكان الشريف مزايا و شرائف لكونه محل الأنبياء و قبلة المصلين و سابقا فى الخلق على جميع الأرض و قد أشار عليه السلام بقوله فهو شعبة مع الفقرات التى بعدها إلى ما جعل الله فيه من الكمالات المعنوية و الأسرار الخفية حيث جعله محلا لقربه و رضوانه و مهبطا لرحماته و غفرانه و ما أفاض عليه من أنوار جبروته و أخفى فيه من أسرار ملكوته و الاستواء الاعتدال و الوريد هو العرق الذى فى صفحة العنق و بقطعه تزول الحياة فى التشبيه به دون سائر الأعضاء إشعار بكيفية قربه بأن قربه قرب بالعلية و التأثير و فيما بعدها من الفقر إشارة إلى جهة أخرى من قربه و هى

الإحاطة العلمية و الخمرة بالضم حصيرة صغيرة من السعف أى طلبت منكم أن تطلبوا لى خصما العب به كالخمرة فألقيتومنى على جمرة ملتهبة.

(9)-ج، الإحتجاج وَرَوَى أَنَّ الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِابْنِ أَبِي الْعَوَّجَاءِ إِنْ يَكُنِ الْأَمْرُ كَمَا تَقُولُ وَ لَيْسَ كَمَا تَقُولُ نَجُونَا وَ نَجَوْتَ وَ إِنْ يَكُنِ الْأَمْرُ كَمَا تَقُولُ نَجُونَا وَ هَلَكْتَ.

(10)-ن، عيون أخبار الرضا عليه السلام م، تفسير الإمام عليه السلام ج، الإحتجاج وَ بِالْإِسْمِ نَادٍ عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا الْآيَةَ جَعَلَهَا مُلَائِمَةً لِطَبَائِعِكُمْ مُوَافِقَةً لِأَجْسَادِكُمْ لَمْ يَجْعَلْهَا شَدِيدَةً الْحَمِي وَ الْحَرَارَةَ فَتَحْرِقُكُمْ وَ لَا شَدِيدَةً الْبُرُودَةَ فَتُجْمِدُكُمْ وَ لَا شَدِيدَةً طَيْبِ الرِّيحِ فَتُصَدِّعَ هَامَاتِكُمْ (1) وَ لَا شَدِيدَةَ النَّثَنِ فَتُعْطِبُكُمْ (2) وَ لَا شَدِيدَةَ اللَّيْنِ كَالْمَاءِ فَتَغْرِقُكُمْ وَ لَا شَدِيدَةَ الصَّلَابَةِ فَتَمْتِنِعَ عَلَيْكُمْ فِي حَرِّكُمْ (3) وَ أَبْيَتِكُمْ وَ دَفْنِ مَوَدَّاتِكُمْ وَ لَكِنَّهُ جَعَلَ فِيهَا مِنَ الْمَتَادَةِ مَا تَنْتَفِعُونَ بِهِ وَ تَتَمَاسَكُونَ وَ تَتَمَاسِكُ عَلَيْهَا أَبْدَانُكُمْ (4) وَ جَعَلَ فِيهَا مِنَ اللَّيْنِ مَا تَتَّقَادُ بِهِ لِحَرِّكُمْ (5) وَ قُبُورِكُمْ وَ كَثِيرٍ مِنْ مَنَافِعِكُمْ فَلِذَلِكَ جَعَلَ الْأَرْضَ فِرَاشًا لَكُمْ ثُمَّ قَالَ وَ السَّمَاءُ بِنَاءٌ يَعْنِي سَقْفًا مِنْ فَوْقِكُمْ مَحْفُوظًا يُدَبِّرُ فِيهَا شَمْسَهَا وَ قَمَرَهَا وَ نُجُومَهَا لِمَنَافِعِكُمْ ثُمَّ قَالَ وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَعْنِي الْمَطَرَ يَنْزِلُهُ مِنْ عَلَا لِيَبْلُغَ قُلُلَ جِبَالِكُمْ وَ تِلَالِكُمْ وَ هَضَابِكُمْ وَ أَوْهَادِكُمْ (6) ثُمَّ فَرَّقَهُ رِذَاذًا وَ وَابِلًا وَ هَطْلًا وَ طَلًّا لِيَتَشَفَّهُ أَرْضُكُمْ (7) وَ لَمْ يَجْعَلْ ذَلِكَ الْمَطَرَ نَازِلًا عَلَيْكُمْ قِطْعَةً وَاحِدَةً فَتَنْسُدَ أَرْضُكُمْ وَ أَشْجَارُكُمْ وَ زُرُوعُكُمْ وَ ثِمَارُكُمْ ثُمَّ قَالَ فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ يَعْنِي مِمَّا يُخْرِجُهُ مِنَ الْأَرْضِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا أَى أَشْءَ بَاهَا وَ أَمْثَالًا مِنَ الْأَصْدَانِ الَّتِي لَا تَعْقِلُ وَ لَا تَسْمَعُ وَ لَا تُبْصِرُ وَ لَا تَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ ءِ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهَا لَا تَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ ءِ مِنْ هَذِهِ النِّعَمِ الْجَلِيلَةِ الَّتِي أَنْعَمَهَا عَلَيْكُمْ رَبُّكُمْ.

ص: 35

- 1- جمع الهامة وهى الرأس.
- 2- أى فتهلككم.
- 3- فى العيون: دوركم.
- 4- فى العيون: وبنيانكم.
- 5- فى العيون: لدوركم.
- 6- جمع الوهدة وهى الأرض المنخفضة. والهوة فى الأرض.
- 7- نشف الماء فى الأرض: ذهب و جرى و سال.

بيان: الهضاب جمع الهضبة وهى الجبل المنبسط على الأرض أو جبل خلق من صخرة واحدة و الرذاذ كسحاب المطر الضعيف أو الساكن الدائم الصغار القطر و الوابل المطر الشديد الضخم القطر و الهطل المطر الضعيف الدائم و تتابع المطر المتفرق العظيم القطر و الطل المطر الضعيف أو أخف المطر و أضعفه أو الندى أو فوّه و دون المطر كل ذلك ذكرها الفيروزآبادى.

(11)- يد، التوحيد لى، الأمالى للصدوق ن، عيون أخبار الرضا عليه السلام العطاء عَنْ سَعْدِ بْنِ عَبْدِ بْنِ هَاشِمٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَعْبُدٍ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرضا عليهما السلام أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ مَا الدَّلِيلُ عَلَى حَدُوثِ الْعَالَمِ فَقَالَ أَنْتَ لَمْ تَكُنْ ثُمَّ كُنْتَ وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّكَ لَمْ تَكُونَ نَفْسَكَ وَلَا كَوْنَكَ مِنْ هُوَ مِثْلَكَ.

ج، الإحتجاج مرسلا مثله.

(12)- يد، التوحيد ن، عيون أخبار الرضا عليه السلام مَا جِيلَوِيهِ عَنْ عَمِّهِ أَبِي سَمِينَةَ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْكُوفِيِّ الصَّيرَفِيِّ (1) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْخُرَاسَانِيِّ خَادِمِ الرضا عليه السلام (2) قَالَ: دَخَلَ رَجُلٌ مِنَ الزَّنَادِقَةِ عَلَى الرضا عليه السلام وَعَدَّدَهُ جَمَاعَةً فَقَالَ لَهُ أَبُو الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ الْقَوْلُ قَوْلَكُمْ وَ لَيْسَ هُوَ كَمَا تَقُولُونَ أَلَسْنَا وَإِيَّاكُمْ شَرَعًا سَوَاءً وَلَا يَضُرُّنَا مَا صَلَّيْنَا وَصُمْنَا وَزَكَّيْنَا وَ أَقْرَبْنَا فَسَكَتَ فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنْ يَكُنُ الْقَوْلُ قَوْلَنَا وَ هُوَ كَمَا نَقُولُ (3) أَلَسْنَا قَدْ هَلَكْنَا وَ نَجُونَا قَالَ رَحِمَكَ اللَّهُ فَأَوْجَدَنِي كَيْفَ هُوَ وَ أَيْنَ هُوَ قَالَ وَ يَلِكُ إِنْ أَلَدَى ذَهَبَتْ إِلَيْهِ غَلَطٌ هُوَ أَيْنَ الْأَيْنِ وَ كَانَ وَ لَا أَيْنَ وَ هُوَ كَيْفَ الْكَيْفِ وَ كَانَ وَ لَا كَيْفَ فَلَا يُعْرَفُ بِكَيْفُوفِيَّةٍ وَ لَا بِأَيْنُوفِيَّةٍ وَ لَا بِحَاسَةِ وَ لَا يُقَاسُ بِشَيْءٍ قَالَ الرَّجُلُ فَاذَنْ

ص: 36

- 1- هو محمد بن علي بن إبراهيم بن موسى أبو جعفر القرشي مولا هم الصيرفي، هكذا عنونه النجاشي في ص 234 من رجاله و قال: ابن اخت خلاد المقرئ، و هو خلاد بن عيسى، و كان يلقب محمد بن علي أبا سمينه، ضعيف جدا، فاسد الاعتقاد، لا يعتمد في شىء، و كان ورد قم و قد اشتهر بالكذب بالكوفة و نزل على أحمد بن محمد بن عيسى مدة، ثم تشهر بالغلوفخفي، و أخرجه أحمد بن محمد بن عيسى عن قم و له قصة إلخ.
- 2- غير معلوم حاله.
- 3- و فى نسخة: و هو قولنا و كما نقول.

إِنَّهُ لَا شَيْءَ إِذَا لَمْ يُدْرِكْ بِحَاسَّةٍ مِنَ الْحَوَاسِّ فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيْلَكَ لَمَّا عَجَزْتَ حَوَاسُّكَ عَنْ إِدْرَاكِهِ أَنْكَرْتَ رُبُوبِيَّتَهُ وَنَحْنُ إِذَا عَجَزْتَ حَوَاسُّنَا عَنْ إِدْرَاكِهِ أَيَقِنَّا أَنَّهُ رَبُّنَا وَ أَنَّهُ شَيْءٌ بِخِلَافِ الْأَشْيَاءِ قَالَ الرَّجُلُ فَأَخْبِرْنِي مَتَى كَانَ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَخْبِرْنِي مَتَى لَمْ يَكُنْ فَأَخْبِرَكَ مَتَى كَانَ قَالَ الرَّجُلُ فَمَا الدَّلِيلُ عَلَيْهِ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنِّي لَمَّا نَظَرْتُ إِلَى جَسَدِي فَلَمْ يُمْكِنِّي فِيهِ زِيَادَةٌ وَلَا نَقْصَانٌ فِي الْعَرْضِ وَالطُّوْلِ وَ دَفْعِ الْمَكَارِهِ عَنْهُ وَ جَرِّ الْمَنْفَعَةِ إِلَيْهِ عَلِمْتُ أَنَّ لِهَذَا الْبَيْتَانِ بَانِيَاءً فَأَقْرَزْتُ بِهِ مَعَ مَا أَرَى مِنْ دَوْرَانِ الْفَلَكَ بِقُدْرَتِهِ وَإِنْشَاءِ السَّحَابِ وَ تَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَ مَجْرَى الشَّمْسِ وَ الْقَمَرِ وَ النُّجُومِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الْعَجِيبَاتِ الْمُتَقَنَاتِ عَلِمْتُ أَنَّ لِهَذَا مُقَدَّرًا وَ مُنْشَأً قَالَ الرَّجُلُ فَلِمَ احْتَجَبَ فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّ الْحِجَابَ عَلَى الْخَلْقِ (1) لِكثْرَةِ ذُنُوبِهِمْ فَأَمَّا هُوَ فَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ فِي آتَاءِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ قَالَ فَلِمَ لَا تُدْرِكُهُ حَاسَّةُ الْبَصَرِ قَالَ لِلْفَرْقِ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ خَلْقِهِ الَّذِينَ تُدْرِكُهُمْ حَاسَّةُ الْأَبْصَارِ مِنْهُمْ وَ مِنْ غَيْرِهِمْ ثُمَّ هُوَ أَجَلٌ مِنْ أَنْ يُدْرِكَهُ بَصَرٌ أَوْ يُحِيطَ بِهِ وَهُمْ أَوْ يَصْطَبُّهُ عَقْلٌ قَالَ فَحَدِّثْ لِي فَقَالَ لَا حَدَّ لَهُ قَالَ وَ لِمَ قَالَ لِأَنَّ كُلَّ مَحْدُودٍ مُتَنَاهٍ إِلَى حَدٍّ وَإِذَا احْتَمَلَ التَّحْدِيدَ احْتَمَلَ الزِّيَادَةَ وَإِذَا احْتَمَلَ الزِّيَادَةَ احْتَمَلَ النُّقْصَانَ فَهُوَ غَيْرُ مَحْدُودٍ وَلَا مُتَزَايِدٍ وَلَا مُتَنَاقِصٍ وَلَا مُتَجَزِّئٍ وَلَا مُتَوَهِّمٍ قَالَ الرَّجُلُ فَأَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِكُمْ إِنَّهُ لَطِيفٌ وَ سَمِيعٌ وَ بَصِيرٌ وَ عَلِيمٌ وَ حَكِيمٌ

ذَلِكَ إِنَّ خَالِقَنَا لَطِيفٌ لَا كَلُفَ خَلَقَهُ فِي صَدَنَعْتِهِمْ وَقُلْنَا إِنَّهُ سَدِّجِعٌ لِأَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ أَصْوَاتُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ الْعَرْشِ إِلَى الثَّرَى مِنَ الذَّرَّةِ إِلَى  
أَكْبَرَ مِنْهَا فِي بَرِّهَا وَبَحْرَهَا وَلَا تَسُدُّ تَبَهُ عَلَيْهِ لُغَاتُهَا فَقُلْنَا عِنْدَ ذَلِكَ إِنَّهُ سَدِّجِعٌ لَا بَأْذُنٍ وَقُلْنَا إِنَّهُ بَصِيرٌ لَا بَبَصَرٍ لِأَنَّهُ يَرَى أَثَرَ الذَّرَّةِ السَّحْمَاءِ فِي  
اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ عَلَى الصَّخْرَةِ السَّوْدَاءِ وَيَرَى دَيْبَ النَّمْلِ فِي اللَّيْلَةِ الدُّجْنَةِ وَيَرَى مَضَارَّهَا وَمَنَافِعَهَا وَأَثَرَ سِدْفَادِهَا (1) وَفِرَاحَهَا وَنَسْلَهَا فَقُلْنَا  
عِنْدَ ذَلِكَ إِنَّهُ بَصِيرٌ لَا كَبَصَرٍ خَلَقَهُ قَالَ فَمَا بَرِحَ حَتَّى أَسْلَمَ وَفِيهِ كَلَامٌ غَيْرٌ هَذَا.

ج، الإحتجاج رواه مسلا عن محمد بن عبد الله الخراساني إلى آخر الخبر بيان أوجدني أى أفدني كيفيته ومكانه وأظفرتني بمطلي الذي هو العلم بهما هو أين الأين أى جعل الأين أيننا بناء على مجعولية الماهيات أو أوجد حقيقة الأين وكذا الكيف والكيفوية والأينونية الاتصاف بالكيف والأين قوله فإذن إنه لا شىء هذا السائل لما كان وهمه غالبا على عقله زعم أن الموجود ما يمكن إحساسه فنفى الوجود عنه تعالى بناء على أنه عليه السلام نفى عنه أن يحس فأجاب عليه السلام بأنك جعلت تعالىه عن أن يدرك بالحواس دليلا على عدمه ونحن إذا عرفناه بتعالىه عن أن يدرك بالحواس أيقنا أنه ربنا بخلاف شىء من الأشياء إذا المحسوسية تستلزم أمورا كل منها مناف للربوبية على ما برهن عليه فى محله قوله فأخبرنى متى كان الظاهر أنه سأل عن ابتداء كونه ووجوده ويحتمل أن يكون السؤال عن أصل زمان وجوده تعالى فعلى الأول حاصل جوابه عليه السلام أن ابتداء الزمان إنما يكون لحادث كان معدوما ثم صار موجودا وهو تعالى يستحيل عليه العدم وعلى الثانى فالمراد أن الكائن فى الزمان إنما يكون فيه بتغير وتبدل فى ذاته وصفاته لأن الزمان نسبة المتغير إلى المتغير فيكون بحال فى زمان لا يكون كذلك فى زمان آخر وهو متعال عن التغير فى الذات والصفات قوله فلم احتجب توهم السائل أن احتجابه تعالى عبارة عن كونه وراء حجاب فأجاب عليه السلام بأننا غير محجوبين عنه لإحاطة علمه بنا وكنه ذاته وصفاته محجوبة عنا لعجزنا وقصورنا عن إدراكه بأن يكون المراد بالذنوب الحجب الظلمانية الإمكانية ويحتمل أن يكون

ص: 38

المراد أن عدم ظهوره تعالى على عامة الخلق كظهوره على أوليائه لغاية المعرفة إنما هو لذنوبهم التي حالت بينهم وبين تلك المعرفة وإلا فهو تعالى قد تجلى لأوليائه فظهر لهم ظهوراً فوق الإحساس والجواب عن الإحساس ظاهر إذ الفرق بينه وبين خلقه هو كونه غير جسم ولا جسماني ولا حاصلًا في جهة ومكان هو الذي صار سبباً لعدم إمكان رؤيته قوله فحده يحتمل أن يكون المراد التحديد بالحدود الجسمانية فحاصل جوابه عليه السلام أن الحد نهاية لشيء ذي مقدار يمكن أن ينتهي إلى نهاية أخرى بعد تلك النهاية فيزيد مقداره ومثل هذا يمكن نقصانه لكون المقادير قابلة للانقسام فيكون ذا أجزاء فيكون محتاجاً إلى أجزائه فيكون ممكناً فلا يكون صانعاً بل يكون مصنوعاً أو احتمال النقص ينافي الكمال الذي يحكم الوجدان باتصاف الصانع به والسحماء السوداء والدجنة بكسر الجيم أى المتغيمة المظلمة وسيأتي تفسير آخر الخبر في باب معانى الأسماء قوله وفيه كلام غير هذا أى قيل إنه لم يسلم أو فى الخبر تتمه تركناها.

«13»-لى، الأمالى للصدوق أحمد بن علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام بن الحكم قال: دخل أبو شاذان الديصاني على أبي عبد الله الصادق عليه السلام فقال له إنك أحد النجوم الزواهر وكان أبوك بدمراً بواهر وأمهاتك عقيلات عباهر وعصرك من أكرم العناصير وإذا ذكر العلماء فبك تثنى الخناصر فخبرنى أيها البحر الخضم الزاخر ما الدليل على حدوث العالم فقال الصادق عليه السلام يستدل عليه بأقرب الأشياء قال وما هو قال فدعا الصادق عليه السلام بيضة فوضعا على راحته ثم قال هذا حصن مملوم داخله غرقى رقيق تطيف به فضة سائلة وذهبة مائعة ثم تنفلق عن مثل الطاوس أدخلها شئاً قال لا قال فهذا الدليل على حدوث العالم قال أخبرت فأوجزت وقلت فأحسننت وقد علمت أننا لا نقبل إلا ما أدركناه بأبصارنا أو سمعناه بأذناننا أو لمسناه بأكفنا أو شممناه بمنأخرنا أو دفتناه بأفواهنا أو تصور في القلوب بيانا واستنبطته الروايات إيقاناً فقال الصادق عليه السلام ذكرت الحواس الخمس وهى لا تنفع شيئاً بغير دليل كما لا تقطع الظلمة بغير مصباح.

يد، التوحيد ابن الوليد عن الصفار عن ابن عيسى عن الحسين بن سعيد عن علي بن منصور عن هشام بن الحكم مثله بيان قال الجوهري العقيلة كريمة الحى و الدرّة عقيلة البحر و قال الفيروزآبادى العبهر الممتلى الجسيم و العظيم الناعم الطويل من كل شىء كالعباهر فيهما و بهاء الجامعة للحسن و الجسم و الخلق انتهى و العنصر الأصل قوله فبك تشنى الخناصر أى أنت تعد أولاً قبلهم لكونك أفضل و أشهر منهم و إنما يبدأ فى العد بالخنصر و الثنى العطف و الخضم بكسر الخاء و فتح الضاد المشددة (1) الكثير العطاء و قال الجوهري زخر الوادى إذا امتد جدا و ارتفع يقال بحر زاخر و قال كتيبة ملمومة مضمومة بعضها إلى بعض و قال الغرقى قشر البيض التى تحت القيص و القيص ما تفلق من قشور البيض قوله عليه السلام: و هى لا تنفع شيئاً بغير دليل أى هى عاجزة تتوقف إدراكها على شرائط فكيف تنفى ما لم تدركه بحسك (2) كما أن البصر لا يبصر الأشياء بغير مصباح و يحتمل أن يكون المراد بالدليل العقل أى لا تنفع الحواس بدون دلالة العقل فهو كالسراج لإحساس الحواس و أنت قد عزلت العقل و حكمه و اقتصرت على حكم الحواس.

(14)-م، تفسير الإمام عليه السلام ن، عيون أخبار الرضا عليه السلام مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ الْمُفَسِّرُ عَنْ يُوسُفَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ وَعَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَيَّارٍ عَنْ أَبِيهِمَا عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنِ أَبِيهِ الرِّضَا عَلِيِّ بْنِ مُوسَى عَنْ أَبِيهِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ أَبِيهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قَالَ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ قَالَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً لِنَعْتَبِرُوا بِهِ وَتَوَصَّلُوا بِهِ إِلَى رِضْوَانِهِ وَتَوَقَّؤْا بِهِ مِنْ عَذَابِ نِيرَانِهِ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ أَخَذَ فِي خَلْقِهَا وَاتَّقَانَهَا فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ ۚ

ص: 40

1- فى الصحاح: الخضم بوزن الهجف.

2- بل المراد أن الحواس إنما لها الإدراك التصورى و أما التصديق و الحكم فللعقل. ط.

عَلِيمٌ وَ لِعَلْمِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمُ الْمَصَالِحِ فَخَلَقَ لَكُمْ كُلَّ مَا فِي الْأَرْضِ لِمَصَالِحِكُمْ يَا بَنِي آدَمَ.

«15»-ن، عيون أخبار الرضا عليه السلام الطالقاني عن ابن عثمة (1) عن علي بن الحسن بن فضال عن أبيه عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: قلت له لم خلق الله عز وجل الخلق على أنواع شتى ولم يخلقهم نوعاً واحداً فقال لئلا يقع في الأوهام أنه عاجز فلا تقع صورة في وهم ملحد إلا وقد خلق الله عز وجل عليها خلقاً ولا يقول قائل هل يقدر الله عز وجل على أن يخلق على صورة كذا وكذا إلا وجد ذلك في خلقه تبارك وتعالى فيعلم بالنظر إلى أنواع خلقه أنه على كل شيء قدير.

«16»-م، تفسير الإمام عليه السلام مع، معانى الأخبار محمد بن القاسم المفسر عن يوسف بن محمد بن زياد وعلی بن محمد بن سيار و كانا من الشيعة الإمامية عن أبيهما عن الحسن بن علي بن محمد عليهما السلام في قول الله عز وجل بسم الله الرحمن الرحيم فقال الله هو الذي يتأله إليه عند الحوائج والشدائد كل مخلوق عند انقطاع الرجاء من كل من دونه وتقطع الأسماء من جميع من سواه تقول بسم الله أي استعين على أموري كلها بالله الذي لا تحق العبادة إلا له المغيثة إذا استغيث والمجيب إذا دعى وهو ما قال رجل للصادق عليه السلام يا ابن رسول الله ذنبي على الله ما هو فقد أكثر على المجدلون وحيروني فقال له يا عبد الله هل ركبته سفيته قط قال نعم قال فهل كسر ربك حيث لا سفيته تنجيك ولا سباحة تغنيك قال نعم قال فهل تعلق قلبك هنالك أن شئنا من الأسماء قادر على أن يخلصك من ورطتك قال نعم قال الصادق عليه السلام فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حيث لا منجى وعلى الإغاثة حيث لا مغية.

بيان: قال الفيروزآبادي أله إليه كفرح فزع و لاذ و ألهه أجاره و آمنه.

ص: 41

1- بضم العين المهملة و سكون القاف و فتح الدال، هو أحمد بن محمد بن سعيد السبيعي الهمداني الحافظ، المكنى بأبي العباس، ترجمه العامة و الخاصة في كتب تراجمهم، و بالغوا في إكباره و الثناء عليه، قال النجاشي في ص 68 من رجاله: أحمد بن محمد بن سعيد بن عبد الرحمن بن زياد بن عبد الله بن زياد بن عجلان، مولى عبد الرحمن بن سعيد بن قيس السبيعي الهمداني، هذا رجل جليل في أصحاب الحديث، مشهور بالحفظ، و الحكايات تختلف عنه في الحفظ و عظمه، و كان كوفياً زدياً جارودياً على ذلك مات. الخ.



«17»-ل، الخصال الفامی و ابن مسرور عن محمد بن جعفر بن بطة عن البرقي عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال سمعت أبي يحدث عن أبيه عليه السلام أن رجلاً قام إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له يا أمير المؤمنين بما عرفت ربك قال بفسخ العزم (1) و تقض الهمم لما أن هممت حال بيني وبين همي و عزمت فخالفت القضاء عزمي فعلمت أن المدبر غيري قال فيما ذا شكرت نعماءه قال نظرت إلى بلاء قد صرفه عني و ألبى به غيري فعلمت أنه قد أنعم علي فشكرته قال فيما ذا أحببت لقاءه قال لما رأيته قد اختار لي دين ملائكته و رسله و أنبيائه علمت أن الذي أكرمني بهذا ليس ينساني فأحببت لقاءه.

يد، التوحيد الهمداني عن علي عن أبيه عن محمد بن سنان عن أبي الجارود عن أبي جعفر عن أبيه عن جده عليه السلام مثله.

«18»-يد، التوحيد ماجيلويه عن عمه عن البرقي عن محمد بن علي الكوفي عن عبد الرحمن بن محمد بن أبي هاشم عن أحمد بن محسن الميثمي قال: كنت عند أبي منصور المتطبب فقال أخبرني رجل من أصحابي قال كنت أنا و ابن أبي العوجاء و عبد الله بن المقفع (2) في المسجد الحرام فقال ابن المقفع ترون هذا الخلق و أومي بيده إلى موضع الطواف ما منهم أحد أو جب له اسم الإنسانيّة (3) إلا ذلك الشيخ الجالس يعني جعفر بن محمد عليهما السلام فأما الباقون فرعاع و بهائم فقال له ابن أبي العوجاء و كيف أوجبت هذا الاسم لهذا الشيخ دون هؤلاء قال لأنني رأيت عنده ما لم أر عندهم فقال ابن أبي العوجاء ما بدد من اختيار ما قلت فيه منه فقال له ابن المقفع لا تفعل فإني أخاف أن

ص: 42

1- وفي نسخة: بفسخ العزائم.

2- قيل: إن اسمه «روزبه» قبل الإسلام و عبد الله بعد الإسلام، و المقفع اسمه المبارك، و لقب بالمقفع لأن الحجاج بن يوسف ضربه ضرباً فتفقت يده- و رجل متفقع اليدين أي متشنجهما- و قيل: هو المقفع بكسر العين، لعمله القفعة- بفتح القاف و سكون الفاء- و القفعة: شئ يشبه الزنبيل بلا- عروة و تعمل من خوص ليست بالكبيرة. ذكر السيد المرتضى في ج 1 ص 89 من أماليه ابن المقفع من جملة الزنادقة و الملاحدة الذين يبطنون الكفر و يظهرن الإسلام.

3- في نسخة: و جب له اسم الإنسانيّة.

يُفْسِدَ عَلَيْكَ مَا فِي يَدِكَ فَقَالَ لَيْسَ ذَا رَأْيِكَ وَ لَكِنَّكَ تَخَافُ أَنْ يَصُدَّ عُنْدِي فِي إِحْلَالِكَ إِيَّاهُ الْمَحَلُّ الَّذِي وَصَفْتَ فَقَالَ ابْنُ الْمُفَفِّعِ أَمَّا إِذَا تَوَهَّمْتَ عَلَيَّ هَذَا فَقُمْ إِلَيْهِ وَ تَحَفَّظْ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الرَّزْلِ وَ لَا تَتَّنِ عِنَانَكَ إِلَى اسْتِرْسَالِ يُسَلِّمَكَ إِلَى عِقَالٍ وَ سِمُهُ مَا لَكَ أَوْ عَلَيْكَ قَالَ فَقَامَ ابْنُ أَبِي الْعُوجَاءِ وَ بَقِيْتُ وَ ابْنُ الْمُفَفِّعِ فَرَجَعَ إِلَيْنَا وَ قَالَ يَا ابْنَ الْمُفَفِّعِ مَا هَذَا بِبَشَرٍ وَ إِنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا رُوحَانِي يُتَجَسَّدُ إِذَا شَاءَ ظَاهِرًا وَ يَتَرَوَّحُ إِذَا شَاءَ بَاطِنًا فَهَوَ هَذَا فَقَالَ لَهُ وَ كَيْفَ ذَاكَ قَالَ جَلَسْتُ إِلَيْهِ فَلَمَّا لَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ غَيْرِي ابْتَدَأَنِي فَقَالَ إِنْ يَكُنِ الْأَمْرُ عَلَيَّ مَا يَقُولُ هُوَ لَاءٍ وَ هُوَ عَلَيَّ مَا يَقُولُونَ يَعْنِي أَهْلَ الطَّوَافِ فَقَدْ سَلِمُوا وَ عَطِيتُمْ وَ إِنْ يَكُنِ الْأَمْرُ كَمَا يَقُولُونَ وَ لَيْسَ كَمَا يَقُولُونَ فَقَدْ اسْتَوَيْتُمْ وَ هُمْ فَقُلْتُ لَهُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ وَ أَيْ شَيْءٍ عِ يَقُولُ وَ أَيْ شَيْءٍ يَقُولُونَ مَا قَوْلِي وَ قَوْلُهُمْ إِلَّا وَاحِدٌ فَقَالَ كَيْفَ يَكُونُ قَوْلُكَ وَ قَوْلُهُمْ وَاحِدًا وَ هُمْ يَقُولُونَ إِنْ لَهُمْ مَعَادًا وَ تَوَابًا وَ عِقَابًا وَ يَدِينُونَ بِأَنَّ لِلسَّمَاءِ إِلَهًا وَ أَنَّهَا عُمُرَانٌ وَ أَنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ السَّمَاءَ خَرَابٌ لَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ قَالَ فَأَعْتَمْتُهَا مِنْهُ فَقُلْتُ لَهُ مَا مَنَعَهُ إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا تَقُولُ أَنْ يَظْهَرَ لِخَلْقِهِ وَ يَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَتِهِ حَتَّى لَا يَخْتَلِفَ مِنْهُمْ اثْنَانِ وَ لِمَا احْتَجَبَ عَنْهُمْ وَ أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ وَ لَوْ بَاشَرَ هُمْ بِنَفْسِهِ كَانَ أَقْرَبَ إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ فَقَالَ لِي وَ يَدَّكَ وَ كَيْفَ احْتَجَبَ عَنكَ مَنْ أَرَاكَ قُدْرَتَهُ فِي نَفْسِكَ نُشُوءًا وَ لَمْ تَكُنْ وَ كِبْرًا بَعْدَ صِرْعِكَ وَ قُوَّتِكَ بَعْدَ ضَعْفِكَ وَ صَدِّعْفِكَ بَعْدَ قُوَّتِكَ وَ سُقْمًا بَعْدَ صِحَّتِكَ وَ صِحَّتَكَ بَعْدَ سُقْمِكَ وَ رِضًا بَعْدَ غَضَبِكَ وَ غَضَبَكَ بَعْدَ رِضَاكَ وَ حُزْنَكَ بَعْدَ فَرْحِكَ وَ فَرْحَكَ بَعْدَ حُزْنِكَ وَ حُبَّكَ بَعْدَ بُغْضِكَ وَ بُغْضَكَ بَعْدَ حُبِّكَ وَ عَزْمَكَ بَعْدَ إِبَائِكَ وَ إِبَائَكَ بَعْدَ عَزْمِكَ وَ شَهْوَتَكَ بَعْدَ كِرَاهَتِكَ وَ كِرَاهَتَكَ بَعْدَ شَهْوَتِكَ وَ رَغْبَتَكَ بَعْدَ رَهْبَتِكَ وَ رَهْبَتَكَ بَعْدَ رَغْبَتِكَ وَ رَجَاءَكَ بَعْدَ يَأْسِكَ وَ يَأْسَكَ بَعْدَ رَجَائِكَ وَ خَاطِرَكَ بِمَا لَمْ يَكُنْ فِي وَهْمِكَ وَ عَزُوبَ مَا أَنْتَ مُعْتَقِدُهُ مِنْ ذَهْنِكَ وَ مَا زَالَ يُعِدُّ عَلَيَّ قُدْرَتَهُ الَّتِي فِي نَفْسِي الَّتِي لَا أَدْفَعُهَا حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيَظْهَرُ فِيمَا بَيْنِي وَ بَيْنَهُ.

بيان: قال الجزري رعا الناس أى غوغاؤهم وسقاطهم وأخلاطهم الواحد رعاة قوله ولا تتن من الثنى وهو العطف والميل أى لا ترخ عنانك إليه بأن تميل إلى الرفق والاسترسال والتساهل فتقبل منه بعض ما يلقي إليك فيسلمك من التسليم أو

الإسلام إلى عقال أى يعقلك بتلك المقدمات التى تسلمت منه بحيث لا يبقى لك مفر كالبعير المعقول قوله و سمه ما لك أو عليك نقل عن الشيخ البهائى قدس الله روحه أنه من السوم من سام البائع السلعة يسوم سوما إذا عرضها على المشتري و سامها المشتري بمعنى استامها و الضمير راجع إلى الشيخ على طريق الحذف و الإيصال و الموصول مفعوله و يروى عن الفاضل التستري نور ضريحه أنه كان يقرأ اسمه بضم السين و فتح الميم المشددة أمرا من سم الأمر يسمه إذا سبره و نظر إلى غوره و الضمير راجع إلى ما يجرى بينهما و الموصول بدل عنه و قيل هو من سممت سمك أى قصدت قصدك و الهاء للسكت أى أقصد ما لك و ما عليك و الأظهر أنه من وسم يسم سمة بمعنى الكى (1) و الضمير راجع إلى ما يريد أن يتكلم به أى اجعل على ما تريد أن تتكلم به علامة لتعلم أى شىء لك و أى شىء عليك فالموصول بدل من الضمير قوله عليه السلام: و هو على ما يقولون اعترض عليه السلام الجملة الحالية بين الشرط و الجزاء للإشارة إلى ما هو الحق و لئلا يتوهم أنه عليه السلام فى شك من ذلك و العطب الهلاك قوله عليه السلام: ليس فيها أحد أى لها أو عليها أو بالظرفية المجازية لجران حكمه و حصول تقديره تعالى فيها و حاصل استدلاله عليه السلام أنك لما وجدت فى نفسك آثار القدرة التى ليست من مقدوراتك ضرورة علمت أن لها بارئا قادرا و كيف يكون غائبا عن الشخص من لا يخلو الشخص ساعة عن آثار كثيرة يصل منه إليه.

(19)-«يد، التوحيد ابْنُ الْوَلِيدِ عَنِ الصَّفَّارِ عَنِ ابْنِ عَيْسَى عَنِ أَبِيهِ عَنِ سَعِيدِ بْنِ جَنَاحٍ عَنِ بَعْضِ أَصْحَابِنَا عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: مَا خَلَقَ اللَّهُ خَلْقًا أَصْغَرَ مِنَ الْبُعُوضِ وَالْجُرْجَسِ أَصْغَرَ مِنَ الْبُعُوضِ وَالَّذِي يُسَمُّونَهُ الْوَلَعُ أَصْغَرَ مِنَ الْجُرْجَسِ وَمَا فِي الْفِيلِ شَيْءٌ إِلَّا وَفِيهِ مِثْلُهُ وَفُضِّلَ عَلَى الْفِيلِ بِالْجَنَاحَيْنِ (2).»

ص: 44

1- بل الأظهر أنه أمر من التسمية كناية عن تعيين ما هو مقبول عنده من المقدمات و ما ليس بمقبول.  
2- و بالرجلين، و خرطوم الفيل المصمت، و خرطومه مجوف نافذ للجوف، فإذا طعن به جسد الإنسان استقى الدم و قذف به إلى جوفه فهو كالبلعوم و الحلقوم و لذلك اشتد عضها، و قويت على خرق الجلود الغلاظ، و ممّا ألهمه الله تعالى أنه إذا جلس على عضو من أعضاء الإنسان لا يزال يتوخى. بخرطومه المسام التى يخرج منها العرق، لانها أرق بشرة من جلد الإنسان فإذا وجدها وضع خرطومه فيها، و فيه من الشره أن يمص الدم إلى أن ينشق و يموت، او إلى أن يعجز عن الطيران فيكون ذلك سبب هلاكه، و من عجيب أمره أنه ربما قتل البعير و غيره من ذوات الاربع فيبقى طريحا فى الصحراء فتجتمع السباع حوله، و الطير التى تاكل الجيف، فمن أكل منها شيئا مات لوقته. قال وهب بن منبه لما أرسل الله تعالى البعوض على النمرود اجتمع منه فى عسكره ما لا يحصى عددا فلما عين النمرود ذلك انفرد عن جيشه و دخل بيته، و أغلق الأبواب و أرحى الستور و نام على قفاه مفكرا، فدخلت بعوضة فى أنفه و سعدت إلى دماغه فعذب بها أربعين يوما، حتى أنه كان يضرب برأسه الأرض و كان أعز الناس عنده من يضرب رأسه ثم سقطت منه كالفرخ و هى تقول: كذلك يسلم الله رسله على من يشاء من عباده، ثم هلك حينئذ. و قد أودع الله فى مقدم دماغها قوة الحفظ، و فى وسطه قوة الفكر و فى مؤخره قوة الذكر، و خلق لها حاسة البصر، و حاسة اللمس، و حاسة الشم، و خلق لها منفذا للغذاء، و مخرجا للفضلة، و خلق لها جوفاً و أمعاء و عظاما، فسبحان من قدر فهدى، و لم يخلق شيئا من المخلوقات سدى. قاله الدميرى فى كتابه حياة الحيوان.

بيان: قال الفيروزآبادى الجرجس بالكسر البعوض الصغار انتهى فالمراد أن الجرجس أصغر من سائر أصناف البعوض ليوافق أول الكلام و كلام أهل اللغة على أنه يحتمل أن يكون الحصر فى الأول إضافيا كما أن الظاهر أنه لا بد من تخصيصه بالطيور إذ قد يحس من الحيوانات ما هو أصغر من البعوض إلا- أن يقال يمكن أن يكون للبعوض أنواع صغار لا يكون شىء من الحيوانات أصغر منها و الولوج هنا بالغين المعجمة و فى الكافى بالمهملة و هما غير المذكورين فيما عندنا من كتب اللغة و الظاهر أنه أيضا صنف من البعوض و الغرض بيان كمال قدرته تعالى فإن القدرة فى خلق الأشياء الصغار أكثر و أظهر منها فى الكبار كما هو المعروف بين الصناعات من المخلوقين (1) فتبارك الله أحسن الخالقين.

«(20)- يد، التوحيد الدَّقَاقُ عَنِ الْكُلَيْبِيِّ بِإِسْنَادِهِ رَفَعَ الْحَدِيثَ أَنَّ ابْنَ أَبِي الْعَوْجَاءِ حِينَ كَلَّمَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَادَ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي فَبَجَسَ وَ هُوَ سَاكِتٌ لَا يَنْطِقُ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَأَنَّكَ جِئْتَ تُعِيدُ بَعْضَ مَا كُنَّا فِيهِ فَقَالَ أَرَدْتُ ذَلِكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا أَعْجَبَ هَذَا تُنَكِّرُ اللَّهَ وَ تَشْهَدُ أَنَّ ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ الْعَادَةُ

ص: 45

1- هذا بحسب الدقة و اللطف و كانه عليه السلام فى هذا المقام، و أمّا بحسب القدرة فالامر بالعكس من جهة توفيق الذرات و توديع القوى العظيمة الهائلة، قال تعالى: لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ المؤمن: 57. ط.

تَحْمِلُنِي عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ لَهُ الْعَالِمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَمَا يَمْنَعُكَ مِنَ الْكَلَامِ قَالَ إِجْلَالًا لَكَ (1) وَ مَهَابَةً مَا يَنْطِقُ لِسَانِي بَيْنَ يَدَيْكَ فَإِنِّي شَاهَدْتُ الْعُلَمَاءَ وَ نَاطَرْتُ الْمُتَكَلِّمِينَ فَمَا تَدَاخَلَنِي هَيْبَةٌ قَطُّ مِثْلُ مَا تَدَاخَلَنِي مِنْ هَيْبَتِكَ قَالَ يَكُونُ ذَلِكَ وَ لَكِنْ أَفْتَحُ عَلَيْكَ بِسُؤَالٍ وَ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ أَمْصَدُ نُبُوْعٌ أَنْتَ أَوْ غَيْرُ مَصْدُوعٍ فَقَالَ عَبْدُ الْكَرِيمِ بِنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ بَلْ أَنَا غَيْرُ مَصْنُوعٍ فَقَالَ لَهُ الْعَالِمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَصِفْ لِي لَوْ كُنْتَ مَصْنُوعًا كَيْفَ كُنْتَ تَكُونُ فَبَقِيَ عَبْدُ الْكَرِيمِ مَلِيًّا لَا يُحِيرُ جَوَابًا وَ وَلِعَ بِخَشْدَةٍ كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَ هُوَ يَقُولُ طَوِيلٌ عَرِيضٌ عَمِيقٌ قَصِيْرٌ مُتَحَرِّكٌ سَاكِنٌ كُلُّ ذَلِكَ صِفَةٌ خَلَقَهُ (2) فَقَالَ لَهُ الْعَالِمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَعْلَمْ صِفَةَ الصَّنْعَةِ غَيْرَهَا فَاجْعَلْ نَفْسَكَ مَصْنُوعًا لِمَا تَجِدُ فِي نَفْسِكَ مِمَّا يَحْدُثُ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْكَرِيمِ سَأَلْتَنِي عَنْ مَسْأَلَةٍ لَمْ يَسْأَلْنِي عَنْهَا أَحَدٌ قَبْلَكَ وَ لَا يَسْأَلْنِي أَحَدٌ بَعْدَكَ عَنْ مِثْلِهَا فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَبْكَ عَلِمْتَ أَنَّكَ لَمْ تُسْأَلْ فِيْمَا مَضَى فَمَا عِلْمُكَ أَنَّكَ لَا تُسْأَلُ فِيْمَا بَعْدَ عَلَيَّ أَنَّكَ يَا عَبْدَ الْكَرِيمِ تَقْضَتْ قَوْلَكَ لِأَنَّكَ تَرَعُمُ أَنَّ الْأَشْيَاءَ مِنَ الْأَوَّلِ سِوَاءَ فَكَيْفَ قَدَّمْتَ وَ أَخَّرْتَ ثُمَّ قَالَ يَا عَبْدَ الْكَرِيمِ أَرَيْدُكَ وَضُوحًا أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ مَعَكَ كَيْسٌ فِيهِ جَوَاهِرُ فَقَالَ لَكَ قَائِلٌ هَلْ فِي الْكَيْسِ دِينَارٌ فَفَنَيْتَ كُونَ الدِّينَارِ فِي الْكَيْسِ فَقَالَ لَكَ قَائِلٌ صِفْ لِي الدِّينَارَ وَ كُنْتَ غَيْرَ عَالِمٍ بِصِدْفَتِهِ هَلْ كَانَ لَكَ أَنْ تَنْفِي كُونَ الدِّينَارِ عَنِ الْكَيْسِ وَ أَنْتَ لَا تَعْلَمُ قَالَ لَا فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَالْعَالِمُ أَكْبَرُ وَ أَطْوَلُ وَ أَعْرَضُ مِنَ الْكَيْسِ فَلَعَلَّ فِي الْعَالِمِ صَدْنَعَةٌ مِنْ حَيْثُ لَا تَعْلَمُ صِدْفَةَ الصَّنْعَةِ مِنْ غَيْرِ الصَّنْعَةِ فَانْقَطَعَ عَبْدُ الْكَرِيمِ وَ أَجَابَ إِلَى الْإِسْلَامِ بَعْضُ أَصْحَابِهِ وَ بَقِيَ مَعَهُ بَعْضُ فَعَادَ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ فَقَالَ أَقْلِبِ السُّؤَالَ فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ اسْأَلْ عَمَّا شِئْتَ فَقَالَ مَا الدَّلِيلُ عَلَى حُدُوثِ الْأَجْسَامِ فَقَالَ إِنِّي مَا وَجَدْتُ شَيْئًا صَغِيرًا وَ لَا كَبِيرًا إِلَّا وَ إِذَا ضَمَّ إِلَيْهِ مِثْلُهُ صَدَارَ أَكْبَرَ وَ فِي ذَلِكَ زَوَالٌ وَ انْتِقَالَ عَنِ الْحَالَةِ الْأُولَى وَ لَوْ كَانَ قَدِيمًا مَا زَالَ وَ لَا حَالٌ لِأَنَّ الَّذِي يَزُولُ وَ يَحُولُ يَجُورُ أَنْ يُوجَدَ وَ يُبْطَلَ فَيَكُونُ بِوُجُودِهِ بَعْدَ عَدَمِهِ دُخُولٌ فِي الْحُدُوثِ وَ فِي كَوْنِهِ فِي الْأَزَلِ دُخُولُهُ فِي الْقَدَمِ وَ لَنْ تَجْتَمِعَ صِدْفَةُ الْأَزَلِ وَ الْحُدُوثِ وَ الْقَدَمِ وَ الْعَدَمِ

ص: 46

1- في نسخة: إجلال لك.

2- و في نسخة: كل ذلك صنعة خلقه.

فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ (1) فَقَالَ عَبْدُ الْكَرِيمِ هَبْكَ عَلِمْتَ فِي جَرِي الْحَالَتَيْنِ وَالرَّمَانَيْنِ عَلَيَّ مَا ذَكَرْتَ وَاسْتَدَلَّتْ عَلَيَّ حُدُوثُهَا فَلَوْ بَقِيَتِ الْأَشْيَاءُ عَلَيَّ صِغَرِهَا مِنْ أَيْنَ كَانَ لَكَ أَنْ تَسْتَدِلَّ عَلَيَّ حُدُوثُهَا فَقَالَ الْعَالِمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّمَا نَتَكَلَّمُ عَلَيَّ هَذَا الْعَالِمُ الْمُؤْضِعِ فَلَوْ رَفَعْنَا وَوَضَعْنَا عَالِمًا آخَرَ كَانَ لَا شَيْءَ أَدَلَّ عَلَيَّ الْحُدُوثِ مِنْ رَفَعْنَا إِيَّاهُ وَوَضَعْنَا غَيْرَهُ وَ لَكِنْ أَجَبْتُكَ (2) مِنْ حَيْثُ قَدَّرْتَ أَنْ تُلْزِمَنَا وَ نَقُولُ (3) إِنَّ الْأَشْيَاءَ لَوْ دَامَتْ عَلَيَّ صِغَرِهَا لَكَانَ فِي الْوَهْمِ أَنَّهُ مَتَى مَا ضَمَّ شَيْءٌ (4) إِلَى مِثْلِهِ كَانَ أَكْبَرَ وَ فِي جَوَازِ التَّغْيِيرِ عَلَيْهِ خُرُوجُهُ مِنَ الْقَدَمِ كَمَا بَانَ فِي تَغْيِيرِهِ دُخُولُهُ فِي الْحَدِيثِ (5) لَيْسَ لَكَ وَرَاءَهُ شَيْءٌ يَا عَبْدَ الْكَرِيمِ فَانْقَطَعَ وَ خَزَى فَلَمَّا أَنْ كَانَ مِنَ الْعَامِ الْقَابِلِ التَّقَى مَعَهُ فِي الْحَرَمِ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ شَيْعَتِهِ إِنَّ ابْنَ أَبِي الْعُجُجَاءِ قَدْ أَسْلَمَ فَقَالَ الْعَالِمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ أَعْمَى مِنْ ذَلِكَ لَا يُسَلِّمُ فَلَمَّا بَصُرَ بِالْعَالِمِ قَالَ سَيِّدِي وَ مَوْلَايَ فَقَالَ لَهُ الْعَالِمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا جَاءَ بِكَ عَلَيَّ هَذَا الْمُؤْضِعِ فَقَالَ عَادَةُ الْجَسَدِ وَ سُنَّةُ الْبَلَدِ وَ لُبُّصِرَ مَا النَّاسُ فِيهِ مِنَ الْجُنُونِ وَ الْحَلْقِ وَ رَمَى الْجِبَارَةَ فَقَالَ لَهُ الْعَالِمُ أَنْتَ بَعْدَ عَلَيَّ عُتُوكَ وَ ضَلَالِكَ يَا عَبْدَ الْكَرِيمِ فَذَهَبَ يَتَكَلَّمُ فَقَالَ لَهُ لَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَ نَفْضِ رِدَاءِهِ مِنْ يَدِهِ وَقَالَ إِنَّ يَكُنِ الْأَمْرُ كَمَا تَقُولُ وَ لَيْسَ كَمَا تَقُولُ نَجُونًا وَ نَجُوتَ وَ إِنَّ يَكُنِ الْأَمْرُ كَمَا تَقُولُ وَ هُوَ كَمَا تَقُولُ وَ نَجُونًا وَ هَلَكْتَ فَأَقْبَلَ عَبْدَ الْكَرِيمِ عَلَيَّ مِنْ مَعَهُ فَقَالَ وَ جَدْتُ فِي قَلْبِي حَرَارَةً فَرُدُّونِي فَرُدُّوهُ وَ مَاتَ لَا رَحِمَهُ اللَّهُ.

ج، الإحتجاج روى مرسلًا بعض الخبر .

تنوير: لا يحير جوابا بالمهملة أى لا يقدر عليه و الولوع بالشىء الحرص عليه و المبالغة فى تناوله.

قوله: كل ذلك صفة خلقه أى خلق الخالق و الصانع و يمكن أن يقرأ بالتاء أى صفة المخلوقية و الحاصل أنه لما سأل الإمام عليه السلام عنه أنك لو كنت مصنوعا هل كنت على غير تلك الأحوال و الصفات التى أنت عليها الآن أم لا أقبل يتفكر

ص: 47

1- فى التوحيد المطبوع: و لن يجتمع صفة الازل و العدم فى شىء واحد.

2- وفى نسخة: اجيبك.

3- وفى نسخة: فنقول.

4- وفى نسخة: ما ضم شىء منه إلى شىء منه.

5- وفى نسخة: كما أن فى تغييره دخوله فى الحدث.

فى ذلك فتنبه أن صفاته كلها صفات المخلوقين و كانت معاندته مانعة عن الإذعان بالصانع تعالى فبقى متحيراً فقال عليه السلام إذا رجعت إلى نفسك و وجدت فى نفسك صفة المخلوقين فلم لا تدعن بالصانع فاعترف بالعجز عن الجواب و قال سألتنى عن مسألة لم يسألنى عنها أحد قبلك و لا يسألنى أحد بعدك قوله عليه السلام: هبك أى افرض نفسك أنك علمت ما مضى و سلمنا ذلك لك قال الفيروزآبادى هبنى فعلت أى احسبى فعلت و اعددتى كلمة للأمر فقط و حاصل جوابه عليه السلام أولاً أنك بنيت أمورك كلها على الظن و الوهم لأنك تقطع بأنك لا تسأل بعد ذلك عن مثلها مع أنه لا سبيل لك إلى القطع به. و أما قوله عليه السلام: على أنك يا عبد الكريم نقضت قولك يحتمل وجوها الأول أن يكون المراد أن نفيك للصانع مبنى على أنك تزعم أن لا عليه بين الأشياء و لا نسبة الوجود و العدم إليها على السواء و الاستدلال على الأشياء الغير المحسوسة إنما يكون بالعلية و المعلولية فكيف حكمت بعدم حصول الشىء فى المستقبل فيكون المراد بالتقدم و التأخر العلية و المعلولية أو ما يساوقهما.

الثانى أن يكون مبنيًا على ما لعلهم كانوا قائلين به و ربما أمكن إلزامهم بذلك بناء على نفي الصانع من أن الأشياء متساوية غير متفاوتة فى الكمال و النقص فالمراد أنك كيف حكمت بتفضيلى على غيرى و هو مناف للمقدمة المذكورة فالمراد بالتقدم و التأخر ما هو بحسب الشرف.

الثالث أن يكون مبنيًا على ما ينسب إلى أكثر الملاحدة من القول بالكمون و البروز أى مع قولك بكون كل حقيقة حاصلة فى كل شىء كيف يمكنك الحكم بتقدم بعض الأشياء على بعض فى الفضل و الشرف.

قوله عليه السلام: و فى ذلك زوال و انتقال حاصل استدلاله عليه السلام إما راجع إلى دليل المتكلمين من أن عدم الانفكاك عن الحوادث يستلزم الحدوث أو إلى أنه لا يخلو إما أن يكون بعض تلك الأحوال الزائلة المتغيرة قديماً أم لا بل يكون كلها حوادث و كل منهما محال أما الأول فلما تقرر عند الحكماء من أن ما ثبت قدمه امتنع عدمه و أما الثانى فللزوم التسلسل بناء على جريان دلائل إبطاله فى الأمور المتعاقبة و يمكن

أن يكون مبنيا على ما يظهر من الأخبار الكثيرة من أن كل قديم يكون واجبا بالذات ولا يكون المعلول إلا حادثا ووجوب الوجود ينافي التغير ولا يكون الواجب محلا للحوادث كما برهن عليه ثم قال ابن أبي العوجاء لو فرضنا بقاء الأشياء على صغرها لم يمكنك الاستدلال على حدوثها بالتغير فأجاب عليه السلام أولا على سبيل الجدل بأن كلامنا كان في هذا العالم الذى نشاهد فيه التغيرات فلو فرضت رفع هذا العالم ووضع عالم آخر مكانه لا يعتريه التغير فزوال هذا العالم دل على كونه حادثا وإلا لما زال وحدث العالم الثانى أظهر ثم قال و لكن أحييك من حيث قدرت بتشديد الدال أى فرضت لأن تلزمتنا أو بالتخفيف أى زعمت أنك تقدر أن تلزمتنا وهو بأن تقرض فى الأول مكان هذا العالم عالما لا يكون فيه التغير فنقول يحكم العقل بأن الأجسام يجوز عليها ضم شىء إليها وقطع شىء منها وجواز التغير عليه يكفى لحدوثها بنحو ما مر من التقرير.

(21)-يد، التوحيد ابن إدريس عن أبيه عن ابن هشام عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام فقيل له بم عرفت ربك قال بفسخ العزم ونقض الهمم عزمت ففسخ عزمى وهممت فنقض همى.

(22)-يد، التوحيد المكتب عن الأسدي عن البرمكي عن محمد بن عبد الرحمن الخزاز عن سليمان بن جعفر عن علي بن الحكم عن هشام بن سالم قال: حضر رت محمد بن النعمان الأحول فقام إليه رجل فقال له بم عرفت ربك؟ قال بتوفيقه وإرشاده وتعريفه وهدايته، قال فخرجت من عنده فلقيت هشام بن الحكم فقلت له ما أقول لمن يسألني فيقول لي بم عرفت ربك؟ قلت عرفته الله جل جلاله بنفسى لأنها أقرب الأشياء إليّ وذلك أني أجد لها أبعاضا مجتمعة، وأجزاء متولفة، ظاهرة التركيب، متبينة الصنعة، مبنية على صد روبر من التخطيط والتصوير، زائدة من بعد نقصان ناقصة من بعد زيادة، قد أنشئ لها حواس مختلفة وجوارح متباينة من بصر وسمع وشم وذائق ولأمس، مجبولة على الضعف والنقص والمهانة، لا تدرك واحدة منها مدرك صاحبها ولا تقوى على ذلك عاجزة عن اجتلاب



الْمَافِعِ إِلَيْهَا وَدَفَعَ الْمَضَارَّ عَنْهَا وَاسْتَحَالَ فِي الْعُقُولِ وَجُودُ تَأْلِيفٍ لَا مُؤَلَّفَ لَهُ وَثَبَاتِ صُورِهِ لَا مُصَوَّرَ لَهَا فَعَلِمْتُ أَنَّ لَهَا خَالِقًا خَلَقَهَا وَ مُصَوَّرًا صَوَّرَهَا مُخَالَفًا لَهَا فِي جَمِيعِ جِهَاتِهَا (1) قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ.

(23)- يد، التوحيد الدَّقَاقُ عَنِ الْأَسَدِيِّ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْمَأْمُونِ الْقُرَشِيِّ (2) عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ (3) عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو شَاكِرٍ الدِّيَّانِيُّ إِنَّ لِي مَسْأَلَةً تَسْأَلُنِي لِي عَلَى صَاحِبِكَ فَإِنِّي قَدْ سَأَلْتُ عَنْهَا جَمَاعَةً مِنَ الْعُلَمَاءِ فَمَا أَجَابُونِي بِجَوَابٍ مُسْبِعٍ فَقُلْتُ هَلْ لَكَ أَنْ تُخْبِرَنِي بِهَا فَلَعَلَّ عِنْدِي جَوَابًا تَرْتَضِيهِ فَقَالَ إِنِّي أَحْبُّ أَنْ أَلْقَى بِهَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَاسْتَأْذَنْتُ لَهُ فَدَخَلَ فَقَالَ لَهُ أَتَأْذُنُ لِي فِي السُّؤَالِ فَقَالَ لَهُ سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ فَقَالَ لَهُ مَا الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ لَكَ صَانِعًا فَقَالَ وَجَدْتُ نَفْسِي لَا تَخْلُو مِنْ إِحْدَى جِهَتَيْنِ إِذَا أَنَا أَكُونُ صَنَعْتُهَا أَنَا فَلَا أَخْلُو مِنْ أَحَدٍ مَعْنَيْنِ إِذَا أَنَا أَكُونُ صَنَعْتُهَا وَكَانَتْ مَوْجُودَةً أَوْ صَنَعْتُهَا وَكَانَتْ مَعْدُومَةً فَإِن كُنْتُ صَنَعْتُهَا وَكَانَتْ مَوْجُودَةً فَقَدْ اسْتَعْنَيْتُ بِوُجُودِهَا عَنْ صَنْعَتِهَا وَإِن كَانَتْ مَعْدُومَةً فَإِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ الْمَعْدُومَ لَا يُحْدِثُ شَيْئًا فَقَدْ ثَبَتَ الْمَعْنَى الثَّلَاثُ أَنَّ لِي صَانِعًا وَهُوَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَقَامَ وَ مَا أَجَابَ جَوَابًا.

بيان: هذا برهان متين مبني على توقف التأثير والإيجاد على وجود الموجد والمؤثر والضرورة الوجدانية حاکمة بحقيقتها ولا مجال للعقل في إنكارها.

(24)- يد، التوحيد أَبِي وَابْنُ الْوَلِيدِ مَعًا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ إِدْرِيسَ وَ مُحَمَّدٍ الْعَطَّارِ عَنِ الْأَشْعَرِيِّ عَنْ سَهْلِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنِ عَلِيِّ بْنِ يَعْقُوبَ الْهَاشِمِيِّ عَنْ مَرْوَانَ بْنِ مُسَدِّمٍ قَالَ: دَخَلَ ابْنُ أَبِي الْعَوَّجَاءِ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ أَلَيْسَ تَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَلَى فَقَالَ لَهُ أَنَا أَخْلُقُ فَقَالَ لَهُ كَيْفَ تَخْلُقُ قَالَ أَحَدِثْ فِي الْمَوْضِعِ ثُمَّ أَلْبَثْ عَنْهُ فَيَصِيرُ دَوَابًا [دَوَابَ] فَأَكُونُ أَنَا الَّذِي خَلَقْتُهَا فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ

ص: 50

1- وفي نسخة: مخالفا لها في جميع صفاتها.

2- لم تقف على ترجمته.

3- لعله هو أبو حفص الملقب بزحل الذي ترجمه النجاشي في رجاله ص 202 قال: عربي بصرى مخلط، له كتاب.

عليه السلام: أَلَيْسَ خَالِي الشَّيْءِ يَعْرِفُ كَمَا خَلَقَهُ قَالَ لَهُ بَلَى قَالَ فَتَعْرِفُ الذِّكْرَ مِنْهَا مِنَ الْأُنْثَى وَتَعْرِفُ كَمَا عُمَرُهَا فَسَكَتَ.

«(25) -يد، التوحيد ابن الوليد عن الصفار عن ابن هاشم عن محمد بن حماد عن الحسن بن إبراهيم عن يونس بن عبد الرحمن عن يونس بن يعقوب قال: قال لي علي بن منصور (1) قال لي هشام بن الحكم كان زنديقاً بمصر يتلغى عن أبي عبد الله عليه السلام فخرج إلى المدينة ليئاظرة فلم يصادفه بها فقيل له هو بمكة فخرج الزنديق إلى مكة ونحن مع أبي عبد الله عليه السلام فقاربنا الزنديق ونحن مع أبي عبد الله عليه السلام في الطواف فصر رب كنهه كنف أبي عبد الله عليه السلام فقال له جعفر عليه السلام ما اسمك قال اسمي عبد الملك قال فما كُنيتك قال أبو عبد الله قال فمن الملك الذي أنت له عبد أم من ملوك السماء أم من ملوك الأرض وأخبرني عن ابنك عبد الله السماء أم عبد الله الأرض فسكت فقال له أبو عبد الله عليه السلام قل ما شئت تخصم قال هشام بن الحكم قلت للزنديق أ ما ترد عليه ففتح قولي فقال له أبو عبد الله عليه السلام إذا فرغت من الطواف فاتنا فلما فرغ أبو عبد الله عليه السلام أتاه الزنديق فقعده بين يديه ونحن مجتمعون عنده فقال للزنديق أ تعلم أن للأرض تحتاً وفوقاً قال نعم قال فدخلت تحتها قال لا قال فما يدريك بما تحتها قال لا أدري إلا أني أظن أن ليس تحتها شيء قال أبو عبد الله عليه السلام فالظن عجز ما لم تستيقن قال أبو عبد الله عليه السلام فصعدت إلى السماء قال لا قال فتدري ما فيها قال لا قال فعجباً لك لم تبلغ المشرق ولم تبلغ المغرب ولم تنزل تحت الأرض ولم تصعد إلى السماء ولم تجز هنالك فتعرف ما خلقهن و أنت جاحد ما فيهن وهل يجحد العاقل ما لا يعرف فقال الزنديق ما كلمني بهذا أحد غيرك قال أبو عبد الله عليه السلام فأنت في شك من ذلك فلعل هو أو لعل ليس هو قال الزنديق ولعل ذلك فقال أبو عبد الله عليه السلام أيها الرجل ليس لمن لا يعلم حجة على من يعلم فلا حجة للجاهل يا أبا أهل مصر تفهم عني فإننا لا نشك في الله أبداً ما ترى الشمس والقمر والنيل والنهار يلجان

ص: 51

1- أورده النجاشي في ص 176 من رجاله، قال: علي بن منصور أبو الحسن كوفي، سكن بغداد، متكلم، من أصحاب هشام، له كتب: منها كتاب التدبير في التوحيد والإمامة.

لَيْسَ لَهُمَا مَكَانٌ إِلَّا مَكَانُهُمَا فَإِنْ كَانَا يَدْرَانِ عَلَى أَنْ يَذْهَبَا وَلَا يَرْجِعَانِ فَلِمَ يَرْجِعَانِ فَلِمَ لَا يَصِيرُ اللَّيْلُ نَهَارًا وَ النَّهَارُ لَيْلًا اضْطُرًّا وَاللَّهُ يَا أَخَا أَهْلِ مِصْرَ إِلَى دَوَامِهِمَا وَالَّذِي اضْطَرَّهُمَا أَحْكَمُ مِنْهُمَا وَ أَكْبَرُ مِنْهُمَا قَالَ الزُّنْدِيقُ صَدَقْتَ ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَا أَخَا أَهْلِ مِصْرَ الَّذِي تَذْهَبُونَ إِلَيْهِ وَ تَظُنُّونَهُ بِالْوَهْمِ فَإِنْ كَانَ الدَّهْرُ يَذْهَبُ بِهِمْ لِمَ لَا يَرُدُّهُمْ وَإِنْ كَانَ يَرُدُّهُمْ لِمَ لَا يَذْهَبُ بِهِمْ الْقَوْمُ مُضْطَرُونَ يَا أَخَا أَهْلِ مِصْرَ السَّمَاءُ مَرْفُوعَةٌ وَ الْأَرْضُ مَوْضُوعَةٌ لِمَ لَا تَسْقُطُ السَّمَاءُ عَلَى الْأَرْضِ وَ لِمَ لَا تَنَحْدِرُ الْأَرْضُ فَوْقَ طَبَاقِهَا فَلَا يَتَمَاسَسُ كَانٍ وَ لَا يَتَمَاسِكُ مَنْ عَلَيْهِمَا فَقَالَ الزُّنْدِيقُ أَمْسَكْتَهُمَا وَاللَّهُ رَبُّهُمَا وَ سَيِّدُهُمَا فَأَمَّنَ الزُّنْدِيقُ عَلَى يَدَيْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ حُمْرَانُ بْنُ أَعْيَنَ جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنْ آمَنْتَ الزَّنَادِقَةَ عَلَى يَدَيْكَ فَقَدْ آمَنْتَ الْكُفَّارَ عَلَى يَدَيْ أَبِيكَ فَقَالَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي آمَنَ عَلَى يَدَيْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ اجْعَلْنِي مِنْ تَلَامِيذِكَ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِهَشَامِ بْنِ الْحَكَمِ خُذْهُ إِلَيْكَ فَعَلَّمَهُ فَعَلَّمَهُ هِشَامٌ فَكَانَ مُعَلِّمَ أَهْلِ مِصْرَ وَ أَهْلِ الشَّامِ وَ حَسَنَتْ طَهَارَتُهُ حَتَّى رَضِيَ بِهَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ج، الإحتجاج عن هشام بن الحكم مثله

إيضاح: قوله عليه السلام: فمن الملك لعله عليه السلام سلك أولاً في الإحتجاج عليه مسلك الجدال لبنائه على الأمر المشهور عند الناس أن الاسم مطابق لمعناه و يحتمل أن يكون على سبيل المطاوعة و المزاح لبيان عجزه عن فهم الواضحات و رد الجواب عن أمثال تلك المطايعات أو يكون منبها على ما ارتكز في العقول من الإذعان بوجود الصانع و إن أنكره ظاهراً لكفرهم و عنادهم ثم ابتداء عليه السلام بإزالة إنكار الخصم و إخراجهم منه إلى الشك لتستعد نفسه لقبول الحق فأزال إنكاره بأنه غير عالم بما تحت الأرض و ليس له سبيل إلى الجزم بأن ليس تحتها شيء ثم زاده بيانا بأن السماء التي لم يصعدها كيف يكون له الجزم و المعرفة بما فيها و ما ليس فيها و كذا المشرق و المغرب فلما عرف قبح إنكاره و تنزل عنه و أقر بالشك بقوله و لعل ذلك أخذ عليه السلام في هدايته و قال ليس للشك دليل و للجاهل حجة فليس لك إلا طلب الدليل فاستمع و تفهم فإننا لا نشك فيه أبداً و المراد بولوج الشمس و القمر غروبهما أو دخولهما بالحركات

الخاصة فى بروجهما و بولوج الليل و النهار دخول تمام كل منهما فى الآخر أو دخول بعض من كل منهما فى الآخر بحسب الفصول.

و حاصل الاستدلال أن لهذه الحركات انضباطا و اتساقا و اختلافات و تركيبا فالانضباط يدل على عدم كونها إرادية كما هو المشاهد من أحوال ذوى الإرادات من الممكنات و الاختلاف يدل على عدم كونها طبيعية فإن الطبيعة العادمة للشعور لا تختلف مقتضياتها كما نشاهد من حركات العناصر كما قالوا إن الطبيعة الواحدة لا تقتضى التوجه إلى جهة و الانصراف عنه و يمكن أن يقال حاصل الدليل راجع إلى ما يحكم به الوجدان من أن مثل تلك الأفعال المحكمة المتقنة الجارية على قانون الحكمة لا يصدر عن الدهر و الطبايع العادمة للشعور و الإرادة و إلى هذا يرجع قوله عليه السلام: إن كان الدهر يذهب بهم أى الدهر العديم الشعور كيف يصدر عنه الذهاب الموافق للحكمة و لا يصدر عنه بدله الرجوع أو المراد أنه لم يقتضى طبعه ذهاب شىء و لا يقتضى رده و بالعكس بناء على أن مقتضيات الطبايع تابعة لتأثير الفاعل القادر القاهر و يمكن أن يكون المراد بالذهاب بهم إعدامهم و بردهم إيجادهم و المراد بالدهر الطبيعة كما هو ظاهر كلام أكثر الدهرية أى نسبة الوجود و العدم إلى الطبايع الإمكانية على السواء فإن كان الشىء يوجد بطبعه فلم لا يعدم فترجح أحدهما ترجح بلا مرجح يحكم العقل باستحالته و يجرى جميع تلك الاحتمالات فى قوله عليه السلام: السماء مرفوعة إلى آخر كلامه و قوله عليه السلام: لم لا تسقط السماء على الأرض أى لا تتحرك بالحركة المستقيمة حتى تقع على الأرض و قوله و لم لا تنحدر الأرض أى تتحرك إلى جهة التحت حتى تقع على أطباق السماء أو المراد الحركة الدورية فيغرق الناس فى الماء فيكون ضمير طباقها راجعا إلى الأرض و طباق الأرض أعلاها أى تنحدر الأرض بحيث تصير فوق ما علا منها الآن قوله عليه السلام: فلا يتماسكان أى فى صورة السقوط و الانحدار أو المراد فظهر أنه لا يمكنهما التمسك بأنفسهما بل لا بد من ماسك يمسكهما.

أقول: تفصيل القول فى شرح تلك الأخبار الغامضة يقتضى مقاما آخر و إنما نشير فى هذا الكتاب إلى ما لعله يتبصر به أولو الأذهان الثاقبة من أولى الأبواب

وسنسط الكلام فيها في كتاب مرآة العقول إن شاء الله تعالى.

«(26)-م، تفسير الإمام عليه السلام قَالَ الإمامُ عليه السلام لَمَّا تَوَعَّدَ (1) رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْيَهُودَ وَالنَّوَاصِبَ فِي جَحْدِ التُّبُوءِ وَالْخِلَافَةِ قَالَ مَرَدَةُ الْيَهُودِ وَغَتَاةُ النَّوَاصِبِ (2) مِنْ هَذَا الَّذِي يَنْصُرُ مُحَمَّدًا وَعَلِيًّا عَلَى أَعْدَائِهِمَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِلَا عَمَدٍ مِنْ تَحْتِهَا وَلَا عِلَاقَةٍ مِنْ فَوْقِهَا تَحْسِبُهَا مِنَ الْوُفُوعِ عَلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ يَا أَيُّهَا الْعِبَادُ وَالْإِمَاءُ أَسْرَائِي وَفِي قَبْضِي الْأَرْضُ مِنْ تَحْنِكُمْ لَا مَنَجَى لَكُمْ مِنْهَا إِنْ هَرَبْتُمْ وَالسَّمَاءُ مِنْ فَوْقِكُمْ وَلَا مَحِيصَ لَكُمْ عَنْهَا إِنْ ذَهَبْتُمْ فَإِنْ شِئْتُمْ أَهْلَكْتُكُمْ بِهِدِهِ وَإِنْ شِئْتُمْ أَهْلَكْتُكُمْ بِتِلْكَ ثُمَّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ مِنَ الشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ فِي نَهَارِكُمْ لِتَنْتَشِرُوا فِي مَعَايِشِكُمْ وَمِنَ الْقَمَرِ الْمُضِيءِ لَكُمْ فِي لَيْلِكُمْ لِتُبْصِرُوا فِي ظُلُمَاتِهِ وَالْجَانِكُمْ بِالْإِسْتِرَاحَةِ بِالظُّلْمَةِ إِلَى تَرْكِ مُوَاصَلَةِ الْكَدِّ الَّذِي يَنْهَكُ (3) أَبْدَانَكُمْ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ الْمُتَتَابِعِينَ الْكَادِّينَ عَلَيْكُمْ بِالْعَجَائِبِ الَّتِي يُحْدِثُهَا رَبُّكُمْ فِي عَالَمِهِ مِنْ إِسْدَادٍ وَإِشْقَاءٍ وَإِعْزَازٍ وَإِذْلالٍ وَإِغْنَاءٍ وَإِفْقَارٍ وَصَيْفٍ وَشِتَاءٍ وَخَرِيفٍ وَرَبِيعٍ وَخِصْبٍ وَفَحْطٍ وَخَوْفٍ وَأَمْنٍ وَالْقُدْرَةِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ مَطَايَاكُمْ لَا تَهْدَأُ (4) لَيْلًا وَلَا نَهَارًا وَلَا تَقْتَضِيكُمْ عِلْفًا وَلَا مَاءً وَكَفَاكُمْ بِالرِّيَاحِ مُنُونَةً تُسَيِّرُهَا بِقَوَائِمِهَا الَّتِي كَانَتْ لَا تَقُومُ بِهَا لَوْ رَكَدَتْ عَنْهَا الرِّيَاحُ لِتَمَامِ مَصَالِحِكُمْ وَمَنَافِعِكُمْ وَبُلُوغِ الْحَوَائِجِ لِأَنْفُسِكُمْ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ وَإِبِلًا وَهَظْلًا وَرِذَادًا (5) لَا يُنْزِلُ عَلَيْكُمْ دَفْعَةً وَاحِدَةً فَيُغْرِقَكُمْ وَيُهْلِكُ مَعَايِشَكُمْ لَكِنَّهُ يُنْزِلُ مُتَفَرِّقًا مِنْ عَلَا حَتَّى يَعْمَ الْأَوْهَادَ وَالتَّلَالَ وَالتَّلَاعَ (6) فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا فَيُخْرِجُ نَبَاتَهَا وَثِمَارَهَا وَحُبُوبَهَا وَبَثَّ فِيهَا

ص: 54

1- أى هدد.

2- العتاة. جمع للعاتى وهو المستكبر ومن جاوز الحد.

3- أى يندف ويضنى.

4- المطايا جمع للمطية وهى الدابة التى تركب. ولا تهدأ أى لا تسكن.

5- الوابل: المطر الشديد. الهطل - بفتح الهاء-: المطر الضعيف الدائم. وتتابع المطر المتفرق العظيم القطر. الرذاذ كسحاب: المطر الضعيف، أو الساكن الدائم الصغار القطر كالغبار، أو هو بعد الطل.

6- جمع للتلعة: ما ارتفع من الأرض وما انهبط منها، من الاضداد. ولعل المراد فى الخبر المعنى الثانى.

مِنْ كُلِّ ذَابَّةٍ مِنْهَا مَا هُوَ لِأَكْلِكُمْ وَمَعَايِشِكُمْ وَمِنْهَا سَبَاعٌ ضَارِيَةٌ حَافِظَةٌ عَلَيْكُمْ لِأَنْعَامِكُمْ لِيُنَالَا تَشُدَّ عَلَيْكُمْ خَوْفًا مِنْ أَفْتِرَاسِهِمَا لَهَا وَتَصْرِيفِ  
الرِّيَاحِ الْمُرَبِّيَّةِ لِحُبُوبِكُمْ الْمُبْلَغَةِ لِيُثْمَرَ كُمْ النَّافِيَةِ لِرُكُودِ [الرُّكُودِ] الْهَوَاءِ وَالْأَقْدَارِ عَنْكُمْ وَالسَّحَابِ الْمُسَدِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ يَحْمِلُ  
أَمْطَارَهَا وَيَجْرِي بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَصُدُّبُهَا مِنْ حَيْثُ يُؤْمَرُ لآيَاتٍ دَلَالٍ وَاضِحَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ يَتَفَكَّرُونَ بِعُقُولِهِمْ أَنَّ مَنْ هَذِهِ الْعَجَائِبُ مِنْ آثَارِ  
قُدْرَتِهِ قَادِرٌ عَلَى نُصْرَةِ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَآلِهِمَا عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ.

بيان: الكادين من الكد بمعنى الشدة والإلحاح في الطلب كناية عن عدم تخلفهما والباء في قوله عليه السلام: بالعجائب بمعنى مع وقوله  
والأقتار كأنه جمع القتره بمعنى الغبرة أى يذهب الأغبرة والأبخره المجتمعة في الهواء الموجبة لكثافتها وتعفنها والضمير في قوله  
أمطارها إما راجع إلى الأرض أو إلى السحاب للجمعية.

«(27)- جمع، جامع الأخبار سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن إثبات الصانع فقال البعرة تدل على البعير والرؤنة تدل على الحمير وآثار  
القدم تدل على المسير فهيكلكم علوي بهذه اللطافة ومركز سفلي بهذه الكثافة كيف لا يدلان على اللطيف الخبير.

«(28)- وقال عليه السلام بصنع الله يستدل عليه وبالعقول تعتقد معرفته وبالتفكير تثبت حجته معروف بالدلالات مشهور بالبيئات.

«(29)- جمع، جامع الأخبار سئل أمير المؤمنين صلوات الله عليه ما الدليل على إثبات الصانع قال ثلاثة أشياء تحويل الحال وصدغف  
الأركان ونقص الهمة.

أقول: سيأتي ما يناسب هذا الباب في أبواب الاحتجاجات وأبواب المواعظ والخطب والحكم إن شاء الله تعالى ولنذكر بعد ذلك توحيد  
المفضل بن عمر ورسالة الإهليلجة المرويتين عن الصادق عليه السلام لاشتغالهما على دلائل وبراهين على إثبات الصانع تعالى ولا  
يضر إرسالهما لاشتهار انتسابهما إلى المفضل وقد شهد بذلك السيد بن طاوس وغيره (1) ولا ضعف محمد بن سنان والمفضل لأنه في  
محل المنع بل يظهر من الأخبار

ص: 55

1- قال ابن طاوس في ص 9 من كتابه كشف المحجة: وانظر كتاب المفضل بن عمر الذي أملاه عليه مولانا الصادق عليه السلام فيما خلق  
الله جل جلاله من الآثار، وانظر كتاب الإهليلجة وما فيه من الاعتبار، فان الاعتناء بقول سابق الأنبياء والأوصياء والأولياء عليهم أفضل  
السلام موافق لفطرة العقول والاحلام. وقال في ص 78 من كتابه الأمان من أخطار الأسفار والازمان: ويصحب معه كتاب الإهليلجة و  
هو كتاب مناظرة مولانا الصادق عليه السلام الهندي في معرفة الله جل جلاله بطريق غريبة عجيبة ضرورية، حتى أقر الهندي بالالهية و  
الوحدانية، ويصحب معه كتاب المفضل بن عمر الذي رواه عن الصادق عليه السلام في معرفة وجوه الحكمة في إنشاء العالم السفلي و  
أسراره، فانه عجيب في معناه. أقول: وعد النجاشي من كتبه كتاب الفكر كتاب في بدء الخلق والحث على الاعتبار وصية المفضل، وذكر  
طريقه إليه هكذا: أخبرني أبو عبد الله بن شاذان، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى عن أبيه، عن عمران بن موسى، عن إبراهيم بن هاشم،  
عن محمد بن سنان، عن المفضل. انتهى. ولعل المراد منه هو كتاب توحيد هذا.

الكثيرة علوقدرهما و جلالتهما مع أن متن الخبرين شاهدا صدق على صحتهما وأيضا هما يشتملان على براهين لا تتوقف إفادتها العلم على صحة الخبر.

ص: 56

(1) - رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ سَيِّدِنَانَ قَالَ حَدَّثَنَا الْمُفَضَّلُ بْنُ عُمَرَ قَالَ: كُنْتُ ذَاتَ يَوْمٍ بَعْدَ الْعَصْرِ جَالِسًا فِي الرَّوْضَةِ بَيْنَ الْقَبْرِ وَالْمِنْبَرِ وَأَنَا مُفَكِّرٌ فِيمَا خَصَّ اللَّهُ بِهِ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنَ الشَّرَفِ وَالْفَضَائِلِ وَمَا مَنَحَهُ وَأَعْطَاهُ وَشَرَّفَهُ بِهِ وَحَبَاهُ (1) مِمَّا لَا يَعْرِفُهُ الْجُمْهُورُ مِنَ الْأُمَّةِ وَمَا جَهَلُوهُ مِنْ فَضْلِهِ وَعَظِيمِ مَنَزَلَتِهِ وَخَطَرِ مَرَاتِبَتِهِ (2) فَإِنِّي لَكَذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ فَجَلَسَ بِيحَيْثُ أَسْمَعُ كَلَامَهُ فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِهِ الْمَجْلِسُ إِذَا رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ قَدْ جَاءَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ فَتَكَلَّمَ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ فَقَالَ لَقَدْ بَلَغَ صَاحِبُ هَذَا الْقَبْرِ الْعِزَّ بِكَمَالِهِ وَحَازَ الشَّرْفَ بِجَمِيعِ خِصَالِهِ وَنَالَ الْحُظُورَةَ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ إِنَّهُ كَانَ فَيَلْسُوفًا أَدْعَى الْمَرْتَبَةَ الْعُظْمَى وَالْمَنْزِلَةَ الْكُبْرَى وَآتَى عَلَى ذَلِكَ بِمُعْجَزَاتٍ بَهَرَتْ الْعُقُولَ وَصَدَلَتْ فِيهَا الْأَحْلَامَ وَعَاصَتِ الْأَلْبَابُ عَلَى طَلَبِ عِلْمِهَا فِي بَحَارِ الْفِكْرِ فَرَجَعَتْ خَاسِمَاتٌ وَهِيَ حَسِيْرٌ فَلَمَّا اسْتَجَابَ لِدَعْوَتِهِ الْعُقَلَاءُ وَالْفَصَحَاءُ وَالنُّخَبَاءُ دَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِهِ أَفْوَاجًا فَقَرَنَ اسْمُهُ بِاسْمِ نَامُوسِهِ فَصَارَ يَهْتَفُ بِهِ عَلَى رُءُوسِ الصَّوَامِعِ فِي جَمِيعِ الْبُلْدَانِ وَالْمَوَاضِعِ الَّتِي انْتَهَتْ إِلَيْهَا دَعْوَتُهُ وَعَلَتْ بِهَا كَلِمَتُهُ وَظَهَرَتْ فِيهَا حُجَّتُهُ بَرًّا وَبِحِرًّا وَسَهْلًا وَجَبَلًا فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَمْسُ مَرَّاتٍ مُرَدِّدًا فِي الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ لِيَتَجَدَّدَ فِي كُلِّ سَاعَةٍ ذِكْرُهُ لِنَلَا يُخْمَلَ أَمْرُهُ فَقَالَ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ دَعَا ذَكَرَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَدْ تَحَيَّرَ فِيهِ عَقْلِي وَضَلَّ فِي أَمْرِهِ فِكْرِي وَحَدَّثْنَا فِي ذِكْرِ الْأَصْلِ الَّذِي يَمْشِي بِهِ ثُمَّ ذَكَرَ ابْتِدَاءَ الْأَشْيَاءِ وَزَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ بِإِهْمَالٍ لَا صَنْعَةَ فِيهِ وَلَا تَقْدِيرَ وَلَا صَانِعَ لَهُ وَلَا مُدَبِّرَ بَلِ الْأَشْيَاءُ تَتَكَوَّنُ مِنْ ذَاتِهَا بِلَا مُدَبِّرٍ وَعَلَى هَذَا كَانَتِ الدُّنْيَا لَمْ تَزَلْ وَلَا تَزَالُ.

بيان: الحوز الجمع و كل من ضم إلى نفسه شيئاً فقد حازه و الحظوة بالضم و الكسر و الحاء المهملة و الظاء المعجمة المكانة و المنزلة و الفيلسوف العالم و خساء

ص: 57

1- أى أعطاه.

2- الخطر: الشرف و ارتفاع القدر و المرتبة.



البصر أى كل و الناموس صاحب السر المطلع على أمرك أو صاحب سر الخير و جبرئيل عليه السلام و الحاذق و من يلفظ مدخله ذكرها الفيروز آبادى و مراده هنا الرب تعالى شأنه و خمل ذكره خفى و الخامل الساقط الذى لا نباهة له و قوله الذى يمشى به أى يذهب إلى دين محمد صلى الله عليه و آله و غيره بسببه أو يهتدى به كقوله تعالى نُوراً يَمْشَى بِهِ فِي النَّاسِ (1) و فى بعض النسخ يسمى إما بالتشديد أى يذكر اسمه أو بالتخفيف أى يرتفع الناس به و يدعون الانتساب إليه.

قَالَ الْمُفَضَّلُ فَلَمْ أَمْلِكْ نَفْسِي غَضَبًا وَ غَيْظًا وَ حَقًّا (2) فَقُلْتُ يَا عَدُوَّ اللَّهِ أَلْحَدَّثَ فِي دِينِ اللَّهِ وَ أَنْكَرْتَ الْبَارِيَّ جَلَّ قُدْسُهُ الَّذِي خَلَقَكَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ وَ صَوَّرَكَ فِي أَمِّ صُورَةٍ وَ تَقَدَّكَ فِي أَحْوَالِكَ حَتَّى بَلَغَ بِكَ إِلَى حَيْثُ انْتَهَيْتَ فَلَوْ تَفَكَّرْتَ فِي نَفْسِكَ وَ صَدَقَكَ لَطِيفُ حِسِّكَ لَوَجَدْتَ دَلَائِلَ الرَّبُّوبِيَّةِ وَ آثَارَ الصَّنْعَةِ فِيكَ قَائِمَةً وَ شَوَاهِدَهُ جَلَّ وَ تَقَدَّسَ فِي خَلْقِكَ وَاضِحَةً وَ بَرَاهِينَهُ لَكَ لِأَيْحَةَ فَقَالَ يَا هَذَا إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ كَلَّمْنَاكَ فَإِنْ ثَبَتَ لَكَ حُجَّةٌ تَبَعْنَاكَ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْهُمْ فَلَا كَلَامَ لَكَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ أَصْحَابِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ فَمَا هَكَذَا يُخَاطِبُنَا وَ لَا بِمِثْلِ دَلِيلِكَ يُجَادِلُنَا وَ لَقَدْ سَمِعَ مِنْ كَلَامِنَا أَكْثَرَ مِمَّا سَمِعْتَ فَمَا أَفْحَشَ فِي خِطَابِنَا وَ لَا تَعَدَّى فِي جَوَابِنَا وَإِنَّهُ لِلْحَلِيمِ الرَّزِينِ الْعَاقِلِ الرَّصِينِ لَا يَعْتَرِيهِ (3) خُرْقٌ وَ لَا طَيْشٌ وَ لَا نَزَقٌ وَ يَسْمَعُ كَلَامَنَا وَ يُصْغِي إِلَيْنَا وَ يَسْتَعْرِفُ حُجَّتَنَا حَتَّى اسْتَفْرَغْنَا مَا عِنْدَنَا وَ ظَنَّنَا أَنَّا قَدْ قَطَعْنَا أَدْحَصَ حُجَّتِنَا بِكَلَامٍ يَسِيرٍ وَ خِطَابٍ قَصِيرٍ يُلْزِمُنَا بِهِ الْحُجَّةَ وَ يَقْطَعُ الْعُدْرَةَ وَ لَا نَسْتَطِيعُ لِجَوَابِهِ رَدًّا فَإِنْ كُنْتَ مِنْ أَصْحَابِهِ فَخَاطِبُنَا بِمِثْلِ خِطَابِهِ.

بيان: و صدقك بالتخفيف أى قال لك صدقا لطيف حسك أى حسك اللطيف أى لم يلتبس على حسك غرائب صنع الله فيك لمعاندتك للحق و فى بعض النسخ حسنك فالمراد بصدق الحسن ظهور ما أخفى الله فيه منه على الناظر و على الوجهين يمكن أن يقرأ صدقك بالتشديد بتكلف لا يخفى على المتأمل و الرزين الوقور و الرصين بالصاد

ص: 58

1- الأنعام: 122.

2- الحنق: شدة الاغتيال.

3- أى لا يصيبه.

المهملة الحكم الثابت و الخرق بالضم ضد الرفق و النزق الطيش و الخفة عند الغضب و قوله استفرغنا لعله من الإفراغ بمعنى الصب قال الفيروز آبادي استفرغ مجهوده بذل طاقته و الإدحاض الإبطال.

قَالَ الْمُفَضَّلُ فَخَرَجْتُ مِنَ الْمَسْجِدِ مَحْزُونًا مُفَكِّرًا فِيمَا بَلَى بِهِ الْإِسْلَامُ وَأَهْلُهُ مِنْ كُفْرِ هَذِهِ الْعِصَابَةِ وَتَعْطِيلِهَا (1) فَدَخَلْتُ عَلَى مَوْلَايَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَرَأَى مِنْكَ رَأْفَةً فَقَالَ مَا لَكَ فَأَخْبَرْتَهُ بِمَا سَمِعْتُ مِنَ الدَّهْرِيِّينَ (2) وَبِمَا رَدَدْتُ عَلَيْهِمَا فَقَالَ لِأَلْقِيَنَّ إِلَيْكَ مِنْ حِكْمَةِ الْبَارِي جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ اسْمُهُ فِي خَلْقِ الْعَالَمِ وَالسَّبَاعِ وَالْبَهَائِمِ وَالطَّيْرِ وَالْهَوَامِّ وَكُلِّ ذِي رُوحٍ مِنَ الْأَنْعَامِ وَالنَّبَاتِ وَالشَّجَرَةِ الْمُثْمِرَةِ وَغَيْرِ ذَاتِ الثَّمَرِ وَالْحُبُوبِ وَالْبُقُولِ الْمَأْكُولِ مِنْ ذَلِكَ وَغَيْرِ الْمَأْكُولِ مَا يَعْتَبَرُ بِهِ الْمُعْتَبِرُونَ وَيَسْكُنُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ الْمُؤْمِنُونَ وَيَتَحَيَّرُ فِيهِ الْمُلْحِدُونَ فَبَكَرْتُ عَلَى غَدَاً قَالَ الْمُفَضَّلُ فَأَنْصَرَفْتُ مِنْ عِنْدِهِ فَرِحًا مَسْرُورًا وَطَالَتْ عَلَيَّ تِلْكَ اللَّيْلَةُ أَنْتِظَارًا لِمَا وَعَدَنِي بِهِ فَلَمَّا أَصَبْتُ غَدَوْتُ فَاسْتَوْدَنْ لِي فَدَخَلْتُ وَفُتُّ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَمَرَنِي بِالْجُلُوسِ فَجَلَسْتُ ثُمَّ نَهَضَ إِلَى حُجْرَةٍ كَانَ يَخْلُو فِيهَا فَنَهَضْتُ بِنَهْضِهِ فَقَالَ اتَّبِعْنِي فَتَبِعْتُهُ فَدَخَلْتُ وَدَخَلْتُ خَلْفَهُ فَجَلَسَ وَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ يَا مُفَضَّلُ كَأَنِّي بِكَ وَقَدْ طَالَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ اللَّيْلَةُ أَنْتِظَارًا لِمَا وَعَدْتُكَ فَقُلْتُ أَجَلٌ يَا مَوْلَايَ فَقَالَ يَا مُفَضَّلُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ وَ لَا شَيْءَ قَبْلَهُ وَ هُوَ بَاقٍ وَ لَا نِهَآيَةَ لَهُ فَلَهُ الْحَمْدُ عَلَى مَا أَلْهَمَنَا وَ لَهُ الشُّكْرُ عَلَى مَا مَنَحَنَا وَ قَدْ خَصَّنَا مِنَ الْعُلُومِ بِأَعْلَاهَا وَ مِنَ الْمَعَالِي بِأَسَدِنَاهَا وَ اصْطَفَانَا عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ بِعِلْمِهِ وَ جَعَلَنَا مُهَيِّمِينَ عَلَيْهِمْ بِحِكْمِهِ فَقُلْتُ يَا مَوْلَايَ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَكْتُبَ مَا تَشْرَحُهُ وَ كُنْتُ أَعْدَدْتُ مَعِيَ مَا أَكْتُبُ فِيهِ فَقَالَ لِي أَفْعَلْ.

بيان: أسناها أى أرفعها أو أضوؤها و المهيمن الأمين و المؤتمن و الشاهد.

يَا مُفَضَّلُ إِنَّ الشُّكَّكَ جَهْلُوا الْأَسْبَابَ وَ الْمَعَانِي فِي الْخَلْقَةِ وَ قَصَصَتْ أَفْهَامُهُمْ عَنْ تَأْمَلِ الصَّوَابِ وَ الْحِكْمَةِ فِيمَا ذَرَأَ (3) الْبَارِي جَلَّ قُدْسُهُ وَ بَرَأَ (4) مِنْ صُنُوفِ خَلْقِهِ فِي

ص: 59

1- العصابة: الجماعة من الرجال.

2- الدهرى: الملحد القائل: بأن العالم موجود أزلا و أبدا، لا صانع له.

3- أى خلق.

4- أى خلقه من العدم.

الْبِرِّ وَالْبَحْرِ وَالسَّهْلِ وَالْوَعْرِ (1) فَخَرَجُوا بِقَصْرِ عُلُومِهِمْ إِلَى الْجُحُودِ وَبِضَعْفِ بَصَائِرِهِمْ إِلَى التَّكْذِيبِ وَالْعُنُودِ حَتَّى أَنْكَرُوا خَلْقَ الْأَشْيَاءِ وَ ادَّعَوْا أَنَّ كَوْنَهَا بِالْإِهْمَالِ لَا صَدْنَعَةَ فِيهَا وَلَا تَقْدِيرَ وَلَا حِكْمَةَ مِنْ مُدَبِّرٍ وَلَا صَانِعٍ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَصِفُونَ وَقَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْتَى يُؤْفِكُونَ فَهُمْ فِي ضَلَالٍ لِيَهُمْ وَعَمَاهُمْ وَتَحْيِيرِهِمْ بِمَنْزِلَةِ عُمَيَّانٍ دَخَلُوا دَارًا قَدْ بَنِيَتْ أَنْتَقَنَ بِنَاءً وَأَحْسَنَهُ وَفَرِشَتْ بِأَحْسَنِ الْفُرُشِ وَأَفْخَرَهُ وَأَعَدَّ فِيهَا ضَرْبُ الْأَطْعِمَةِ وَالْأَشْرَبَةِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَارَبِ (2) الَّتِي يُحْتَاجُ إِلَيْهَا لَا يُسْتَعْنَى عَنْهَا وَوُضِعَ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ مَوْضِعَهُ عَلَى صَوَابٍ مِنَ التَّقْدِيرِ وَ حِكْمَةٍ مِنَ التَّدْبِيرِ فَجَعَلُوا يَتَرَدَّدُونَ فِيهَا يَمِينًا وَشِمَالًا وَيَطُوفُونَ بِيُوتِهَا إِذْبَارًا وَإِقْبَالًا مَحْجُوبَةً أَبْصَارُهُمْ عَنْهَا لَا يُبْصِرُونَ بِنِيَةِ الدَّارِ (3) وَمَا أُعِدَّ فِيهَا وَرُبَّمَا عَثَرَ بَعْضُهُمْ بِالشَّيْءِ الَّذِي قَدْ وُضِعَ مَوْضِعَهُ وَأَعِدَّ لِلْحَاجَةِ إِلَيْهِ وَهُوَ جَاهِلٌ بِالْمَعْنَى فِيهِ وَلِمَا أُعِدَّ وَلِمَا دَا جُعِلَ كَذَلِكَ فَتَدَمَّرَ وَتَسَخَّطَ وَذَمَّ الدَّارَ وَبَانِيَهَا فَهَذِهِ حَالُ هَذَا الصَّنْفِ فِي إِنْكَارِهِمْ مَا أَنْكَرُوا مِنْ أَمْرِ الْخَلْقَةِ وَثَبَاتِ الصَّنْعَةِ (4) فَإِنَّهُمْ لَمَّا غَرَبَتْ (5) أَذْهَانُهُمْ عَنْ مَعْرِفَةِ الْأَسْبَابِ وَالْعِلَلِ فِي الْأَشْيَاءِ صَارُوا يَجُولُونَ فِي هَذَا الْعَالَمِ حَيَارَى وَلَا يَفْهَمُونَ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ إِتْقَانِ خَلْقَتِهِ وَحُسْنِ صَنْعَتِهِ وَصَوَابِ تَهْيِئَتِهِ وَرُبَّمَا وَقَفَ بَعْضُهُمْ عَلَى الشَّيْءِ لِيَجْهَلَ سَبَبَهُ وَالْإِزْبِ فِيهِ فَيُسْرِعُ إِلَى ذَمِّهِ وَوَصْفِهِ بِالْإِحْوَالَةِ وَالْخَطَا كَالَّذِي أَقْدَمَتْ عَلَيْهِ الْمَانَوِيَّةُ الْكُفْرَةَ وَجَاهَرَتْ بِهِ الْمُلْحِدَةُ الْمَارِقَةُ الْفَجْرَةَ وَأَشْبَاهَهُمْ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ الْمُعَلَّلِينَ أَنْفُسَهُمْ بِالْمُحَالِ فَيَحْتَقُّ عَلَى مَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِمَعْرِفَتِهِ وَهَدَاهُ لِدِينِهِ وَوَقَّعَهُ لِتَأْمُلِ التَّدْبِيرِ فِي صَدْنَعَةِ الْخَلْقِ وَالْوُفُوفِ عَلَى مَا خُلِقُوا لَهُ مِنْ لَطِيفِ التَّدْبِيرِ وَصَوَابِ التَّعْبِيرِ بِالذَّلَالَةِ الْقَائِمَةِ الدَّلَالَةِ عَلَى صَانِعِهَا أَنْ يَكْثُرَ حَمْدُ اللَّهِ مَوْلَاهُ عَلَى ذَلِكَ وَيَرْغَبَ إِلَيْهِ فِي الثَّبَاتِ عَلَيْهِ وَالزِّيَادَةَ مِنْهُ فَإِنَّهُ جَلَّ اسْمُهُ يَقُولُ لَنْ شَكَرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ وَلَنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ.

ص: 60

- 1- وعر الأرض: صلب وصعب السير فيه، ضد السهل.
- 2- المآرب: الحوائج.
- 3- وفي نسخة: هيئة الدار.
- 4- وفي نسخة: إثبات الصنعة.
- 5- في نسخة عزبت، وفي نسخة اخرى: غبت، وفي الثالثة: وعرت.

بيان: قاتلهم الله أى قتلهم أو لعنهم أتى يُؤفكون كيف يصرفون عن الحق وقال الجوهري ظل يتدمر على فلان إذا تنكر له وأوعده انتهى و غربت بمعنى غابت و الإرب بالفتح و الكسر الحاجة و وصفه بالإحالة أى بأنه يستحيل أن يكون له خالق مدبر أو يستحيل أن يكون من فعله تعالى و المانوية فرقة من الثنوية أصحاب مانى الذى ظهر فى زمان سابور بن أردشير و أحدث ديناً بين المجوسية و النصرانية و كان يقول بنبوة المسيح على نبينا و آله و عليه السلام و لا يقول بنبوة موسى على نبينا و آله و عليه السلام و زعم أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين أحدهما نور و الآخر ظلمة و هؤلاء ينسبون الخيرات إلى النور و الشرور إلى الظلمة و ينسبون خلق السباع و الموزيات و العقارب و الحيات إلى الظلمة فأشار عليه السلام إلى فساد و همهم بأن هذا لجهلهم بمصالح هذه السباع و العقارب و الحيات التى يزعمون أنها من الشرور التى لا يليق بالحكيم خلقها قوله عليه السلام: المعلنين أى الشاغلين أنفسهم عن طاعة ربهم بأمر يحكم العقل السليم باستحالته قال الفيروز آبادى علله بطعام و غيره تعليلاً شغله به.

يَا مُفَضَّلُ أَوَّلُ الْعِبَرِ وَالْأَدِلَّةِ عَلَى الْبَارِي جَلَّ قُدْسُهُ تَهَيَّئْ هَذَا الْعَالَمَ وَ تَأَلِّفْ أَجْزَائِهِ وَ نَظِّمُهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ فَإِنَّكَ إِذَا تَأَمَّلْتَ الْعَالَمَ بِفِكَرِكَ وَ مَيَّرْتَهُ بِعَقْلِكَ وَ جَدَدْتَهُ كَالْبَيْتِ الْمَبْنِيِّ الْمَعْدِّ فِيهِ جَمِيعُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ عِبَادُهُ فَالْسَّمَاءُ مَرْفُوعَةٌ كَالسَّقْفِ وَ الْأَرْضُ مَمْدُودَةٌ كَالسَّاطِ وَ النَّجْمُ مَنْضُودَةٌ كَالْمَصَابِيحِ وَ الْجَوَاهِرُ مَخْزُودَةٌ كَالذَّخَائِرِ وَ كُلُّ شَيْءٍ فِيهَا لِشَأْنِهِ مُعَدٌّ وَ الْإِنْسَانُ كَالْمَمْلُوكِ ذَلِكَ الْبَيْتُ وَ الْمَخُولُ جَمِيعُ مَا فِيهِ وَ ضُرُوبُ النَّبَاتِ مُهَيَّأَةٌ لِمَارِيهِ وَ صَنُوفُ الْحَيَوَانَ مَصْرُوفَةٌ فِي مَصَالِحِهِ وَ مَنَافِعِهِ فَنَفِي هَذَا دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى أَنَّ الْعَالَمَ مَخْلُوقٌ بِتَقْدِيرٍ وَ حِكْمَةٍ وَ نِظَامٍ وَ مَلَائِمَةٍ وَ أَنَّ الْخَالِقَ لَهُ وَاحِدٌ وَ هُوَ الَّذِي أَلْفَهُ وَ نَظَّمَهُ بَعْضًا إِلَى بَعْضٍ جَلَّ قُدْسُهُ وَ تَعَالَى جَدُّهُ وَ كَرَّمَ وَجْهُهُ وَ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ تَعَالَى عَمَّا يَقُولُ الْجَاهِلُونَ وَ جَلَّ وَ عَظَّمَ عَمَّا يَنْتَحِلُهُ الْمُلْحِدُونَ.

بيان: قال الفيروز آبادى نضد متاعه ينضده جعل بعضه فوق بعض فهو منضود انتهى و التحويل الإعطاء و التمليك قوله عليه السلام: و أن الخالق له واحد

أقول: أشار عليه السلام بذلك إلى أقوى براهين التوحيد (1) وهو أن ائتلاف أجزاء العالم واحتياج بعضها إلى بعض وانتظام بعضها ببعض يدل على وحدة مدبرها كما أن ارتباط أجزاء الشخص بعضها ببعض وانتظام بعض أعضائه مع بعض يدل على وحدة مدبره وقد قيل في تطبيق العالم الكبير على العالم الصغير لطائف لا يسع المقام ذكرها وربما يستدل عليه أيضا بما قد تقرر من أن المتلازمين إما أن يكون أحدهما علة للآخر أو هما معلولا علة ثالثة وسيأتي الكلام فيه في باب التوحيد.

نَبَّأْتُ يَا مُفَضَّلُ بِذِكْرِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ فَاعْتَبِرْ بِهِ فَأَوَّلُ ذَلِكَ مَا يَدَبَّرُ بِهِ الْجَنِينَ فِي الرَّحِمِ وَهُوَ مَحْجُوبٌ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ظُلْمَةِ الْبَطْنِ وَظُلْمَةِ الرَّحِمِ وَظُلْمَةِ الْمَشِيمَةِ حَيْثُ لَا حِيلَةَ عِنْدَهُ فِي طَلَبِ غِذَاءٍ وَلَا دَفْعِ أذىٍ وَلَا اسْتِجْلَابِ مَنفَعَةٍ وَلَا دَفْعِ مَضَرَّةٍ فَإِنَّهُ يَجْرِي إِلَيْهِ مِنْ دَمِ الْحَيْضِ مَا يَغْدُوهُ كَمَا يَغْدُو الْمَاءُ النَّبَاتَ فَلَا يَزَالُ ذَلِكَ غِذَاؤَهُ حَتَّى إِذَا كَمَلَ خَلَقَهُ وَاسْتَحْكَمَ بَدَنَهُ وَقَوَّى أَدِيمَهُ عَلَى مُبَاشَرَةِ الْهَوَاءِ وَبَصَرَهُ عَلَى مُلَاقَاةِ الصَّبَا هَاجَ الطَّلُقُ بِأُمِّهِ فَارْجَعَهُ أَشَدَّ إِزْعَاجٍ وَأَعْنَفَهُ حَتَّى يُوَلِّدَ وَإِذَا وُلِدَ صَرَفَ ذَلِكَ الدَّمُ الَّذِي كَانَ يَغْدُوهُ مِنْ دَمِ أُمِّهِ إِلَى تَدْيِيهَا فَانْقَلَبَ الطَّعْمُ وَاللُّونُ إِلَى صَدْرٍ آخَرَ مِنَ الْغِذَاءِ وَهُوَ أَشَدُّ مُوَافَقَةً لِلْمَوْلُودِ مِنَ الدَّمِ فَيُؤَافِيهِ فِي وَقْتِ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ فَحِينَ يُوَلِّدُ قَدْ تَلَمَّظَ وَحَرَكَ شَفْتَيْهِ طَلْبًا لِلرَّضَاعِ فَهُوَ يَجِدُ تَدْيِي أُمِّهِ كَالِإِذَاوَتَيْنِ الْمُعَلَّقَتَيْنِ لِحَاجَتِهِ إِلَيْهِ فَلَا يَزَالُ يَعْتَدِي بِاللَّبَنِ مَا دَامَ رَطْبَ الْبَدَنِ رَفِيقَ الْأَمْعَاءِ لِيَنَّ الْأَعْضَاءَ حَتَّى إِذَا تَحَرَكَ وَاحْتَجَّ إِلَى غِذَاءٍ فِيهِ صَدْلَابَةٌ لِيَشُدَّ وَيَقْوَى بَدَنَهُ طَلَعَتْ لَهُ الطَّوَاحِنُ مِنَ الْأَسْنَانِ وَالْأَضْرَاسُ لِيَمْضَغَ بِهِ الطَّعَامَ فَيَلِينُ عَلَيْهِ وَ يَسَّ هُلَّ لَهُ إِسَاعَتُهُ فَلَا يَزَالُ كَمَا ذَلِكَ حَتَّى يُدْرِكَ فَإِذَا أَدْرَكَ وَكَانَ ذَكَرًا طَلَعَ الشَّعْرُ فِي وَجْهِهِ فَكَانَ ذَلِكَ عَلَامَةَ الذَّكَرِ وَعِزَّ الرَّجُلِ الَّذِي يَخْرُجُ بِهِ مِنْ حَدِّ الصَّبَا وَشَبَّ بِهِ النَّسَاءُ وَإِنْ كَانَتْ أُنْثَى يَبْقَى وَجْهَهَا نَقِيًّا مِنَ الشَّعْرِ لِتَبْقَى لَهَا الْبَهْجَةُ وَالنَّصَارَةُ الَّتِي تُحَرِّكُ الرَّجَالَ لِمَا فِيهِ دَوَامُ النَّسْلِ وَ بَقَاؤُهُ.

ص: 62

1- الذى وصف عليه السلام به هذا الدليل هو أنه أول الأدلة أى أقرب الأدلة منا إذا أردنا التفهم بالاستدلال، وأما كونه أقواها كما ذكره رحمه الله فلعل هناك ما هو أقوى منه وإن كان أبعد من أفهامنا كما بين فى محله. ط.

بيان: الأديم الجلد و الطلق و جمع الولادة و يقال أزعجه أى قلعه عن مكانه و يقال تلمظ إذا أخرج لسانه فمسح به شفثيه و تلمظت الحية إذا أخرجت لسانها كتلمظت الأكل و الإداوة بالكسر إناء صغير من جلد يتخذ للماء و الطواحن الأضراس و يطلق الأضراس غالباً على المآخير و الأسنان على المقاديم كما هو الظاهر هنا و إن لم يفرق اللغويون بينهما و المراد بالطواحن هنا جميع الأسنان و الإساعة الأكل و الشرب بسهولة.

اعتَبِرْ يَا مُفَضَّلُ فِيمَا يَدَبَّرُ بِهِ الْإِنْسَانُ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ الْمُخْتَلِفَةِ هَلْ تَرَى يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ بِالْإِهْمَالِ أَفْرَأَيْتَ لَوْ لَمْ يَجْرِ إِلَيْهِ ذَلِكَ الدَّمُ وَ هُوَ فِي الرَّحِمِ أَلَمْ يَكُنْ سَ يَدْوِي وَ يَحِفُّ كَمَا يَحِفُّ النَّبَاتُ إِذَا فَقَدَ الْمَاءَ وَ لَوْ لَمْ يُرْعِجْهُ الْمَخَاضُ (1) عِنْدَ اسْتِحْكَامِهِ أَلَمْ يَكُنْ سَيَبْقَى فِي الرَّحِمِ كَالْمَوْودِ فِي الْأَرْضِ وَ لَوْ لَمْ يُوَافِقْهُ اللَّبَنُ مَعَ وِلَادَتِهِ أَلَمْ يَكُنْ سَ يَمُوتُ جُوعاً أَوْ يَغْتَدِي بِغِذَاءٍ لَا يَلَابِئُهُ وَ لَا يَصْدَلُحُ عَلَيْهِ بَدَنُهُ وَ لَوْ لَمْ تَطْلُعْ عَلَيْهِ الْأَسْنَانُ فِي وَفْتِهَا أَلَمْ يَكُنْ سَيَمْتَنِعُ عَلَيْهِ مَضْغُ الطَّعَامِ وَ إِسَاعَتُهُ أَوْ يَقِيمُهُ عَلَى الرِّضَاعِ فَلَا يَشُدُّ بَدَنُهُ وَ لَا يَصْلُحُ لِعَمَلٍ ثُمَّ كَانَ تَشْتِغِلُ أُمُّهُ بِنَفْسِهِ عَنِ تَرْبِيَةِ غَيْرِهِ مِنَ الْأَوْلَادِ وَ لَوْ لَمْ يَخْرُجِ الشَّعْرُ فِي وَجْهِهِ فِي وَفْتِهِ أَلَمْ يَكُنْ سَ يَبْقَى فِي هَيْئَةِ الصَّبِيَانِ وَ النَّسَاءِ فَلَا تَرَى لَهُ جَلَالََةً وَ لَا وَقَاراً فَقَالَ الْمُفَضَّلُ فَقُلْتُ يَا مَوْلَايَ فَقَدْ رَأَيْتُ مَنْ يَبْقَى عَلَى حَالَتِهِ وَ لَا يَنْبُتُ الشَّعْرُ فِي وَجْهِهِ وَ إِن بَلَغَ حَالَ الْكِبَرِ فَقَالَ ذَلِكَ بِمَا قَدَمْتُ أَيْدِيهِمْ وَ إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ فَمَنْ هَذَا الَّذِي يَرُصُّهُ حَتَّى يُوَافِقَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْمَارِبِ إِلَّا الَّذِي أَنْشَأَهُ خَلْقاً بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ ثُمَّ تَوَكَّلَ لَهُ بِمَصِّ لِحْتِهِ بَعْدَ أَنْ كَانَ فَإِنْ كَانَ الْإِهْمَالُ يَأْتِي بِمِثْلِ هَذَا التَّدْبِيرِ فَقَدْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْعَمْدُ وَ التَّقْدِيرُ يَأْتِيَانِ بِالْخَطِإِ وَ الْمُحَالِ لِأَنَّهُمَا ضِدُّ الْإِهْمَالِ وَ هَذَا فَطِيعٌ (2) مِنَ الْقَوْلِ وَ جَهْلٌ مِنْ قَاتِلِهِ لِأَنَّ الْإِهْمَالَ لَا يَأْتِي بِالصَّوَابِ وَ التَّضَادُّ لَا يَأْتِي بِالنِّظَامِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الْمُؤَلِّحُونَ عُلُوًّا كَبِيراً وَ لَوْ كَانَ الْمُؤَلِّدُ يُؤَلِّدُ فَهَمَّا عَاقِلًا لِأَنَّكَ الْعَالَمَ عِنْدَ وِلَادَتِهِ وَ لَبَقِيَ حَيْرَانَ تَائِهَ الْعَقْلِ (3) إِذَا رَأَى مَا لَمْ يَعْرِفْ وَ وَرَدَ عَلَيْهِ

ص: 63

1- المخاض: و جمع الولادة و هو الطلق.

2- فظع الامر: اشتدت شناعته و جاوز المقدار فى ذلك.

3- أى ضائع العقل.

مَا لَمْ يَرِ مِثْلَهُ مِنْ اِخْتِلَافِ صُورِ الْعَالَمِ مِنَ الْبَهَائِمِ وَالطَّيْرِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُشَاهِدُهُ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ وَيَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ بِأَنَّ مَنْ سُبِيَ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ وَهُوَ عَاقِلٌ يَكُونُ كَالْوَالِدِ الْحَيْرَانَ فَلَا يُسْرِعُ فِي تَعَلُّمِ الْكَلَامِ وَقَبُولِ الْأَدَبِ كَمَا يُسْرِعُ الَّذِي يُسَبَى صَغِيرًا غَيْرَ عَاقِلٍ ثُمَّ لَوْ وُلِدَ عَاقِلًا كَانَ يَجِدُ غَضَاضَةً إِذَا رَأَى نَفْسَهُ مَحْمُولًا مُرَضًّا عَا مَعْصَبًا بِالْخِرْقِ مُسَجَّى فِي الْمَهْدِ لِأَنَّهُ لَا يَسْتَعْنِي عَنْ هَذَا كُلِّهِ لِرِقَّةِ بَدَنِهِ وَرُطُوبَتِهِ حِينَ يُوَلَّدُ ثُمَّ كَانَ لَا يُوجَدُ لَهُ مِنَ الْحَلَاوَةِ وَالْوَقْعِ مِنَ الْقُلُوبِ مَا يُوجَدُ لِلطِّفْلِ فَصَارَ يَخْرُجُ إِلَى الدُّنْيَا غَيْبًا غَافِلًا عَمَّا فِيهِ أَهْلُهُ فَيَلْقَى الْأَشْيَاءَ بِذَهْنٍ ضَعِيفٍ وَمَعْرِفَةٍ نَاقِصَةٍ ثُمَّ لَا يَزَالُ يَتَزَايَدُ فِي الْمَعْرِفَةِ قَلِيلًا قَلِيلًا وَشَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ وَحَالًا بَعْدَ حَالٍ حَتَّى يَأْلَفَ الْأَشْيَاءَ وَيَتَمَرَّنَ (1) وَيَسْتَمِرَّ عَلَيْهَا فَيَخْرُجُ مِنْ حُدِّ التَّمَلُّكِ لَهَا وَالْحَيْرَةِ فِيهَا إِلَى التَّصَرُّفِ وَالِاضْطِرَابِ إِلَى الْمَعَاشِ بِعَقْلِهِ وَحِيلَتِهِ وَإِلَى الْإِعْتِبَارِ وَالطَّاعَةِ وَالسَّهْوِ وَالْعَفْلَةِ وَالْمَعْصِيَةِ وَفِي هَذَا أَيْضًا وَجْهُ أُخَرَ فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ يُوَلَّدُ تَامَ الْعَقْلِ مُسْتَقِلًّا بِنَفْسِهِ لَذَهَبَ مَوْضِعَ حَلَاوَةِ تَرْبِيَةِ الْأَوْلَادِ وَمَا قُدِّرَ أَنْ يَكُونَ لِلْوَالِدِينَ فِي الْإِسْتِغَالِ بِالْوَلَدِ مِنَ الْمَصْلَحَةِ وَمَا يُوجِبُ تَرْبِيَةَ لِأَبَاءٍ عَلَى الْأَبْنَاءِ مِنَ الْمُكَلَّفَاتِ (2) بِالْبُرِّ وَالْعَطْفِ عَلَيْهِمْ عِنْدَ حَاجَتِهِمْ إِلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ ثُمَّ كَمَا أَنَّ الْأَوْلَادَ لَا يَأْلَفُونَ آبَاءَهُمْ وَلَا يَأْلَفُ الْآبَاءُ أَبْنَاءَهُمْ لِأَنَّ الْأَوْلَادَ كَانُوا يَسْتَتَعْنُونَ عَنْ تَرْبِيَةِ الْآبَاءِ وَحَيَاتِهِمْ (3) فَيَتَفَرَّقُونَ عَنْهُمْ حِينَ يُوَلَّدُونَ فَلَا يَعْرِفُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَلَا يَمْتَنِعُ مِنْ نِكَاحِ أُمَّهِ وَأُخْتِهِ وَذَوَاتِ الْمَحَارِمِ مِنْهُ إِذَا كَانَ لَا يَعْرِفُهُنَّ وَأَقْلُ مَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْقَبَاحَةِ بَلْ هُوَ أَشَدُّ نَعْوًا وَأَعْظَمُ وَأَفْظَعُ وَأَقْبَحُ وَأَبْشَعُ لَوْ خَرَجَ الْمُؤَلَّدُ مِنْ بَطْنِ أُمَّهِ وَهُوَ يَعْقِلُ أَنْ يَرَى مِنْهَا مَا لَا يَحِلُّ لَهُ وَلَا يُحْسِنُ بِهِ أَنْ يَرَاهُ أَفَلَا تَرَى كَيْفَ أُقِيمُ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْخَلْقَةِ عَلَى غَايَةِ الصَّوَابِ وَخَلَا مِنَ الْخَطَا دَقِيقُهُ وَجَلِيلُهُ.

بيان: أفريت أى أخبرنى قال الزمخشرى لما كانت مشاهدة الأشياء ورؤيتها طريقا إلى الإحاطة بها علما وصحة الخبر عنها استعملوا رأيت بمعنى أخبر انتهى ويقال ذوى العود أى يبس و الموءود الذى دفن فى الأرض حيا كما كان المشركون

ص: 64

- 1- أى يتعود ويتدرب.
- 2- وفى نسخة: من المكافاة.
- 3- أى حفظهم وتعهدهم.

يفعلون في الجاهلية بناتهم قوله عليه السلام: أو يقيمه أى عدم طلوع الأسنان قوله عليه السلام: ذلك بما قدمت أيديهم يحتمل أن يكون هذا لتعذيب الآباء وإن كان الأولاد يؤجرون لقباحة منظرهم أو للأولاد لما كان في علمه تعالى صدورهم عنهم باختيارهم ويرصده أى يرقبه قوله عليه السلام: فإن كان الإهمال أى إذا لم يكن الأشياء منوطة بأسبابها ولم ترتبط الأمور بعلمها فكما جاز أن يحصل هذا الترتيب والنظام التام بلا سبب فجاز أن يصير التدبير في الأمور سبباً لاختلالها وهذا خلاف ما يحكم به عقول كافة الخلق لما نرى من سعيهم في تدبير الأمور و ذمهم من يأتي بها على غير تأمل وروية ويحتمل أن يكون المراد أن الوجدان يحكم بتضاد آثار الأمور المتضادة وربما أمكن إقامة البرهان عليه أيضا فإذا أتى الإهمال بالصواب يجب أن يأتي ضده وهو التدبير بالخطأ وهذا أقطع وأشنع والمراد بالمحال الأمر الباطل الذى لم يأت على وجهه الذى ينبغى أن يكون عليه قال الفيروزآبادى المحال من الكلام بالضم ما عدل عن وجهه انتهى والته الضلال والحيرة والغضاضة بالفتح الذلة والمنقصة وقوله عليه السلام: معصبا أى مشدودا والتسجية التغطية بثوب يمد عليه والغبي على فعيل قليل الفطنة والاعتبار من العبرة وذكر في مقابله السهو والغفلة وقوله ما قدر وما يوجب كلاهما معطوفان على موضع وقوله من المكلفات بيان لما يوجب أى لذهب التكاليف المتعلقة بالأولاد بأن يبروا آباءهم ويعطفوا عليهم عند حاجة الآباء إلى تربيتهم وإعانتهم لكبرهم وضعفهم جزاء لما قاسوا من الشدائد في تربيتهم قوله أن يرى خبر لقوله أقل ما فى ذلك.

اعْرِفْ يَا مُفَضَّلُ مَا لِلْأَطْفَالِ فِي الْبُكَاءِ مِنَ الْمُنْفَعَةِ وَاعْلَمْ أَنَّ فِي أَدْمِغَةِ الْأَطْفَالِ رُطُوبَةً إِنَّ بَقِيَّتَ فِيهَا أَحَدَثَتْ عَلَيْهِمْ أَحْدَاثًا جَلِيلَةً وَعِلَلًا عَظِيمَةً مِنْ ذَهَابِ الْبَصَرِ وَغَيْرِهِ فَالْبُكَاءُ يُسِيلُ تِلْكَ الرُّطُوبَةَ مِنْ رُءُوسِهِمْ فَيَعْقِبُهُمْ ذَلِكَ الصِّحَّةَ فِي أَبْدَانِهِمْ وَالسَّلَامَةَ فِي أَبْصَارِهِمْ أَفَلَيْسَ قَدْ جَازَ أَنْ يَكُونَ الطُّفْلُ يَنْتَفِعُ بِالْبُكَاءِ وَالِدَاهُ لَا يَعْرِفَانِ ذَلِكَ فَهُمَا دَائِبَانِ لَيْسَ كِتَابُهُ وَتَوَخَّيَانِ فِي الْأُمُورِ مَرَضَاتَهُ لِئَلَّا يَبْكِيَ وَهُمَا لَا يَعْلَمَانِ أَنَّ الْبُكَاءَ أَصْلَحُ لَهُ وَأَجْمَلُ عَاقِبَةٌ فَهَكَذَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَنَافِعٌ لَا يَعْرِفُهَا الْقَائِلُونَ



بِإِلْهَامِهِ أَلٍ وَ لَوْ عَرَفُوا ذَلِكَ لَمْ يَقْضُوا عَلَى الشَّيْءِ أَنَّهُ لَا مَنَفَعَةَ فِيهِ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَهُ وَلَا يَعْلَمُونَ السَّبَبَ فِيهِ فَإِنْ كَلَّ مَا لَا يَعْرِفُهُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَعْلَمُهُ الْعَارِفُونَ (1) وَ كَثِيرٌ مِمَّا يَقْصُرُ عَنْهُ عِلْمُ الْمَخْلُوقِينَ مُحِيطٌ بِهِ عِلْمُ الْخَالِقِ جَلَّ قُدْسُهُ وَ عَلَتْ كَلِمَتُهُ فَأَمَّا مَا يَسِيلُ مِنْ أَفْوَاهِ الْأَطْفَالِ مِنَ الرِّيْقِ فَفِي ذَلِكَ خُرُوجُ الرُّطُوبَةِ الَّتِي لَوْ بَقِيَتْ فِي أَرْبَابِهِمْ لَأَحْدَثَتْ عَلَيْهِمُ الْأُمُورَ الْعَظِيمَةَ كَمَا تَرَاهُ قَدْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الرُّطُوبَةُ فَأَخْرَجَتْهُ إِلَى حَدِّ الْبَلَهِ (2) وَ الْجُنُونِ وَ التَّخْلِيطِ (3) لِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَمْرَاضِ الْمُخْتَلِفَةِ كَالْفَالِجِ وَ اللَّقْوَةِ (4) وَ مَا أَشَبَّهُهُمَا فَجَعَلَ اللَّهُ تِلْكَ الرُّطُوبَةَ تَسِيلُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ فِي صِدْرِهِمْ لِمَا لَهُمْ فِي ذَلِكَ مِنَ الصَّحَّةِ فِي كِبَرِهِمْ فَتَفْضَلُ عَلَى خَلْقِهِ بِمَا جَهَلُوهُ وَ نَظَرَ لَهُمْ بِمَا لَمْ يَعْرِفُوهُ وَ لَوْ عَرَفُوا نِعْمَةَ عَلَيْهِمْ لَشَغَلَهُمْ ذَلِكَ عَنِ التَّمَادِي فِي مَعْصِيَتِهِ فَسُبْحَانَهُ مَا أَجَلَ نِعْمَتَهُ وَ أَسْبَغَهَا عَلَى الْمُسْتَحِقِّينَ وَ غَيْرِهِمْ مِنْ خَلْقِهِ وَ تَعَالَى عَمَّا يَقُولُ الْمُبْطِلُونَ عُلوًّا كَبِيرًا.

بيان: الدءوب: الجدد و التعب. و التوحى: التحرى و القصد. و قوله عليه السلام: كل ما لا يعرفه أى مما لا يقصر عنه علم المخلوقين و يقال أبطل أى جاء بالباطل.

انظُرِ الْآنَ يَا مُفْضِلٌ كَيْفَ جُعِلَتْ آيَاتُ الْجَمَاعِ فِي الذِّكْرِ وَ الْأُنْثَى جَمِيعًا عَلَى مَا يُشَاكِلُ ذَلِكَ فَجُعِلَ لِلذِّكْرِ آلَةٌ نَاشِئَةٌ (5) تَمْتَدُّ حَتَّى تَصِلَ النُّطْفَةُ إِلَى الرَّجْمِ إِذْ كَانَ مُحْتَاجًا إِلَى أَنْ يَقْذِفَ مَاءَهُ فِي غَيْرِهِ وَ خُلِقَ لِلْأُنْثَى وَعَاءٌ قَعْرٌ لَيْسَتْ تَمَلَّ عَلَى الْمَاءِ مِنْ جَمِيعًا وَ يَحْتَمِلُ الْوَلَدَ وَ يَتَّسِعُ لَهُ وَ يَصُونُهُ حَتَّى يَسْتَحْكِمَ أَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ تَدْبِيرِ حَكِيمٍ لَطِيفٍ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ.

بيان: المشاكلة: المشابهة و المناسبة، و اسم الإشارة راجع إلى ما مضى من التدبير فى الخلق و يحتمل إرجاعه إلى الجماع.

ص: 66

1- و فى نسخة: يعرفه العارفون.

2- أى ضعف العقل و عجز الرأى.

3- أى اضطراب العقل و اختلاله.

4- اللقوة: علة ينجذب لها شق الوجه إلى جهة غير طبيعية، فيخرج النفخة و البرقة من جانب واحد، و لا يحسن التقاء الشفتين، و لا ينطبق احدى العينين.

5- أى رافعة. و فى نسخة ناشئة.

فَكَرَّ يَا مُفَضَّلُ فِي أَعْضَاءِ الْبَدَنِ أَجْمَعِ وَتَدْبِيرِ كُلِّ مِنْهَا لِلإِزْبِ فَالْيَدَانِ لِلْعِلَاجِ وَالرَّجْلَانِ لِلإِهْتِدَاءِ وَالْفَمُّ لِلإِعْتِدَاءِ وَالْمَعِدَةُ لِلهَضْمِ وَالْكَبِدُ لِلتَّخْلِيصِ (1) وَالْمَنَافِذُ لِتَنْفِيذِ الْفُضُولِ (2) وَالْأَوْعِيَةُ لِحَمْلِهَا وَالْفَرْجُ لِإِقَامَةِ النَّسْلِ وَكَذَلِكَ جَمِيعُ الْأَعْضَاءِ إِذَا تَأَمَّلْتَهَا وَأَعْمَلْتَ فِكْرَكَ فِيهَا وَنَظَرْتَ وَجَدْتَ كُلَّ شَيْءٍ مِنْهَا قَدْ قَدَّرَ لِشَيْءٍ عَلَى صَوَابٍ وَحِكْمَةٍ قَالَ الْمُفَضَّلُ فَقُلْتُ يَا مَوْلَايَ إِنَّ قَوْمًا يَزْعُمُونَ أَنَّ هَذَا مِنْ فِعْلِ الطَّبِيعَةِ فَقَالَ سَلْهُمْ عَنْ هَذِهِ الطَّبِيعَةِ أَهِيَ شَيْءٌ لَهُ عِلْمٌ وَقُدْرَةٌ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْأَفْعَالِ أَمْ لَيْسَتْ كَذَلِكَ فَإِنْ أَوْجَبُوا لَهَا الْعِلْمَ وَالْقُدْرَةَ فَمَا يَمْنَعُهُمْ مِنْ إِثْبَاتِ الْخَالِقِ فَإِنَّ هَذِهِ صَدَّ نَعْتُهُ وَإِنْ زَعَمُوا أَنَّهَا تَفْعَلُ هَذِهِ الْأَفْعَالَ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا عَمْدٍ وَكَانَ فِي أَفْعَالِهَا مَا قَدْ تَرَاهُ مِنَ الصَّوَابِ وَالْحِكْمَةِ عُلِمَ أَنَّ هَذَا الْفِعْلَ لِلْخَالِقِ الْحَكِيمِ وَأَنَّ الَّذِي سَمَّوْهُ طَبِيعَةً هُوَ سُنَّةٌ فِي خَلْقِهِ الْجَارِيَةُ عَلَى مَا أَجْرَاهَا عَلَيْهِ.

إيضاح: قوله عليه السلام: فما يمنعهم لعل المراد أنهم إذا قالوا بذلك فقد أثبتوا الصانع فلم يسمونه بالطبيعة و هي ليست بذات علم وإرادة و قدرة قوله عليه السلام: علم أن هذا الفعل أى ظاهر بطلان هذا الزعم و الذى صار سببا لذهولهم أن الله تعالى أجرى عادته بأن يخلق الأشياء بأسبابها فذهبوا إلى استقلال تلك الأسباب فى ذلك و بعبارة أخرى إن سنة الله و عادته قد جرت لحكم كثيرة أن تكون الأشياء بحسب بادئ النظر مستندة إلى غيره تعالى ثم يعلم بعد الاعتبار و التفكير أن الكل مستند إلى قدرته و تأثيره تعالى و إنما هذه الأشياء وسائل و شرائط لذلك فلذا تحيروا فى الصانع تعالى فالضمير المنصوب فى قوله أجراها راجع إلى السنة و ضمير عليه راجع إلى الموصول.

فَكَرَّ يَا مُفَضَّلُ فِي وُصُولِ الْغِذَاءِ إِلَى الْبَدَنِ وَ مَا فِيهِ مِنَ التَّدْبِيرِ فَإِنَّ الطَّعَامَ يَصِيرُ

ص: 67

- 
- 1- التخليص: التصفية و التمييز عن غيره، و ذلك لان الكبد يحيل الكيلوس الى الخلط، و يصفى الاخلاط كل واحد عن الآخر، و ينفذها الى البدن، كلها فى مجارى مهياة له.
- 2- أى لاخراج الفضول.

إِلَى الْمَعْدَةِ فَتَطْبُحُهُ وَتَبْعَثُ بِصَدْفِهِ إِلَى الْكَبِدِ فِي عُرُوقِ رَفَاقٍ وَاشْجَاةٍ بَيْنَهَا قَدْ جُعِلَتْ كَالْمَصَفَى لِلْغِذَاءِ لِكَيْلَا يَصِلَ إِلَى الْكَبِدِ مِنْهُ شَيْءٌ  
فَيْنَكَّأَهَا وَذَلِكَ أَنَّ الْكَبِدَ رَقِيقَةٌ لَا تَحْتَمِلُ الْعُنْفَ ثُمَّ إِنَّ الْكَبِدَ تَقَبَّلَهُ فَيَسَّ تَحِيلٌ بِلُطْفِ التَّدْبِيرِ دَمًا وَيُنْفَذُ إِلَى الْبَدَنِ كُلَّهُ فِي مَجَارِي مَهْيَأَةٍ لِذَلِكَ  
بِمَنْزِلَةِ الْمَجَارِي الَّتِي تَهَيِّأُ لِلْمَاءِ حَتَّى يَطْرُدَ فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا وَيُنْفَذُ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ مِنَ الْخَبَثِ وَالْفُضُولِ إِلَى مَفَايِصَ قَدْ أُعِدَّتْ لِذَلِكَ فَمَا كَانَ  
مِنْهُ مِنْ جِنْسِ الْمِرَّةِ الصَّفْرَاءِ جَرَى إِلَى الْمِرَاةِ وَمَا كَانَ مِنْ جِنْسِ السَّوْدَاءِ جَرَى إِلَى الطَّحَالِ وَمَا كَانَ مِنَ الْبِلَّةِ وَالرُّطُوبَةِ جَرَى إِلَى الْمَثَانَةِ  
فَتَأْمَلُ حِكْمَةَ التَّدْبِيرِ فِي تَرْكِيبِ الْبَدَنِ وَوَضْعِ هَذِهِ الْأَعْضَاءِ مِنْهُ مَوَاضِعَهَا وَإِعْدَادِ هَذِهِ الْأَوْعِيَةِ فِيهِ لِتَحْمِيلِ تِلْكَ الْفُضُولِ لِنَلَا تَنْتَشِرَ فِي الْبَدَنِ  
فَتَسْقِمُهُ وَتَنْهَكُهُ فَتَبَارَكَ مَنْ أَحْسَنَ التَّدْبِيرَ وَأَحْكَمَ التَّدْبِيرَ وَلَهُ الْحَمْدُ كَمَا هُوَ أَهْلُهُ وَمَسَّ تَحِقُّهُ قَالَ الْمُفَضَّلُ فَقُلْتُ صِفْ نُشُوءَ (1) الْأَبْدَانِ وَ  
نُمُوهَا حَالًا بَعْدَ حَالٍ حَتَّى تَبْلُغَ التَّمَامَ وَالْكَمَالَ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوَّلُ ذَلِكَ تَصْوِيرُ الْجَنِينِ فِي الرَّحِمِ حَيْثُ لَا تَرَاهُ عَيْنٌ وَلَا تَنَالُهُ يَدٌ وَيُدْبِرُهُ  
حَتَّى يَخْرُجَ سَوِيًّا مَسَّ تَوْفِيًّا جَمِيعَ مَا فِيهِ قَوَامُهُ وَصَلَاحُهُ مِنَ الْأَحْشَاءِ وَالْجَوَارِحِ وَالْعَوَامِلِ إِلَى مَا فِي تَرْكِيبِ أَعْضَائِهِ مِنَ الْعِظَامِ وَاللَّحْمِ وَ  
الشَّحْمِ وَالْمُخِّ وَالْعَصَبِ وَالْعُرُوقِ وَالْغَضَارِيفِ فَإِذَا خَرَجَ إِلَى الْعَالَمِ تَرَاهُ كَيْفَ يَنْمَى بِجَمِيعِ أَعْضَائِهِ وَهُوَ ثَابِتٌ عَلَى سُكُلٍ وَهَيْئَةٍ لَا تَتَزَايَدُ  
وَلَا تَنْقُصُ إِلَى أَنْ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ إِنْ مُدَّ فِي عُمُرِهِ أَوْ يَسَّ تَوْفَى مُدَّتَهُ قَبْلَ ذَلِكَ هَلْ هَذَا إِلَّا مِنْ لَطِيفِ التَّدْبِيرِ وَالْحِكْمَةِ يَا مُفَضَّلُ انْظُرْ إِلَى مَا خُصَّ  
بِهِ الْإِنْسَانُ فِي خَلْقِهِ تَشْرِيفًا وَتَقْضِيًّا عَلَى الْبَهَائِمِ فَإِنَّهُ خُلِقَ يَنْتَصِبُ قَائِمًا وَيَسْتَوِي جَالِسًا لِيَسْتَقْبَلَ الْأَشْيَاءَ بِيَدَيْهِ وَجَوَارِحِهِ وَيُمْكِنُهُ الْعِلَاجُ  
وَالْعَمَلُ بِهِمَا فَلَوْ كَانَ مَكْبُوبًا عَلَى وَجْهِهِ كَذَاتِ الْأَرْبَعِ لَمَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَعْمَلَ شَيْئًا مِنَ الْأَعْمَالِ.

ص: 68

1- بالنون المفتوحة والشين الساكنة ثم الهمزة. أو بالنون والشين المضمومتين والواو الساكنة ثم الهمزة.

بيان: قال الفيروزآبادى وشجت العروق والأغصان اشتبكت وقال نكأ القرحة كمنع قشرها قبل أن تبرأ فنديت انتهى والمفايض فى بعض النسخ بالفاء أى مجارى من فاض الماء وفى بعضها بالغين من غاض الماء غيضا أى نصب (1) وذهب فى الأرض والمغيض المكان الذى يغيض فيه وإلى فى قوله إلى ما فى تركيب بمعنى مع وقال الفيروزآبادى الغضروف كل عظم رخو يؤكل وهو مارن الأنف (2) وبعض الكتف وروس الأضلاع ورهابة الصدر وداخل فوق الأذن انتهى وقوله تتزايد ولا تنقص أى النسبة بين الأعضاء وبلوغ الأشد وهو القوة أن يكتهل ويستوفى السن الذى يستحكم فيها قوته وعقله وتميزه.

انظُرِ الْآنَ يَا مُفَضَّلُ إِلَى هَذِهِ الْحَوَاسِّ الَّتِي خُصَّ بِهَا الْإِنْسَانُ فِي خَلْقِهِ وَشُرِّفَ بِهَا عَلَى غَيْرِهِ كَيْفَ جُعِلَتِ الْعَيْنَانِ فِي الرَّأْسِ كَالْمَصَابِيحِ فَوْقَ الْمَنَارَةِ لِيَتِمَّ كَنْ مِنْ مُطَالَعَةِ الْأَشْيَاءِ وَ لَمْ تُجْعَلْ فِي الْأَعْضَاءِ الَّتِي تَحْتَهُنَّ كَالْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ فَتَعْرِضَهَا الْأَفَاتِ وَ تُصِيبَهَا مِنْ مُبَاشَرَةِ الْعَمَلِ وَ الْحَرَكَةِ مَا يُعَلِّلُهَا وَ يُؤْتِرُ فِيهَا وَ يَنْقُصُ مِنْهَا وَ لَا فِي الْأَعْضَاءِ الَّتِي وَسَطَ الْبَدَنِ كَالْبَطْنِ وَ الظَّهْرِ فَيَعْسَدُ رَ تَعَلُّبُهَا وَ أَطْلَاعُهَا نَحْوَ الْأَشْيَاءِ فَلَمَّا لَمْ يَكُنْ لَهَا فِي شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأَعْضَاءِ مَوْضِعٌ كَانَ الرَّأْسُ أَسْنَى الْمَوَاضِعِ لِلْحَوَاسِّ وَ هُوَ بِمَنْزِلَةِ الصَّوْمَعَةِ لَهَا فَجُعِلَ الْحَوَاسُّ خَمْسًا تَلْقَى خَمْسًا لَكِنِّي لَا يَفُوتُهَا شَيْءٌ مِنَ الْمَحْسُوسَاتِ فَخُلِقَ الْبَصَرُ لِيُدْرِكَ الْأَلْوَانَ فَلَوْ كَانَتْ الْأَلْوَانُ وَ لَمْ يَكُنْ بَصَرٌ يُدْرِكُهَا لَمْ يَكُنْ مَنَفَعَةٌ فِيهَا وَ خُلِقَ السَّمْعُ لِيُدْرِكَ الْأَصْوَاتَ فَلَوْ كَانَتْ الْأَصْوَاتُ وَ لَمْ يَكُنْ سَمْعٌ يُدْرِكُهَا لَمْ يَكُنْ فِيهَا إِزْبٌ (3) وَ كَذَلِكَ سَائِرُ الْحَوَاسِّ ثُمَّ هَذَا يَرْجِعُ مُتَكَافِئًا فَلَوْ كَانَ بَصَرٌ وَ لَمْ يَكُنْ الْأَلْوَانُ لَمَا كَانَ لِلْبَصَرِ مَعْنَى وَ لَوْ كَانَ سَمْعٌ وَ لَمْ يَكُنْ أَصْوَاتٌ لَمْ يَكُنْ لِلْسَّمْعِ مَوْضِعٌ فَانظُرْ كَيْفَ قَدَّرَ بَعْضَهَا يَلْقَى بَعْضًا فَجَعَلَ لِكُلِّ حَاسَّةٍ مَحْسُوسًا يَعْمَلُ فِيهِ وَ لِكُلِّ مَحْسُوسٍ حَاسَّةً تُدْرِكُهُ وَ مَعَ هَذَا فَقَدْ جُعِلَتْ أَشْيَاءٌ مُتَوَسِّطَةٌ بَيْنَ الْحَوَاسِّ وَ الْمَحْسُوسَاتِ لَا يَتِمُّ الْحَوَاسُّ إِلَّا بِهَا كَمَثَلِ الضِّيَاءِ وَ الْهَوَاءِ فَإِنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ ضِيَاءٌ يُظْهِرُ اللَّوْنَ لِلْبَصَرِ لَمْ يَكُنْ الْبَصَرُ يُدْرِكُ اللَّوْنَ

ص: 69

1- أى جرى و سال. غار فى الأرض.

2- أى طرف الانف، أو ما لان من طرفه.

3- الارب: الحاجة.

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ هَوَاءٌ يُؤَدِّي الصَّوْتِ إِلَى السَّمْعِ لَمْ يَكُنِ السَّمْعُ يُدْرِكُ الصَّوْتَ فَهَلْ يَخْفَى عَلَى مَنْ صَحَّ نَظْرُهُ وَأَعْمَلَ فِكْرُهُ أَنْ مِثْلَ هَذَا الَّذِي وَصَفْتُ مِنْ تَهَيِّتَةِ الْحَوَاسِّ وَالْمَحْسُوسَاتِ بَعْضُهَا يَلْقَى بَعْضًا وَتَهَيِّتَةِ أَشْيَاءٍ أُخْرَ بِهَا تَبْتَمُّ الْحَوَاسُّ لَا يَكُونُ إِلَّا بِعَمْدٍ وَتَقْدِيرٍ مِنْ لَطِيفِ خَبِيرٍ.

بيان: قوله عليه السلام: بعضها يلقي بعضها حال أو صفة بتأويل أو تقدير.

فَكَرَّ يَا مُفَضَّلُ فِيمَنْ عَدِمَ الْبَصَرَ مِنَ النَّاسِ وَمَا يَنَالُهُ مِنَ الْخَلَلِ فِي أُمُورِهِ فَإِنَّهُ لَا يَعْرِفُ مَوْضِعَ قَدَمِهِ وَلَا يُبْصِرُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَفْرُقُ بَيْنَ الْأَلْوَانِ وَبَيْنَ الْمُنْظَرِ الْحَسَنِ وَالْقَبِيحِ وَلَا يَرَى حُمْرَةً إِنْ هَجَمَ عَلَيْهَا (1) وَلَا عَدُوًّا إِنْ أَهْوَى إِلَيْهِ بِسَيْفٍ وَلَا يَكُونُ لَهُ سَبِيلٌ إِلَى أَنْ يَعْمَلَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الصَّنَاعَاتِ مِثْلَ الْكِتَابَةِ وَالتَّجَارَةِ وَالصِّيَاغَةِ حَتَّى إِنَّهُ لَوْ لَا نَفَاذُ ذَهَبِهِ لَكَانَ بِمَنْزِلَةِ الْحَجَرِ الْمُلَقَى وَكَذَلِكَ مَنْ عَدِمَ السَّمْعَ يَخْتَلُّ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ فَإِنَّهُ يَفْقِدُ رُوحَ الْمُخَاطَبَةِ وَالمَحَاوَرَةِ وَيَعْدَمُ لَذَّةَ الْأَصْوَاتِ وَاللُّحُونَ الشَّجِيَّةَ [وَ] الْمُطْرِبَةَ وَيُعْظِمُ الْمُتُونَةَ عَلَى النَّاسِ فِي مُحَاوَرَتِهِ حَتَّى يَتَبَرَّمُوا بِهِ (2) وَلَا يَسْمَعُ شَيْئًا مِنْ أَخْبَارِ النَّاسِ وَأَحَادِيثِهِمْ حَتَّى يَكُونَ كَالْغَائِبِ وَهُوَ شَاهِدٌ أَوْ كَالْمَيِّتِ وَهُوَ حَيٌّ فَأَمَّا مَنْ عَدِمَ الْعَقْلَ فَإِنَّهُ يُلْحَقُ بِمَنْزِلَةِ الْبَهَائِمِ بَلْ يَجْهَلُ كَثِيرًا مِمَّا يَهْتَدِي إِلَيْهِ الْبَهَائِمُ أَفَلَا تَرَى كَيْفَ صَارَتِ الْجَوَارِحُ وَالْعَقْلُ وَسَائِرُ الْخِلَالِ (3) الَّتِي بِهَا صَلَاحُ الْإِنْسَانِ وَالَّتِي لَوْ فَقَدَ مِنْهَا شَيْئًا لَعُظِمَ مَا يَنَالُهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْخَلَلِ يُوفَى خِلْقَةً عَلَى التَّمَامِ حَتَّى لَا يَفْقِدَ شَيْئًا مِنْهَا فَلِمَ كَانَ كَذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّهُ خُلِقَ بِعِلْمٍ وَتَقْدِيرٍ (4).

بيان: روح المخاطبة بالفتح أى راحتها ولذتها والشجو الحزن ولا يتوهم جواز الاستدلال به على عدم حرمة الغناء مطلقا لاحتمال أن يكون المراد الأفراد المحللة منها كما ذكرها الأصحاب وسيأتى ذكرها فى بابها أو يكون فائدة إدراك تلك اللذة عظم الثواب فى تركها لوجهه تعالى وقوله عليه السلام: يوفى خلقه خبر صارت.

قَالَ الْمُفَضَّلُ فَقُلْتُ فَلِمَ صَارَ بَعْضُ النَّاسِ يَفْقِدُ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْجَوَارِحِ فَيَنَالُهُ فِي

ص: 70

1- أى انتهى إليها بغتة على غفلة منه.

2- أى حتى يملوا ويضجروا به.

3- جمع الخلة وهى الخصلة.

4- وفى نسخة: إلا لأنه خلق بعلم وبقدر.

ذَلِكَ مِثْلُ مَا وَصَفْتُهُ يَا مُؤَلَايَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَلِكَ لِلتَّأْيِيدِ وَالْمَوْعِظَةِ لِمَنْ يَحِلُّ ذَلِكَ بِهِ وَلِغَيْرِهِ بِسَبَبِهِ كَمَا قَدْ يُؤَدَّبُ الْمُلُوكُ النَّاسَ لِلتَّنْكِيلِ (1) وَالْمَوْعِظَةُ فَلَا يُنْكَرُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ بَلْ يُحْمَدُ مِنْ رَأْيِهِمْ وَيُصَوَّبُ مِنْ تَدْبِيرِهِمْ ثُمَّ لِلَّذِينَ يَنْزِلُ بِهِمْ هَذِهِ الْبَلَايَا مِنَ الثَّوَابِ بَعْدَ الْمَوْتِ إِنْ شَكَرُوا وَأَتَابُوا مَا يَسْتَصْغِرُونَ مَعَهُ مَا يَدَّالُهُمْ مِنْهَا حَتَّى إِتَّهَمُوا لَوْ خَيْرُوا بَعْدَ الْمَوْتِ لَأَخْتَارُوا أَنْ يَرُدُّوا إِلَى الْبَلَايَا لِيَزِدُوا مِنَ الثَّوَابِ فَكَّرَ يَا مُفَضَّلُ فِي الْأَعْضَاءِ الَّتِي خُلِقَتْ أَفْرَادًا وَأَزْوَاجًا وَمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالتَّقْدِيرِ وَالصَّوَابِ فِي التَّدْبِيرِ فَالرَّأْسُ مِمَّا خُلِقَ فَرْدًا وَلَمْ يَكُنْ لِلْإِنْسَانِ صِدَاحٌ فِي أَنْ يَكُونَ أَكْثَرَ مِنْ وَاحِدٍ أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَوْ أُضِيفَ إِلَى رَأْسِ الْإِنْسَانِ رَأْسٌ آخَرَ لَكَانَ ثِقَلًا عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَيْهِ لِأَنَّ الْحَوَاسَّ الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا مُجْتَمِعَةً فِي رَأْسٍ وَاحِدٍ ثُمَّ كَانَ الْإِنْسَانُ يُنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ لَوْ كَانَ لَهُ رَأْسَانِ فَإِنْ تَكَلَّمَ مِنْ أَحَدِهِمَا كَانَ الْآخَرَ مُعْطَلًا لَا إِزْبَ فِيهِ وَلَا حَاجَةَ إِلَيْهِ وَإِنْ تَكَلَّمَ مِنْهُمَا جَمِيعًا بِكَلَامٍ وَاحِدٍ كَانَ أَحَدُهُمَا فَضْلًا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَإِنْ تَكَلَّمَ بِأَحَدِهِمَا بِغَيْرِ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ مِنَ الْآخَرِ لَمْ يَدْرِ السَّمِيعُ بِأَيِّ ذَلِكَ يَأْخُذُ وَأَشْهَبُهُ هَذَا مِنَ الْأَخْلَاطِ وَالتَّيْدَانِ مِمَّا خُلِقَ أَزْوَاجًا وَلَمْ يَكُنْ لِلْإِنْسَانِ خَيْرٌ فِي أَنْ يَكُونَ لَهُ يَدٌ وَاحِدَةٌ لِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ يُخِلُّ بِهِ فِيمَا يَحْتَاجُ إِلَى مُعَالَجَتِهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَلَا تَرَى أَنَّ التَّجَارَ وَالتَّبَاءَ لَوْ شَلَّتْ إِحْدَى يَدَيْهِ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعَالِجَ صِنَاعَتَهُ وَإِنْ تَكَلَّفَ ذَلِكَ لَمْ يُحْكِمَهُ وَلَمْ يَبْلُغْ مِنْهُ مَا يَبْلُغُهُ إِذَا كَانَتْ لَهُ يَدَانِ يَتَعَاوَنَانِ عَلَى الْعَمَلِ أَطْلُ الْفِكْرَ يَا مُفَضَّلُ فِي الصَّوْتِ وَالكَلَامِ وَ تَهْيِئَةِ آلَاتِهِ فِي الْإِنْسَانِ فَالْحَنْجَرَةُ كَالْأَثُوبَةِ (2) لِخُرُوجِ الصَّوْتِ وَ اللِّسَانِ وَ الشَّفْتَانِ وَ الْأَسْنَانَ لِصِبَاغَةِ الْحُرُوفِ وَ النِّعْمِ أَلَا تَرَى أَنَّ مَنْ سَقَطَتْ أَسْنَانُهُ لَمْ يَقُمْ السِّينَ وَ مَنْ سَقَطَتْ شَفْتُهُ لَمْ يُصَحَّ الْفَاءُ وَ مَنْ ثَقُلَ لِسَانُهُ لَمْ يُفْصِحِ الرَّاءَ وَ أَشْبَهُهُ شَيْءٌ بِذَلِكَ الْمِزْمَارُ الْأَعْظَمُ فَالْحَنْجَرَةُ يُشْبَهُ قَصَبَةَ الْمِزْمَارِ وَ الرِّئَةُ يُشْبَهُ الرِّقَّ الَّذِي يُنْفَخُ فِيهِ لِتَدْخُلَ الرِّيحُ وَ الْعَضَّةَاتُ الَّتِي تَقْبِضُ عَلَى الرِّئَةِ لِخُرُوجِ الصَّوْتِ كَالْأَصَابِعِ الَّتِي تَقْبِضُ عَلَى الرِّقِّ حَتَّى تَجْرِيَ الرِّيحُ فِي الْمِزْمَارِ وَ الشَّفْتَانِ

ص: 71

1- نكّل به: صنع به صنيعا يحذّر غيره و يجعله عبرة له.

2- وزان أرجوزة: ما بين العقدين من القصب.

وَالْأَسْنَانُ الَّتِي تَصُوعُ الصَّوْتِ حُرُوفاً وَنُعْمَاً كَالْأَصَابِعِ الَّتِي يَخْتَلِفُ فِي فَمِ الْمِزْمَارِ فَتَصُوعُ صَوْتِهَا أَلْحَاناً غَيْرُ أَنَّهُ وَإِنْ كَانَ مَخْرَجُ الصَّوْتِ يُسَدُّ بِهِ الْمِزْمَارُ بِالذَّلَالَةِ وَالتَّعْرِيفِ فَإِنَّ الْمِزْمَارَ بِالْحَقِيقَةِ هُوَ الْمُسَدُّ بِهِ بِمَخْرَجِ الصَّوْتِ قَدْ أَنْبَأَتْكَ بِمَا فِي الْأَعْضَاءِ مِنَ الْغِنَاءِ فِي صِنْعَةِ الْكَلَامِ وَ إِقَامَةِ الْحُرُوفِ وَفِيهَا مَعَ الَّذِي ذَكَرْتُ لَكَ مَارِبٌ أُخْرَى فَالْحَنْجَرَةُ لَيْسَ لَكَ فِيهَا هَذَا السِّيَمِ إِلَى الرَّثَةِ فَتَرَوِّحَ عَلَى الْفُوَادِ بِالنَّفْسِ الدَّائِمِ الْمُسْتَابِعِ الَّذِي لَوْ احْتَبَسَ (1) شَيْئاً يَسِيرًا لَهَلَكَ الْإِنْسَانُ وَبِاللِّسَانِ تَذَاقُ الطَّعْمُ فَيَمَيِّزُ بَيْنَهَا وَيَعْرِفُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا حُلُوهَا مِنْ مُرِّهَا وَحَامِصَتِهَا مِنْ مُرِّهَا وَ مَالِحَتِهَا مِنْ عَذِيبَتِهَا وَطَيِّبَتِهَا مِنْ خَسِيبَتِهَا وَفِيهِ مَعَ ذَلِكَ مَعُونَةٌ عَلَى إِسَاغَةِ الطَّعَامِ وَ الشَّرَابِ وَ الْأَسْنَانُ تَمَضُّعُ الطَّعَامِ حَتَّى تُلِينَ وَ يَسْهَلَ إِسَاغَتُهُ وَ هِيَ مَعَ ذَلِكَ كَالسِّنْدِ لِلشَّفَقَتَيْنِ تُمَسِكُهُمَا وَ تَدَعُمُهُمَا مِنْ دَاخِلِ الْفَمِ (2) وَ اعْتَبِرْ ذَلِكَ بِأَنَّكَ تَرَى مِنْ سَقَطَتْ أَسْنَانُهُ مُسْتَرْخِي الشَّفَةِ وَ مُضْطَرِبَتِهَا وَ بِالشَّفَتَيْنِ يَتَرَشَّفُ الشَّرَابُ (3) حَتَّى يَكُونَ الَّذِي يَصِلُ إِلَى الْجَوْفِ مِنْهُ بِقَصْدٍ وَ قَدْرٍ لَا يَدَّجُ نَجًّا فَيَعَصَّ بِهِ الشَّرَابُ أَوْ يَنْكَأُ فِي الْجَوْفِ ثُمَّ هُمَا بَعْدَ ذَلِكَ كَالْبَابِ الْمُطْبَقِ عَلَى الْفَمِ يَفْتَحُهُمَا الْإِنْسَانُ إِذَا شَاءَ وَيُطْبِقُهُمَا إِذَا شَاءَ فَيَمَّا وَصَفْنَا مِنْ هَذَا بَيَانٌ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَعْضَاءِ يَتَصَرَّفُ إِلَى وَجْهِهِ مِنَ الْمَنَافِعِ كَمَا تَتَصَرَّفُ الْأَدَاةُ الْوَاحِدَةُ فِي أَعْمَالِ شَيْءٍ وَ ذَلِكَ كَالْفَأْسِ (4) يُسْتَعْمَلُ فِي النَّجَارَةِ (5) وَ الْحَفْرِ وَ غَيْرِهِمَا مِنَ الْأَعْمَالِ وَ لَوْ رَأَيْتَ الدَّمَاعَ إِذَا كُشِفَ عَنْهُ لَرَأَيْتَهُ قَدْ لَفَّ بِحُجْبٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ لِتَصُونَتِهِ مِنَ الْأَعْرَاضِ وَ تُمْسِكِهِ فَلَا يَصَدُّ طَرِبٌ وَ لَرَأَيْتَ عَلَيْهِ الْجُمُجُمَةَ بِمَنْزِلَةِ الْبَيْضَةِ كَيْمَا يَفْتَتَهُ هَذِهِ الصَّدْمَةُ وَ الصِّكَّةُ (6) الَّتِي رُبَّمَا وَقَعَتْ فِي الرَّأْسِ ثُمَّ قَدْ جَلَلَتِ الْجُمُجُمَةُ بِالشَّعْرِ حَتَّى صَارَ بِمَنْزِلَةِ الْفُرُوعِ لِلرَّأْسِ (7) يَسْتُرُهُ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ

ص: 72

- 1- وفي نسخة: لو حبس.
- 2- دعم الشيء: أسنده لئلا يميل.
- 3- رشف الماء أى بالغ فى مصه.
- 4- الفأس: آلة لقطع الخشب وغيره.
- 5- وزان الكتابة: حرفة النجار.
- 6- الصكة: الضرب الشديد أو اللطم.
- 7- الفروع: شئء كالجبة يبطن من جلود بعض الحيوانات كالارانب و السمور.

وَالْبَرْدِ فَمَنْ حَصَّنَ الدِّمَاعَ هَذَا التَّحْصِيَةَ بَيْنَ إِلَّا الَّذِي حَلَقَهُ وَجَعَلَهُ يَنْبُوعَ الْحِسِّ وَالْمُسَدَّ تَحَقُّقَ لِلْحَيْطَةِ وَالصَّيَانَةَ بَعْلُو مَنْزِلَتِهِ مِنَ الْبَدَنِ وَارْتِفَاعِ دَرَجَتِهِ وَخَطَرَ مَرْتَبَتِهِ.

بيان: المز: بين الحلو والحامض. والشج: السيلان. والغصص: أن يقف الشىء فى الحلق فلم يكد يسيغه و الجمجمة: عظم الرأس المشتمل على الدماغ. والبيضة: هى التى توضع على الرأس فى الحرب. والفت: الكسر و هد البناء: كسره و وضععه و هدته المصيبة أى أوهنت ركنه و الحيطه بالكسر الحياطة و الرعاية.

تَأْمَلْ يَا مُفْضَلُ الْجَفْنَ عَلَى الْعَيْنِ كَيْفَ جُعِلَ كَالْغِشَاءِ وَالْأَشْفَارِ كَالْأَشْرَاجِ وَأَوْلَجَهَا فِي هَذَا الْغَارِ وَأَظْلَمَهَا بِالْحِجَابِ وَمَا عَلَيْهِ مِنَ الشَّعْرِ.

بيان: الجفن: غطاء العين من أعلى وأسفل. والأشفار: هى حروف الأجفان التى عليها الشعر. والأشراج: العرى. وكأنه عليه السلام شبه الأشفار بالعرى و الخيط المشدود بها فإن بهما ترفع الأستار و تسدل عند الحاجة إليهما أو بالعرى التى تكون فى العيبة من الأدم (1) وغيره يكون فيها خيط إذا شدت به يكون ما فى العيبة محفوظا مستورا و كلاهما مناسب و الأول أنسب بالغشاء قال الجزرى فى حديث الأحنف فأدخلت ثياب صونى العيبة فأشرجتها يقال أشرجت العيبة و شرجتها إذا شددتها بالشرح و هى العرى انتهى و أولجها يعنى أدخلها.

يَا مُفْضَلُ مَنْ غَيَّبَ الْفُؤَادَ فِي جَوْفِ الصِّدْرِ وَكَسَاهُ الْمِدْرَعَةَ الَّتِي هِيَ غِشَاؤُهُ وَحَصَّنَهُ بِالْجَوَازِحِ وَمَا عَلَيْهَا مِنَ اللَّحْمِ وَالْعَصَبِ لِنَلَا يَصِلَ إِلَيْهِ مَا يَنْكُؤُهُ مَنْ جَعَلَ فِي الْحَلْقِ مَنْفَذَيْنِ أَحَدُهُمَا لِمَخْرَجِ الصَّوْتِ وَهُوَ الْحَلْقُومُ الْمُتَّصِلُ بِالرِّئَةِ وَالْآخَرُ مَنْفَذُ الْغِذَاءِ وَهُوَ الْمَرِيءُ الْمُتَّصِلُ بِالْمَعِدَةِ الْمُوَصَّلُ الْغِذَاءَ إِلَيْهَا وَجَعَلَ عَلَى الْحَلْقُومِ طَبَقًا يَمْنَعُ الطَّعَامَ أَنْ يَصِلَ إِلَى الرِّئَةِ فَيَقْتُلَ مَنْ جَعَلَ الرِّئَةَ مِرْوَحَةَ الْفُؤَادِ لَا تَفْتُرُ وَلَا تُخِلُّ لِكَيْلَا تَتَحَيَّرَ الْحَرَارَةُ فِي الْفُؤَادِ فَتُؤَدَّى إِلَى التَّلْفِ مَنْ جَعَلَ لِمَنْفَذِ الْبَوْلِ وَالْعَازِطِ أَشَدَّ رَاجًا تَصَدُّ بِطُهُمَا لِنَلَا يَجْرِيَا جَرِيَانًا دَائِمًا فَيَفْسُدَ عَلَى الْإِنْسَانِ عَيْشُهُ فَكَمْ عَسَى أَنْ يُحْصِيَ الْمُحْصِي مِنْ هَذَا بَلِ الَّذِي لَا يُحْصِي مِنْهُ وَلَا يَعْلَمُهُ النَّاسُ أَكْثَرَ مَنْ جَعَلَ الْمَعِدَةَ عَصَبَاتِيَّةً شَدِيدَةً وَقَدَّرَهَا

ص: 73

1- العيبة الزنبيل من أدم. ما تجعل فيه الثياب كالصندوق. الادم: الجلود المدبوغة.



لَهْضِمِ الطَّعَامَ الْعَلِيظَ وَ مَنْ جَعَلَ الْكَبِدَ رَقِيقَةً نَاعِمَةً لِقَبُولِ الصَّفْوِ اللَّطِيفِ مِنَ الْغِذَاءِ وَ لِيَهْضِمَ وَ تَعْمَلَ مَا هُوَ أَلْطَفُ مِنْ عَمَلِ الْمَعِدَةِ إِلَّا اللَّهُ الْقَادِرُ أَتَرَى الْإِهْمَالَ يَأْتِي بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ (1) كَلَّا بَلْ هُوَ تَدْبِيرٌ مِنْ مُدَبِّرٍ حَكِيمٍ قَادِرٍ عَلِيمٍ بِالشَّيْءِ قَبْلَ خَلْقِهِ إِيَّاهَا لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ

تبيان: الجوانح: الأضلاع التي مما يلي الصدر وقوله عليه السلام: لا تخل من الإخلال بالشيء بمعنى تركه وقوله بتحيز إما من الحيز أى تسكن أو من قولهم تحيزت الحية أى تلوت.

فَكَرَّرَ يَا مُفْضَلُ لِمَ صَارَتِ الْمَخُ الرِّقِيقُ مُحْصَنًا فِي أَنْبَابِ الْعِظَامِ هَلْ ذَلِكَ إِلَّا لِيَحْفَظَهُ وَيَصُونَهُ لِمَ صَارَ الدَّمُ السَّائِلُ مُحْصُورًا فِي الْعُرُوقِ بِمَنْزِلَةِ الْمَاءِ فِي الظُّرُوفِ إِلَّا لِيَتَضَبَّطَهُ فَلَا يَفِيضُ لِمَ صَارَتِ الْأَطْفَارُ عَلَى أَطْرَافِ الْأَصَابِعِ إِلَّا وَقَايَةً لَهَا وَمَعُونَةً عَلَى الْعَمَلِ لِمَ صَارَ دَاخِلُ الْأُذُنِ مُلْتَوِيًا كَهَيْئَةِ الْكُوكَبِ (2) إِلَّا لِيَطْرِدَ فِيهِ الصَّوْتُ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى السَّمْعِ وَ لِيَتَكَسَّرَ حُمَةُ الرِّيحِ فَلَا يَنْكَأَ فِي السَّمْعِ لِمَ حَمَلَ الْإِنْسَانُ عَلَى فَحْدَيْهِ وَ أَلْيَتِيهِ هَذَا اللَّحْمُ إِلَّا لِيَقِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ فَلَا يَتَأَلَّمُ مِنَ الْجُلُوسِ عَلَيْهِمَا كَمَا يَأَلَّمُ مَنْ نَحَلَ جَسَدَهُ وَقَالَ لِحُمِهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَرْضِ حَائِلٌ يَقِيهِ صَدَّابَتُهَا مَنْ جَعَلَ الْإِنْسَانَ ذَكَرًا وَ أُنْثَى إِلَّا مَنْ خَلَقَهُ مُتَنَاسِلًا وَ مَنْ خَلَقَهُ مُتَنَاسِلًا إِلَّا مَنْ خَلَقَهُ مُؤَمَّلًا وَ مَنْ أَعْطَاهُ آتَاتِ الْعَمَلِ إِلَّا مَنْ خَلَقَهُ عَامِلًا وَ مَنْ خَلَقَهُ عَامِلًا إِلَّا مَنْ جَعَلَهُ مُحْتَاجًا وَ مَنْ جَعَلَهُ مُحْتَاجًا إِلَّا مَنْ صَدَّرَهُ بِالْحَاجَةِ وَ مَنْ صَدَّرَهُ بِالْحَاجَةِ إِلَّا مَنْ تَوَكَّلَ بِتَقْوِيمِهِ مَنْ خَصَّهُ بِالْفَهْمِ إِلَّا مَنْ أَوْجَبَ لَهُ الْجُزَاءَ وَ مَنْ وَهَبَ لَهُ الْحِيلَةَ إِلَّا مَنْ مَلَكَهُ الْحَوْلَ وَ مَنْ مَلَكَهُ الْحَوْلَ إِلَّا مَنْ أَرْزَمَهُ الْحُجَّةَ مَنْ يَكْفِيهِ مَا لَا تَبْلُغُهُ حِيلَتُهُ إِلَّا مَنْ لَمْ يَبْلُغْ مَدَى شُكْرِهِ فَكَّرَ وَ تَدَبَّرَ مَا وَصَفْتُهُ هَلْ تَجِدُ الْإِهْمَالَ عَلَى هَذَا النِّظَامِ وَ التَّرْتِيبِ تَبَارَكَ اللَّهُ عَمَّا يَصِفُونَ.

ص: 74

1- فى نسخة: أ ترى من الاهمال يأتى بشىء من ذلك.

2- أقول: فى بعض النسخ «اللوب» مكان الكوكب و هو آلة من خشب أو حديد ذات محور، ذى دوائر ناتئة، و هو الذكر، أو داخلة و هو الأنثى.

بيان: الكوكب: المحبس. واطرد الشئ ء تبع بعضه بعضا و جرى وقال الجوهري حمّة الحرّ معظمه و قوله عليه السلام: إلا من خلقه مؤمّلا إشارة إلى أن الأمل و الرجاء فى البقاء هو السبب لتحصيل النسل و لذا جعل الإنسان ذا أمل لبقاء نوعه قوله عليه السلام: إلا من ضربه بالحاجة أى سبب له أسباب الاحتياج و خلقه بحيث يحتاج قوله عليه السلام: إلا من توكل بتقويمه أى تكفل برفع حاجته و تقويم أوده و الحول القوة.

أَصِفْ لَكَ الْإِمْنَ يَا مُفَضَّلُ الْفُؤَادِ اعْلَمْ أَنَّ فِيهِ ثَقْبًا مُوجَّهَةً نَحْوَ الثُّقْبِ الَّتِي فِي الرِّدَّةِ تُرَوِّحُ عَنِ الْفُؤَادِ حَتَّى لَوْ اخْتَلَفَتْ تِلْكَ الثُّقْبُ وَ تَزَايَلَ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ لَمَّا وَصَلَ الرُّوحُ إِلَى الْفُؤَادِ وَ لَهَلَكَ الْإِنْسَانُ أَفَيْسَ تَحْجِيزُ ذُو فِكْرٍ وَ رَوِيَّةٍ أَنْ يَزْعُمَ أَنَّ مِثْلَ هَذَا يَكُونُ بِالْإِهْمَالِ وَ لَا يَجِدُ شَاهِدًا مِنْ نَفْسِهِ يَنْزِعُهُ عَنْ هَذَا الْقَوْلِ لَوْ رَأَيْتَ فَرْدًا مِنْ مَصَدِّ رَاعِيَيْنِ فِيهِ كَلُوبٌ أَكُنْتَ تَتَوَهَّمُ أَنَّهُ جُعِلَ كَذَلِكَ بِلَا مَعْنَى بَلْ كُنْتَ تَعْلَمُ ضَرُورَةَ أَنَّهُ مَصَدِّ نَوْعٍ يَلْقَى فَرْدًا آخَرَ فُتَبَرَّرُهُ لِيَكُونَ فِي اجْتِمَاعِهِمَا صَدْرُ مِنَ الْمَصْلَحَةِ وَ هَكَذَا تَجِدُ الذَّكَرَ مِنَ الْحَيَوَانِ كَأَنَّهُ فَرْدٌ مِنْ زَوْجٍ مُهَيَّأً (1) مِنْ فَرْدٍ أُتْنَى فَيَلْتَقِيَانِ لِمَا فِيهِ مِنْ دَوَامِ النَّسْلِ وَ بَقَائِهِ فَتَبَأً وَ حَيَّةً وَ تَعْسًا لِمُنْتَحِلِي الْفُلْسَفَةِ كَيْفَ عَمِيَتْ قُلُوبُهُمْ عَنْ هَذِهِ الْخَلْقَةِ الْعَجِيبَةِ حَتَّى أَنْكَرُوا التَّدْيِيرَ وَ الْعَمَدَ فِيهَا لَوْ كَانَ فَرْجُ الرَّجُلِ مُسْتَرَحِيًا كَيْفَ كَانَ يَصِلُ إِلَى قَعْرِ الرَّحِمِ حَتَّى يُفْرَغَ التُّظْفَةَ فِيهِ وَ لَوْ كَانَ مُنْعَظًا أَبَدًا كَيْفَ كَانَ الرَّجُلُ يَتَقَلَّبُ فِي الْفِرَاشِ أَوْ يَمْشِي بَيْنَ النَّاسِ وَ شَيْءٌ شَاخِصٌ أَمَامَهُ ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مَعَ قُحِّحِ الْمُنْظَرِ تَحْرِيكِ الشَّهْوَةِ فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنَ الرِّجَالِ وَ النِّسَاءِ جَمِيعًا فَقَدَّرَ اللَّهُ جَلَّ اسْمُهُ أَنْ يَكُونَ أَكْثَرَ ذَلِكَ لَا يَبْدُو لِلْبَصَرِ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَ لَا يَكُونُ عَلَى الرِّجَالِ مِنْهُ مَثُونَةٌ بَلْ جَعَلَ فِيهِ الْقُوَّةَ عَلَى الْإِنْتِصَابِ وَ قَتَّ الْحَاجَةَ إِلَى ذَلِكَ لِمَا قَدَّرَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ دَوَامُ النَّسْلِ وَ بَقَاؤُهُ.

توضيح: قال الجوهري: وزعته أزعه وزعا: كفتهه (2) انتهى و الكلوب بالتحديد: حديدة معوجة الرأس و فى بعض النسخ كلون و هو فارسى قوله عليه السلام: مهياة فى بعض النسخ بالياء فلفظة من تعليلية و فى بعضها بالنون فمن تعليلية أو

ص: 75

1- و فى نسخة: كأنه فرد من زوج مهياً.

2- لم نجد فى كلامه عليه السلام لفظة و زعته.

ابتدائية أى إنما يتم عيشه بأثنى و على التقديرين يحتمل أن يكون بمعنى مع أن جوز استعماله فيه و قال الجوهري تبا لفلان تنصبه على المصدر بإضمار فعل أى ألزمه الله هلاكاً و خسراناً و قال التعس الهلاك يقال تعسا لفلان أى ألزمه الله هلاكاً.

اعتبر الآن يا مفضل بعظيم النعمة على الإنسان في مطعمه و مشربه و تدهيله خروج الأذى ليس من حسن التدبير في بناء الدار أن يكون الخلاء في أستر موضع فيها (1) فكذا جعل الله سبحانه المنفذ المهياً للخلاء من الإنسان في أستر موضع منه فلم يجعله بارزاً من خلفه و لا ناشراً من بين يديه بل هو معيب في موضع غامض من البدن مسثور محجوب يلتقى عليه الفخذان و تحجبه الأليتان بما عليهما من اللحم فيؤاريانه فإذا احتاج الإنسان إلى الخلاء و جلس تلك الجلسة ألقى ذلك المنفذ منه منصباً مهيناً لإحذار الثفل فتبارك الله من تطاهرت آلاؤه و لا تحصى نعمأؤه.

بيان: ألقى أى وجد و قوله عليه السلام: منصبا إما من الانصباب كناية عن التدلى أو من باب التفعيل من النصب قال الفيروزآبادى نصب الشيء و وضعه و رفعه ضد كنبه فانتصب و تنصب.

فكر يا مفضل في هذه الطواحين التي جعلت للإنسان فبعضها حداذ لقطع الطعام و قرصه و بعضها عراض لمدغ و رصه (2) فلم يتفص واحد من الصفتين إذ كان محتاجاً إليهما جميعاً تأمل و اعتبر بحسن التدبير في خلق الشعر و الأظفار فإنهما لما كانا مما يطول و يكثر حتى يحتاج إلى تخفيفه أولاً فأولاً جعل عديمي الحس لئلا يؤلم الإنسان الأخذ منهما و لو كان فص الشعر و تقليم الأظفار مما يوجد له مس من ذلك لكان الإنسان من ذلك بين مكروهين إما أن يدع كل واحد منهما حتى يطول فيثقل عليه و إما أن يخففه بوجع و ألم يتألم منه

ص: 76

1- و في نسخة: في أستر موضع منها.

2- رصه: دقه و جرشه.

قَالَ الْمُفَضَّلُ فَقُلْتُ فَلِمَ لَمْ يَجْعَلْ ذَلِكَ خِلْقَةً لَا تَزِيدُ فَيَحْتَاجُ الْإِنْسَانُ إِلَى التَّقْصَانِ مِنْهُ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ اسْمُهُ فِي ذَلِكَ عَلَى الْعَبْدِ نِعْمًا لَا يَعْرِفُهَا فَيَحْمَدُ عَلَيْهَا اعْلَمْ أَنَّ آلَامَ الْبَدَنِ وَادْوَاءَهُ تَخْرُجُ بِخُرُوجِ الشَّعْرِ فِي مَسَامِهِ (1) وَبَخْرُوجِ الْأَظْفَارِ مِنْ أُنَامِلِهَا وَلِذَلِكَ أَمْرُ الْإِنْسَانِ بِالنُّورَةِ وَحَلْقِ الرَّأْسِ وَقَصِّ الْأَظْفَارِ فِي كُلِّ أَسْبُوعٍ لِيَسْرَعَ الشَّعْرُ وَالْأَظْفَارُ فِي النَّبَاتِ فَتَخْرُجَ الْآلَامُ وَالْأَدْوَاءُ بِخُرُوجِهَا وَإِذَا طَالَ تَحِيرًا وَقَلَّ خُرُوجُهَا فَاحْتَبَسَتِ الْآلَامُ وَالْأَدْوَاءُ فِي الْبَدَنِ فَأَحْدَثَتْ عِللاً وَأَوْجَاعاً وَمَنَعَ مَعَ ذَلِكَ الشَّعْرَ مِنَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي يُضِرُّ بِالْإِنْسَانِ وَ يُحْدِثُ عَلَيْهِ الْفَسَادَ وَالضَّرَرَ لَوْ نَبَتَ الشَّعْرُ فِي الْعَيْنِ أَلَمْ يَكُنْ سَعْيَ الْبَصَرِ وَلَوْ نَبَتَ فِي الْفَمِ أَلَمْ يَكُنْ سَعْيَ الْغَضِّ عَلَى الْإِنْسَانِ طَعَامَهُ وَ شَرَابَهُ وَلَوْ نَبَتَ فِي بَاطِنِ الْكَفِّ أَلَمْ يَكُنْ سَعْيَ يَدَيْهِ عَنِ صِدْحَةِ اللَّحْمِ وَبَعْضِ الْأَعْمَالِ فَلَوْ نَبَتَ فِي فَجْرِ الْمَرْأَةِ أَوْ عَلَى ذَكَرِ الرَّجُلِ أَلَمْ يَكُنْ سَعْيَ دُعَاؤِهَا لَدَى الْجَمَاعِ فَانظُرْ كَيْفَ تَتَكَبَّرُ الشَّعْرُ هَذِهِ الْمَوَاضِعَ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَصْدَاحَةِ ثُمَّ لَيْسَ هَذَا فِي الْإِنْسَانِ فَقَطْ بَلْ تَجِدُهُ فِي الْبَهَائِمِ وَالسَّبَاعِ وَ سَائِرِ الْمُنْتَابِ لَاتِ فَإِنَّكَ تَرَى أَجْسَامَهُنَّ مُجَلَّدَةً بِالشَّعْرِ وَ تَرَى هَذِهِ الْمَوَاضِعَ خَالِيَةً مِنْهُ لِهَذَا السَّبَبِ بَعِيْنِهِ فَتَأْمَلُ الْخِلْقَةَ كَيْفَ تَتَحَرَّرُ وَجُوهَ الْخَطَايَا وَالْمَضَرَّةَ وَ تَأْتِي بِالصَّوَابِ وَالْمَنْفَعَةَ إِنَّ الْمَنَابِيَةَ (2) وَأَشْبَاهَهُمْ حِينَ اجْتَهَدُوا فِي عَيْبِ الْخِلْقَةِ وَالْعَمْدِ عَابُوا الشَّعْرَ النَّابِتَ عَلَى الرَّكْبِ وَالْإِبْطِينَ (3) وَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ ذَلِكَ مِنْ رُطُوبَةٍ تَنْصَبُ إِلَى هَذِهِ الْمَوَاضِعِ فَيَنْبُتُ فِيهَا الشَّعْرُ كَمَا يَنْبُتُ الْعُشْبُ فِي مُسْتَنْقَعِ الْمِيَاهِ أَفَلَا تَرَى إِلَى هَذِهِ الْمَوَاضِعِ أَسْتَرَ وَأَهْيَأَ لِقَبُولِ تِلْكَ الْفَضْلَةِ مِنْ غَيْرِهَا ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ تُعَدُّ (4) مِمَّا يَحْمِلُ الْإِنْسَانُ مِنْ مَثْوِيَةِ هَذَا الْبَدَنِ وَ تَكَالِيفِهِ لِمَا لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَصْدَاحَةِ فَإِنَّ اهْتِمَامَهُ بِتَنْظِيفِ بَدَنِهِ وَ أَخْذِ مَا يَعْלוهُ مِنَ الشَّعْرِ مِمَّا يَكْسِرُ بِهِ شِدْرَتَهُ وَ يَكْفُ عَادِيَتَهُ وَ يَسُدُّ غَلَّهُ عَنْ بَعْضِ مَا يُخْرِجُهُ إِلَيْهِ الْفِرَاعُ مِنَ الْأَشْرَارِ وَ الْبَطَالَةِ تَأْمَلِ الرَّيْقَ وَ مَا فِيهِ مِنَ الْمَنْفَعَةِ فَإِنَّهُ جُعِلَ يَجْرِي جَرِيَانًا دَائِمًا إِلَى الْفَمِ لِيُبَلِّغَ الْحَلْقَ وَاللَّهْوَاتِ فَلَا يَجْفَى

ص: 77

- 1- المسامة: ثقبة و منافذ كمنابت الشعر.
- 2- وفي نسخة: المانوية.
- 3- الابطين: باطن الكتفين.
- 4- وفي نسخة بعد.

فَإِنَّ هَذِهِ الْمَوَاضِعَ لَوْ جُعِلَتْ كَذَلِكَ كَانَ فِيهِ هَلَاكُ الْإِنْسَانِ ثُمَّ كَانَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُسَبِّغَ طَعَاماً إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْفَمِ بِلَّةٌ تُنْفِذُهُ تَشْهَدُ بِذَلِكَ الْمُشَاهَدَةَ وَاعْلَمْ أَنَّ الرُّطُوبَةَ مَطِيئَةَ الْغِذَاءِ وَقَدْ تَجَرَّى مِنْ هَذِهِ الْبِلَّةِ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ مِنَ الْمِرَّةِ فَيَكُونُ فِي ذَلِكَ صَدَاحٌ تَأْمُّ لِلْإِنْسَانِ وَلَوْ بَسَّتِ الْمِرَّةُ لَهَلَكَ الْإِنْسَانُ وَلَقَدْ قَالَ قَوْمٌ مِنْ جَهْلَةِ الْمُتَكَلِّمِينَ وَضَعَمَةَ الْمُتَفَلِّسِ فِينَ بَقْلَةَ التَّمْيِزِ وَقُصُورِ الْعِلْمِ لَوْ كَانَ بَطْنُ الْإِنْسَانِ كَهَيْئَةِ الْقَبَاءِ يَفْتَحُهُ الطَّيِّبُ إِذَا شَاءَ فَيُعَايِنُ مَا فِيهِ وَيَدْخُلُ يَدَهُ فَيَعَالِجُ مَا أَرَادَ عِلَاجَهُ أَلَمْ يَكُنْ أَصَدَّ لِمَحِّ مِنْ أَنْ يَكُونَ مُصَدِّمًا مَحْجُوبًا عَنِ الْبَصَرِ وَالْيَدِ لَا يُعْرِفُ مَا فِيهِ إِلَّا بِدَلَالَاتٍ غَامِضَةٍ كَمَثَلِ النَّظَرِ إِلَى الْبُؤْلِ وَحَسِّ الْعَرَقِ وَمَا أَشَبَّهُ ذَلِكَ مِمَّا يَكْثُرُ فِيهِ الْغَلْطُ وَالشُّبْهَةُ حَتَّى رُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِلْمَوْتِ فَلَوْ عَلِمَ هَؤُلَاءِ الْجَهْلَةُ أَنَّ هَذَا لَوْ كَانَ هَكَذَا كَانَ أَوَّلَ مَا فِيهِ أَنَّهُ كَانَ يَسْقُطُ عَنِ الْإِنْسَانِ الْوَجَلُ مِنَ الْأَمْرَاضِ وَالْمَوْتِ وَكَانَ يَسْتَشِدُّ عَرُ الْبَقَاءِ وَيَعْتَرُّ بِالسَّلَامَةِ فَيُخْرِجُهُ ذَلِكَ إِلَى الْعُنُوتِ وَالْأَسْدَرِ ثُمَّ كَانَتْ الرُّطُوبَاتُ الَّتِي فِي الْبَطْنِ تَتَرَسَّحُ وَتَتَحَلَّبُ فَيَفْسِدُ عَلَى الْإِنْسَانِ مَقْعَدُهُ وَ مَرْقَدُهُ وَثِيَابُ يَذَلَّتْهُ وَزِينَتُهُ بَلْ كَانَ يُفْسِدُ عَلَيْهِ عَيْشُهُ ثُمَّ إِنَّ الْمَعْرَدَةَ وَالْكَبِيدَ وَالْفُؤَادَ إِنَّمَا تَفْعَلُ أَفْعَالَهَا بِالْحَرَارَةِ الْغَرِيزِيَّةِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ مُحْتَسِبَةً فِي الْجَوْفِ فَلَوْ كَانَ فِي الْبَطْنِ فَرْجٌ يَنْفَتِحُ حَتَّى يَصِلَ الْبَصَرُ إِلَى رُؤْيَتِهِ وَالْيَدُ إِلَى عِلَاجِهِ لَوْصَلَ بَرْدُ الْهَوَاءِ إِلَى الْجَوْفِ فَمَارَجَ الْحَرَارَةَ الْغَرِيزِيَّةَ وَبَطَلَ عَمَلُ الْأَحْشَاءِ فَكَانَ فِي ذَلِكَ هَلَاكُ الْإِنْسَانِ أَفَلَا تَرَى أَنَّ كُلَّ مَا تَذْهَبُ إِلَيْهِ الْأَوْهَامُ سَوَى مَا جَاءَتْ بِهِ الْخِلْقَةُ خَطَأً وَخَطْلًا.

إيضاح: الركب بالتحريك منبت العانة و مستنقع الماء بالفتح: مجتمعه. و شرة الشباب بالكسر: حرصه و نشاطه. و العادية: الظلم و الشر. و الأشر بالتحريك: البطر و شدة الفرح. و اللهوات جمع لهات و هي اللحمية في سقف أقصى الفم و قوله عليه السلام: من المرة بيان لموضع آخر. و عتاعتوا: استكبر و جاوز الحد. و يقال تحلب العرق أى سال. و الخطل: المنطق الفاسد المضطرب.

فَكَرَّرَ يَا مُفَضَّلُ فِي الْأَفْعَالِ الَّتِي جُعِلَتْ فِي الْإِنْسَانِ مِنَ الطَّعْمِ وَ النَّوْمِ وَ الْجِمَاعِ وَ مَا دَبَّرَ فِيهَا فَإِنَّهُ جُعِلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا فِي الطَّبَاعِ نَفْسُهُ مُحَرِّكٌ يَفْتَضِيهِ وَيَسْتَحِثُّ بِهِ

فَالْجُوعُ يَقْتَضِي الطَّعْمَ الَّذِي بِهِ حَيَاةُ الْبَدَنِ وَقَوَامُهُ وَالكَرَى تَقْتَضِي النَّوْمَ الَّذِي فِيهِ رَاحَةُ الْبَدَنِ وَإِجْمَامُ قُوَاهُ وَالسَّبَقُ يَقْتَضِي الْجَمَاعَ الَّذِي فِيهِ دَوَامُ النَّسْلِ وَبِقَاوُهُ وَلَوْ كَانَ الْإِنْسَانُ إِنَّمَا يَصِيرُ إِلَى أَكْلِ الطَّعَامِ لِمَعْرِفَتِهِ بِحَاجَةِ بَدَنِهِ إِلَيْهِ وَلَمْ يَجِدْ مِنْ طِبَاعِهِ شَيْئاً يَصُدُّ طَرَهُ إِلَى ذَلِكَ كَانَ خَلِيقاً أَنْ يَتَوَاتَى عَنْهُ أحياناً بِالثَّقَلِ وَالْكَسَلِ حَتَّى يَنْحَلَّ بَدَنُهُ فِيهِلِكَ كَمَا يَحْتَاجُ الْوَاحِدُ إِلَى الدَّوَاءِ بِشَيْءٍ مِمَّا يَصْدُلُحُ بَدَنَهُ فَيُدَافِعُ بِهِ حَتَّى يُؤَدِّيَهُ ذَلِكَ إِلَى الْمَرَضِ وَالْمَوْتِ وَكَذَلِكَ لَوْ كَانَ إِنَّمَا يَصِيرُ إِلَى النَّوْمِ بِالتَّفَكُّرِ فِي حَاجَتِهِ إِلَى رَاحَةِ الْبَدَنِ وَإِجْمَامُ قُوَاهُ كَانَ عَسَى أَنْ يَسْتَأْقَلَ عَنْ ذَلِكَ فَيَدْمَغُهُ حَتَّى يَنْهَكَ بَدَنُهُ وَلَوْ كَانَ إِنَّمَا يَتَحَرَّكُ لِلْجَمَاعِ بِالرَّغْبَةِ فِي الْوَلَدِ كَانَ غَيْرَ بَعِيدٍ أَنْ يَفْتَرَّ عَنْهُ حَتَّى يَقِلَّ النَّسْلُ أَوْ يَنْقَطِعَ فَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ لَا يَرَعُبُ فِي الْوَلَدِ وَلَا يَحْفَلُ بِهِ فَانْظُرْ كَيْفَ جُعِلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَفْعَالِ الَّتِي بِهَا قَوَامُ الْإِنْسَانِ وَصَدَّ لَاحَهُ مُحَرِّكٌ مِنْ نَفْسِ الطَّعْمِ يُحَرِّكُهُ لِذَلِكَ وَيَحْدُوهُ عَلَيْهِ (1) وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الْإِنْسَانِ قُوَى أَرْبَعاً قُوَّةً جَادِبَةً تَقْبَلُ الْغِذَاءَ وَتُورِدُهُ عَلَى الْمَعِدَةِ وَقُوَّةً مُمَسِّكَةً تَحْسِبُ الطَّعَامَ حَتَّى تَفْعَلَ فِيهِ الطَّبِيعَةَ فِعْلَهَا وَقُوَّةً هَاضِمَةً وَهِيَ الَّتِي تَطْبُحُهُ (2) وَتَسْتَخْرِجُ صَفْوَهُ وَتَبْنُوهُ فِي الْبَدَنِ وَقُوَّةً دَافِعَةً تَدْفَعُهُ وَتَحْدُرُ الثَّقَلَ الْفَاضِلَ بَعْدَ اخْتِادِ الْهَاضِمَةِ حَاجَتَهَا تَفَكَّرْ فِي تَقْدِيرِ هَذِهِ الْقُوَى الْأَرْبَعَةِ الَّتِي فِي الْبَدَنِ وَأَفْعَالِهَا وَتَقْدِيرِهَا لِلْحَاجَةِ إِلَيْهَا وَالْإِزْبِ فِيهَا وَمَا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّدْبِيرِ وَالْحِكْمَةِ وَلَوْ لَا الْجَادِبَةُ كَيْفَ يَتَحَرَّكُ الْإِنْسَانُ لِطَلَبِ الْغِذَاءِ الَّتِي بِهَا قَوَامُ الْبَدَنِ وَلَوْ لَا الْمَاسِكَةُ كَيْفَ كَانَ يَلْبَثُ الطَّعَامُ فِي الْجَوْفِ حَتَّى تَهْضِمَهُ الْمَعِدَةُ وَلَوْ لَا الْهَاضِمَةُ كَيْفَ كَانَ يَنْطَبِخُ حَتَّى يَخْلُصَ مِنْهُ الصَّفْوُ الَّذِي يَغْدُو الْبَدَنَ وَيَسُدُّ خُلَلَهُ وَلَوْ لَا الدَّافِعَةُ كَيْفَ كَانَ الثَّقَلُ الَّذِي تُخَلِّفُهُ الْهَاضِمَةُ يَنْدَفِعُ وَيَخْرُجُ أَوَّلًا فَأَوَّلًا أَفَلَا تَرَى كَيْفَ وَكَلَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِلطيفِ صُنْعِهِ وَحَسَنِ تَقْدِيرِهِ هَذِهِ الْقُوَى بِالْبَدَنِ وَالْقِيَامِ بِمَا فِيهِ صَدَّ لَاحَهُ وَسَأَمْتَلُ لَكَ فِي ذَلِكَ مِثَالاً إِنَّ الْبَدَانَ بِمَنْزِلَةِ دَارِ الْمَلِكِ وَلَهُ فِيهَا حَسَمٌ وَصَبِيَّةٌ وَقَوَامٌ مُوَكَّلُونَ بِالْأَدَارِ فَوَاحِدٌ لِإِقْضَاءِ حَوَائِجِ الْحَسَمِ وَإِيرَادِهَا عَلَيْهِمْ وَآخِرُ لِقَبْضِ مَا يَرِدُ وَخَزْنِهِ إِلَى أَنْ يُعَالَجَ

ص: 79

1- أى يبعثه و يسوقه إليه.

2- وفي نسخة: و هي التي تطحنه.

وَبُهَيَّأُ وَآخِرُ إِعْلَاجِ ذَلِكَ وَتَهْيِئَتِهِ وَتَفْرِيقِهِ وَآخِرُ لِنْتِظِيفِ مَا فِي الدَّارِ مِنَ الْأَقْدَارِ وَإِخْرَاجِهِ مِنْهَا فَالْمَلِكُ فِي هَذَا هُوَ الْخَالِقُ الْحَكِيمُ مَلِكُ الْعَالَمِينَ وَالدَّارُ هِيَ الْبَدَنُ وَالْحَسْمُ هِيَ الْأَعْضَاءُ وَالْقَوَامُ هِيَ هَذِهِ الْقُوَى الْأَرْبَعُ وَ لَعَلَّكَ تَرَى ذِكْرَنَا هَذِهِ الْقُوَى الْأَرْبَعُ وَأَفْعَالَهَا بَعْدَ الَّذِي وُصِفَتْ فَضَدًّا وَتَرْدَادًا وَ لَيْسَ مَا ذَكَرْتَهُ مِنْ هَذِهِ الْقُوَى عَلَى الْجِهَةِ الَّتِي ذُكِرَتْ فِي كُتُبِ الْأَطْبَاءِ وَلَا قَوْلُنَا فِيهِ كَقَوْلِهِمْ لِأَنَّهُمْ ذَكَرُوهَا عَلَى مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي صِنَاعَةِ الطَّبِّ وَ تَصْحِيحِ الْأَبْدَانِ وَ ذَكَرْنَاهَا عَلَى مَا يَحْتَاجُ فِي صَلَاحِ الدِّينِ وَ شِفَاءِ النَّفْسِ مِنَ الْغَيِّ كَالَّذِي أَوْضَحْتُهُ بِالْوَصْفِ الشَّافِي وَ الْمَثَلِ الْمَضْرُوبِ مِنَ التَّدْبِيرِ وَ الْحِكْمَةِ فِيهَا.

تبيان: الطعم بالضم الأكل و الكرا: السهر. و الجمام بالفتح: الراحة. يقال جمّ الفرس جمًا و جماما إذا ذهب إعياءه. و الشبق بالتحريك: شدة شهوة الجماع. و توانى فى حاجته أى قصّر و لا يحفل به أى لا يبالى به و تحدر الثقل كتنصر أى ترسل و قوله عليه السلام: و لولا الجاذبة يدلّ على أن لها مدخلا فى شهوة الطعام و قوله عليه السلام: خلله كأنه بالضم جمع الخلة و هى الحاجة أو بالكسر أى الخلال و الفرج التى حصلت فى البدن بتحلل الرطوبات قوله عليه السلام: و لعلك ترى يحتمل أن يكون الغرض دفع توهم السائل كون ذكر التمثيل بعد ذكر القوى و منافعها على الوجه الذى ذكره الأطباء و اكتفوا به إطنابا و تكرارا و حاصله أن الأطباء إنما ذكروها على ما يحتاجون إليه فى صناعتهم من ذكر أفعال تلك القوى و سبب تعطلها و لذا لم يحتاجوا إلى ذكر ما أوردنا من التمثيل و نحن إنما ذكرنا هذا التمثيل لتتضح دلالتها على صناعتها و مدبرها إذ هذه مقصودنا من ذكرها و يحتمل أن يكون الغرض رفع توهم أن ذكره هذه القوى بعد كونها مذكورة فى كتب الأطباء فضل لا حاجة إليه بأن الغرض مختلف فى بياننا و بيانهم و بذلك يختلف التقرير أيضا فلذا ذكرنا هاهنا بهذا التقرير الشافى فالضمير فى قوله و صفت على بناء المجهول راجع إلى القوى و العائد محذوف أى و صفت به لكنه بعيد.

تأمل يا مُفَضَّلُ هَذِهِ الْقُوَى الَّتِي فِي النَّفْسِ وَ مَوْجِعِهَا مِنَ الْإِنْسَانِ أَعْنَى الْفِكْرِ وَ الْوَهْمِ وَ الْعَقْلِ وَ الْحِفْظِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ أَفَرَأَيْتَ لَوْ نُقِصَ الْإِنْسَانُ مِنْ هَذِهِ الْخِلَالِ الْحِفْظِ

وَ حِدَهُ كَيْفَ كَانَتْ تَكُونُ حَالَهُ وَ كَمْ مِنْ خَلَلٍ كَانَ يَدْخُلُ عَلَيْهِ فِي أُمُورِهِ وَ مَعَاشِهِ وَ تَجَارِيهِ إِذَا لَمْ يَحْفَظْ مَا لَهُ وَ عَلَيْهِ وَ مَا أَخَذَهُ وَ مَا أُعْطِيَ وَ مَا رَأَى وَ مَا سَمِعَ وَ مَا قَالَ وَ مَا قِيلَ لَهُ وَ لَمْ يَذْكُرْ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ مِمَّنْ أَسَاءَ بِهِ وَ مَا نَفَعَهُ مِمَّا صَدَرَهُ ثُمَّ كَانَ لَا يَهْتَدِي لِطَرِيقِ لَوْ سَلِمَكَهُ مَا لَا يُحْصَى وَ لَا يَحْفَظُ عِلْمًا وَ لَوْ دَرَسَهُ عُمُرُهُ وَ لَا يَعْتَمِدُ دِينًا وَ لَا يَنْتَفِعُ بِتَجْرِبَةٍ وَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْتَبِرَ شَيْئًا عَلَى مَا مَضَى بَلْ كَانَ حَقِيقًا أَنْ يُسَلِّخَ مِنَ الْإِنْسَانِيَّةِ أَصَدًّا فَانْظُرْ إِلَى النُّعْمَةِ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي هَذِهِ الْخِلَالِ وَ كَيْفَ مَوْقِعُ الْوَاحِدَةِ مِنْهَا دُونَ الْجَمِيعِ وَ أَعْظَمُ مِنَ النُّعْمَةِ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي الْحِفْظِ النُّعْمَةُ فِي النَّسْيَانِ فَإِنَّهُ لَوْ لَا النَّسْيَانُ لَمَا سَلَ أَحَدٌ عَنْ مُصِيبَةٍ وَ لَا انْقَضَتْ لَهُ حَسْرَةٌ وَ لَا مَاتَ لَهُ حَقْدٌ وَ لَا اسْتَمْتَعَ بِشَيْءٍ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا مَعَ تَذَكُّرِ الْأَقَاتِ وَ لَا رَجَا عَقْلًا مِنْ سُلْطَانٍ وَ لَا فِتْرَةً مِنْ حَاسِدٍ أَفَلَا تَرَى كَيْفَ جُعِلَ فِي الْإِنْسَانِ الْحِفْظُ وَ النَّسْيَانُ وَ هُمَا مُخْتَلِفَانِ مُتَضَادَّانِ وَ جُعِلَ لَهُ فِي كُلِّ مِنْهُمَا صَدْرُ مِنَ الْمَصْدَاحَةِ وَ مَا عَسَى أَنْ يَقُولَ الَّذِينَ قَسَمُوا الْأَشْيَاءَ بَيْنَ خَالِقَيْنِ مُتَضَادَّيْنِ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الْمُتَضَادَّةِ الْمُتَبَايِنَةِ وَ قَدْ تَرَاهَا تَجْتَمِعُ عَلَى مَا فِيهِ الصَّلَاحُ وَ الْمُنْفَعَةُ.

بيان: دون الجميع أى فضلا عن الجميع ويقال سلا عنه أى نسيه وقد مضى منا ما يمكن أن يستعمل فى فهم آخر الكلام فى موضعين فتذكر.

انظر يا مفضل إلى ما خص به الإنسان دون جميع الحيوان من هذا الخلق الجليل قدره العظيم غناؤه أعنى الحياء فلولا له لم يقر صديق و لم يؤف بالعدوات و لم تقص الحوائج و لم يتحرر الجميل (1) و لم يتنكب القبيح فى شىء من الأشياء حتى إن كثيرا من الأمور المفترضة أيضا إنما يفعل للحياء فإن من الناس من لو لا الحياء لم يرع حق والديه و لم يصل ذا رحم و لم يؤد أمانة و لم يعف عن فاحشة (2) فلا ترى كيف وفى للإنسان جميع الخلال التى فيها صلاحه و تمام أمره.

بيان: إقراء الضيف: ضيافتهم و إكرامهم. و التنكب: التجنب. و وفى على بناء المجهول من التوفية و هى إعطاء الشىء و افياء.

ص: 81

1- تحرى: طلب ما هو أحرى بالاستعمال فى غالب الظن: أو طلب أحرى الامرين أى أولاهما.

2- أى لم يكف و لم يمتنع عن فاحشة.



تَأْمَلُ يَا مُفَضَّلُ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ تَعَدَّدَتْ أَسْمَاؤُهُ بِهِ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنْ هَذَا النُّطْقِ الَّذِي يُعَبِّرُ بِهِ عَمَّا فِي صَدْرِهِ وَمَا يَخْطُرُ بِقَلْبِهِ وَنَتِيجَةَ فِكْرِهِ وَبِهِ يَفْهَمُ عَنْ غَيْرِهِ مَا فِي نَفْسِهِ وَلَوْ لَا ذَلِكَ كَانَ بِمَنْزِلَةِ الْبَهَائِمِ الْمُهْمَلَةِ الَّتِي لَا تُخْبِرُ عَنْ نَفْسِهَا بِشَيْءٍ وَلَا تَفْهَمُ عَنْ مُخْبِرٍ شَيْئاً وَكَذَلِكَ الْكِتَابَةُ الَّتِي بِهَا تَقْيَدُ أَخْبَارَ الْمَاضِيْنَ لِلْبَاقِيْنَ وَأَخْبَارَ الْبَاقِيْنَ لِللَّامِيْنَ وَبِهَا تُخَلَّدُ الْكُتُبُ فِي الْعُلُومِ وَالْآدَابِ وَغَيْرِهَا وَبِهَا يَحْفَظُ الْإِنْسَانُ ذِكْرَ مَا يَجْرِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ مِنَ الْمَعَامَلَاتِ وَالْحِسَابِ وَلَوْلَاهُ لَانْقَطَعَ أَخْبَارُ بَعْضِ الْأَزْمَنَةِ عَنْ بَعْضٍ وَأَخْبَارُ الْغَائِبِينَ عَنْ أَوْطَانِهِمْ وَدَرَسَتْ الْعُلُومُ (1) وَضَاعَتْ الْآدَابُ وَعَظُمَ مَا يَدْخُلُ عَلَى النَّاسِ مِنَ الْخَلَلِ فِي أُمُورِهِمْ وَمَعَامَلَاتِهِمْ وَمَا يَحْتَاجُونَ إِلَى النَّظَرِ فِيهِ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ وَمَا رَوَى لَهُمْ مِمَّا لَا يَسَعُهُمْ جَهْلُهُ وَلَعَلَّكَ تَظُنُّ أَنَّهَا مِمَّا يُحْلَسُ إِلَيْهِ بِالْحِيلَةِ وَالْفِطْنَةِ وَلَيْسَتْ مِمَّا أُعْطِيَ الْإِنْسَانُ مِنْ خَلْقِهِ وَطِبَاعِهِ وَكَذَلِكَ الْكَلَامُ إِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ يَصْطَلِحُ عَلَيْهِ النَّاسُ فَيَجْرِي بَيْنَهُمْ وَلِهَذَا صَارَ يَحْتَلِفُ فِي الْأُمَمِ الْمُحْتَلِفَةِ بِاللُّسُنِ الْمُحْتَلِفَةِ وَكَذَلِكَ الْكِتَابَةُ كَكِتَابَةِ الْعَرَبِيِّ وَالسَّرْيَانِيِّ وَالْعِبْرَانِيِّ وَالرُّومِيِّ وَغَيْرِهَا مِنْ سَائِرِ الْكِتَابَةِ الَّتِي هِيَ مُتَفَرِّقَةٌ فِي الْأُمَمِ إِنَّمَا اصْطَلَحُوا عَلَيْهَا كَمَا اصْطَلَحُوا عَلَى الْكَلَامِ فَيَقَالُ لِمَنْ ادَّعَى ذَلِكَ إِنَّ الْإِنْسَانَ وَإِنْ كَانَ لَهُ فِي الْأُمُورِ جَمِيعاً فِعْلاً أَوْ حَيْدَةً فَإِنَّ الشَّيْءَ الَّذِي يَبْلُغُ بِهِ ذَلِكَ الْفِعْلَ وَالْحَيْدَةَ عَطِيَّةٌ وَهَبَةٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي خَلْقِهِ (2) فَإِنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ لِسَانٌ مُهَيَّأً لِلْكَلامِ وَذَهْنٌ يَهْتَدِي بِهِ لِلْأُمُورِ لَمْ يَكُنْ لِيَتَكَلَّمَ أَبَداً وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ كَفٌّ مُهَيَّأً وَأَصَابِعٌ لِلْكِتَابَةِ لَمْ يَكُنْ لِيَكْتُبَ أَبَداً وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ مِنَ الْبَهَائِمِ الَّتِي لَا كَلَامَ لَهَا وَلَا كِتَابَةَ فَأَصْلُ ذَلِكَ فِطْرَةُ الْبَارِيِّ جَلَّ وَعَزَّ وَمَا تَفَضَّلَ بِهِ عَلَى خَلْقِهِ فَمَنْ شَكَرَ أُثِيبَ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ

بيان: كلامه هاهنا مشعر بأن واضع اللغات البشر فتدبر (3).

ذَكَرَ يَا مُفَضَّلُ (4) فِيمَا أُعْطِيَ الْإِنْسَانُ عِلْمَهُ وَمَا مُنِعَ فَإِنَّهُ أُعْطِيَ عِلْمَ جَمِيعِ مَا فِيهِ

ص: 82

1- أى ذهب أثرها وانمحي.

2- وفي نسخة: فى خلقته.

3- وفي نسخة: فى خلقته.

4- وفي نسخة فكر يا مفضل.

صَلَّاحِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ فَمِمَّا فِيهِ صَدَاحُ دِينِهِ مَعْرِفَةُ الْخَالِقِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالذَّلَائِلِ وَالشَّوَاهِدِ الْقَائِمَةِ فِي الْخَلْقِ وَمَعْرِفَةُ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ مِنَ الْعَدْلِ عَلَى النَّاسِ كَافَّةً وَبِرِّ الْوَالِدِينَ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَمُؤَاَسَاةِ أَهْلِ الْخَلَّةِ وَأَسَدِّ بَاهِ ذَلِكَ مِمَّا قَدْ تَوَجَّدَ مَعْرِفَتُهُ وَالْإِفْرَارُ وَالْإِعْتِرَافُ بِهِ فِي الطَّبْعِ وَالْفِطْرَةِ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ مُوَافِقَةً أَوْ مُخَالَفَةً وَكَذَلِكَ أُعْطِيَ عِلْمَ مَا فِيهِ صَدَاحُ دُنْيَاهُ كَالزَّرَاعَةِ وَالْغِرَاسِ (1) وَاسْتِخْرَاجِ الْأَرْضِينَ وَاقْتِنَاءِ الْأَعْنَامِ وَالْأَنْعَامِ وَاسْتِنْبَاطِ الْمِيَاهِ (2) وَمَعْرِفَةِ الْعَقَاقِيرِ (3) الَّتِي يُسْتَسْتَفَى بِهَا مِنْ ضُرُوبِ الْأَسْقَامِ وَالْمَعَادِنِ الَّتِي يُسْتَخْرَجُ مِنْهَا أَنْوَاعُ الْجَوَاهِرِ وَرُكُوبِ السُّفُنِ وَالْعُوصِ فِي الْبَحْرِ وَضُرُوبِ الْحَيْلِ فِي صَدِيدِ الْوَحْشِ وَالطَّبِيرِ وَالْحَيْتَانِ وَالتَّصَدُّفِ فِي الصَّنَاعَاتِ وَوُجُوهِ الْمَتَاجِرِ وَالْمَكَاسِبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَطُولُ شَرْحُهُ وَيَكْثُرُ تَعْدَادُهُ مِمَّا فِيهِ صَدَاحُ أَمْرِهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ فَأُعْطِيَ عِلْمَ مَا يُصْلِحُ بِهِ دِينَهُ وَدُنْيَاهُ وَمُنِعَ مَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ فِي شَأْنِهِ وَلَا طَاقَتِهِ أَنْ يَعْلَمَ كَعِلْمِ الْغَيْبِ وَمَا هُوَ كَائِنٌ وَبَعْضُ مَا قَدْ كَانَ أَيْضًا كَعِلْمِ مَا فَوْقَ السَّمَاءِ وَمَا تَحْتَ الْأَرْضِ وَمَا فِي لَجَجِ الْبِحَارِ (4) وَأَقْطَارِ الْعَالَمِ وَمَا فِي قُلُوبِ النَّاسِ وَمَا فِي الْأَرْحَامِ وَأَسَدِّ بَاهِ هَذَا مِمَّا حُجِبَ عَلَى النَّاسِ عِلْمُهُ وَقَدْ ادَّعَتْ طَائِفَةٌ مِنَ النَّاسِ هَذِهِ الْأُمُورَ فَأَبْطَلَ دَعْوَاهُمْ مَا بَيَّنَّ مِنْ خَطَائِهِمْ (5) فِيمَا يَفْضُونَ عَلَيْهِ وَيَحْكُمُونَ بِهِ فِيمَا ادَّعَوْا عِلْمَهُ فَانظُرْ كَيْفَ أُعْطِيَ الْإِنْسَانُ عِلْمَ جَمِيعِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ لِدِينِهِ وَدُنْيَاهُ وَحُجِبَ عَنْهُ مَا سِوَى ذَلِكَ لِيَعْرِفَ قَدْرَهُ وَنَقْصَهُ وَكِلَا الْأَمْرَيْنِ فِيهِمَا صَدَاحُهُ تَأَمَّلِ الْآنَ يَا مُفْضِلُ مَا سَتَرَ عَنِ الْإِنْسَانِ عِلْمُهُ مِنْ مَدَّةِ حَيَاتِهِ فَإِنَّهُ لَوْ عَرَفَ مِقْدَارَ عُمْرِهِ وَكَانَ قَصِيرَ الْعُمْرِ لَمْ يَتَهَنَّتْ بِالْعَيْشِ مَعَ تَرْقُبِ الْمَوْتِ وَتَوَقُّعِهِ لَوْفَتْ قَدْ عَرَفَهُ

ص: 83

1- الغراس جمع المغروس: ما يغرس من الشجر.

2- أى استخراجها.

3- جمع للعقار: ما يتداوى به من النبات، الدواء مطلقا.

4- اللجج جمع اللجة: معظم الماء.

5- وفي نسخة: ما يبين من خطائهم.

بَلْ كَانَ يَكُونُ بِمَنْزِلَةٍ مِّنْ قَدْفَيْنِ مَالِهِ أَوْ قَارَبَ الْفَنَاءَ فَقَدِ اسْتَشْعَرَ الْفَقْرَ وَالْوَجَلَ مِنْ فَنَاءِ مَالِهِ وَخَوْفِ الْفَقْرِ عَلَى أَنْ الَّذِي يَدْخُلُ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنْ فَنَاءِ الْعُمْرِ أَعْظَمُ مِمَّا يَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنْ فَنَاءِ الْمَالِ لِأَنَّ مَنْ يَقِلُّ مَالُهُ يَأْمُلُ أَنْ يَسْتَحْلِفَ مِنْهُ فَيَسْكُنَ إِلَى ذَلِكَ وَ مَنْ يَقِينُ بِفَنَاءِ الْعُمْرِ اسْتَحْكَمَ عَلَيْهِ الْيَأْسُ وَإِنْ كَانَ طَوِيلَ الْعُمْرِ ثُمَّ عَرَفَ ذَلِكَ وَثِقَ بِالْبَقَاءِ (1) وَ انْهَمَكَ فِي اللَّذَاتِ وَالْمَعَاصِي وَ عَمِلَ عَلَى أَنَّهُ يَبْلُغُ مِنْ ذَلِكَ شَهْوَتَهُ ثُمَّ يَتُوبُ فِي آخِرِ عُمُرِهِ وَ هَذَا مَذْهَبٌ لَا يَرْضَاهُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ وَ لَا يَقْبَلُهُ إِلَّا تَرَى لَوْ أَنَّ عَبْدًا لَكَ عَمِلَ عَلَى أَنَّهُ يُسَخِّطُكَ سَنَةً وَ يُرْضِيكَ يَوْمًا أَوْ شَهْرًا لَمْ تَقْبَلْ ذَلِكَ مِنْهُ وَ لَمْ يَحِلَّ عِنْدَكَ مَحَلُّ الْعَبْدِ الصَّالِحِ دُونَ أَنْ يُضْمَرَ طَاعَتَكَ وَ نُصْحَكَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ وَ فِي كُلِّ الْأَوْقَاتِ عَلَى تَصَرُّفِ الْحَالَاتِ (2) فَإِنْ قُلْتَ أَوْ لَيْسَ قَدْ يُعَيِّمُ الْإِنْسَانُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ حِينَئِذٍ يَتُوبُ فَتَقْبَلُ تَوْبَتَهُ قُلْنَا إِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ يَكُونُ مِنَ الْإِنْسَانِ لِعَلْبَةِ الشَّهَوَاتِ وَ تَرْكِهِ مُخَالَفَتَهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقْدِرَ فِي نَفْسِهِ وَ يَبْنِي عَلَيْهِ أَمْرَهُ فَيَصْطَفِحُ اللَّهُ عَنْهُ وَ يَتَفَضَّلُ عَلَيْهِ بِالْمَغْفِرَةِ فَأَمَّا مَنْ قَدَّرَ أَمْرَهُ عَلَى أَنْ يَعْصِيَ مَا بَدَأَ لَهُ ثُمَّ يَتُوبُ آخِرَ ذَلِكَ فَإِنَّمَا يُحَاوِلُ خَدِيعَةً مِنْ لَا يُخَادَعُ بِأَنْ يَتَسَلَّفَ التَّلَذُّدُ فِي الْعَاجِلِ وَ يَعِدُ وَ يُمَنِّي نَفْسَهُ التَّوْبَةَ فِي الْآجِلِ وَ لِأَنَّهُ لَا يَفِي بِمَا يَعِدُ مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّ النُّزُوعَ مِنَ التَّرَفُّهِ وَ التَّلَذُّدِ (3) وَ مُعَانَاةَ التَّوْبَةِ وَ لَا سِيَّمَا عِنْدَ الْكِبَرِ وَ ضَعْفِ الْبَدَنِ أَمْرٌ صَعْبٌ وَ لَا يُؤْمِنُ عَلَى الْإِنْسَانِ مَعَ مَدَافَعَتِهِ بِالتَّوْبَةِ أَنْ يُرْهِقَهُ الْمَوْتُ فَيَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا غَيْرَ تَائِبٍ كَمَا قَدْ يَكُونُ عَلَى الْوَاحِدِ دَيْنٌ إِلَى آجَلٍ وَ قَدْ يَقْدِرُ عَلَى قَضَائِهِ فَلَا يَزَالُ يَدْفَعُ بِذَلِكَ حَتَّى يَحِلَّ الْآجَلُ وَ قَدْ نَفِدَ الْمَالُ فَيَبْقَى الدَّيْنُ فَائِمًا عَلَيْهِ فَكَانَ خَيْرَ الْأَشْيَاءِ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُسْتَرَّ عَنْهُ مَبْلَغُ عُمُرِهِ فَيَكُونُ طَوَّلَ عُمُرِهِ يَتَرَقَّبُ الْمَوْتَ فَيَتْرَكَ الْمَعَاصِيَ وَ يُؤْتِرَ الْعَمَلَ الصَّالِحَ فَإِنْ قُلْتَ وَ هَا هُوَ الْآنَ قَدْ سَتَرَ عَنْهُ مِقْدَارُ حَيَاتِهِ وَ صَارَ يَتَرَقَّبُ الْمَوْتَ فِي كُلِّ سَاعَةٍ يُقَارِفُ (4) الْفَوَاحِشَ وَ يَنْتَهِكُ الْمَحَارِمَ قُلْنَا إِنْ وَجَهَ التَّدْبِيرُ فِي هَذَا الْبَابِ هُوَ الَّذِي جَرَى

ص: 84

- 1- كذا في النسخ و الظاهر: ثم لو عرف ذلك وثق بالبقاء.
- 2- وفي نسخة: على تصرف الآيات.
- 3- أي الكف من التمتع و التلذذ.
- 4- أي يكتسب.

عَلَيْهِ إِلَّا مُرٌ فِيهِ فَإِنْ كَانَ الْإِنْسَانُ مَعَ ذَلِكَ لَا يَرْعَوِي (1) وَلَا يَنْصَرِفُ عَنِ الْمَسَاوِي فَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنْ مَرَحِهِ (2) وَمِنْ قَسَاوَةِ قَلْبِهِ لَا مِنْ خَطَا فِي التَّدْبِيرِ كَمَا أَنَّ الطَّيِّبَ قَدْ يَصِفُ لِلْمَرِيضِ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ فَإِنْ كَانَ الْمَرِيضُ مُخَالَفًا لِقَوْلِ الطَّيِّبِ لَا يَعْمَلُ بِمَا يَأْمُرُهُ وَلَا يَنْتَهِي عَمَّا يَنْهَاهُ عَنْهُ لَمْ يَنْتَفِعْ بِصِدْقِهِ وَلَمْ يَكُنْ الْإِسَاءَةُ فِي ذَلِكَ لِلطَّيِّبِ بَلْ لِلْمَرِيضِ حَيْثُ لَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ وَلَئِنْ كَانَ الْإِنْسَانُ مَعَ تَرْقُبِهِ لِلْمَوْتِ كُلِّ سَاعَةٍ لَا يَمْتَنِعُ عَنِ الْمَعَاصِي فَإِنَّهُ لَوْ وَثِقَ بِطَوْلِ الْبَقَاءِ كَانَ أُخْرَى بَأَن يَخْرُجَ إِلَى الْكِبَائِرِ الْفُظِيحَةِ فَتَرْقُبُ الْمَوْتِ عَلَى كُلِّ حَالٍ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الثَّقَةِ بِالْبَقَاءِ ثُمَّ إِنَّ تَرْقُبَ الْمَوْتِ وَإِنْ كَانَ صِنْفٌ مِنَ النَّاسِ يَلْهَوْنَ عَنْهُ وَلَا يَتَّعِظُونَ بِهِ فَقَدْ يَتَّعِظُ بِهِ صِنْفٌ آخَرٌ مِنْهُمْ وَيَنْزِعُونَ عَنِ الْمَعَاصِي وَيُؤْتِرُونَ الْعَمَلَ الصَّالِحَ وَيَجُودُونَ بِالْأَمْوَالِ وَالْعُقَائِلِ النَّفِيسَةِ فِي الصَّدَقَةِ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ فَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْعَدْلِ أَنْ يُحْرَمَ هُوَ لِأَنَّ الْإِنْتِفَاعَ بِهَذِهِ الْخَصَّةِ لَمْ يَتَصَيِّعْ أَوْلِيكَ حَظَّهُمْ مِنْهَا.

بيان: انهمك الرجل في الأمر أي جدّ ولجّ. و التسلّف: الافتراض كأنه يجري معاملة مع ربه بأن يتصرّف في اللذات عاجلا ويعد ربه في عوضها التوبة ليؤدّي إليه آجلا وفي بعض النسخ يستسلف وهو طلب بيع الشئ ع سلفا. والمعاناة: مقاساة العناء والمشقة ويرهقه أي يغشاه ويلحقه. وانتهاك المحارم: المبالغة في خرقها وإتيانها. والارعواء: الكفّ عن الشئ ع وقيل الندم على الشئ ع والانصراف عنه وتركه. والمرح: شدة الفرح وقال الفيروزآبادي: العقيلة من كل شئ ع أكرمه وكريمة الإبل وقال العقيل ككتاب زكاة عام من الإبل.

فَكَرَّيَا مُفْضَلٌ فِي الْأَحْلَامِ كَيْفَ دَبَّرَ الْأَمْرَ فِيهَا فَمَرَجَ صَادِقَهَا بِكَادِبِهَا فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ كُلُّهَا تَصَدِّقُ لَكَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ أَنْبِيَاءَ وَلَوْ كَانَتْ كُلُّهَا تَكْذِبُ لَمْ يَكُنْ فِيهَا مَنَفَعَةٌ بَلْ كَانَتْ فَضْدًا لَا مَعْنَى لَهُ فَصَارَتْ تَصَدِّقُ أَحْيَانًا فَيَنْتَفِعُ بِهَا النَّاسُ فِي مَصَدِّحَةٍ يَهْتَدِي لَهَا أَوْ مَضَرَّةٍ يَتَحَدَّرُ مِنْهَا (3) وَتَكْذِبُ كَثِيرًا لِنَلَّا يَعْتَمِدَ عَلَيْهَا كُلُّ الْإِعْتِمَادِ

ص: 85

1- أي لا يكف.

2- مرح الرجل: اشتد فرحه ونشاطه حتّى جاوز القدر، وتبختر واختال.

3- وفي نسخة: يتحرز منها.

فَكَرَّ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَرَاهَا مَوْجُودَةً مُعَدَّةً فِي الْعَالَمِ مِنْ مَارِبِهِمْ فَالتُّرَابُ لِلْبِنَاءِ وَ الْحَدِيدُ لِلصَّنَاعَاتِ وَ الْحَشَبُ لِلسُّفْنِ وَ غَيْرِهَا وَ الْحِجَارَةُ لِلأَزْحَاءِ (1) وَ غَيْرِهَا وَ النُّحَاسُ لِلأَوَانِي وَ الذَّهَبُ وَ الفِضَّةُ لِلْمُعَامَلَةِ وَ الْجَوْهَرُ لِلذَّخِيرَةِ وَ الْحُبُوبُ لِلْغِذَاءِ وَ الثَّمَارُ لِلتَّفَكُّهِ وَ اللَّحْمُ لِلْمَأْكَلِ وَ الطَّيْبُ لِلتَّلَذُّذِ وَ الأَدْوِيَةُ لِلتَّصَدِّحِجِ وَ الدَّوَابُّ لِلْحُمُولَةِ وَ الحَطَبُ لِلتَّقْوَدِ وَ الرَّمَادُ لِلْكَلْسِ وَ الرَّمْلُ لِلأَرْضِ وَ كَمْ عَسَى أَنْ يُحْصِيَ الْمُحْصِي مِنْ هَذَا وَ شِبْهِهِ أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ دَاخِلًا دَخَلَ دَارًا فَنَظَرَ إِلَى خَزَائِنٍ مَمْلُوءَةٍ مِنْ كُلِّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ النَّاسُ وَ رَأَى كُلَّ مَا فِيهَا مَجْمُوعًا مُعَدًّا لِأَسَدِ بَابٍ مَعْرُوفَةٍ لَكَانَ يَتَوَهَّمُ أَنَّ مِثْلَ هَذَا يَكُونُ بِالْأَهْمَالِ وَ مِنْ غَيْرِ عَمْدٍ فَكَيْفَ يَسْتَجِيزُ قَائِلٌ أَنْ يَقُولَ هَذَا فِي الْعَالَمِ وَ مَا أُعِدَّ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ.

بيان: التفكّه: التنعم. الكلس بالكسر: الصاروج. قوله عليه السلام: للأرض أى لفرشها.

اعْتَبِرْ يَا مُفْضِلُ بِأَشْيَاءِ خُلِقَتْ لِمَارِبِ الْإِنْسَانِ وَ مَا فِيهَا مِنَ التَّدْبِيرِ فَإِنَّهُ خُلِقَ لَهُ الْحَبُّ لِطَعَامِهِ وَ كُفِّ طَحْنَهُ وَ عَجْنَهُ وَ خَبْزَهُ وَ خُلِقَ لَهُ الْوَبْرُ (2) لِكِسْوَتِهِ فَكُفِّ نَدْفُهُ وَ غَزْلُهُ وَ نَسْجُهُ وَ خُلِقَ لَهُ الشَّجَرُ فَكُفِّ غَرَسُهَا وَ سَقِيَّهَا وَ الْقِيَامَ عَلَيْهَا وَ خُلِقَتْ لَهُ الْعَقَافِيرُ لِأَدْوِيَتِهِ فَكُفِّ لَقَطْهَا وَ خَلَطَهَا وَ صَدَّ نِعْمَهَا وَ كَذَلِكَ تَجِدُ سَائِرَ الْأَشْيَاءِ عَلَى هَذَا الْمِثَالِ فَانْظُرْ كَيْفَ كُفِيَ الْخَلْقَةَ الَّتِي لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ فِيهَا حِيلَةٌ وَ تَرَكَ عَلَيْهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَوْضِعَ عَمَلٍ وَ حَرَكَةَ لِمَا لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الصَّلَاحِ لِأَنَّهُ لَوْ كُفِيَ هَذَا كُلُّهُ حَتَّى لَا يَكُونَ لَهُ فِي الْأَشْيَاءِ مَوْضِعٌ شَغْلٍ وَ عَمَلٍ لَمَا حَمَلَتْهُ الأَرْضُ أَشَدَّراً وَ بَطْراً وَ لَبَلَغَ بِهِ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَتَعَاطَى أُمُوراً فِيهَا تَلَفَ نَفْسِهِ وَ لَوْ كُفِيَ النَّاسُ كُلُّ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ لَمَا نَهَنَتُوا بِالْعَيْشِ وَ لَا وَجَدُوا لَهُ لَذَّةً أَلَا تَرَى لَوْ أَنَّ أَمْرًا نَزَلَ بِقَوْمٍ فَأَقَامَ حِيناً بَلَغَ جَمِيعَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَطْعَمٍ وَ مَشْرَبٍ وَ خِدْمَةٍ لَتَبَرَّمَ (3) بِالْفِرَاقِ وَ نَارَعَتْهُ نَفْسُهُ إِلَى التَّشَاغُلِ بِشَيْءٍ فَكَيْفَ لَوْ كَانَ طَوُّ

ص: 86

1- جمع للرحى و هى الطاحون.

2- الوبر للابل و الارانب و نحوها كالصوف للغنم.

3- أى لتضجر.

عُمُرِهِ مَكْفِيًّا لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ وَكَانَ مِنْ صَوَابِ التَّنْبِيرِ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي خُلِقَتْ لِلْإِنْسَانِ أَنْ جُعِلَ لَهُ فِيهَا مَوْضِعٌ شَغْلٌ لِكَيْلَا تَبَرَّمَهُ  
الْبَطَالَةُ وَلِتَكْفَهُ عَنْ تَعَاطِي مَا لَا يَنَالُهُ وَلَا خَيْرَ فِيهِ إِنْ نَالَهُ وَاعْلَمْ يَا مُفْضَلُ أَنَّ رَأْسَ مَعَاشِ الْإِنْسَانِ وَحَيَاتِهِ الْخُبْزُ وَالْمَاءُ فَانظُرْ كَيْفَ دَبَّرَ  
الْأَمْرَ فِيهِمَا فَإِنَّ حَاجَةَ الْإِنْسَانِ إِلَى الْمَاءِ أَشَدُّ مِنْ حَاجَتِهِ إِلَى الْخُبْزِ وَذَلِكَ أَنَّ صَبْرَهُ عَلَى الْجُوعِ أَكْثَرُ مِنْ صَبْرِهِ عَلَى الْعَطَشِ وَالَّذِي يَحْتَاجُ  
إِلَيْهِ مِنَ الْمَاءِ أَكْثَرُ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْخُبْزِ لِأَنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ لِشُرْبِهِ وَوَضُوئِهِ وَغُسْلِهِ وَغَسْلِ ثِيَابِهِ وَسَقْيِ أَنْعَامِهِ وَزَرْعِهِ فَجُعِلَ الْمَاءُ مَبْدُورًا لَا  
يُشْتَرَى لِيَسْتَقُطَّ عَنِ الْإِنْسَانِ الْمُتَوَدِّعِ فِي طَلْبِهِ وَتَكْلُفِهِ وَجُعِلَ الْخُبْزُ مُتَعَدِّرًا لَا يَنَالُ إِلَّا بِالْحِيلَةِ وَالْحَرَكَةِ لِيَكُونَ لِلْإِنْسَانِ فِي ذَلِكَ شَغْلٌ يَكْفُهُ  
عَمَّا يُخْرِجُهُ إِلَيْهِ الْفَرَاغُ مِنَ الْأَشْرَارِ وَالْعَبَثِ أَلَا تَرَى أَنَّ الصَّبِيَّ يَدْفَعُ إِلَى الْمُؤَدَّبِ وَهُوَ طِفْلٌ لَمْ يَكْمُلْ ذَاتُهُ لِلتَّعْلِيمِ كُلُّ ذَلِكَ لِيَسْتَتِغَلَ عَنِ  
اللَّعِبِ وَالْعَبَثِ اللَّذَيْنِ رُبَّمَا جَنَبَا عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ الْمَكْرُوهِ الْعَظِيمِ وَهَكَذَا الْإِنْسَانُ لَوْ خَلَا مِنَ الشُّغْلِ لَخَرَجَ مِنَ الْأَشْرَارِ وَالْعَبَثِ وَالْبَطْرِ إِلَى  
مَا يَعْظُمُ ضَرْرُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى مَنْ قَرَّبَ مِنْهُ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ بِمَنْ نَشَأَ فِي الْجِدَّةِ وَرَفَاهِيَةِ الْعَيْشِ وَالتَّرَفِّهِ وَالْكَفَايَةِ وَ مَا يُخْرِجُهُ ذَلِكَ إِلَيْهِ.

اعْتَبِرْ لِمَ لَا يَشْتَبَاهُ النَّاسُ وَاحِدٌ بِآخَرَ كَمَا يَشْتَبَاهُ الْوَحْشُ وَالطَّيْرُ وَغَيْرُ ذَلِكَ (1) فَإِنَّكَ تَرَى السَّرْبَ مِنَ الطَّبَّاءِ وَالْقَطَا (2) تَشْتَابُهُ حَتَّى لَا  
يُفَرِّقُ بَيْنَ وَاحِدٍ مِنْهَا وَبَيْنَ الْآخَرِ وَ تَرَى النَّاسَ مُخْتَلِفَةً صُورُهُمْ وَخَلْقُهُمْ حَتَّى لَا يَكَادَ اثْنَانِ مِنْهُمْ يَجْتَمِعَانِ فِي صِيفَةٍ وَاحِدَةٍ وَالْعِلَّةُ فِي  
ذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ مُحْتَاجُونَ إِلَى أَنْ يَتَعَارَفُوا بِأَعْيَانِهِمْ وَحَلَاهُمْ لِمَا يَجْرِي بَيْنَهُمْ مِنَ الْمَعَامَلَاتِ وَ لَيْسَ يَجْرِي بَيْنَ الْبَهَائِمِ مِثْلُ ذَلِكَ فَيَحْتَاجُ إِلَى  
مَعْرِفَةِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا بِعَيْنِهِ وَحَلِيَّتِهِ أَلَا تَرَى أَنَّ الشَّابَةَ فِي الطَّيْرِ وَالْوَحْشِ لَا يَضُرُّهُمَا شَيْئًا وَ لَيْسَ كَذَلِكَ الْإِنْسَانُ فَإِنَّهُ رُبَّمَا تَشَابَهَ التَّوَأْمَانِ  
تَشَابَهًا شَدِيدًا فَتَعْظُمُ الْمُتَوَدِّعُ عَلَى النَّاسِ فِي مَعَامَلَتِهِمَا

ص: 87

1- المراد بالتشابه التشابه العرفي كما يدل عليه بيانه الآتي، و أما التشابه الحقيقي فليس منه أثر لا في الإنسان و لا في غيره و قد قام عليه البرهان و ساعده التجارب العلمى. ط.

2- السرب- بكسر السين و سكون الراء-: القطيع من الطباء و الطير و غيرها. و القطا جمع للقطاة: طائر فى حجم الحمام.

حَتَّى يُعْطَى أَحَدُهُمَا بِالْآخِرِ وَيُؤْخَذَ أَحَدُهُمَا بِذَنْبِ الْآخِرِ وَقَدْ يُحْدِثُ مِثْلَ هَذَا فِي تَشَابُهِ الْأَشْيَاءِ فَضْلاً عَنْ تَشَابُهِ الصُّورَةِ فَمَنْ لَطَفَ لِعِبَادِهِ  
بِهَذِهِ الدَّقَائِقِ الَّتِي لَا تَكَادُ تَحْطُرُ بِالْبَالِ حَتَّى وَقَفَ بِهَا عَلَى الصَّوَابِ إِلَّا مَنْ وَسَّعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ لَوْ رَأَيْتَ تِمْتَالَ الْإِنْسَانَ مُصَوَّراً عَلَى  
حَائِطٍ فَقَالَ لَكَ قَائِلٌ إِنَّ هَذَا ظَهَرَ هَاهُنَا مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ لَمْ يَصْغُرْ صَانِعُ أَكُنْتَ تَقْبَلُ ذَلِكَ بَلْ كُنْتَ تَسْتَهْزِئُ بِهِ فَكَيْفَ تُنْكِرُ هَذَا فِي تِمْتَالِ  
مُصَوَّرِ جَمَادٍ وَلَا تُنْكِرُ فِي الْإِنْسَانِ الْحَيِّ النَّاطِقِ لِمَ صَارَتْ أَبْدَانُ الْحَيَوَانَ وَهِيَ تَعْتَدِي أَبَداً لَا تَنْمِي بَلْ تَنْتَهِي إِلَى غَايَةٍ مِنَ التَّمَوُّثِ ثُمَّ تَقِفُ وَ  
لَا تَتَجَاوَزُهَا لَوْ لَا التَّدْبِيرُ فِي ذَلِكَ فَإِنَّ مِنْ تَدْبِيرِ الْحَكِيمِ فِيهَا أَنْ يَكُونَ أَبْدَانُ كُلِّ صِنْفٍ مِنْهَا عَلَى مَقْدَارٍ مَعْلُومٍ غَيْرِ مُتَّفَاوِتٍ فِي الْكَبِيرِ وَ  
الصَّغِيرِ (1) وَصَارَتْ تَنْمِي حَتَّى تَصِلَ إِلَى غَايَتِهَا ثُمَّ يَقِفُ ثُمَّ لَا يَزِيدُ وَ الْغِذَاءُ مَعَ ذَلِكَ دَائِمٌ لَا يَنْقَطِعُ وَلَوْ كَانَتْ تَنْمِي نُمُوّاً دَائِماً لَعَظَمَتْ  
أَبْدَانُهَا وَاسْتَبَهَتْ مَقَادِيرُهَا حَتَّى لَا يَكُونَ لِشَيْءٍ مِنْهَا حَدٌّ يُعْرَفُ لِمَ صَارَتْ أَجْسَامُ الْإِنْسِ حَاصَةً تُثْقَلُ عَنِ الْحَرَكَةِ وَالْمَسْئِي وَيَجْفُو عَنِ  
الصَّنَاعَاتِ اللَّطِيفَةِ إِلَّا لِتَعْظِيمِ الْمُتَوَدِّعِ فِيهَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ النَّاسُ لِلْمَلْبَسِ وَالْمَصْدَجِ وَ التَّكْفِينِ وَغَيْرِ ذَلِكَ لَوْ كَانَ الْإِنْسَانُ لَا يُصِيبُهُ أَلَمٌ وَلَا  
وَجَعٌ بِمِ كَانِ يَرْتَدِعُ عَنِ الْفَوَاحِشِ وَيَتَوَاضَعُ لِلَّهِ وَيَتَعَطَّفُ عَلَى النَّاسِ أَمَا تَرَى الْإِنْسَانَ إِذَا عَرَضَ لَهُ وَجَعٌ خَضَعَ وَاسْتَتَكَانَ وَرَغِبَ إِلَى رَبِّهِ  
فِي الْعَافِيَةِ وَبَسَطَ يَدَيْهِ بِالصَّدَقَةِ وَ لَوْ كَانَ لَا يَأَلَمُ مِنَ الضَّرْبِ بِمِ كَانِ السُّلْطَانُ يُعَاقِبُ الدُّعَارَ (2) وَيَذِلُّ الْعُصَاةَ الْمَرْدَةَ وَبِمِ كَانِ الصَّبِيَّانُ  
يَتَعَلَّمُونَ الْعُلُومَ وَ الصَّنَاعَاتِ وَبِمِ كَانِ الْعَبِيدُ يَذِلُّونَ لِأَرْبَابِهِمْ وَيُدْعَنُونَ لِطَاعَتِهِمْ أَفَلَيْسَ هَذَا تَوْبِيخٌ لِابْنِ أَبِي الْعُوجَاءِ وَ ذَوِيهِ الَّذِينَ جَحَدُوا  
التَّدْبِيرِ وَ الْمَانُوِيَّةِ الَّذِينَ أَنْكَرُوا الْأَلَمَ وَ الْوَجَعَ لَوْ لَمْ يُولَدْ مِنَ الْحَيَوَانَ إِلَّا ذَكَرٌ (3) فَقَطُّ أَوْ إِنَاثٌ فَقَطُّ أَلَمْ يَكُنِ النَّسْلُ مُنْقَطِعاً وَبَادَ مَعَ ذَلِكَ  
أَجْسَامُ الْحَيَوَانَ فَصَارَ بَعْضُ الْأَوْلَادِ يَأْتِي ذُكُوراً وَبَعْضُهَا يَأْتِي إِنَاثاً لِيَدُومَ النَّسْلُ وَ لَا يَنْقَطِعُ لِمَ صَارَ الرَّجُلُ وَ الْمَرْأَةُ إِذَا أَدْرَكَا نَبَتْ لِهَمَا  
الْعَانَةُ ثُمَّ نَبَتْ اللَّحِيَّةُ لِلرَّجُلِ وَ تَخَلَّفَتْ عَنِ الْمَرْأَةِ لَوْ لَا التَّدْبِيرُ فِي ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَمَّا جَعَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ

ص: 88

1- وفي نسخة: في الكبر والصغر.

2- وفي نسخة: الدغار.

3- وفي نسخة: ذكورا.

تَعَالَى الرَّجُلُ فَيَمَّا وَرَقِيًّا عَلَى الْمَرْأَةِ وَجَعَلَ الْمَرْأَةَ عُرْسًا وَحَوْلًا لِلرَّجُلِ أُعْطِيَ الرَّجُلَ اللَّحِيَّةَ لِمَا لَهُ مِنَ الْعِزَّةِ وَالْجَلَالَةِ وَالْهَيْبَةِ وَمَنْعَهَا الْمَرْأَةَ لِتَبْقَى لَهَا نِظَارَةُ الْوَجْهِ وَالْبَهْجَةُ الَّتِي تُشَاكِلُ الْمُفَاكِهَةَ وَالْمُضَاجَعَةَ أَفَلَا تَرَى الْخَلْقَةَ كَيْفَ يَأْتِي بِالصَّوَابِ فِي الْأَشْيَاءِ وَتَتَحَلَّلُ مَوَاضِعَ الْخَطَا فَنُتْعَى وَتَمْنَعُ عَلَى قَدْرِ الْإِزْبِ وَالْمُصْلِحَةِ بِتُدْبِيرِ الْحَكِيمِ عَزَّ وَجَلَّ.

بيان: جنى الذنب عليه يجنيه جنابة جرّه إليه و الجدة بالتخفيف الغناء قوله عليه السلام: فى تشابه الأشياء أى قد يشبه مال شخص بمال شخص آخر كثوب أو نعل أو دينار أو درهم فيصير سببا للاشتباه و التشاجر و التنازع فضلا عن تشابه الصورة فإنه أعظم فسادا و المراد أن الناس كثيرا ما يشتبه عليهم أمر رجلين لتشابه لباسهما و مركوبهما و غير ذلك فيؤخذ أحدهما بالآخر فكيف مع تشابه الصورة قوله عليه السلام: و اشتبهت مقاديرها أى لم يعرف غاية ما ينتهى إليه مقداره فيشتبه الأمر عليه فيما يريد أن يهيئه لنفسه من دار و دابة و ثياب و زوجة قوله عليه السلام: و يجفو أى يبعد و يجتنب و لا يداوم على الصناعات اللطيفة أى التى فيها دقة و لطافة قال الجزرى و فى الحديث اقرءوا القرآن و لا تجفوا عنه أى تعاهدوه و تبعدوا عن تلاوته انتهى.

و الحاصل أن الله تعالى جعل الإنسان بحيث تثقل عن الحركة و المشى قبل سائر الحيوانات و تكل عن الأعمال الدقيقة لتعظم عليه مؤنة تحصيل ما يحتاج إليه فلا- يطر و لا يطغى أو ليكون لهذه الأعمال أجر فيصير سببا لمعاش أقوام يزاولونها و الدعار فى بعض النسخ بالمهملة من الدعر محرقة الفساد و الفسق و الخبث و فى بعضها بالمعجمة من الدغرة و هى أخذ الشىء اختلاسا و العرس بالكسر امرأة الرجل و الخول محرقة ما أعطاك الله من النعم و العبيد و الإماء و المفاكهة الممازحة و المضاحكة قوله عليه السلام: و تخلل مواضع الخطايا يحتمل أن تكون الجملة حالية أى تأتى بالصواب مع أنها تدخل مواضع هى مظنة الخطايا من قولهم تخللت القوم أى دخلت خلالهم و يحتمل أن يكون المراد بالتخلل التخلف أو الخروج من خلالها لكن تطبيقهما على المعانى اللغوية يحتاج إلى تكلف.

قَالَ الْمُفْضَلُ ثُمَّ حَانَ وَقْتُ الزَّوَالِ فَقَامَ مَوْلَايَ إِلَى الصَّلَاةِ وَقَالَ بَكَرٌ إِلَيَّ غَدًا



إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَانصَرَفْتُ مِنْ عِنْدِهِ مَسْرُورًا بِمَا عَرَفْتُهُ مُبْتَهَجًا بِمَا أُوتِيْتُهُ حَامِدًا لِلَّهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيَّ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ عَلَيَّ مَا مَنَحَنِي بِمَا عَرَفْتِيهِ  
مَوْلَايَ وَتَفَضَّلَ بِهِ عَلَيَّ فَبِتُّ فِي لَيْلَتِي مَسْرُورًا بِمَا مَنَحَنِيهِ مُحْبُورًا بِمَا عَلَّمَنِيهِ.

تم المجلس الأول و يتلوه المجلس الثاني من كتاب الأدلة على الخلق و التدبير و الرد على القائلين بالإهمال و منكرى العمد برواية  
المفضل عن الصادق صلوات الله عليه و على آباءه.

قَالَ الْمُفَضَّلُ فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّانِي بَكَرْتُ إِلَى مَوْلَايَ فَاسْتَتَوِذَنَ لِي فَدَخَلْتُ فَأَمَرَنِي بِالْجُلُوسِ فَجَلَسْتُ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ مُدِيرِ الْأَدْوَارِ (1) وَ  
مُعِيدِ الْأَكْوَارِ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ وَ عَالِمًا بَعْدَ عَالِمٍ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى عَدْلًا مِنْهُ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ وَ  
جَلَّتْ آلاؤُهُ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَ لَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ يَشْهَدُ بِذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ قُدْسُهُ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ  
ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ فِي نَظَائِرِ لَهَا فِي كِتَابِهِ الَّذِي فِيهِ تَبَيَّنَ كُلُّ شَيْءٍ وَ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ وَ لِذَلِكَ قَالَ  
سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَ آلِهِ إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ تُرَدُّ إِلَيْكُمْ ثُمَّ أَطْرَقَ هُنَيْئَةً ثُمَّ قَالَ يَا مُفَضَّلُ الْخَلْقُ حَيَارَى عَمْهُونَ سُكَارَى فِي طُغْيَانِهِمْ  
يَتَرَدَّدُونَ وَ بِشَدِّ يَاطِينِهِمْ وَ طَوَاغِيَتِهِمْ يَتَدُّونَ بَصْرَاءَ عُمَى لَا يُبْصِرُونَ نَظْفَاءَ بُكْمٍ لَا يَعْقِلُونَ سَمْعَاءَ صُومٍ لَا يَسْمَعُونَ رَضُوعًا بِاللُّدُونِ وَ حَسْبُوا أَنَّهُمْ  
مُهْتَدُونَ حَادُوا عَنْ مَدْرَجَةِ الْأَكْيَاسِ وَ رَتَعُوا فِي مَرَعَى الْأَرْجَاسِ الْأَنْجَاسِ كَانَهُمْ مِنْ مُفَاجَأَةِ الْمَوْتِ آمِنُونَ وَ عَنِ الْمُجَازَاتِ مُزْحَرُونَ يَا  
وَيْلَهُمْ مَا أَشْقَاهُمْ وَ أَطْوَلَ عَنَاءَهُمْ وَ أَشَدَّ بِلَاءَهُمْ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَ لَا هُمْ يُنصَرُونَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ قَالَ الْمُفَضَّلُ فَبَكَيْتُ لِمَا  
سَمِعْتُ مِنْهُ فَقَالَ لَا تَبْكُ تَخَلَّصْتَ إِذْ قَبِلْتَ وَ نَجَوْتَ إِذْ عَرَفْتَ ثُمَّ قَالَ أَبْتَدِئُ لَكَ بِذِكْرِ الْحَيَوَانِ لِيَتَّضِحَ لَكَ مِنْ أَمْرِهِ مَا وَضَحَ لَكَ مِنْ غَيْرِهِ فَكَّرُ  
فِي أُنْبِيَّةِ أَبْدَانِ الْحَيَوَانِ وَ تَهْيِئَتِهَا عَلَيَّ مَا هِيَ عَلَيْهِ فَلَا هِيَ صِدْلَابٌ كَالْحِجَارَةِ وَ لَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ لَا تَنْشِي وَ لَا تَنْصَرِفُ فِي الْأَعْمَالِ وَ لَا هِيَ  
عَلَى غَايَةِ اللَّيْنِ وَ الرَّخَاوَةِ فَكَانَتْ

ص: 90

لَا تَتَحَامَلُ وَلَا تَسْتَبْقِلُ بِأَنْفُسِهِمَا فَجُعِلَتْ مِنْ لَحْمٍ رَخْوٍ تَنْشَى تَدَاخِلُهُ عِظَامٌ صِلَابٌ يُمَسِكُهُ عَصَبٌ وَعُرُوقٌ تَشُدُّهُ وَيُصَمُّ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ وَغُلْفَتْ (1) فَوْقَ ذَلِكَ بِجِلْدٍ يَسْتَتِمُّ عَلَى الْبَدَنِ كُلِّهِ وَمِنْ أَشْبَاهِ ذَلِكَ هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي تُعْمَلُ مِنَ الْعِيدَانِ (2) وَتَلْفُ بِالْخِرْقِ وَتُسَدُّ بِالْخِيُوطِ وَيُطَلَّى فَوْقَ ذَلِكَ بِالصَّمْغِ (3) فَيَكُونُ الْعِيدَانُ بِمَنْزِلَةِ الْعِظَامِ وَالْخِرْقُ بِمَنْزِلَةِ اللَّحْمِ وَالْخِيُوطُ بِمَنْزِلَةِ الْعَصَبِ وَالْعُرُوقُ وَالطَّلَا بِمَنْزِلَةِ الْجِلْدِ فَإِنْ جَازَ أَنْ يَكُونَ الْحَيَوَانَ الْمُتَحَرِّكَ حَدَثَ بِالْإِهْمَالِ مِنْ غَيْرِ صَانِعٍ جَازَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي هَذِهِ التَّمَاثِيلِ الْمَيِّتَةِ فَإِنْ كَانَ هَذَا غَيْرَ جَائِزٍ فِي التَّمَاثِيلِ فِي الْحَرِيِّ أَنْ لَا يَجُوزَ فِي الْحَيَوَانَ وَفَكَرَّ بَعْدَ هَذَا فِي أَجْسَادِ الْأَنْعَامِ فَإِنَّهَا حِينَ خُلِقَتْ عَلَى أَيْدِي الْإِنْسِ مِنَ اللَّحْمِ وَالْعِظْمِ وَالْعَصَبِ أُعْطِيَتْ أَيْضًا السَّمْعَ وَالْبَصَرَ لِيَبْلُغَ الْإِنْسَانُ حَاجَتَهُ فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ عُمِيًّا صَدَّمَ (4) لَمَا انْتَفَعَ بِهَا الْإِنْسَانُ وَلَا تَصَرَ بِرَفْتٍ فِي شَيْءٍ مِنْ مَآرِبِهِ ثُمَّ مُنِعَتِ الذُّهْنَ وَالْعَقْلَ لِتَذِلَّ لِلْإِنْسَانِ فَلَا تَمْتَنِعَ عَلَيْهِ إِذَا كَدَّهَا الْكَدَّ الشَّدِيدَ وَحَمَلَهَا الْحِمْلَ الثَّقِيلَ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ إِنَّهُ قَدْ يَكُونُ لِلْإِنْسَانِ عَيْدٌ مِنَ الْإِنْسِ يَذُلُّونَ وَيُدْعُونَ بِالْكَدِّ الشَّدِيدِ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ غَيْرُ عَدِيمِي الْعَقْلِ وَالذُّهْنِ فَيُقَالُ فِي جَوَابِ ذَلِكَ إِنَّ هَذَا الصَّنْفَ مِنَ النَّاسِ قَلِيلٌ فَأَمَّا أَكْثَرُ النَّاسِ فَلَا يَذْعَنُونَ بِمَا تَذْعَنُ بِهِ الدَّوَابُّ مِنَ الْحَمْلِ وَالطَّحْنِ وَمَا أَشَدَّ بِهِ ذَلِكَ وَلَا يُعْرُونَ بِمَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْهُ (5) ثُمَّ لَوْ كَانَ النَّاسُ يَزَاوِلُونَ مِثْلَ هَذِهِ الْأَعْمَالِ بِأَبْدَانِهِمْ لَشَغَلُوا بِذَلِكَ عَنْ سَائِرِ الْأَعْمَالِ لِأَنَّهُ كَانَ يُحْتَاجُ مَكَانَ الْجَمَلِ الْوَاحِدِ وَالْبُغْلِ الْوَاحِدِ إِلَى عِدَّةِ أَنْاسِيٍّ فَكَانَ هَذَا الْعَمَلُ يَسْتَفْرِغُ النَّاسَ حَتَّى لَا يَكُونَ فِيهِمْ عَنْهُ فَضْلٌ لَشَيْءٍ مِنَ الصَّنَاعَاتِ مَعَ مَا يَلْحَقُهُمْ مِنَ التَّعَبِ الْفَادِحِ فِي أَبْدَانِهِمْ وَالصَّبِيحِ وَالْكَدِّ فِي مَعَاشِهِمْ .

إيضاح: مدير الأدوار لعل فيه مضافا محذوفا أى ذوى الأدوار أو الإسناد مجازى

ص: 91

1- وفى نسخة: وعليت فوق ذلك.

2- جمع العود وهى الخشب.

3- أى يلطخ فوق ذلك بالصمغ.

4- وفى نسخة: فانها لو كانت عما صما.

5- وفى نسخة: ولا يعزون بما يحتاج إليه منه.

وفى بعض النسخ بالباء الموحدة وهو أظهر والأكوار جمع كور بالفتح وهو الجماعة الكثيرة من الإبل والقطيع من الغنم ويقال كل دور كور والمراد إما استئناف قرن بعد قرن و زمان بعد زمان أو إعادة أهل الأكوار والأدوار جميعا فى القيامة والأول أظهر وقال الجزرى قيل للقرن طبق لأنهم طبق للأرض ثم يتقرضون فيأتى طبق آخر قوله عليه السلام: فى نظائر أى قالها فى ضمن نظائر لها أو مع نظائرها قوله صلى الله عليه وآله إنما هى أى المثوبات والعقوبات أعمالكم أى جزاؤها والعمة التحير والتردد والحيد الميل والمدرجة المذهب والمسلك وزحزحه أبعدته والانتشاء الانعطاف والميل قوله عليه السلام: ولا يغرون فى بعض النسخ بالغين المعجمة والراء المهملة على بناء المفعول من قولهم أغريت الكلب بالصيد أى لا يؤثر فيهم الإغراء والتحريض على جميع الأعمال التى يحتاج إليها الخلق من ذلك العمل الذى تأتى به الدواب وفى بعضها بالعين المهملة والزاي المعجمة من عزى من باب تعب أى صبر على ما نابه والأول أظهر والفادح من قولهم فادحه الدين أثقله ثم اعلم أنه ينبغى حمل السؤال على أنه كان يمكن أن يكتفى بخلق الحيوانات لأن بعضهم ينقادون ويطيعون بعضا فالجواب منطبق من غير تكلف.

فَكَرَّ يَا مُفَضَّلُ فِي هَذِهِ الْأَصِّ نَافِ الثَّلَاثَةِ مِنَ الْحَيَوَانِ وَفِي خَلْقِهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ بِمَا فِيهِ صَدِّ لَاحُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا فَالْإِنْسُ لَمَّا قَدَّرُوا أَنْ يَكُونُوا ذَوِي ذَهْنٍ وَفُطْنَةٍ وَعِلَاجٍ لِمِثْلِ هَذِهِ الصَّنَاعَاتِ مِنَ الْبِنَاءِ وَالتَّجَارَةِ وَالصِّيَاغَةِ (1) وَغَيْرِ ذَلِكَ خُلِقَتْ لَهُمْ أَكْفٌ كِبَارٌ ذَوَاتُ أَصَابِعٍ غِلَاطٍ لِيَتَمَكَّنُوا مِنَ الْقَبْضِ عَلَى الْأَشْيَاءِ وَأَوْكُدَهَا هَذِهِ الصَّنَاعَاتُ وَآكِلَاتُ اللَّحْمِ لَمَّا قَدَّرَ أَنْ يَكُونَ مَعَايِشُهَا مِنَ الصَّيْدِ خُلِقَتْ لَهُمْ أَكْفٌ لَطَافٌ مُدَمِّجَةٌ (2) ذَوَاتُ بَرَائِنٍ وَمَخَالِبٍ تَصْ لُحٍ لِأَخْذِ الصَّيْدِ وَلَا تَصْ لُحٍ لِلصَّنَاعَاتِ وَآكِلَاتُ النَّبَاتِ لَمَّا قَدَّرَ أَنْ يَكُونُوا لِذَاتِ صَدِّ نَعَةٍ وَلَا ذَاتِ صَيْدٍ خُلِقَتْ لِبَعْضِهَا أَظْلَافٌ (3) تَقِيهَا خُسُونَةَ الْأَرْضِ

ص: 92

1- وفى نسخة: والخياطة.

2- وفى نسخة: اكف لطف مذبحة.

3- جمع الظلف-بكسر الظاء وسكون اللام-وهو لما اجتر من الحيوانات كالبقرة والظبي بمنزلة الحافر للفرس.

إِذَا حَاوَلَ طَلَبَ الرِّعَىٰ وَ لِبَعْضِهَا حَوَافِرٌ مُّلْمَلَمَةٌ ذَوَاتٌ فَعَرٍ كَأَحْمَصِ الْقَدَمِ تَنْطَبِقُ عَلَى الْأَرْضِ لِتَهَيَّأَ لِلرُّكُوبِ وَالْحَمُولَةِ تَأْمَلُ التَّدْبِيرَ فِي خَلْقِ  
 آكِلَاتِ اللَّحْمِ مِنَ الْحَيَوَانِ حِينَ خُلِقَتْ ذَوَاتُ أَسَدٍ بِنَانٍ حِدَادٍ (1) وَ بَرَاثِنِ شِدَادٍ وَ أَسَدٍ دَاقٍ وَ أَفْوَاهِ وَأَسَدٍ فَاتَهُ لَمَّا قُدِّرَ أَنْ يَكُونَ طُعْمَهَا اللَّحْمَ  
 خُلِقَتْ خِلْقَةً تُشَاكِلُ ذَلِكَ وَ أُعِينَتْ بِسِلَاحٍ وَ أَدَوَاتٍ تَصْلُحُ لِلصَّيْدِ وَ كَذَلِكَ تَجِدُ سِبَاعَ الطَّيْرِ ذَوَاتَ مَنَاقِيرَ وَ مَخَالِبَ مُهَيَّأَةً لِفِعْلِهَا وَ لَوْ كَانَتْ  
 الْوُحُوشُ ذَوَاتَ مَخَالِبٍ كَانَتْ قَدْ أُعْطِيَتْ مَا لَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ لِأَنَّهَا لَا تَصِيدُ وَ لَا تَأْكُلُ اللَّحْمَ وَ لَوْ كَانَتْ السِّبَاعُ ذَوَاتَ أَظْلَافٍ كَانَتْ قَدْ مُنِعَتْ  
 مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَعْنَى السِّلَاحِ الَّذِي بِهِ تَصِيدُ وَ تَتَعَيَّشُ أَفَلَا تَرَى كَيْفَ أُعْطِيَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّنْفَيْنِ مَا يُشَاكِلُ صِدْفَهُ وَ طَبَقَتَهُ بَلْ مَا فِيهِ بَقَاؤُهُ وَ  
 صَلَاحُهُ انْظُرِ الْآنَ إِلَى ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ كَيْفَ تَرَاهَا تَتَّبِعُ أُمَّتِهَا مُسْتَقِلَّةً بِأَنْفُسِهَا لَا تَحْتَاجُ إِلَى الْحَمْلِ وَ التَّرْيِيبَةِ كَمَا تَحْتَاجُ أَوْلَادُ الْإِنْسِ فَمِنْ أَجْلِ  
 أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَ أُمَّهَاتِهِمَا مَا عِنْدَ أُمَّهَاتِ الْبَشَرِ مِنَ الرِّفْقِ وَ الْعِلْمِ بِالتَّرْبِيَةِ وَ الْقُوَّةِ عَلَيْهَا بِالْأَكْفِ وَ الْأَصَابِعِ الْمُهَيَّأَةِ لِذَلِكَ أُعْطِيَتْ الشُّهُوضُ وَ  
 الْإِسْدُ بِتَقْلَالٍ بِأَنْفُسِهَا وَ كَذَلِكَ تَرَى كَثِيرًا مِنَ الطَّيْرِ كَمِثْلِ الدَّجَاجِ وَ الدَّرَاجِ وَ الْقَبِجِ (2) تَدْرُجُ وَ تَلْقُطُ حِينَ يَنْقَابُ عَنْهَا الْبَيْضُ فَأَمَّا مَا كَانَ مِنْهَا  
 ضَعِيفًا لَا نُهُوضُ فِيهِ كَمِثْلِ فِرَاحِ الْحَمَامِ وَ الْيَمَامِ وَ الْحُمَمِ فَقَدْ جُعِلَ فِي الْأُمَّهَاتِ فَضْلٌ عَظِيمٌ عَلَيْهَا فَصَارَتْ تَمُجُّ الطَّعَامَ فِي أَفْوَاهِهَا بَعْدَ مَا  
 تُوَعِيهِ حَوَاصِ لُحْمًا فَلَا تَرَالُ تَغْدُوهَا حَتَّى تَسَّ تَقِلَّ بِأَنْفُسِهَا وَ لِذَلِكَ لَمْ تُرْزَقِ الْحَمَامُ فِرَاحًا كَثِيرَةً مِثْلَ مَا تُرْزَقُ الدَّجَاجُ لِتَقْوَى الْأُمُّ عَلَى تَرْبِيَةِ  
 فِرَاحِهَا فَلَا تَفْسُدُ وَ لَا تَمُوتَ فَكُلُّ أُعْطِيَ بِسِطٍ مِنْ تَدْبِيرِ الْحَكِيمِ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ انْظُرْ إِلَى قَوَائِمِ الْحَيَوَانِ كَيْفَ تَأْتِي أَرْوَاجًا لِتَهَيَّأَ لِلْمَشْيِ وَ لَوْ  
 كَانَتْ أَفْرَادًا لَمْ تَصَلُحْ لِذَلِكَ لِأَنَّ الْمَاشِيَ يَنْقُلُ قَوَائِمَهُ (3) وَ يَعْتَمِدُ عَلَى بَعْضِ قَدْوِ الْقَائِمَتَيْنِ يَنْقُلُ وَاحِدَةً وَ يَعْتَمِدُ عَلَى وَاحِدَةٍ وَ ذُو الْأَرْبَعِ  
 يَنْقُلُ اثْنَيْنِ وَ يَعْتَمِدُ عَلَى اثْنَيْنِ وَ ذَلِكَ مِنْ خِلَافٍ لِأَنَّ ذَا الْأَرْبَعِ لَوْ كَانَ يَنْقُلُ قَائِمَتَيْنِ مِنْ أَحَدِ جَانِبَيْهِ وَ يَعْتَمِدُ عَلَى قَائِمَتَيْنِ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ

ص: 93

1- و في نسخة: حيث جعلت ذوات أسنان.

2- بالقاف و الباء المفتوحتين: طائر يشبه الحجل.

3- كذا في النسخ و الظاهر أن الصحيح: ينقل بعض قوائمه.

لَمَّا يَثْبُتْ عَلَى الْأَرْضِ كَمَا لَا يَثْبُتُ السَّرِيرُ وَ مَا أَشَدَّ بِهِ فَصَارَ يُنْقَلُ الْيُمْنَى مِنْ مَقَادِيمِهِ مَعَ الْبَسْرَى مِنْ مَآخِرِهِ وَ يُنْقَلُ الْأَخْرِيَيْنِ أَيْضًا مِنْ خِلَافٍ فَيَثْبُتْ عَلَى الْأَرْضِ وَ لَا يَسْقُطُ إِذَا مَسَى أَمَا تَرَى الْحِمَارَ كَيْفَ يَذُلُّ لِلطَّحْنِ وَ الْحَمُولَةَ وَ هُوَ يَرَى الْفَرَسَ مُودِعًا مُنْعَمًا وَ الْبَعِيرَ لَا يُطِيقُهُ عِدَّةُ رَجَالٍ لَوْ اسْتَعَصَى كَيْفَ كَانَ يَنْقَادُ لِلصَّبِيِّ وَ الثَّوْرَ الشَّدِيدَ كَيْفَ كَانَ يُذْعَنُ لِصَاحِبِهِ حَتَّى يَضَعَ النَّيْرَ عَلَى عُنُقِهِ وَ يَحْرَثَ بِهِ وَ الْفَرَسَ الْكَرِيمَ يَرْكَبُ السُّيُوفَ وَ الْأَسِنَّةَ بِالْمُؤَاتَاةِ لِفَارِسِهِ وَ الْقَطِيعَ مِنَ الْغَنَمِ يَرَعَاهُ رَجُلٌ وَاحِدٌ وَ لَوْ تَفَرَّقَتِ الْغَنَمُ فَأَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا فِي نَاحِيَةٍ لَمْ يَلْحَقْهَا وَ كَذَلِكَ جَمِيعُ الْأَصْنَافِ مُسَخَّرَةٌ لِلْإِنْسَانِ إِنْ فِئِمَ كَانَتْ كَذَلِكَ إِلَّا بِأَنَّهَا عَدِمَتِ الْعَقْلَ وَ الرَّوِيَّةَ فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ تَعْقِلُ وَ تُرَوِّى فِي الْأُمُورِ كَانَتْ خَلِيقَةً أَنْ تَلْتَوِي عَلَى الْإِنْسَانِ فِي كَثِيرٍ مِنْ مَآرِبِهِ حَتَّى يَمْتَنِعَ الْجَمَلُ عَلَى قَائِدِهِ وَ الثَّوْرُ عَلَى صَاحِبِهِ وَ تَتَفَرَّقُ الْغَنَمُ عَنْ رَاعِيهَا وَ أَشْبَاهُ هَذَا مِنَ الْأُمُورِ (1) وَ كَذَلِكَ هَذِهِ السَّبَاعُ لَوْ كَانَتْ ذَاتَ عَقْلٍ وَ رَوِيَّةٍ فَتَوَارَزَتْ عَلَى النَّاسِ كَانَتْ خَلِيقَةً أَنْ تَجْتَا حُهُمَ (2) فَمَنْ كَانَ يَقُومُ لِلْأَسَدِ وَ الذَّنَابِ وَ الثَّمُورَةِ وَ الدَّبَّابَةِ لَوْ تَعَاوَنَتْ وَ تَطَاهَرَتْ عَلَى النَّاسِ أَفَلَا تَرَى كَيْفَ حُجِرَ ذَلِكَ عَلَيْهَا وَ صَارَتْ مَكَانًا مَا كَانَ يُخَافُ مِنْ إِقْدَامِهَا وَ نِكَالِهَا تَهَابَ مَسَاكِنَ النَّاسِ وَ تُحِجُّ عَنْهَا ثُمَّ لَا تَظْهَرُ وَ لَا تَنْشُرُ لِطَلَبِ قُوَّتِهَا إِلَّا بِاللَّيْلِ فَهِيَ مَعَ صَوْلَتِهَا كَالْخَائِفِ لِلْإِنْسَانِ بَلْ مَقْمُوعَةٍ مَمْنُوعَةٍ مِنْهُمْ وَ لَوْ لَا ذَلِكَ لَسَاوَرْتَهُمْ فِي مَسَاكِنِهِمْ وَ ضَيَّعَتْ عَلَيْهِمْ (3) ثُمَّ جُعِلَ فِي الْكَلْبِ مِنْ بَيْنِ هَذِهِ السَّبَاعِ عَطْفٌ عَلَى مَالِكِهِ وَ مُحَامَاةٌ عَنْهُ وَ حِفَاطٌ لَهُ فَهُوَ يَنْتَقِلُ عَلَى الْحَيْطَانِ وَ السُّطُوحِ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ لِحِرَاسَةِ مَنْزِلِ صَاحِبِهِ وَ ذَبِّ الدَّعَارِ عَنْهُ (4) وَ يَبْلُغُ مِنْ مَحَبَّتِهِ لِصَاحِبِهِ أَنْ يَبْذُلَ نَفْسَهُ لِلْمَوْتِ دُونَهُ وَ دُونَ مَا شِئْتَهُ وَ مَالِهِ وَ يَأْلَفُهُ غَايَةَ الْإِلْفِ حَتَّى يَصْبِرَ مَعَهُ عَلَى الْجُوعِ وَ الْجَفْوَةِ فَلَمَّ طَبَعَ الْكَلْبُ عَلَى هَذَا

ص: 94

- 1- أى نظر فى الأمور و تفكر فيها.
- 2- أى تستأصلهم و تهلكهم.
- 3- وفى نسخة: و ضيقت عليهم.
- 4- وفى نسخة: و ذب الدعار عنه.

الإلف إلا ليكون حارساً للإنسان له عينٌ بآنيابٍ ومخالبٍ ونُبُاحٌ هائلٌ ليُدعِرَ منه السارقُ ويتجنَّبَ المواضعَ التي يحميها ويخفيها.

بيان: وأوكدها أى أوكدها الأشياء وأحوجها إلى هذا النوع من الخلق هذه الصناعات ويحتمل إرجاع الضمير إلى جنس البشر فيكون فعلاً أى ألزمها أو ألهمها هذه الصناعات ولا يبعد إرجاعه إلى الألف أيضاً قوله عليه السلام: مدمجة أى انضم بعضها إلى بعض قال الجوهري دمج الشيء دموجاً إذا دخل فى الشيء واستحكم فيه وأدمجت الشيء إذا لففته فى ثوب وفى بعض النسخ مذبحة بالباء والحاء المهملة ولعل المراد معوجة من قولهم دبح تديحاً أى بسط ظهره وطأ رأسه وهو تصحيف والبرائن من السباع والطيور بمنزلة الأصابع من الإنسان والمخلب ظفر البرثن والململم بفتح اللامين المجتمع المدور المصموم والأخمص من باطن القدم ما لا يصيب الأرض والشدق جانب الفم والطعم بالضم الطعام والأمت جمع الأم وقيل إنما تستعمل فى البهائم وأما فى الناس فيقال أمهات ويقال قاب الطير بيضته فلقها فانقابت واليمام حمام الوحش والحرمر بضم الحاء وفتح الميم طائر وقد يشدد الميم ويقال مج الرجل الطعام من فيه إذا رمى به والمودع من الخيل بفتح الدال المستريح ونير الفدان بالكسر الخشبة المعترضة فى عنق الثورين قوله عليه السلام: يركب السيوف أى يستقبلها بجرأة كأنه يركبها أو بمعنى يرتكب مواجهتها والمواتاة الموافقة والديبة كعنبه جمع الدب ويقال أحجم القوم عنه أى نكصوا وتأخروا وتهيبوا أخذه وساوره واثبه ويقال حاميت عنه أى منعت منه والعين بالفتح الغلظ فى الجسم والخشونة والخفر المنع.

يَا مُفْضِلُ تَأَمَّلْ وَجْهَ الدَّابَّةِ كَيْفَ هُوَ فَإِنَّكَ تَرَى الْعَيْنَيْنِ شَاخِصَتَيْنِ أَمَامَهَا لِتُبْصِرَ مَا بَيْنَ يَدَيْهَا لِئَلَّا تَصْدِمَ حَائِطاً أَوْ تَتَرَدَّى فِي حُفْرَةٍ وَتَرَى الْفَمَ مَشْقُوقاً شَقّاً فِي أَسْفَلِ الْخَطْمِ وَلَوْ شَقَّ كَمَا كَانَ الْفَمُ مِنَ الْإِنْسَانِ فِي مُقَدِّمِ الذَّقَنِ لَمَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَتَنَاوَلَ بِهِ شَيْئاً مِنَ الْأَرْضِ أَلَا تَرَى أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَتَنَاوَلُ الطَّعَامَ بِيَمِينِهِ وَلكِنْ بِيَدِهِ تَكْرِمَةً لَهُ عَلَى سَائِرِ الْإِهْكَالَاتِ فَلَمَّا لَمْ يَكُنْ لِلدَّابَّةِ يَدٌ تَتَنَاوَلُ بِهَا الْعَلْفَ جُعِلَ خَطْمُهَا مَشْقُوقاً مِنْ أَسْفَلِهِ

لِتَبْضَ بِهِ عَلَى الْعَلْفِ ثُمَّ تَقْضِمُهُ وَاعْيَنْتِ بِالْجَحْفَلَةِ تَتَنَاوَلُ بِهَا مَا قَرَّبَ وَ مَا بَعُدَ اعْتَبِرْ بِذَنْبِهَا وَ الْمَنْفَعَةَ لَهَا فِيهِ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَةِ الطَّبَقِ عَلَى الدُّبْرِ وَ الْحَيَاءِ جَمِيعاً يُوَارِيهِمَا وَ يَسْتُرُهُمَا وَ مِنْ مَنَافِعِهَا فِيهِ أَنَّ مَا بَيْنَ الدُّبْرِ وَ مَرَاقِي الْبَطْنِ مِنْهَا وَصُرٌ يَجْتَمِعُ عَلَيْهِ الدُّبَابُ وَ الْبُعُوضُ فَجُعِلَ لَهَا الذَّنْبُ كَالْمَذْبَةِ تَذُبُّ بِهَا عَنْ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ وَ مِنْهَا أَنَّ الدَّابَّةَ تَسْتَرِيحُ إِلَى تَحْرِيكِهِ وَ تَصْدْرِيفِهِ يَمَنَةً وَ يَسْرَةً فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَ قِيَامُهَا عَلَى الْأَرْبَعِ بِأَسْرِهِا وَ شُغْلَتِ الْمَقْدَمَتَانِ بِحَمْلِ الْبَدَنِ عَنِ التَّصَرُّفِ وَ التَّقَلُّبِ كَانَ لَهَا فِي تَحْرِيكِ الذَّنْبِ رَاحَةٌ وَ فِيهِ مَنَافِعٌ أُخْرَى يَقْضِرُ عَنْهَا الْوَهْمُ يُعْرِفُ مَوَاقِعُهَا فِي وَقْتِ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ الدَّابَّةَ تَرْتَضِمُ فِي الْوَحْلِ (1) فَلَا يَكُونُ شَيْءٌ أَعْوَنَ عَلَى نُهوضِهَا مِنَ الْأَخْذِ بِذَنْبِهَا وَ فِي شَعْرِ الذَّنْبِ مَنَافِعٌ لِلنَّاسِ كَثِيرَةٌ يَسْتَعْمِلُونَهَا فِي مَآرِبِهِمْ ثُمَّ جُعِلَ ظَهْرُهَا مَسَدًا مَبْطُوحاً عَلَى قَوَائِمِ أَرْبَعٍ لِيَتِمَّكَنَ مِنْ رُكُوبِهَا وَ جُعِلَ حَيَاها بَارِزاً مِنْ وَرَائِهَا لِيَتِمَّكَنَ الْفَحْلُ مِنْ ضَرْبِهَا وَ لَوْ كَانَ أَسْفَلَ الْبَطْنِ كَمَا كَانَ الْفَرْجُ مِنَ الْمَرْأَةِ لَمْ يَتِمَّكَنِ الْفَحْلُ مِنْهَا أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَأْتِيَهَا كِفاحاً كَمَا يَأْتِي الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ تَأْمَلُ مَسْفَرِ الْفِيلِ وَ مَا فِيهِ مِنْ لَطِيفِ التَّدْبِيرِ فَإِنَّهُ يَقُومُ مَقَامَ الْيَدِ فِي تَنَاوُلِ الْعَلْفِ وَ الْمَاءِ وَ ارْزَادِهِمَا (2) إِلَى جَوْفِهِ وَ لَوْ لَا ذَلِكَ مَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَتَنَاوَلَ شَيْئاً مِنَ الْأَرْضِ لِأَنَّهُ لَيْسَتْ لَهُ رَقَبَةٌ يَمُدُّهَا كَسَائِرِ الْأَنْعَامِ فَلَمَّا عَدِمَ الْعُنُقُ أُعِينَ مَكَانَ ذَلِكَ بِالْخُرْطُومِ الطَّوِيلِ لِيَسُدَّهُ (3) فَيَتَنَاوَلَ بِهِ حَاجَتَهُ فَمَنْ ذَا الَّذِي عَوَّضَهُ مَكَانَ الْعَضْوِ الَّذِي عَدِمَهُ مَا يَقُومُ مَقَامَهُ إِلَّا الرَّءُوفُ بِخَلْقِهِ وَ كَيْفَ يَكُونُ هَذَا بِالْإِهْمَالِ كَمَا قَالَتِ الظَّلَمَةُ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ فَمَا بِالْهُ لَمْ يَخْلُقْ ذَا عُنُقٍ كَسَائِرِ الْأَنْعَامِ قِيلَ لَهُ إِنَّ رَأْسَ الْفِيلِ وَ أُذُنَيْهِ أَمْرٌ عَظِيمٌ وَ ثِقَلٌ ثَقِيلٌ وَ لَوْ كَانَ ذَلِكَ عَلَى عُنُقِ عَظِيمَةٍ لَهَدَّهَا وَ أَوْهَنَهَا فَجَعَلَ رَأْسَهُ مُلَصَّقاً بِجَسَدِهِ لِكَيْلَا يَنَالَ مِنْهُ مَا وَصَفْنَا وَ خَلَقَ لَهُ مَكَانَ الْعُنُقِ هَذَا الْمَسْفَرُ لِيَتَنَاوَلَ بِهِ غِذَاءَهُ فَصَارَ مَعَ عَدَمِهِ الْعُنُقُ مُسْتَوْفياً مَا فِيهِ بُلُوغٌ حَاجَتِهِ أَنْظِرِ الْآنَ كَيْفَ جُعِلَ حَيَاءُ الْأُنْثَى مِنَ الْفِيلَةِ فِي أَسْفَلِ بَطْنِهَا فَإِذَا هَاجَتْ لِلضَّرَابِ

ص: 96

- 1- أى تسقط فى الوحل.
- 2- الازدراد: البلع.
- 3- أى ليرسله ويرخيه.

اَرْتَفَعَ وَبَرَزَ حَتَّى يَتَمَكَّنَ الْفُحْلُ مِنْ ضَرْبِهَا فَاعْتَبِرْ كَيْفَ جُعِلَ حَيَاءُ الْأُنْثَى مِنَ الْفِيلَةِ عَلَى خِلَافِ مَا عَلَيْهِ فِي غَيْرِهَا مِنَ الْأَنْعَامِ ثُمَّ جُعِلَتْ فِيهِ  
 هَذِهِ الْحَلَّةُ لِيَتَهَيَّأَ لِلْأَمْرِ الَّذِي فِيهِ قَوَامُ السَّسْلِ وَدَوَامُهُ فَكَّرَ فِي خَلْقِ الزَّرَافَةِ وَاخْتِلَافِ أَعْضَانِهَا وَشِدَّةِ بُهْمِهَا بِأَعْضَاءِ أَصَدِّ نَافٍ مِنَ الْحَيَوَانِ فَرَأَسَهَا  
 رَأْسَ فَرَسٍ وَعُنُقَهَا عُنُقَ جَمَلٍ وَأُظْلَافُهَا أَظْلَافُ بَقْرَةٍ وَجِلْدُهَا جِلْدُ نَمْرٍ وَرَعَمَ نَاسٍ مِنَ الْجَهَالِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ تَبَاجَهَا مِنْ فُحُولِ شَتَّى قَالُوا  
 وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ أَصَدَّ نَافاً مِنَ حَيَوَانِ الْبَرِّ إِذَا وَرَدَتِ الْمَاءَ تَنَزَّوْا عَلَى بَعْضِ السَّائِمَةِ وَيُنْتَجِحُ مِثْلُ هَذَا الشَّخْصِ الَّذِي هُوَ كَالْمُلْتَقِطِ مِنْ أَصَدِّ نَافٍ  
 شَتَّى وَهَذَا جَهْلٌ مِنْ قَائِلِهِ وَقَلَّةٌ مَعْرِفَتِهِ بِالْبَارِي جَلَّ قُدْسُهُ وَلَيْسَ كُلُّ صِدْفٍ مِنَ الْحَيَوَانِ يُلْقِحُ كُلَّ صِدْفٍ فَلَا الْفَرَسُ يُلْقِحُ الْجَمَلَ وَلَا  
 الْجَمَلُ يُلْقِحُ الْبَقْرَ وَإِنَّمَا يَكُونُ التَّلْقِيحُ مِنْ بَعْضِ الْحَيَوَانِ فِيمَا يُشَاكِلُهُ وَيَقْرُبُ مِنْ خَلْقِهِ كَمَا يُلْقِحُ الْفَرَسُ الْحِمَارَ [الْحِمَارُ] فَيَخْرُجُ بَيْنَهُمَا  
 الْبُغْلُ وَيُلْقِحُ الذَّنْبُ الصَّبْعَ فَيَخْرُجُ بَيْنَهُمَا السَّمْعُ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ يَكُونُ فِي الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ بَيْنَهُمَا عَضْوٌ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا كَمَا فِي الزَّرَافَةِ  
 عَضْوٌ مِنَ الْفَرَسِ وَعَضْوٌ مِنَ الْجَمَلِ وَأُظْلَافٌ مِنَ الْبَقْرَةِ بَلْ يَكُونُ كَالْمُتَوَسِّطِ بَيْنَهُمَا الْمُتَمَتِّجِ مِنْهُمَا كَالَّذِي تَرَاهُ فِي الْبُغْلِ فَإِنَّكَ تَرَى رَأْسَهُ وَ  
 أُذُنَيْهِ وَكَفْلَهُ وَذَنْبَهُ وَحَوَافِرَهُ وَسَطَّابَيْنَ هَذِهِ الْأَعْضَاءِ مِنَ الْفَرَسِ وَالْحِمَارِ وَشِدَّةِ حِيَجِهِ كَالْمُتَمَتِّجِ مِنْ صَهِيلِ الْفَرَسِ وَنَهْيِ الْحِمَارِ فَهَذَا دَلِيلٌ  
 عَلَى أَنَّهُ لَيْسَتْ الزَّرَافَةُ مِنْ لِقَاحِ أَصَدِّ نَافٍ شَتَّى مِنَ الْحَيَوَانِ كَمَا زَعَمَ الْجَاهِلُونَ بَلْ هِيَ خَلْقٌ عَجِيبٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى قُدْرَتِهِ الَّتِي لَا  
 يُعْجِزُهَا شَيْءٌ وَلِيُعْلِمَ أَنَّهُ خَالِقُ أَصْنَافِ الْحَيَوَانِ كُلِّهَا يَجْمَعُ بَيْنَ مَا يَشَاءُ مِنْ أَعْضَانِهَا فِي آيَّهَا شَاءَ وَيَفْرُقُ مَا شَاءَ مِنْهَا فِي آيَّهَا شَاءَ وَيَزِيدُ فِي  
 الْخَلْقَةِ مَا شَاءَ وَيَنْقُصُ مِنْهَا مَا شَاءَ دَلَالَةً عَلَى قُدْرَتِهِ عَلَى الْأَشْيَاءِ وَأَنَّهُ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ أَزَادَهُ جَلَّ وَتَعَالَى فَأَمَّا طُولُ عُنُقِهَا وَالْمَنْفَعَةُ لَهَا فِي  
 ذَلِكَ فَإِنَّ مَنْشَأَهَا وَمَرَعَاهَا فِي غِيَاظِ لَدَوَاتِ الْأَشْجَارِ شَاهِدَةٌ ذَاهِبَةٌ طَوِلاً فِي الْهَوَاءِ فَهِيَ تَحْتَاجُ إِلَى طُولِ الْعُنُقِ لِتَبَاوَلَ بِفِيهَا أَطْرَافَ تِلْكَ  
 الْأَشْجَارِ فَتَقْتَمُوتَ مِنْ ثَمَارِهَا تَأَمَّلْ خَلْقَ الْقِرْدِ وَشِدَّةَ بُهْمِهِ بِالْإِنْسَانِ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَعْضَانِهِ أَعْيَى الرَّأْسِ وَالْوَجْهَ وَالْمَنْكَبَيْنِ وَالصَّدْرَ وَكَذَلِكَ  
 أَحْسَاؤُهُ شَبِيهَةٌ أَيْضاً بِأَحْسَاءِ الْإِنْسَانِ وَخُصَّ مِنْ ذَلِكَ بِالذَّهْنِ



وَ الْفِطْرَةَ الَّتِي بِهَا يَفْهَمُ عَنْ سَائِسِهِ مَا يُومئُ إِلَيْهِ وَيَحْكِي كَثِيرًا مِمَّا يَرَى الْإِنْسَانَ يَفْعَلُهُ حَتَّى إِنَّهُ يَقْرُبُ مِنْ خَلْقِ الْإِنْسَانِ وَ شَمَائِلِهِ فِي التَّدْبِيرِ فِي خَلْقَتِهِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ عِبْرَةً لِلْإِنْسَانِ فِي نَفْسِهِ فَيَعْلَمُ أَنَّهُ مِنْ طَيِّبَةِ الْبَهَائِمِ وَ سِنْخِهَا إِذْ كَانَ يَقْرُبُ مِنْ خَلْقِهَا هَذَا الْقُرْبَ وَ أَنَّهُ لَوْ لَا فَضِيلَةٌ فَضَّلَهُ اللَّهُ بِهَا فِي الذَّهْنِ وَ الْعَقْلِ وَ النُّطْقِ كَانَ كَبَعْضِ الْبَهَائِمِ عَلَى أَنْ فِي جِسْمِ الْقِرْدِ فَضُولًا أُخْرَى يُفَرِّقُ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ الْإِنْسَانِ كَالْخَطْمِ وَ الذَّنْبِ الْمُسَدَّلِ وَ الشَّعْرِ الْمُجَلَّلِ لِلْجِسْمِ كُلِّهِ وَ هَذَا لَمْ يَكُنْ مَانِعًا لِلْقِرْدِ أَنْ يُلْحَقَ بِالْإِنْسَانِ لَوْ أُعْطِيَ مِثْلَ ذَهْنِ الْإِنْسَانِ وَ عَقْلِهِ وَ نُطْقِهِ وَ الْفَصْلُ الْفَاصِلُ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ الْإِنْسَانِ بِالصَّحَّةِ هُوَ النَّقْصُ فِي الْعَقْلِ وَ الذَّهْنِ وَ النُّطْقِ.

بيان: شخص البصر ارتفع و شخص الرجل بصره إذا فتح عينيه و الخطم بالفتح من كل طائر منقاره و من كل دابة مقدم أنفه و فمه و قضم كسمع أكل بأطراف أسنانه و الجحفلة بمنزلة الشفة للبالغ و الحمير و الخيل و هي بتقديم الجيم على الحاء المهملة و الطبق محرّكة غطاء كلّ شيء و الحياء الفرج و المراد بمراقى البطن ما ارتفع منه من وسط أو قرب منه و الوضر الدرن و المذبّة بكسر الميم ما يذبّ به الذباب و بطحه ألقاه على وجهه و كفحته كفحا و كفاحا إذا استقبلته و المشفر من البعير كالجحفلة من الفرس و قال الجوهري الزرافة و الزرافة بفتح الزاى و ضمها مخففة الفاء دابة يقال لها بالفارسية أشتر غاو پلنگ و قال الفيروزآبادى: السمع بكسر السين و سكون الميم ولد الذئب من الضبع لا يموت حتف أنفه كالحية و عدوه أسرع من الطير و وثبته تزيد على ثلاثين ذراعا و قال شحيح البغل و الحمار صوته و الغياطل جمع الغياطل و هو الشجر الكثير الملتف قوله عليه السلام: أن يكون أى خلق كذلك لأن يكون عبرة للإنسان و السنخ بالكسر الأصل قوله بالصحة هو النقص فى العقل أى الفصل الصحيح الذى يصلح واقعا أن يكون فاصلا و فى أكثر النسخ و هو و على هذا لا يبعد أن تكون تصحيف القحة أى قلة الحياء.

انظُرْ يَا مُفَضَّلُ إِلَى لُطْفِ اللَّهِ جَلَّ اسْمُهُ بِالْبَهَائِمِ كَيْفَ كَسَيْتَ أَجْسَامَهُمْ هَذِهِ الْكِسْوَةُ مِنَ الشَّعْرِ وَ الْوَبْرِ وَ الصُّوفِ لِيَقِيَهَا مِنَ الْبُرْدِ وَ كَثْرَةِ الْأَفَاتِ وَ الْبَسْتِ قَوَائِمُهَا الْأُظْلَافُ وَ

الْحَوَافِرُ وَالْأَخْفَافَ لِيَقِيَهَا مِنَ الْحَفَا إِذْ كَانَتْ لَا أَيَّدِي لَهَا وَلَا أَكْفَ وَلَا أَصَابِعَ مُهَيَّأَةً لِلْعَزْلِ وَالنَّسِجِ فَكُفُّوا بِأَنْ جُعِلَ كِسْوَتُهُمْ فِي خَلْقَتِهِمْ بَاقِيَةً عَلَيْهِمْ مَا بَقُوا لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى تَجْدِيدِهَا وَالْإِسْدَ تَبَدَّلَ بِهَا فَأَمَّا الْإِنْسَانُ فَإِنَّهُ ذُو حِيلَةٍ وَكَفَّ مُهَيَّأَةً لِلْعَمَلِ فَهُوَ يَنْسِجُ وَيَعَزُّ وَيَتَّخِذُ لِنَفْسِهِ الْكِسْوَةَ وَيَسْتَبْدِلُ بِهَا حَالًا بَعْدَ حَالٍ وَ لَهُ فِي ذَلِكَ صِلَاحٌ مِنْ جِهَاتٍ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ يَسْتَعْمَلُ بِصَنْعَةِ اللَّبَاسِ عَنِ الْعَبَثِ وَ مَا يُخْرِجُهُ إِلَيْهِ الْكِفَايَةُ وَ مِنْهَا أَنَّهُ يَسْتَرِيحُ إِلَى خَلْعِ كِسْوَتِهِ إِذَا شَاءَ وَ لُبْسِهَا إِذَا شَاءَ وَ مِنْهَا أَنْ يَتَّخِذَ لِنَفْسِهِ مِنَ الْكِسْوَةِ ضَرْبًا لَهَا جَمَالٌ وَ رَوْعَةٌ فَيَتَلَذَّذُ بِلُبْسِهَا وَ تَبْدِيلِهَا وَ كَذَلِكَ يَتَّخِذُ بِالرَّفَقِ مِنَ الصَّنْعَةِ ضَرْبًا مِنَ الْخَفَافِ وَ النَّعَالِ يَبْقَى بِهَا قَدَمَيْهِ وَ فِي ذَلِكَ مَعَايِشٌ لِمَنْ يَعْمَلُهُ مِنَ النَّاسِ وَ مَكَاسِبٌ يَكُونُ فِيهَا مَعَاشُهُمْ وَ مِنْهَا أَقْوَاتُهُمْ وَ أَقْوَاتُ عِيَالِهِمْ فَصَدَارَ الشَّعْرُ وَ الْوَبْرُ وَ الصُّوفُ يَقُومُ لِلْبَهَائِمِ مَقَامَ الْكِسْوَةِ وَ الْأَطْلَافُ وَ الْحَوَافِرُ وَ الْأَخْفَافُ مَقَامَ الْحِذَاءِ.

بيان: قال الجوهري: قال الكسائي رجل حاف بين الحفوة و الحفاء بالمد و هو الذى يمشى بلا خف و لا نعل و قال و أما الذى حفى من كثرة المشى أى رقت قدمه أو حافره فإنه حف بين الحفا مقصورا و أحفاه غيره انتهى قوله عليه السلام: و روعه من قولهم راعنى الشيء أعجبنى.

فَكَرَّ يَا مُفْضِلُ فِي خَلْقَةٍ عَجِيبَةٍ جُعِلَتْ فِي الْبَهَائِمِ فَإِنَّهُمْ يُوَارُونَ أَنْفُسَهُمْ إِذَا مَاتُوا كَمَا يُوَارِي النَّاسُ مَوْتَاهُمْ وَ إِلَّا فَأَيَّنَ جَيْفُ هَذِهِ الْوُحُوشِ وَ السَّبَاعِ وَ غَيْرِهَا لَا يُرَى مِنْهَا شَيْءٌ وَ لَيْسَتْ قَلِيلَةً فَتَخْفَى لِقَلَّتِهَا بَلْ لَوْ قَالَ قَائِلٌ إِنَّهَا أَكْثَرُ مِنَ النَّاسِ لَصَدَقَ فَاعْتَبِرْ ذَلِكَ بِمَا تَرَاهُ فِي الصَّحَارِي وَ الْجِبَالِ مِنْ أَسَدِ رَابِ الطَّبَاءِ وَ الْمَهَا وَ الْحَمِيرِ وَ الْوُعُولِ وَ الْأَيَائِلِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْوُحُوشِ وَ أَصَدَّ نَافِ السَّبَاعِ مِنَ الْأَسَدِ وَ الضَّبَاعِ وَ الذَّنَابِ وَ التَّمُورِ وَ غَيْرِهَا وَ ضَرْبُ الْهُوَامِّ وَ الْحَشْرَاتِ وَ دَوَابِّ الْأَرْضِ وَ كَذَلِكَ أَسْرَابُ الطَّيْرِ مِنَ الْعُرْبَانِ (1) وَ الْقَطَا (2) وَ الْإِوَزِّ (3) وَ الْكِرَاكِي (4) وَ الْحَمَامِ وَ سِبَاعِ الطَّيْرِ جَمِيعاً وَ كُلُّهَا لَا يُرَى مِنْهَا شَيْءٌ إِذَا

ص: 99

1- جمع الغراب.

2- جمع القطة: طائر فى حجم الحمام.

3- جمع الاوزة: طائر مائى يقال له: الوزّة أيضا.

4- جمع الكركى: طائر كبير أغبر اللون، طويل العنق و الرجلين، أبت الزنب، قليل اللحم، يأوى إلى الماء أحيانا.

مَاتَتْ إِلَّا الْوَاحِدَ بَعْدَ الْوَاحِدِ يَصِيدُهُ قَانِصٌ أَوْ يَفْتَرِسُهُ سَبْعٌ فَإِذَا أَحْسَبُوا بِالْمَوْتِ كَمَنُوا (1) فِي مَوَاضِعَ خَفِيَّةٍ فَيَمُوتُونَ فِيهَا وَ لَوْ لَا ذَلِكَ لَأَمْتَلَأَتْ الصَّحَارَى مِنْهَا حَتَّى تَفْسُدَ رَائِحَةُ الْهَوَاءِ وَيُحْدِثُ الْأَمْرَاضُ وَالْوَبَاءُ فَانْظُرْ إِلَى هَذَا الَّذِي يَخْلُصُ إِلَيْهِ النَّاسُ وَعَمَلُوهُ بِالْتَّمَثِيلِ الْأَوَّلِ الَّذِي مَثَلٌ لَهُمْ كَيْفَ جُعِلَ طَبْعاً وَادِّكَاراً فِي الْبَهَائِمِ وَغَيْرِهَا لَيْسَلَمَ النَّاسُ مِنْ مَعْرَةٍ مَا يُحْدِثُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَمْرَاضِ وَالْفَسَادِ.

توضيح: السرب بالكسر و السربة القطيع من الظباء و القطا و الخيل و نحوها و الجمع أسراب و المهابة البقرة الوحشية و الجمع مها و الوعل بالفتح و ككتف تيس الجبل و الجمع وعال و وعول و الأيل بضم الهمزة و كسرهما و فتح الياء المشددة و كسيد الذكر من الأوعال و يقال هو الذى يسمى بالفارسية گوزن و الجمع أيايل و القانص الصائد و خلص إليه وصل و المراد بالتمثيل ما ذكره الله تعالى فى قصة قابيل و المعرة الأذى.

فَكَرَّ يَا مُفْضِلٌ فِي الْفَطَنِ الَّتِي جُعِلَتْ فِي الْبَهَائِمِ لِمَصِّ لِحْتِهَا بِالطَّبْعِ وَ الْخَلْقَةِ لُطْفاً مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ لَهُمْ لَيْلًا يَخْلُو مِنْ نِعْمِهِ جَلَّ وَ عَزَّ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ لَا بَعْقَلٍ وَ رَوِيَّةٍ فَإِنَّ الْأَيْلَ يَأْكُلُ الْحَيَّاتِ فَيَعْطُشُ عَطْشاً شَدِيداً فَيَمْتَنِعُ مِنْ شَرْبِ الْمَاءِ خَوْفاً مِنْ أَنْ يَدَبَّ السَّمُّ فِي جِسْمِهِ فَيَقْتُلُهُ وَ يَقِفُ عَلَى الْعَدِيرِ وَ هُوَ مَجْهُودٌ عَطْشاً فَيَعْرِجُ عَجِيجاً عَالِياً وَ لَا يَشْرَبُ مِنْهُ وَ لَوْ شَرِبَ لَمَاتَ مِنْ سَاعَتِهِ فَانْظُرْ إِلَى مَا جُعِلَ مِنْ طِبَاعِ هَذِهِ الْبَهِيمَةِ مِنْ تَحْمُلِ الظَّمَاءِ الْعَالِبِ خَوْفاً مِنَ الْمَصْرَةِ فِي الشُّرْبِ وَ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَكَادُ الْإِنْسَانُ الْعَاقِلُ الْمُمَيِّزُ يَصُدُّ بَطْنَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَ الثَّغْلَبُ إِذَا أَعْوَزَ الطَّعْمَ تَمَاوَتَ وَ نَفَخَ بَطْنُهُ حَتَّى يَحْسَبَهُ الطَّيْرُ مَيْتاً فَإِذَا وَقَعَتْ عَلَيْهِ لِيَتَنَهَّشَهُ وَ ثَبَّ عَلَيْهَا فَأَخَذَهَا فَمَنْ أَعَانَ الثَّغْلَبَ الْعَدِيمَ التُّطْقِ وَ الرَّوِيَّةَ بِهِذِهِ الْحَيْدَةِ إِلَّا مَنْ تَوَكَّلَ بِتَوْجِيهِ الرُّزْقِ لَهُ مِنْ هَذَا وَ شَبَّهَهُ فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَ الثَّغْلَبُ يَصُدُّ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا يَقْوَى عَلَيْهِ السَّبَاعُ مِنْ مُسَاوَرَةِ الصَّيْدِ أُعِينَ بِالذَّهَاءِ (2) وَ الْفِطْنَةِ وَ الْإِحْتِيَالِ لِمَعَاشِهِ وَ الدُّلْفَيْنِ يَلْتَمِسُ صَيْدَ الطَّيْرِ فَيَكُونُ حَيْلَتُهُ فِي ذَلِكَ أَنْ يَأْخُذَ السَّمَكَ فَيَقْتُلُهُ وَ

ص: 100

1- أى تواروا و اختفوا.

2- الدهاء جودة الرأى و الحذق، المكر و الاحتيال.

يَسْرَحُهُ (1) حَتَّى يَطْفُوَ عَلَى الْمَاءِ يَكْمُنُ تَحْتَهُ وَيُثَوِّرُ الْمَاءَ الَّذِي عَلَيْهِ حَتَّى لَا يَتَبَيَّنَ شَخْصُهُ فَإِذَا وَقَعَ الطَّيْرُ عَلَى السَّمَكِ الطَّافِي وَثَبَ إِلَيْهَا فَاصَّةً طَادَهَا فَأَنْظَرُ إِلَى هَذِهِ الْحِيلَةِ كَيْفَ جُعِلَتْ طَبْعاً فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ لِيَعُضَ الْمَصَدِّ لِحَةٍ قَالَ الْمُفْضَلُ فَقُلْتُ خَبَّرْنِي يَا مَوْلَايَ عَنِ التَّنِينِ وَ السَّحَابِ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّ السَّحَابَ كَالْمَوْكَلِ بِهِ يَخْتَطِفُهُ حَيْثُمَا تَقَفَهُ كَمَا يَخْتَطِفُ حَجْرُ الْمَغْنَاطِيسِ الْحَدِيدَ فَهُوَ لَا يَطْلُعُ رَأْسَهُ فِي الْأَرْضِ خَوْفاً مِنَ السَّحَابِ وَلَا يَخْرُجُ إِلَّا فِي الْقَيْظِ مَرَّةً إِذَا صَحَّتِ السَّمَاءُ فَلَمْ يَكُنْ فِيهَا نُكَّةٌ مِنْ غَيْمَةٍ قُلْتُ فَلِمَ وَكَلَّ السَّحَابُ بِالتَّنِينِ يَرْتَدُّ وَ يَخْتَطِفُهُ إِذَا وَجَدَهُ قَالَ لِيَدْفَعَنَّ عَنِ النَّاسِ مَضْرَبَتَهُ .

بيان: قوله لا بعقل وروية لعل المراد أن هذه الأمور من محض لطفه تعالى حيث يلهمهم ذلك لا بعقل وروية وفي أكثر النسخ لا يعقل و مروته و هو تصحيف و المراد معلوم و الجهد الطاقة و المشقة أى أصابته مشقة عظيمة من العطش و العجيج الصياح و رفع الصوت و أعوزه الشىء أى احتاج إليه و التماوت إظهار الموت حيلة و المساورة هى الوثوب على وجه الصيد و قال الفيروزآبادى: الدلفين بالضم دابة بحرية تنجى الغريق (2) وقوله عليه السلام: يثور الماء أى يهيجه و يحركه و التنين حية عظيمة معروفة و ثقفه أى وجدته و القيط صميم الصيف من طلوع الثريا إلى طلوع سهيل و الصحو ذهاب الغيم.

قَالَ الْمُفْضَلُ فَقُلْتُ قَدْ وَصَفْتَ لِي مَوْلَايَ مِنْ أَمْرِ الْبُهَائِمِ مَا فِيهِ مُعْتَبَرٌ لِمَنْ اِعْتَبَرَ فَصِفْ لِي الذَّرَّةَ (3) وَ النَّمْلَ وَ الطَّيْرَ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَا مُفْضَلُ تَأْمَلْ وَجْهَ الذَّرَّةِ الْحَقِيرَةِ الصَّغِيرَةِ هَلْ تَجِدُ فِيهَا نَقْصاً عَمَّا فِيهِ صَلَاحُهَا

ص: 101

1- أى يقطعه.

2- وقيل: هو خنزير البحر، و هو دابة تنجى الغريق، و هو كثير بأواخر نيل مصر من جهة البحر الملح، لانه يقذف به البحر إلى النيل، و صفته كصفة الزرق المنفوخ، و له رأس صغير جدا، و ليس فى دواب البحر ما له رثة سواه، فلذلك يسمع منه النفخ و النفس، و هو إذا ظفر بالغريق كان أقوى الأسباب فى نجاته، لانه لا يزال يدفعه إلى البر حتى ينجيه، و لا يؤذى أحدا، و من طبعه الانس بالانسان و خاصة بالصبيان.

3- الذرة: النحلة الصغيرة الحمراء.

فَمِنْ أَيْنَ هَذَا التَّقْدِيرُ وَالصَّوَابُ فِي حَلْقِ الدَّرَّةِ إِلَّا مِنَ التَّدْبِيرِ الْقَائِمِ فِي صَدِّغِيرِ الْحَلْقِ وَكَبِيرِهِ انْظُرْ إِلَى النَّمْلِ وَاحْتِشَادِهَا فِي جَمْعِ الْقَوْتِ وَ  
 إِعْدَادِهِ فَإِنَّكَ تَرَى الْجَمَاعَةَ مِنْهَا إِذَا نَقَلَتِ الْحَبَّ إِلَى رُبَيْتِهَا بِمَنْزِلَةِ جَمَاعَةِ مِنَ النَّاسِ يَنْقُلُونَ الطَّعَامَ أَوْ غَيْرَهُ بَلْ لِلنَّمْلِ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِدِّ وَ  
 التَّشْمِيرِ مَا لَيْسَ لِلنَّاسِ مِثْلُهُ أَمَا تَرَاهُمْ يَتَعَاوَنُونَ عَلَى التَّقْلِ كَمَا يَتَعَاوَنُ النَّاسُ عَلَى الْعَمَلِ ثُمَّ يَعْمِدُونَ إِلَى الْحَبِّ فَيَقَطُّعُونَهُ قِطْعًا لِكَيْلَا يَنْبَتَ  
 فَيَفْسُدَ عَلَيْهِمْ (1) فَإِنْ أَصَابَهُ نَدَى أَخْرَجُوهُ فَشَدُّوا حَتَّى يَجِفَّ ثُمَّ لَا يَتَّخِذُ النَّمْلُ الرُّبِيَّةَ إِلَّا فِي نَشْرِ [نَشْرٍ] مِنَ الْأَرْضِ كَيْ لَا يُفِيضَ السَّيْلُ  
 فَيُغْرِقَهَا (2) فَكُلُّ هَذَا مِنْهُ بِلَا عَقْلِ وَلَا رُوِيَّةٍ بَلْ خَلَقَهُ خَلْقًا عَلَيْهَا لِمَصْلَحَةٍ لُطْفًا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ انْظُرْ إِلَى هَذَا الَّذِي يُقَالُ لَهُ اللَّيْثُ وَتُسَمِّيهِ  
 الْعَامَّةُ أَسَدَ الدُّبَابِ وَمَا أُعْطِيَ مِنَ الْحِيلَةِ وَالرَّفْقِ فِي مَعَاشِهِ فَإِنَّكَ تَرَاهُ حِينَ يُحْسُ بِالذُّبَابِ قَدْ وَقَعَ قَرِيبًا مِنْهُ تَرَكَهُ مَلِيًّا حَتَّى كَانَهُ مَوَاتٍ لَا  
 حَرَكَ بِهِ فَإِذَا رَأَى الذُّبَابَ قَدْ اطْمَأَنَّ وَغَفَلَ عَنْهُ دَبَّ دَبِيبًا دَقِيقًا (3) حَتَّى يَكُونَ مِنْهُ بِحَيْثُ يَنَالُهُ وَثَبُّهُ ثُمَّ يَثْبُ عَلَيْهِ فَيَأْخُذُهُ فَإِذَا أَخَذَهُ اسْتَمَلَ عَلَيْهِ  
 بِحِسِّهِ كَلَّهُ مَخَافَةَ أَنْ يَنْجُو مِنْهُ فَلَا يَزَالُ قَابِضًا عَلَيْهِ حَتَّى يُحْسُ بِأَنَّهُ قَدْ ضَعُفَ وَاسْتَرْخَى ثُمَّ يَقْبِضُ عَلَيْهِ فَيَنْتَرِسُهُ وَيَحْيَا بِذَلِكَ مِنْهُ فَأَمَّا  
 الْعَنْكَبُوتُ فَإِنَّهُ يَنْسُجُ ذَلِكَ النَّسِجَ فَيَتَّخِذُهُ سَرْكًا وَمَصَّ يَدَةً لِلذُّبَابِ ثُمَّ يَكْمُنُ فِي جَوْفِهِ فَإِذَا نَسَبَ فِيهِ الذُّبَابُ (4) أَجَالَ عَلَيْهِ يَلْدَغُهُ سَاعَةً بَعْدَ  
 سَاعَةٍ فَيَعِيشُ بِذَلِكَ مِنْهُ فَكَذَلِكَ يُحْكِي صَيْدُ الْكِلَابِ وَالْفُهُودُ وَهَكَذَا يُحْكِي صَيْدُ الْأَشْرَاكِ وَالْحَبَائِلِ

ص: 102

- 1- ويقطع الكفرة ويقسمها أرباعا، لما لهم من أن كل نصف منها ينبت.
- 2- قال الدميري: يحفر قريته بقوائمه وهي ست، فإذا حفرها جعل فيها تعاريج، لنلا يجرى إليها ماء المطر، وربما اتخذ قرية فوق قرية بسبب ذلك، وإنما يفعل ذلك خوفا على ما يدخره من البلل، ومن عجائبه اتخاذ القرية تحت الأرض، وفيها منازل ودهاليز وغرف وطبقات معلقة، يملؤها حبوبا وذخائر للشتاء.
- 3- وفي نسخة: دب دبيبا رقيقا.
- 4- أي وقع فيه.

فَانظُرْ إِلَى هَذِهِ الدَّوَابِّ الضَّعِيفَةِ كَيْفَ جُعِلَ فِي طَبْعِهَا مَا لَا يَبْلُغُهُ الْإِنْسَانُ إِلَّا بِالْحِيلَةِ وَاسْمُ تَعْمَالِ آلَاتٍ فِيهَا فَلَا تَزْدَرِ بِالشَّيْءِ إِذَا كَانَتْ الْعِبْرَةُ فِيهِ وَاضْرَحَهُ كَالذَّرَّةِ وَ التَّمَلَّةِ وَ مَا أَشَدَّ بِهِ ذَلِكَ فَإِنَّ الْمَعْنَى النَّفِيسَ قَدْ يُمَثَّلُ بِالشَّيْءِ الْحَقِيرِ فَلَا يَضَعُ مِنْهُ ذَلِكَ كَمَا لَا يَضَعُ مِنَ الدِّينَارِ وَ هُوَ مِنْ ذَهَبٍ أَنْ يُوزَنَ بِمِثْقَالٍ مِنْ حَدِيدٍ .

بيان: الاحتشاد الاجتماع و الزبية بالضم الحفرة و النشر بالفتح و بالتحريك المكان المرتفع و قال الجوهري: الليث الأسد و ضرب من العناكب يصطاد الذباب بالوثب انتهى و الموات بالفتح ما لا روح فيه و يقال ما به حراك كسحاب أى حركه و الشرك بالتحريك حباله الصائد و يقال أحال عليه بالسوط يضربه أى أقبل قوله عليه السلام: فكذلك أى كفعل الليث و قوله هكذا أى كالعنكبوت و الأزدراء الاحتقار قوله عليه السلام: فلا يضع منه أى لا ينقص من قدر المعنى النفيس تمثيله بالشىء الحقيق قال الفيروزآبادى وضع عنه حظ من قدره.

تَأْمَلْ يَا مُفَضَّلُ جِسْمَ الطَّائِرِ وَ خِلْقَتَهُ فَإِنَّهُ حِينَ قَدَّرَ أَنْ يَكُونَ طَائِرًا فِي الْجَوِّ خَفَّفَ جِسْمَهُ وَ أَدْمَجَ خَلْقَهُ فَاقْتَصَرَ بِهِ مِنَ الْقَوَائِمِ الْأَرْبَعِ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَ مِنَ الْأَصَابِعِ الْخَمْسِ عَلَى أَرْبَعٍ وَ مِنَ مَنَفَذَيْنِ لِلزَّلْبِ وَ الْبُولِ عَلَى وَاحِدٍ يَجْمَعُهُمَا ثُمَّ خُلِقَ ذَا جَوْجُوٍّ مَدَدٍ لَيْسَ هَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَخْرُقَ الْهَوَاءَ كَيْفَ مَا أَخَذَ فِيهِ كَمَا جُعِلَ السَّفِينَةُ بِهَذِهِ الْهَيْئَةِ لِتَشُقَّ الْمَاءَ وَ تَنْفَذَ فِيهِ وَ جُعِلَ فِي جَنَاحَيْهِ وَ ذَنَبِهِ رِيشَاتٌ طَوَالٌ مِتَانٌ لِيَنْهَضَ بِهَا لِلطَّيْرَانِ وَ كُسى كُلُّهُ الرِّيشَ لِيَدْخُلَهُ الْهَوَاءَ فَيَقْلَهُ وَ لَمَّا قَدَّرَ أَنْ يَكُونَ طَعْمُهُ الْحَبَّ وَ اللَّحْمَ يَبْلَعُهُ بَلْعًا بِلَا مَضْغٍ يُقْصَ مِنْ خَلْقِهِ الْأَسَدَانُ وَ خُلِقَ لَهُ مِنْقَارٌ صَدَّبٌ جَاسٍ يَتَنَاوَلُ بِهِ طَعْمَهُ فَلَا يَنْسَجِحُ (يَنْسَجِحُ) مِنْ لَقْطِ الْحَبِّ وَ لَا يَتَقَصِّفُ مِنْ نَهْشِ اللَّحْمِ وَ لَمَّا عَدِمَ الْأَسَدَانُ وَ صَارَ يَزْدَرِدُ الْحَبَّ (1) صَحِيحًا وَ اللَّحْمَ غَرِيضًا أُعِينَ بِفَضْلِ حَرَاةٍ فِي الْجَوْفِ تَطْحَنُ لَهُ الطُّعْمَ طَحْنًا يَسَّ تَغْنِي بِهِ عَنِ الْمَضْغِ وَ اعْتَبِرْ ذَلِكَ بِأَنَّ عَجَمَ الْعِنَبِ وَ غَيْرِهِ يَخْرُجُ مِنْ أَجْوَافِ الْإِنْسِ صَدْحِيحًا وَ يُطْحَنُ فِي أَجْوَافِ الطَّيْرِ لَا يَرَى لَهُ أَثْرٌ ثُمَّ جُعِلَ مِمَّا يَبِيضُ بَيْضًا وَ لَا يَلِدُ وَلَا دَةَ لِكَيْلَا يَثْقُلَ عَنِ الطَّيْرَانِ فَإِنَّهُ لَوْ كَانَتْ الْفِرَاحُ فِي جَوْفِهِ تَمَكُّتْ حَتَّى تَسْتَحْكِمَ لَأَثْقَلَتْهُ وَ عَاقَتْهُ عَنِ النَّهْوِضِ

ص: 103

1- أى يبتلعه و يسرع.

وَ الطَّيْرَانِ فَجُعِلَ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ مُشَاكِلًا لِلْأَمْرِ الَّذِي قُدِّرَ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ ثُمَّ صَارَ الطَّائِرُ السَّائِحُ فِي هَذَا الْجَوْ يُعَدُّ عَلَى بَيْضِهِ فَيَحْضَهُنَّ أَسَدٌ بُوَعًا وَ بَعْضُهُنَّ بِهَا أَسَدٌ بُوَعَيْنِ وَ بَعْضُهُنَّ بِهَا ثَلَاثَةٌ أَسَابِيعَ حَتَّى يَخْرُجَ الْفَرْخُ مِنَ الْبَيْضَةِ ثُمَّ يُقْبَلُ عَلَيْهِ فَيَزِقُّهُ الرِّيحَ لِتَسَّعِ حَوْصَلَتِهِ لِلْغِذَاءِ ثُمَّ يَرِيهِ وَ يُغَذِّيهِ بِمَا يَعِيشُ بِهِ فَمَنْ كَلَّفَهُ أَنْ يَلْقَطَ الطُّعْمَ وَ يَسْتَخْرِجَهُ بَعْدَ أَنْ يَسْتَقِرَّ فِي حَوْصَلَتِهِ وَ يُغْدُو بِهِ فِرَاحَهُ وَ لِأَيِّ مَعْنَى يَحْتَمِلُ هَذِهِ الْمَشَقَّةَ وَ لَيْسَ بِذِي رَوِيَّةٍ وَ لَا تَفَكَّرُ وَ لَا يَأْمُلُ فِي فِرَاحِهِ مَا يَأْمُلُ الْإِنْسَانُ فِي وَلَدِهِ مِنَ الْعِزِّ وَ الرَّفْدِ (1) وَ بَقَاءِ الذَّكْرِ فَهَذَا هُوَ فِعْلٌ (2) يَشْهَدُ بِأَنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلَى فِرَاحِهِ لِعَلَّةٍ لَا يَعْرِفُهَا وَ لَا يَتَفَكَّرُ فِيهَا وَ هِيَ دَوَامُ النَّسْلِ وَ بَقَاؤُهُ لُطْفًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ أَنْظَرَ إِلَى الدَّجَاجَةِ كَيْفَ تَهَيِّجُ لِحِضْنَ الْبَيْضِ وَ التَّفْرِيحِ وَ لَيْسَ لَهَا بَيْضٌ مُجْتَمِعٌ وَ لَا وَكْرٌ (3) مُوَطَّأً بَلْ تَنْبَعُثُ وَ تَنْتَفِخُ وَ تَقُوفِي وَ تَمْتَنِعُ مِنَ الطُّعْمِ حَتَّى يُجْمَعَ لَهَا الْبَيْضُ فَتَحْضَهُنَّ وَ تَفْرِخُ فَلَمَّ كَانَ ذَلِكَ مِنْهَا إِلَّا لِإِقَامَةِ النَّسْلِ وَ مَنْ أَخَذَهَا بِإِقَامَةِ النَّسْلِ وَ لَا رَوِيَّةٍ وَ لَا تَفَكَّرَ لَوْ لَا أَنَّهَا مَجْبُولَةٌ عَلَى ذَلِكَ اعْتَبَرَ بِخَلْقِ الْبَيْضَةِ وَ مَا فِيهَا مِنَ الْمُحِّ الْأَصْفَرِ الْخَائِرِ وَ الْمَاءِ الْأَبْيَضِ الرَّقِيقِ فَبَعْضُهُ لِيَنْتَشِرَ مِنْهُ الْفَرْخُ وَ بَعْضُهُ لِيُغَذَّى بِهِ (4) إِلَى أَنْ تَنْقَابَ عَنْهُ الْبَيْضَةُ وَ مَا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّدْبِيرِ فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ نُشُوءُ الْفَرْخِ فِي تِلْكَ الْقِسْمَةِ الْمُسْتَحْضَنَةِ الَّتِي لَا مَسَاحَ لَشَيْءٍ إِلَيْهَا لَجُعِلَ مَعَهُ فِي جَوْفِهَا مِنَ الْغِذَاءِ مَا يَكْتَفِي بِهِ إِلَى وَقْتِ خُرُوجِهِ مِنْهَا كَمَا يُحْبَسُ فِي حَسَنِ حَصِينٍ لَا يُوصَلُ إِلَى مَنْ فِيهِ فَيُجْعَلُ مَعَهُ مِنَ الْقُوْتِ مَا يَكْتَفِي بِهِ إِلَى وَقْتِ خُرُوجِهِ مِنْهُ فَكَّرَ فِي حَوْصَلَةِ الطَّائِرِ وَ مَا قُدِّرَ لَهُ فَإِنَّ مَسْئَلَ الطُّعْمِ إِلَى الْقَانِصَةِ (5) صَبِيحٌ لَا يَنْفُذُ فِيهِ الطَّعَامُ إِلَّا قَلِيلًا قَلِيلًا فَلَوْ كَانَ الطَّائِرُ لَا يَلْقَطُ حَبَّةً ثَانِيَةً حَتَّى تَصِلَ الْأُولَى إِلَى الْقَانِصَةِ لَطَالَ عَلَيْهِ وَ مَتَى كَانَ يَسْتَوْفِي طَعْمَهُ فَإِنَّمَا يَحْتَلِسُهُ اخْتِلَاسًا لِشِدَّةِ الْحَذَرِ

ص: 104

1- الرغد: النصيب، المعاونة.

2- وفي نسخة: فهذا من فعله يشهد بأنه معطوف على فراخه.

3- الوكر- بفتح الواو و سكون الكاف-: عش الطائر.

4- وفي نسخة: ليغتذى به.

5- القانصة للطير: كالمعدة للإنسان.

فَجُعِلَتِ الْحَوْصَةَ لِمَا كَالْمِخْلَةَ الْمُعَلَّقَةَ أَمَامَهُ لِيُوعِيَ فِيهَا مَا أَدْرَكَ مِنَ الطَّعْمِ بِسُرْعَةٍ ثُمَّ تُنْفِذُهُ إِلَى الْقَانِصَةِ عَلَى مَهْلٍ وَفِي الْحَوْصَةِ لِمَا يُضَاهِي حَلَّةَ أُخْرَى فَإِنَّ مِنَ الطَّائِرِ مَا يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَزُقَّ فِرَاحَهُ فَيَكُونُ رَدُّهُ لِلطَّعْمِ مِنْ قُرْبٍ أَسْهَلَ عَلَيْهِ.

توضيح: أقله أى حملة و رفعه و جسا كدعا صلب و يبس و يقال سحجت جلده فانسحج أى قشرته فانقشر و التقصّف التكتّس و الغريص الطرّي أى غير مطبوخ و العجم بالتحريك النوى و حضن الطائر بيضته يحضنه إذا ضمّه إلى نفسه تحت جناحه و زقّ الطائر فرخه يزقه أى أطعمه فيه و تقوى أى تصيح و المّح بضم الميم و الحاء المهملة صفرة البيض و فى بعض النسخ بالخاء المعجمة و قال الأصمعى أخثرت الزبد تركته خاثرا و ذلك إذا لم تذبّه و تقاب أى تنفلق.

قَالَ الْمُفْضَلُ فَقُلْتُ يَا مَوْلَايَ إِنَّ قَوْمًا مِنَ الْمُعْطَلَةِ يَزْعُمُونَ أَنَّ اخْتِلَافَ الْأَلْوَانِ وَالْأَشَدَّ كَالِ فِي الطَّيْرِ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ قِبَلِ امْتِزَاجِ الْأَخْلَاطِ وَ اخْتِلَافِ مَقَادِيرِهَا بِالْمَرَجِ وَالْإِهْمَالِ فَقَالَ يَا مُفْضَلُ هَذَا الْوَشْيُ الَّذِي تَرَاهُ فِي الطَّوَائِيسِ وَالذَّرَاجِ وَالتَّدَارِجِ (1) عَلَى اسْتِوَاءٍ وَمُقَابَلَةٍ كَنَحْوِ مَا يَخْطُ بِالْأَقْلَامِ كَيْفَ يَأْتِي بِهِ الْإِمْتِزَاجُ الْمُهِمَلُ عَلَى شَكْلِ وَاحِدٍ لَا يَخْتَلِفُ وَ لَوْ كَانَ بِالْإِهْمَالِ لَعَدِمَ الْإِسْتِوَاءُ وَ لَكَانَ مُخْتَلِفًا تَأْمَلُ رِيَشَ الطَّيْرِ كَيْفَ هُوَ فَإِنَّكَ تَرَاهُ مُنْسُوجًا كَنَسْجِ الثَّوْبِ مِنْ سُلُوكِ دِقَاقٍ قَدْ أُلِّفَ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ كَتَأْلِيفِ الْخَيْطِ إِلَى الْخَيْطِ وَ الشَّعْرَةِ إِلَى الشَّعْرَةِ ثُمَّ تَرَى ذَلِكَ النَّسْجَ إِذَا مَدَدْتَهُ يَنْفَتِحُ قَلِيلًا وَ لَا يَنْشَقُّ لِتُدَاخِلَهُ الرِّيحُ فَيَقِلُّ الطَّائِرُ إِذَا طَارَ وَ تَرَى فِي وَسَطِ الرِّيشَةِ عَمُودًا غَلِيظًا مَتِينًا قَدْ نُسِجَ عَلَيْهِ الَّذِي هُوَ مِثْلُ الشَّعْرِ لِيُمْسِكَهُ بِصَلَابَتِهِ وَ هُوَ الْقَصَبَةُ الَّتِي هُوَ فِي وَسَطِ الرِّيشَةِ وَ هُوَ مَعَ ذَلِكَ أَجُوفٌ لِيَخْفَ عَلَى الطَّائِرِ وَ لَا يَعُوقَهُ عَنِ الطَّيْرَانِ .

ص: 105

1- قال الدميري: التدرج كحبرج: طائر كالدرّاج يغرد في البساتين بأصوات طيبة، يسمن عند صفاء الهواء و هبوب الشمال، و يهزل عند كدورته و هبوب الجنوب، يتخذ داره في التراب اللين، و يضع البيض فيها لثلا- يتعرض للآفات. و قال ابن زهر: هو طائر مليح يكون بأرض خراسان و غيرها من بلاد فارس.



بيان: المرج بالتحريك الفساد و الاضطراب و الاختلاط و في بعض النسخ بالزاي المعجمة و الأول أظهر و الوشى نقش الثوب و يكون من كل لون و السلوك جمع السلك و هو جمع السلكة بالكسر الخيط يخاط بها.

هَلْ رَأَيْتَ يَا مُفَضَّلُ هَذَا الطَّائِرَ الطَّوِيلَ السَّاقَيْنِ وَعَرَفْتَ مَا لَهُ مِنَ الْمُنْفَعَةِ فِي طُولِ سَاقَيْهِ فَإِنَّهُ أَكْثَرَ ذَلِكَ فِي صَدِّ حَضَاحٍ مِنَ الْمَاءِ فَتَرَاهُ بِسَاقَيْنِ طَوِيلَيْنِ كَأَنَّهُ رَيْبِيَّةٌ فَوْقَ مَرْقَبٍ وَهُوَ يَتَأَمَّلُ مَا يَدْبُ فِي الْمَاءِ فَإِذَا رَأَى شَيْئاً مِمَّا يَتَمَوَّتُ بِهِ خَطَا خُطُوتٍ رَقِيقاً (1) حَتَّى يَتَنَاوَلَهُ وَ لَوْ كَانَ قَصِيرَ السَّاقَيْنِ وَكَانَ يَخْطُو نَحْوَ الصَّيِّدِ لِيَأْخُذَهُ يَصِيدُ بَطْنَهُ الْمَاءِ فَيَثُورُ وَيُذْعَرُ مِنْهُ فَيَتَفَرَّقُ عَنْهُ فَخُلِقَ لَهُ ذَلِكَ الْعُمُودَانِ لِيُدْرِكَ بِهِمَا حَاجَتَهُ وَ لَأَ يَفْسُدَ عَلَيْهِ مَطْلَبُهُ تَأَمَّلْ صَدِّ رُوبِ التَّدْبِيرِ فِي خَلْقِ الطَّائِرِ فَإِنَّكَ تَجِدُ كُلَّ طَائِرٍ طَوِيلِ السَّاقَيْنِ طَوِيلَ الْعُنُقِ وَ ذَلِكَ لِيَتَمَكَّنَ مِنْ تَنَاوُلِ طَعْمِهِ مِنَ الْأَرْضِ وَ لَوْ كَانَ طَوِيلَ السَّاقَيْنِ قَصِيرَ الْعُنُقِ لَمَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَتَنَاوَلَ شَيْئاً مِنَ الْأَرْضِ وَ رَبَّمَا أُعِينَ مَعَ طُولِ الْعُنُقِ (2) بِطُولِ الْمَنَاقِيرِ لِيَزْدَادَ الْأَمْرَ عَلَيْهِ سُهولةً لَهُ وَ إِمْكَاناً أَفْلاً تَرَى أَنَّكَ لَا تَفْتَشُّ شَيْئاً مِنَ الْخَلْقَةِ إِلَّا وَجَدْتَهُ عَلَى غَايَةِ الصَّوَابِ وَ الْحِكْمَةِ.

توضيح: ماء ضحضاح أى قريب القعر و الربيبة بالهمز العين و الطليعة الذى ينظر للقوم لئلا يدهمهم عدو و لا يكون إلا على جبل أو شرف و المرقب الموضع المشرف يرتفع عليه الرقيب و الذعر الخوف.

أَنْظُرْ إِلَى الْعَصَةِ أَفِيرٍ كَيْفَ تَطْلُبُ أَكْلَهَا بِالنَّهَارِ فَهِيَ لَا تَفْقِدُهُ وَ لَا هِيَ تَجِدُهُ مَجْمُوعاً مُعَدَّاً بَلْ تَنَالُهُ بِالْحَرَكَةِ وَ الطَّلَبِ وَ كَذَلِكَ الْخَلْقُ كُلُّهُ فَسُبْحَانَ مَنْ قَدَّرَ الرِّزْقَ كَيْفَ قَوَّتَهُ (3) فَلَمْ يَجْعَلْ مِمَّا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِذْ جَعَلَ لِلْخَلْقِ حَاجَةً إِلَيْهِ وَ لَمْ يَجْعَلْهُ مَبْدُولاً وَ يُنَالُ بِالْهُوَيْنَا إِذْ كَانَ لَا صَلَاحَ فِي ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ يُوجَدُ مَجْمُوعاً مُعَدَّاً كَانَتْ الْبِهَائِمُ تَتَقَلَّبُ عَلَيْهِ وَ لَا تَتَقَلِّعُ حَتَّى تَبْشَمَ فَتَهْلِكَ وَ كَانَ النَّاسُ أَيْضاً يَصِيدُونَ بِالْفِرَاحِ إِلَى غَايَةِ الْأَشْرِ وَ الْبَطْرِ حَتَّى يَكْثُرَ الْفَسَادُ وَ يَظْهَرَ الْفَوَاحِشُ

ص: 106

1- و في نسخة: خطوات رقيقات.

2- و في نسخة: اعين على طول العنق.

3- و في نسخة: كيف قدره.

أَعْلَمْتَ مَا طَعُمَ هَذِهِ الْأَصْدَانُ مِنَ الطَّيْرِ الَّتِي لَا تَخْرُجُ إِلَّا بِاللَّيْلِ كَمَثَلِ الْبُومِ وَالْهَامِ (1) وَالْحُفَّاشِ قُلْتُ لَا يَا مَوْلَايَ قَالَ إِنَّ مَعَاشَهُمَا مِنْ صُرُوبٍ تَنْتَشِرُ فِي هَذَا الْجَوْ مِنْ الْبُعُوضِ وَالْفَرَاشِ وَأَشْبَاهِ الْجَرَادِ وَالْيَعَاسِيْبِ وَذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الصُّرُوبَ مَبْنُوثَةٌ فِي الْجَوْ لَا يَخْلُو مِنْهَا مَوْضِعٌ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ بِأَنَّكَ إِذَا وَضَعْتَ سِدْرًا جَا بِاللَّيْلِ فِي سَدِّ طُحٍ أَوْ عَرَصَةٍ دَارٍ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ مِنْ هَذَا شَيْءٌ كَثِيرٌ فَمِنْ أَيْنَ يَأْتِي ذَلِكَ كُلُّهُ إِلَّا مِنَ الْقُرْبِ فَإِنَّ قَالَ قَائِلٌ إِنَّهُ يَأْتِي مِنَ الصَّحَارَى وَالْبَرَاري قِيلَ لَهُ كَيْفَ يُوَافِي تِلْكَ السَّاعَةَ مِنْ مَوْضِعٍ بَعِيدٍ وَكَيْفَ يُبْصِرُ مِنْ ذَلِكَ الْبُعْدِ سِرَاجًا فِي دَارٍ مَحْفُوفَةٍ بِالْدُورِ فَيَقْصِدُ إِلَيْهِ مَعَ أَنَّ هَذِهِ عِيَانًا تَتَهَافَتُ عَلَى السَّرَاجِ (2) مِنْ قُرْبٍ فَيَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهَا مُنْتَشِرَةٌ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ مِنَ الْجَوْ فَهَذِهِ الْأَصْنَافُ مِنَ الطَّيْرِ تَلْتَمِسُهَا إِذَا خَرَجَتْ فَتَتَقَوَّتُ بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ وَجَّهَ الرَّزْقُ لِهَذِهِ الطُّيُورِ الَّتِي لَا تَخْرُجُ إِلَّا بِاللَّيْلِ مِنْ هَذِهِ الصُّرُوبِ الْمُنْتَشِرَةِ فِي الْجَوْ وَاعْرِفْ مَعَ ذَلِكَ الْمَعْنَى فِي خَلْقِ هَذِهِ الصُّرُوبِ الْمُنْتَشِرَةِ الَّتِي عَسَى أَنْ يَطْنَ ظَانُّ أَنَّهَا فَضْلٌ لَا مَعْنَى لَهُ خَلِقَ الْحُفَّاشُ خَلْقَةً عَجِيبَةً بَيْنَ خَلْقَةِ الطَّيْرِ وَذَوَاتِ الْأَرْبَعِ [بَلْ هُوَ إِلَى ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ] أَقْرَبُ وَذَلِكَ أَنَّهُ ذُو أُذُنَيْنِ نَاشِرَتَيْنِ وَأَسْنَانٍ وَوَبْرٍ (3) وَهُوَ يَلِدُ وَلَا دَأُ وَيَرْضِعُ وَيَبُولُ وَيَمْسِي إِذَا مَسَى عَلَى الْأَرْبَعِ وَكُلُّ هَذَا خِلَافٌ صِفَةِ الطَّيْرِ ثُمَّ هُوَ أَيْضًا مِمَّا يَخْرُجُ بِاللَّيْلِ وَيَتَقَوَّتُ مِمَّا يَسْرِي فِي الْجَوْ مِنَ الْفَرَاشِ وَ مَا أَشْبَهَهُ وَقَدْ قَالَ قَائِلُونَ إِنَّهُ لَا طَعْمَ لِلْحُفَّاشِ وَإِنَّ غِذَاءَهُ مِنَ النَّسِيمِ وَحَدُّهُ وَذَلِكَ يَقْسُدُ وَيَبْطُلُ مِنْ جِهَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا خُرُوجُ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ مِنَ الثُّفْلِ وَالْبَوْلِ فَإِنَّ هَذَا لَا يَكُونُ مِنْ غَيْرِ طَعْمٍ وَالْأُخْرَى أَنَّهُ ذُو أُسْنَانٍ وَلَوْ كَانَ لَا يَطْعَمُ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ لِلْأَسْنَانِ فِيهِ مَعْنَى وَ لَيْسَ فِي الْخَلْقَةِ شَيْءٌ لَا مَعْنَى لَهُ وَ أَمَّا الْمَارِبُ فِيهِ فَمَعْرُوفَةٌ

ص: 107

- 1- جمع الهامة: نوع من البوم الصغير، تألف القبور والاماكن الخربة، وتنظر من كل مكان أينما درت أدارت رأسها. وتسمى أيضا الصدى.
- 2- أى تساقط عليه و تتابع.
- 3- أضاف الدميري له خصيصتين، وقال: يحيض و يطهر، و يضحك كما يضحك الإنسان.

حَتَّىٰ إِنَّ زَيْلَهُ يَدْخُلُ فِي بَعْضِ الْأَعْمَالِ (1) وَمِنْ أَعْظَمِ الْإِزْبِ فِيهِ خَلْقَتُهُ الْعَجِيبَةُ الدَّالَّةُ عَلَى قُدْرَةِ الْحَالِقِ جَلَّ شَأْنُهُ وَتَصَرُّفِهَا فِيمَا شَاءَ كَيْفَ شَاءَ لِضَرْبٍ مِنَ الْمَصْلَحَةِ فَأَمَّا الطَّائِرُ الصَّغِيرُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ ابْنُ تُمْرَةَ فَقَدْ عَشَّسَ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ فِي بَعْضِ الشَّجَرِ فَنَظَرَ إِلَى حَيَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ أَقْبَلَتْ نَحْوَ عَشِّهِ فَأَغْرَهُ فَاهَا لِتَبْلَعَهُ فَبَيْنَمَا هُوَ يَتَقَلَّبُ وَيَضْطَرِبُ فِي طَلَبِ حَيْلَةٍ مِنْهَا إِذَا وَجَدَ حَسَكَةً فَحَمَلَهَا فَأَلْقَاهَا فِي فَمِ الْحَيَّةِ فَلَمْ تَزَلِ الْحَيَّةُ تَلْتَوِي وَتَتَقَلَّبُ حَتَّىٰ مَاتَتْ أَفْرَأَيْتَ لَوْ لَمْ أُخْبِرْكَ بِذَلِكَ كَانَ يَخْطُرُ بِبَالِكَ أَوْ بِبَالِ غَيْرِكَ أَنَّهُ يَكُونُ مِنْ حَسَكَةٍ مِثْلُ هَذِهِ الْمَنْفَعَةِ الْعَظِيمَةِ أَوْ يَكُونُ مِنْ طَائِرٍ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ مِثْلُ هَذِهِ الْحَيْلَةِ اعْتَبِرْ بِهِذَا وَكَثِيرٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ تَكُونُ فِيهَا مَنَافِعٌ لَا تُعْرَفُ إِلَّا بِحَادِثٍ يُحْدِثُ بِهِ أَوْ خَبَرٍ يُسْمَعُ بِهِ انْظُرْ إِلَى النَّحْلِ وَاحْتِشَادِهِ فِي صَنْعَةِ الْعَسَلِ وَتَهْيِئَةِ الْبُيُوتِ الْمُسَدَّسَةِ وَمَا تَرَى فِي ذَلِكَ اجْتِمَاعَهُ مِنْ دَقَائِقِ الْفِطْنَةِ (2) فَإِنَّكَ إِذَا تَأَمَّلْتَ الْعَمَلَ رَأَيْتَهُ عَجِيبًا لَطِيفًا وَإِذَا رَأَيْتَ الْمَعْمُولَ وَجَدْتَهُ عَظِيمًا شَرِيفًا مَوْقِعُهُ مِنَ النَّاسِ وَإِذَا رَجَعْتَ إِلَى الْفَاعِلِ أَلْفَيْتَهُ عَجِيبًا جَاهِلًا بِنَفْسِهِ فَضَدًّا لِعَمَّا سَوَى ذَلِكَ فَفِي هَذَا أَوْضَحَ الدَّلِيلَ عَلَى أَنَّ الصَّوَابَ وَالْحِكْمَةَ فِي هَذِهِ الصَّنْعَةِ لَيْسَ لِلنَّحْلِ بَلْ هِيَ لِلَّذِي طَبَعَهُ عَلَيْهَا وَسَخَّرَهُ فِيهَا لِمَصْلَحَةِ النَّاسِ انْظُرْ إِلَى هَذَا الْجَرَادِ مَا أَضَدَّ عَفَهُ وَأَقْوَاهُ فَإِنَّكَ إِذَا تَأَمَّلْتَ خَلْقَهُ رَأَيْتَهُ كَأَضَدِّ عَفِ الْأَشْيَاءِ وَإِنْ دَلَفْتَ عَسَاكِرَهُ نَحْوَ بَلَدٍ مِنَ الْبُلْدَانِ لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَحْمِيَهُ مِنْهُ أَلَا تَرَى أَنَّ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ الْأَرْضِ لَوْ جَمَعَ حَيْلَهُ وَرَجَلَهُ لِيَحْمِيَ بِلَادَهُ مِنَ الْجَرَادِ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ أَفَلَيْسَ مِنَ الدَّلَائِلِ عَلَى قُدْرَةِ الْحَالِقِ أَنْ يَبْعَثَ أَضَدَّ عَفِ خَلْفَهُ إِلَى أَقْوَى خَلْفِهِ فَلَا يَسْتَطِيعُ دَفْعُهُ انْظُرْ إِلَيْهِ كَيْفَ يَنْسَابُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِثْلَ السَّيْلِ فَيُعْشِي السَّهْلَ وَالْجَبَلَ وَالْبَدْوَ وَالْحَضَرَ حَتَّىٰ يَسْتُرَ نَوْرَ الشَّمْسِ بِكَثْرَتِهِ فَلَوْ كَانَ هَذَا مِمَّا يُصْنَعُ بِالْأَيْدِي

ص: 108

1- قد ذكر الدميري لاجزائه خواصا كثيرة: منها ان طبخ رأسه في إناء نحاس أو حديد بدهن زنبق و يغمر فيه مرارا حتى يتهرى و يصفى ذلك الدهن عنه، و يدهن به صاحب النقرس و الفالج القديم و الارتعاش، و التورم في الجسد فانه ينفعه ذلك و يبرئه، و منها ان زبله إذا طلى به على القوابي قلعها. و غير ذلك من الفوائد.

2- و في نسخة: و ما ترى في اجتماعه من دقائق الفطنة.

مَتَى كَانَ يَجْتَمِعُ مِنْهُ هَذِهِ الْكَثْرَةُ وَفِي كَمٍ مِنْ سَنَةٍ كَانَ يَرْتَفِعُ فَاسْتَدِلَّ بِذَلِكَ عَلَى الْقُدْرَةِ الَّتِي لَا يَتَوَدَّهَا شَيْءٌ وَيُكْثِرُ عَلَيْهَا تَأْمَلْ خَلْقَ السَّمَكِ وَ مُشَاكَلَتَهُ لِلْأَمْرِ الَّذِي قُدِّرَ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ خُلِقَ غَيْرَ ذِي قَوَائِمٍ لِأَنَّهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى الْمَسِّ إِذَا كَانَ مَسَّ كُنْهُ الْمَاءِ وَ خُلِقَ غَيْرَ ذِي رِبَةٍ لِأَنَّهُ لَا يَسَّ تَطْيَعُ أَنْ يَتَنَفَّسَ وَ هُوَ مُنْعَمَسٌ فِي اللَّجَّةِ وَ جُعِلَتْ لَهُ مَكَانَ الْقَوَائِمِ أَجْنَحَةٌ شَدَادٌ يَضْرِبُ بِهَا فِي جَانِبَيْهِ كَمَا يَضْرِبُ الْمَلَأَحُ بِالْمَجَازِيفِ مِنْ جَانِبِي السَّفِينَةِ وَ كَسَى جِسْمَهُ قُشُورًا مِتَانًا مُتَدَاخِلَةً كَتَدَاخِلِ الدَّرُوعِ وَ الْجَوَاشِنِ لِتَقِيَهُ مِنَ الْإِهَاتِ فَأَعِينَ بِفَضْلِ حِسِّ فِي السَّمِّ لِأَنَّ بَصَرَهُ ضَعِيفٌ وَ الْمَاءُ يَحْجُبُهُ فَصَارَ يَشْمُ الطُّعْمَ مِنَ الْبُعْدِ الْبَعِيدِ فَيَنْتَجِعُهُ وَ إِلَّا فَكَيْفَ يَعْلَمُ بِهِ وَ بِمَوْضِعِهِ وَ اعْلَمْ أَنَّ مِنْ فِيهِ إِلَى صِدْمَاخِيهِ مَنَافِذٌ فَهُوَ يَعْبُ الْمَاءَ فِيهِ (1) وَ يُرْسِلُهُ مِنْ صِمَاخِيهِ (2) فَتَرَوَّحَ إِلَى ذَلِكَ كَمَا يَتَرَوَّحُ غَيْرُهُ مِنَ الْحَيَوَانِ إِلَى تَسْمِ هَذَا النَّسِيمِ فَكَّرِ الْآنَ فِي كَثْرَةِ نَسْلِهِ وَ مَا خُصَّ بِهِ مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّكَ تَرَى فِي جَوْفِ السَّمَكَةِ الْوَاحِدَةِ مِنَ الْبَيْضِ مَا لَا يُحْصَى كَثْرَةً وَ الْعِلَّةُ فِي ذَلِكَ أَنْ يَتَّسِعَ لِمَا يَعْتَدِي بِهِ مِنْ أَصْدَانِ الْبَحْرِ فَإِنَّ أَكْثَرَهَا يَأْكُلُ السَّمَكَ حَتَّى إِنَّ السَّبَاعَ أَيْضًا فِي حَافَاتِ الْأَجَامِ عَاكِفَةٌ عَلَى الْمَاءِ أَيْضًا كَمَا تَرُصِدُ السَّمَكَ إِذَا مَرَّ بِهَا خَطْفَتُهُ فَلَمَّا كَانَتْ السَّبَاعُ تَأْكُلُ السَّمَكَ وَ الطَّيْرُ يَأْكُلُ السَّمَكَ وَ النَّاسُ يَأْكُلُونَ السَّمَكَ وَ السَّمَكُ يَأْكُلُ السَّمَكَ كَانَ مِنَ التَّدْبِيرِ فِيهِ أَنْ يَكُونَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْكَثْرَةِ إِذَا أَرَدَتْ أَنْ تَعْرِفَ سَعَةَ حِكْمَةِ الْخَالِقِ وَ قِصَرَ عِلْمِ الْمَخْلُوقِينَ فَانظُرْ إِلَى مَا فِي الْبَحْرِ مِنْ ضَرْبِ السَّمَكِ وَ دَوَابِّ الْمَاءِ وَ الْأَصْدَافِ وَ الْأَصْنَافِ الَّتِي لَا تُحْصَى وَ لَا تُعْرَفُ مَنَافِعُهَا إِلَّا الشَّيْءُ بَعْدَ الشَّيْءِ يُدْرِكُهُ النَّاسُ بِأَسْبَابٍ تُحَدِّثُ مِثْلَ الْقِرْمِزِ فَإِنَّهُ إِنَّمَا عَرَفَ النَّاسُ صِبْغَهُ بِأَنَّ كَلْبَةً تَجُولُ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ فَوَجَدَتْ شَيْئًا مِنَ الصَّنْفِ الَّذِي يُسَمَّى الْحَلْزُونَ فَأَكَلَتْهُ فَاخْتَصَبَ خَطْمُهَا بِدَمِهِ فَانظَرَ النَّاسُ إِلَى حُسْنِهِ فَاتَّخَذُوهُ صِبْغًا وَ أَشْبَاهَ هَذَا مِمَّا يَقِفُ النَّاسُ عَلَيْهِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ وَ زَمَانًا بَعْدَ زَمَانٍ

ص: 109

1- أى شربه أو كرهه بلا تنفس.

2- الصمغ: خرق الاذن الباطن الماضى إلى الرأس.

قَالَ الْمُفْضَلُ حَانَ وَقْتُ الزَّوَالِ فَقَامَ مَوْلَايَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الصَّلَاةِ وَقَالَ بَكَرٌ إِلَيَّ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فَأَنْصَرَفْتُ وَقَدْ تَضَاعَفُ سُرُورِي بِمَا عَرَفْتِيهِ مُبْتَهَجًا بِمَا مَنَحَنِيهِ حَامِدًا لِلَّهِ عَلَى مَا آتَانِيهِ فَبِتُّ لَيْلَتِي مَسْرُورًا مُبْتَهَجًا.

بيان: البشم محرقة التخممة و السامة بشم كفرح و أبشمه الطعام و الفراش هي التي تقع في السراج و يعسوب أمير النحل و طائر أصغر من الجرادة أو أعظم و قوله عليه السلام: ناشزتين بالمعجمة أي مرتفعين و في بعض النسخ بالمهملة أي مبسوطتين و السرى السير بالليل و قال الفيروزآبادي: و التمرة كقبرة و ابن تمرة طائر أصغر من العصفور انتهى (1) و فغر فاه أي فتحه و الحسك محرقة نبات تعلق ثمرته بصوف الغنم قوله عليه السلام: غيبا جاهلا أي ليس له عقل يتصرف في سائر الأشياء على نحو تصرفه في ذلك الأمر المخصوص فظهر أن خصوص هذا الأمر إلهام من مدبر حكيم أو خلقة و طبيعة جبله عليها ليصدر عنه خصوص هذا الأمر لما فيه من المصلحة مع كونه غافلا عن المصلحة أيضا و لعل هذا يؤيد ما يقال إن الحيوانات العجم غير مدركة للكليات (2) و يقال دلفت الكتبية في الحرب أي تقدمت و يقال دلفناهم فالعساكر تحتل الرفع و النصب و الرجل بالفتح جمع راجل خلاف الفارس و انساب جرى و مشى مسرعا و لا ينودها أي لا يثقلها و لجة الماء معظمه و المجذاف ما تجرى به السفينة و انتجع طلب الكلاء في موضعه و حافات الآجام جوانبها و عكف على الشيء أقبل عليه مواظبا و قال الفيروزآبادي: القرمز صبغ أرمني يكون من عصارة دود في آجامهم و قال الحلزون محرقة دابة تكون في الرمث أي بعض مراعى الإبل و يظهر من كلامه عليه السلام اتحادهما و يحتمل أن يكون المراد أن من صبغ الحلزون تقطنوا يعمال القرمز للصبغ لتشابههما تم المجلس الثاني.

ص: 110

- 1- قال الدميري: التمر: طائر نحو الاور في منقاره طول، و عنقه أطول من عنق الاور. و في المنجد: التمر: طائر مائي شبيه بالاور أطول منه عنقا. أقول: الظاهر أنه غلط و صحيحه كما في القاموس وغيره: التمر بالراء.
- 2- فيه ما لا يخفى فان إدراك الكليات غير الفكر الذي بمعنى الانتقال من النتيجة إلى المقدمات و منها إلى النتيجة، و كذا هو غير قوة الفكر؛ و الذي يلوح منه نفى قوة الفكر كالانسان و أمّا أصل الفكر و ادراك الكليات فلا. ط.

الْمَجْلِسِ الثَّالِثُ قَالَ الْمَفْضَلُ فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّلَاثُ بَكَرْتُ إِلَى مَوْلَايَ فَاسْتَوْدَنْ لِي فَدَخَلْتُ فَأَذِنَ لِي بِالْجُلُوسِ فَجَلَسْتُ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اصْطَفَانَا وَلَمْ يَصْطَفِ عَلَيْنَا اصْطَفَانَا بِعِلْمِهِ وَآيَدَنَا بِحِلْمِهِ مِنْ شِدَّةِ عَنَّا (1) فَالْتَأَزْ مَأْوَاهُ وَمَنْ تَقِيًّا بِظِلِّ دَوْحَتِنَا فَالْجَنَّةُ مَثْوَاهُ قَدْ شَرَحْتُ لَكَ يَا مَفْضَلُ خَلْقَ الْإِنْسَانِ وَمَا دَبَّرَ بِهِ وَتَقَلَّبَهُ فِي أَحْوَالِهِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْإِعْتِبَارِ وَشَرَحْتُ لَكَ أَمْرَ الْحَيَوَانِ وَأَنَا أَبْتَدِي الْآنَ بِذِكْرِ السَّمَاءِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالتُّجُومِ وَالْقَدَمِ وَاللَّيْلِ وَالتَّهَارِ وَالْحَرِّ وَالْبُرْدِ وَالرِّيَّاحِ وَالْجَوَاهِرِ الْأَزْبَعَةَ الْأَرْضِ وَالْمَاءِ وَالْهَوَاءِ وَالتَّارِ وَالْمَطَرِ وَالصَّخْرِ وَالْحِجَابِ وَالطِّينِ وَالْحِجَارَةَ وَالْمَعَادِنِ وَالنَّبَاتِ وَالنَّخْلِ وَالشَّجَرِ وَمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْأَدِلَّةِ وَالْعِبَرِ فَكَّرْ فِي لَوْنِ السَّمَاءِ وَمَا فِيهِ مِنْ صَوَابِ التَّنْبِيهِ فَإِنَّ هَذَا اللَّوْنَ أَشَدُّ الْأَلْوَانِ مُوَافِقَةً لِلْبَصَرِ وَتَقْوِيَةً حَتَّى إِنْ مِنْ صِدْمَاتِ الْأَطِبَّاءِ لِمَنْ أَصَابَهُ شَيْءٌ أَضْرَّ بِبَصَرِهِ إِذْ مَانَ النَّظَرَ إِلَى الْخُضْرَةِ وَمَا قَرَّبَ مِنْهَا إِلَى السَّوَادِ (2) وَقَدْ وَصَفَ الْحُدَّاقُ مِنْهُمْ لِمَنْ كَلَّ بَصَرَهُ الْإِطْلَاعَ فِي إِجَانَةِ (3) خَضْرَاءَ مَمْلُوءَةَ مَاءً فَانْظُرْ كَيْفَ جَعَلَ اللَّهُ جَلًّا وَتَعَالَى أَدِيمَ السَّمَاءِ بِهَذَا اللَّوْنِ الْأَخْضَرَ إِلَى السَّوَادِ لِيُمْسِكَ الْأَبْصَارَ الْمُتَقَلِّبَةَ عَلَيْهِ فَلَا يَنْكِي فِيهَا بِطُولِ مُبَاشَرَتِهَا لَهُ فَصَارَ هَذَا الَّذِي أَدْرَكَهُ النَّاسُ بِالْفِكْرِ وَالرَّوِيَّةِ وَالتَّجَارِبِ يُوجَدُ مَفْرُوعًا مِنْهُ فِي الْخَلْقَةِ حِكْمَةٌ بِالْغَةِ لِيَعْتَبَرَ بِهَا الْمُعْتَبِرُونَ وَيُفَكَّرَ فِيهَا الْمُلْحِدُونَ قَاتِلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ .

بيان: اصطفانا بعلمه أى اختارنا وفضلنا على الخلق بأن أعطانا من علمه ما لم يعط أحدا و آيدنا بحلمه أى قوانا على تبليغ الرسالة بما حلانا به من حلمه لنصبر على ما يلقانا من أذى الناس و تكذيبهم و الدوحة الشجرة العظيمة و الصخر الحجر العظام و أديم السماء وجهها كما يطلق أديم الأرض على وجهها و يمكن أن يكون عليه السلام شبهها بالأديم و قوله عليه السلام: حِكْمَةٌ بِالْغَةِ بِالرَّفْعِ خَبْرٌ مُبْتَدَأٌ مُحذوفٌ أَوْ بِالنَّصْبِ بِالحَالِيَةِ أَوْ بِكُونِهِ مَفْعُولًا لِأَجَلِهِ.

ص: 111

1- أى تحزّب و انفرد عنا.

2- إدمان النظر: إدامته.

3- الاجانة: إناء تغسل فيه الثياب.

فَكَرَّ يَأْمُفَضَّلُ فِي طُلُوعِ الشَّمْسِ وَغُرُوبِهَا لِإِقَامَةِ دَوْلَتِي النَّهَارِ وَاللَّيْلِ فَلَوْلَا طُلُوعُهَا لَبَطَلَ أَمْرُ الْعَالَمِ كُلِّهِ فَلَمْ يَكُنِ النَّاسُ يَسَعُونَ فِي مَعَايِشِهِمْ وَيَتَصَرَّفُونَ فِي أُمُورِهِمْ وَالدُّنْيَا مُظْلَمَةٌ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَكُونُوا يَتَهَنَّتُونَ بِالْعَيْشِ مَعَ فَقْدِهِمْ لَدَّةَ النُّورِ وَرُوحَهُ وَالْإِزْبُ فِي طُلُوعِهَا ظَاهِرٌ مُسْتَتَغِنٌ بِظُهُورِهِ عَنِ الْإِطْنَابِ فِي ذِكْرِهِ وَالرِّيَادَةِ فِي شَرْحِهِ بَلْ تَأَمَّلِ الْمَنْفَعَةَ فِي غُرُوبِهَا فَلَوْلَا غُرُوبُهَا لَمْ يَكُنِ لِلنَّاسِ هَدْيٌ وَلَا قَرَارٌ مَعَ عَظَمِ حَاجَتِهِمْ إِلَى الْهَدْيِ وَالرَّاحَةِ لِئَلَّا كُونُ أَعْدَائِهِمْ وَجُمُومِ حَوَاسِيهِمْ وَانْبِعَاطِ الْقُوَّةِ الْهَاضِمَةِ لِهَضْمِ الطَّعَامِ وَتَنْفِيذِ الْغِذَاءِ إِلَى الْأَعْضَاءِ ثُمَّ كَانَ الْحِرْصُ يَسْتَحْمِلُهُمْ مِنْ مُدَاوِمَةِ الْعَمَلِ وَمُطَاوَلَتِهِ عَلَى مَا يَعْظُمُ نِكَايَتُهُ فِي أَعْدَائِهِمْ فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَوْ لَا جُثُومُ هَذَا اللَّيْلِ لُظْلِمَتِهِ عَلَيْهِمْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ هَدْيٌ وَلَا قَرَارٌ حِرْصًا عَلَى الْكَسْبِ وَالْجَمْعِ وَالْإِدْحَارِ ثُمَّ كَانَتِ الْأَرْضُ تَسْتَحْمِي بِدَوَامِ الشَّمْسِ بِضِيَائِهَا وَتُحْمِي كُلَّ مَا عَلَيْهَا مِنْ حَيَوَانٍ وَنَبَاتٍ فَقَدَّرَهَا اللَّهُ بِحِكْمَتِهِ وَتَدْبِيرِهِ تَطْلُعُ وَفَتْنَا وَتَغْرُبُ وَفَتْنَا بِمَنْزِلَةِ سِرَاجٍ يُرْفَعُ لِأَهْلِ الْبَيْتِ تَارَةً لِيَقْضُوا حَوَائِجَهُمْ ثُمَّ يَغِيبُ عَنْهُمْ مِثْلَ ذَلِكَ لِيَهْدِيَهُمْ وَيَقْرُوا فَصَارَ النُّورُ وَالظُّلْمَةُ مَعَ تَضَادِّهِمَا مُتَقَادِرِينَ مُتَظَاهِرِينَ عَلَى مَا فِيهِ صَدَاحُ الْعَالَمِ وَقِيَامُهُ ثُمَّ فَكَّرَ بَعْدَ هَذَا فِي اِرْتِفَاعِ الشَّمْسِ وَانْحِطَاطِهَا لِإِقَامَةِ هَذِهِ الْأَرْزَمَةِ الْأَرْبَعَةَ مِنَ السَّنَةِ وَمَا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّدْبِيرِ وَالْمَصَدِّحَةِ فِي الشِّتَاءِ تَعُودُ الْحَرَارَةُ فِي الشَّجَرِ وَالنَّبَاتِ فَيَتَوَلَّدُ فِيهِمَا مَوَادُّ الشَّمَارِ وَيَسْتَكْتِفُ الْهَوَاءُ فَيَنْشَأُ مِنْهُ السَّحَابُ وَالْمَطَرُ وَتَشُدُّ أَعْدَانُ الْحَيَوَانِ وَتَقْوَى وَفِي الرَّبِيعِ تَتَحَرَّكُ وَتُظْهِرُ الْمَوَادُّ الْمُتَوَلَّدَةَ فِي الشِّتَاءِ فَيَطْلُعُ النَّبَاتُ وَتَتَوَرَّرُ الْأَشْجَارُ وَيَهْبِجُ الْحَيَوَانُ لِلسَّفَادِ وَفِي الصَّيْفِ يَحْتَدِمُ الْهَوَاءُ فَتَنْضَجُ الشَّمَارُ وَتَتَحَلَّلُ فَضُولُ الْأَعْدَانِ وَبِحِفِّ وَجْهِ الْأَرْضِ فَتَهَيَّأُ لِلْبَيْءِ وَالْأَعْمَالِ وَفِي الْخَرِيفِ يَصَدُّمُ الْهَوَاءُ وَيَرْتَفِعُ الْأَمْرَاضُ وَيَصِيحُ الْأَعْدَانُ وَيَمْتَدُّ اللَّيْلُ فَيَمَكِّنُ فِيهِ بَعْضُ الْأَعْمَالِ لِطُولِهِ وَيَطِيبُ الْهَوَاءُ فِيهِ إِلَى مَصَالِحِ أُخْرَى لَوْ تَقَصَّيْتُ لِدِكْرِهَا لَطَالَ فِيهَا الْكَلَامُ فَكَّرِ الْآنَ فِي تَنْقُلِ الشَّمْسِ فِي الْبُرُوجِ الْإِثْنَيْ عَشَرَ لِإِقَامَةِ دَوْرِ السَّنَةِ وَمَا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّدْبِيرِ فَهُوَ الدَّوْرُ الَّذِي تَصِحُّ بِهِ الْأَرْزَمَةُ الْأَرْبَعَةُ مِنَ السَّنَةِ الشِّتَاءِ وَالرَّبِيعِ وَالصَّيْفِ وَالْخَرِيفِ وَيَسْتَوْفِيهَا عَلَى التَّمَامِ وَفِي هَذَا الْمِقْدَارِ مِنْ دَوْرَانِ الشَّمْسِ تُدْرِكُ

الغلات و الثمار و تنتهي إلى غاياتها ثم تعود فيستأنف النشوء و النمو ألا ترى أن السنة مقدار مسير الشمس من الحمل إلى الحمل في السنة و أخوانها يكال الزمان من لدن خلق الله تعالى العالم إلى كل وقت و عصر من غير الأيام و بها يحسب الناس الأعمال (1) و الأوقات الموقته للديون و الإجازات و المعاملات و غير ذلك من أمورهم و بمسير الشمس يكمل السنة و يقوم حساب الزمان على الصحة انظر إلى شروقها على العالم كيف دبر أن يكون فإنها لو كانت تبتغ في موضع من السماء فتقف لا تعدوه لما وصل شعاعها و منعتها إلى كثير من الجهات لأن الجبال و الجدران كانت تحجبها عنها فجعلت تطلع في أول النهار من المشرق فتشرق على ما قبالها من وجه المغرب ثم لا تزال تدور و تمشي جهة بعد جهة حتى تنتهي إلى المغرب فتشرق على ما استتر عنها في أول النهار فلا يبقى موضع من المواضع إلا أخذ يقسطه من المنفعة (2) منها و الإزب التي قدرت له و لو تخلفت مقدار عام أو بعض عام كيف كان يكون حالهم بل كيف كان يكون لهم مع ذلك بقاء أفلا يرى الناس كيف هذه الأمور الجليلة (3) التي لم تكن عندهم فيها حيلة فصارت تجرى على مجاريها لا تعطل و لا تتخلف عن مواقيتها لصلاح العالم و ما فيه بقاءه استدلالاً بالقمر ففيه دلالة جليلة تستعملها العامة في معرفة الشهور و لا يقوم عليه حساب السنة لأن دوره لا يستوفي الأربعة و نشوء الثمار و تصرمها و لذلك صارت شهور القمر و سنوه تتخلف عن شهور الشمس و سنيها و صار الشهر من شهور القمر ينتقل فيكون مرة بالشتاء و مرة بالصيف فكرر في إنارته في ظلمة الليل و الإزب في ذلك فإنه مع الحاجة إلى الظلمة لهدء الحيوان و برد الهواء على النبات لم يكن صلاح في أن يكون الليل ظلمة داجية لا ضياء فيها فلا يمكن فيه شيء من العمل لأنه رُبما احتاج الناس إلى العمل بالليل لضيق الوقت عليهم في تقصى الأعمال بالنهار (4) أو لشددة الحر و إفراطه فيعمل في ضوء القمر أعمالاً

ص: 113

- 1- وفي نسخة: و بها يحسب الناس الاعمار.
- 2- أي بحصته و نصيبه من المنفعة.
- 3- وفي نسخة: كيف كان يكون للناس هذه الأمور الجليلة.
- 4- وفي نسخة: في تقضى بعض الاعمال بالنهار.



شَتَّى كَحَرَبِ الْأَرْضِ وَضَرْبِ اللَّبَنِ وَقَطْعِ الْحَشَبِ وَمَا أَشَدَّ بِهِ ذَلِكَ فَجُعِلَ ضَوْءُ الْقَمَرِ مَعُونَةً لِلنَّاسِ عَلَى مَعَايِشِهِمْ إِذَا احْتَأَجُّوا إِلَى ذَلِكَ وَ  
أَنْسَأَ لِلسَّائِرِينَ وَجُعِلَ طُلُوعُهُ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ دُونَ بَعْضٍ وَنُقِصَ مَعَ ذَلِكَ مِنْ نُورِ الشَّمْسِ وَضِيَائِهَا لِكَيْلَا تَنْبَسِطَ النَّاسُ فِي الْعَمَلِ أَنْسَاطَهُمْ  
بِالنَّهَارِ وَيَمْتَنِعُوا مِنَ الْهَدْيِ وَالْقَرَارِ فِيهِلَّ كُهُمْ ذَلِكَ وَفِي تَصَرُّفِ الْقَمَرِ خَاصَّةً فِي مَهَلِهِ (1) وَ مُحَاقِهِ وَ زِيَادَتِهِ وَ نُقْصَانِهِ وَ كُسُوفِهِ مِنَ التَّنْبِيهِ عَلَى  
قُدْرَةِ اللَّهِ خَالِقِهِ الْمُصَرِّفِ لَهُ هَذَا التَّصْرِيفَ لِصَلَاحِ الْعَالَمِ مَا يَعْتَبَرُ بِهِ الْمُعْتَبِرُونَ.

إيضاح: الدولة بالفتح و الضم انقلاب الزمان و دالت الأيام دارت و الله يداولها بين الناس و هداً كمنع هدها و هدوءا سكن و يقال نكيت في  
العدو نكاية إذا قتلت فيهم و جرحت و جثم الإنسان و الطائر و النعام يجثم جثما و جثوما لزم مكانه لم يبرح و المراد جثومهم في الليل و  
التظاهر التعاون و نور الشجر أى أخرج نوره و حدم النار شدة احتراقها و التقصى بلوغ أقصى الشىء و نهايته و الغابر الباقي و الماضى و  
المراد هنا الثانى و بزغت الشمس بزوغا شرقت أو البروغ ابتداء الطلوع و قال الجوهري: اعتل عليه و اعتله إذا اعتاقه عن أمر انتهى و ليلة  
داجية أى مظلمة.

فَكَرَّ يَا مُفَضَّلُ فِي النُّجُومِ وَ اخْتِلَافِ مَسِيرِهَا فَبَعْضُهَا لَا تَقَارُقُ مَرَازِهَا مِنَ الْفَلَكَ وَ لَا تَسِيرُ إِلَّا مُجْتَمِعَةً وَ بَعْضُهَا مُطْلَقَةٌ تَنْتَقِلُ فِي الْبُرُوجِ وَ  
تَفْتَرِقُ فِي مَسِيرِهَا فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا يَسِيرُ سَبْعِينَ مِائَةً مِنْ مِائَتَيْ مِائَةٍ مُخْتَلِفِينَ أَحَدُهُمَا عَامٌ مَعَ الْفَلَكَ نَحْوَ الْمَغْرِبِ وَ الْآخَرُ خَاصٌّ لِنَفْسِهِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ كَالنَّمْلَةِ  
الَّتِي تَدُورُ عَلَى الرَّحَى فَالرَّحَى تَدُورُ ذَاتَ الْيَمِينِ وَ النَّمْلَةُ تَدُورُ ذَاتَ الشَّمَالِ وَ النَّمْلَةُ فِي تِلْكَ تَتَحَرَّكُ حَرَكَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا بِنَفْسِهَا  
فَتَتَوَجَّهُ أَمَامَهَا وَ الْآخَرَى مَسَّ تَكَرُّهَةً مَعَ الرَّحَى تَجْدِبُهَا إِلَى خَلْفِهَا فَاسْأَلِ الرَّاعِمِينَ أَنَّ النُّجُومَ صَارَتْ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ بِالْإِهْمَالِ مِنْ غَيْرِ عَمْدٍ  
وَ لَا صَانِعٍ لَهَا مَا مَنَعَهَا أَنْ تَكُونَ كُلُّهَا زَانِتَةً أَوْ تَكُونَ كُلُّهَا مُنْتَقِلَةً فَإِنَّ الْإِهْمَالَ مَعْنَى وَاحِدٍ فَكَيْفَ صَارَ يَأْتِي بِحَرَكَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ عَلَى وَزْنٍ وَ  
تَقْدِيرٍ فَفِي هَذَا بَيَانٌ أَنَّ مَسِيرَ الْفَرِيقَيْنِ عَلَى مَا يَسِيرَانِ عَلَيْهِ بِعَمْدٍ وَ تَدْبِيرٍ وَ حِكْمَةٍ وَ تَقْدِيرٍ وَ لَيْسَ بِالْإِهْمَالِ كَمَا تَزْعُمُ الْمُعْظَلَةُ

ص: 114

1- و فى نسخة: خاصة فى تهلله.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ وَلِمَ صَارَ بَعْضُ النُّجُومِ رَاتِبًا وَبَعْضُهَا مُنْتَمِلًا فَلْنَا إِنَّهَا لَوْ كَانَتْ كُلُّهَا رَاتِبَةً لَبَطَلَتِ الدَّلَالَاتُ الَّتِي يُسَدِّدُ بِهَا مِنْ تَنْقَلِ الْمُنْتَمِلَةِ وَ مَسِيرِهَا فِي كُلِّ بُرْجٍ مِنَ الْبُرُوجِ كَمَا قَدْ يُسَدِّدُ عَلَى أَشْيَاءٍ مِمَّا يُحْدِثُ فِي الْعَالَمِ بِتَنْقَلِ الشَّمْسِ وَ النُّجُومِ فِي مَنَازِلِهَا وَ لَوْ كَانَتْ كُلُّهَا مُنْتَمِلَةً لَمْ يَكُنْ لِمَسِيرِهَا مَنَازِلٌ تُعْرَفُ وَ لَا رَسْمٌ يُوقَفُ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُوقَفُ بِمَسِيرِ الْمُنْتَمِلَةِ مِنْهَا بِتَنْقَلِهَا فِي الْبُرُوجِ الرَّاتِبَةِ كَمَا يُسَدِّدُ عَلَى سَيْرِ السَّائِرِ عَلَى الْأَرْضِ بِالْمَنَازِلِ الَّتِي يَجْتَازُ عَلَيْهَا وَ لَوْ كَانَ تَنْقَلُهَا بِحَالٍ وَاحِدَةٍ لَأَخْتَلَطَ نِظَامُهَا وَ بَطَلَتِ الْمَارِبُ فِيهَا وَ لَسَاغَ لِقَائِلٌ أَنْ يَقُولَ إِنَّ كَيْنُونَتَهَا (1) عَلَى حَالٍ وَاحِدَةٍ تُوجِبُ عَلَيْهَا الْإِهْمَالَ مِنَ الْجِهَةِ الَّتِي وَصَفْنَا فِيهِ اخْتِلَافَ سَيْرِهَا وَ تَصَرُّفِهَا وَ مَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَارِبِ وَ الْمَصْلَحَةِ الْبَيِّنِ دَلِيلٌ عَلَى الْعَمَدِ وَ التَّدْبِيرِ فِيهَا فَكَّرَ فِي هَذِهِ النُّجُومِ الَّتِي تَطْهَرُ فِي بَعْضِ السَّنَةِ وَ تَحْتَجِبُ فِي بَعْضِهَا كَمَثَلِ الثُّرَيَّا وَ الْجُوزَاءِ وَ الشُّعْرَبِيِّنِ وَ سَهِيلِ فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ بِأَسْرَرِهَا تَطْهَرُ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ لَمْ تَكُنْ لَوَاحِدٍ فِيهَا عَلَى حَيْثُ دَلَالَاتٌ يَعْرِفُهَا النَّاسُ وَ يَهْتَدُونَ بِهَا لِبَعْضِ أُمُورِهِمْ كَمَا يَعْرِفُهُمُ الْأَمَنُ بِمَا يَكُونُ مِنْ طُلُوعِ الثُّورِ وَ الْجُوزَاءِ إِذَا طَلَعَتْ وَ اخْتَجَبَتْ إِذَا اخْتَجَبَتْ فَصَارَ ظُهُورُ كُلِّ وَاحِدٍ وَ اخْتِجَابُهُ فِي وَقْتٍ غَيْرِ وَقْتِ الْآخَرِ لِيَنْتَفِعَ النَّاسُ بِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا عَلَى حَدِّهِ وَ كَمَا جُعِلَتِ الثُّرَيَّا وَ أَشَدُّ بَاهُهَا تَطْهَرُ حِينًا وَ تَحْتَجِبُ حِينًا لِضَرَبِ مِنَ الْمَصْلَحَةِ كَذَلِكَ جُعِلَتِ بَنَاتُ النَّعْشِ ظَاهِرَةً لِأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ لِتَغِيبِ لِضَرَبِ آخَرَ مِنَ الْمَصَّةِ لِحَاثِهَا بِمَنْزِلَةِ الْأَعْلَامِ الَّتِي يَهْتَدِي بِهَا النَّاسُ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ لِلطَّرِيقِ الْمَجْهُولَةِ وَ ذَلِكَ أَنَّهَا لَا تَغِيبُ وَ لَا تَتَوَارَى فَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا مَتَى أَرَادُوا أَنْ يَهْتَدُوا بِهَا إِلَى حَيْثُ شَاءُوا وَ صَارَ الْأَمْرَانِ جَمِيعًا عَلَى اخْتِلَافِهُمَا مُوجَّهَيْنِ نَحْوَ الْإِزْبِ وَ الْمَصَّةِ لِحَاثِ وَ فِيهِمَا مَارِبٌ أُخْرَى عَلَامَاتٌ وَ دَلَالَاتٌ عَلَى أَوْقَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْأَعْمَالِ كَالزَّرَاعَةِ وَ الْعِرَاسِ وَ السَّفَرِ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ أَشْيَاءٍ مِمَّا يُحْدِثُ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْأَمْطَارِ وَ الرِّيَّاحِ وَ الْحَرِّ وَ الْبَرْدِ وَ بِهَا يَهْتَدِي السَّائِرُونَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ لِقَطْعِ الْقِفَارِ (2)

ص: 115

1- في نسخة: ان كينونيتها.

2- جمع القفر: الخلاء من الأرض، لا ماء فيه ولا ناس ولا كلاء.

المُوحِشَةِ وَاللَّجَجِ الهَائِلَةِ مَعَ مَا فِي تَرَدُّدِهَا فِي كِبِدِ السَّمَاءِ (1) مُقْبِلَةً وَ مُدْبِرَةً وَ مُشْرِقَةً وَ مُغْرِبَةً مِنَ الْعَبْرِ فَإِنَّهَا تَسِيرُ أَسْرَعَ السَّيْرِ وَ أَحْتَهُ أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَتِ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ وَ النُّجُومُ بِالْقُرْبِ مِنَّا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَنَا سُرْعَةُ سَيْرِهَا بِكُنْهٍ مَا هِيَ عَلَيْهِ أَلَمْ تَكُنْ سَدَّ تَخَطُّفِ الْأَبْصَارِ بِوَهْجِهَا وَ شَعَاعِهَا (2) كَالَّذِي يَحْدُثُ أَحْيَانًا مِنَ الْبُرُوقِ إِذَا تَوَالَتْ وَ اضْطَرَمَّتْ فِي الْجَوِّ وَ كَذَلِكَ أَيْضًا لَوْ أَنَّ أَنْاسًا كَانُوا فِي قُبَّةٍ مُكَلَّلَةٍ بِمَصَابِيحَ تَدُورُ حَوْلَهُمْ دَوْرَانًا حَيْثُ لَحَارَتْ أَبْصَارُهُمْ (3) حَتَّى يَخْرُوا لَوْجُوهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ قَدَّرَ أَنْ يَكُونَ مَسِيرُهَا فِي الْبُعْدِ الْبَعِيدِ لِكَيْلًا تَضَرَّرَ فِي الْأَبْصَارِ وَ تَنْكَأَ فِيهَا وَ بِأَسْرَعَ السَّرْعَةِ لِكَيْلًا تَتَخَلَّفَ عَنِ مَقْدَارِ الْحَاجَةِ فِي مَسِيرِهَا وَ جُعِلَ فِيهَا جُزْءٌ يَسِيرٌ مِنَ الضُّوءِ لِيَسُدَّ مَسَدَ الْأَضْوَاءِ إِذَا لَمْ يَكُنْ قَمَرٌ وَ يُمَكِّنُ فِيهِ الْحَرَكَةَ إِذَا حَدَثَتْ ضَرُورَةٌ كَمَا قَدْ يَحْدُثُ الْحَادِثُ عَلَى الْمَرْءِ فَيَحْتَاجُ إِلَى التَّجَافِي فِي جَوْفِ اللَّيْلِ وَ إِنْ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنَ الضُّوءِ يَهْتَدِي بِهِ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَبْرَحَ مَكَانَهُ فَتَأَمَّلِ اللَّطْفَ وَ الْحِكْمَةَ فِي هَذَا التَّقْدِيرِ حِينَ جُعِلَ لِلظُّلْمَةِ دَوْلَةٌ وَ مُدَّةٌ لِحَاجَةِ إِلَيْهَا وَ جُعِلَ خِلَافُهَا شَيْءٌ مِنَ الضُّوءِ لِلْمَارِبِ الَّتِي وَصَفْنَا فَكَّرْ فِي هَذَا الْفَلَكَ بِشَمْسِهِ وَ قَمَرِهِ وَ نُجُومِهِ وَ بُرُوجِهِ تَدُورُ عَلَى الْعَالَمِ فِي هَذَا الدَّوْرَانِ الدَّائِمِ بِهَذَا التَّقْدِيرِ وَ الْوَزْنَ لِمَا فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ هَذِهِ الْأُزْمَانِ الْأَرْبَعَةُ الْمُتَوَالِيَةِ عَلَى الْأَرْضِ وَ مَا عَلَيْهَا مِنْ أَصْدَانِ الْحَيَوَانِ وَ النَّبَاتِ مِنْ ضَرُوبِ الْمَصَدِّحَةِ كَالَّذِي بَيَّنْتُ وَ شَخَّصْتُ (4) لَكَ أَنْفَاءً وَ هَلْ يَخْفَى عَلَى ذِي لُبٍّ أَنَّ هَذَا تَقْدِيرٌ مُقَدَّرٌ وَ صَوَابٌ وَ حِكْمَةٌ مِنْ مُقَدَّرٍ حَكِيمٍ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ إِنَّ هَذَا شَيْءٌ اتَّفَقَ أَنْ يَكُونَ هَكَذَا فَمَا مَنَعَهُ أَنْ يَقُولَ مِثْلَ هَذَا فِي دَوْلَابٍ تَرَاهُ يَدُورُ وَ يَسْقِي حَدِيقَةً فِيهَا شَجَرٌ وَ نَبَاتٌ فَتَرَى كُلَّ شَيْءٍ مِنْ آلَتِهِ مُقَدَّرًا بَعْضُهُ يَلْقَى بَعْضًا عَلَى مَا فِيهِ صَدَاحٌ تِلْكَ الْحَدِيقَةُ وَ مَا فِيهَا وَ بِمِثْلِ هَذَا الْقَوْلِ لَوْ قَالَهُ وَ مَا تَرَى النَّاسَ كَانُوا قَائِلِينَ لَهُ لَوْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَفَيُنَكِّرُ أَنْ يَقُولَ فِي دَوْلَابٍ خَشَبٍ (5)

ص: 116

- 1- أى وسط السماء.
- 2- أى ستذهب بها بتوقدها.
- 3- حارت العين: اشتد بياض بياضها و سواد سوادها.
- 4- و فى نسخة: كالذى بينت و لخصت لك أنفا.
- 5- و فى نسخة: فى دولاب خشب.

مَصَّ نُوعٍ بِحِيلَةٍ قَصِيْرَةٍ لِمَصْلَحَةٍ قِطْعَةٍ مِنَ الْأَرْضِ أَنَّهُ كَانَ بِلَا صَانِعٍ وَ مُقَدَّرٍ وَ يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ فِي هَذَا الدُّوَلَابِ الْأَعْظَمِ الْمَخْلُوقِ بِحِكْمَةٍ يَقْصُرُ عَنْهَا أَذْهَانُ الْبَشَرِ لِصَدِّ لَأَحْ جَمِيعِ الْأَرْضِ وَ مَا عَلَيْهَا أَنَّهُ شَيْءٌ أَتَقَقَّ أَنْ يَكُونَ بِلَا صَنْعَةٍ وَ لَا تَدْبِيرٍ لَوْ اَعْتَلَّ هَذَا الْفَلَكُ كَمَا تَعْتَلُّ الْآلَاتُ الَّتِي تُتَّخَذُ لِلصَّنَاعَاتِ وَ غَيْرِهَا أَيْ شَيْءٌ كَانَ عِنْدَ النَّاسِ مِنَ الْحِيلَةِ فِي إِصْلَاحِهِ.

بيان: قوله عليه السلام: لا تفارق مراكزها لعل المراد أنه ليس لها حركة بيّنة ظاهرة كما في السيارات أو لا تختلف نسب بعضها إلى بعض بالقرب و البعد بأن تكون الجملة التالية مفسّرة لها و يحتمل أن يكون المراد بمراكزها البروج التي تنسب إليها على ما هو المصطلح بين العرب من اعتبار محاذاة تلك الأشكال في الانتقال إلى البروج و إن انتقلت عن مواضعها و عليه ينبغي أن يحمل قوله عليه السلام: و بعضها مطلقة تنتقل في البروج أو على ما ذكرنا سابقا من كون انتقالها في البروج ظاهرة بيّنة يعرفه كل أحد و الأول أظهر كما سيظهر من كلامه عليه السلام قوله فإن الإهمال معنى واحد يحتمل أن يكون المراد أن الطبيعة أو الدهر اللذين يجعلونهما أصحاب الإهمال مؤثّرين كل منهما أمر واحد غير ذى شعور و إرادة و لا- يمكن صدور الأمرين المختلفين عن مثل ذلك كما مرّ أو المراد أن العقل يحكم بأن هذين الأمرين المتّسقين الجارين على قانون الحكمة لا يكون إلا من حكيم راعى فيهما دقائق الحكم أو المراد أن الإهمال أى عدم الحاجة إلى العلة و ترجيح الأمر الممكن من غير مرجح كما تزعمون أمر واحد حاصل فيهما فلم صارت إحداها راتبة و الأخرى منتقلة و لم لم يعكس الأمر و الأول أظهر (1) كما لا يخفى قوله عليه السلام: لبطلت الدلالات ظاهره كون الأوضاع النجومية علامات للحوادث قوله عليه السلام: في البروج الراتبة يدل ظاهرا على ما أشرنا إليه من أنه عليه السلام راعى في انتقال البروج محاذاة نفس الأشكال و إن أمكن أن يكون المراد

بيان: حكمة بطء الحركة ليصلح كون تلك الأشكال علامات للبروج و لو بقربها منها لكنه بعيد قوله عليه السلام: و الشعريين قال الجوهري: الشعري الكوكب الذى يطلع

ص: 117

بعد الجوزاء وطلوعه في شدة الحر و هما الشعريان و الشعري العبور التي في الجوزاء و الشعري القميصاء التي في الذراع تزعم العرب أنهما أختا سهيل انتهى و القفار جمع قفر و هو الخلاء من الأرض و خطف البرق البصر ذهب به و وهج النار بالتسكين توقدها و قوله حيثنا أى مسرعا و تجافى أى لم يلزم مكانه و برح مكانه زال عنه.

فَكَرَّرَ يَا مُفَضَّلُ فِي مَقَادِيرِ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ كَيْفَ وَقَعْتَ عَلَى مَا فِيهِ صَدَاحُ هَذَا الْخَلْقِ فَصَارَ مُنْتَهَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِذَا امْتَدَّ إِلَى خَمْسَ عَشْرَةَ سَاعَةً لَا يُجَاوِزُ ذَلِكَ أَفْرَأَيْتَ لَوْ كَانَ النَّهَارُ يَكُونُ مِقْدَارُهُ مِائَةً سَاعَةً أَوْ مِائَتَيْ سَاعَةٍ أَلَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ بَوَارٌ (1) كُلُّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ حَيَوَانٍ وَ نَبَاتٍ أَمَّا الْحَيَوَانُ فَكَانَ لَا يَهْدَأُ وَلَا يَبْرُرُ طَوْلَ هَذِهِ الْمُدَّةِ وَلَا الْبَهَائِمُ كَأَنْتَ تُمْسِكُ عَنِ الرَّعْيِ لَوْ دَامَ لَهَا ضَوْءُ النَّهَارِ وَلَا الْإِنْسَانُ كَانَ يَفْتَرُّ عَنِ الْعَمَلِ وَالْحَرَكَةِ وَكَانَ ذَلِكَ سَهْلًا يَهْلِكُهَا أَجْمَعٌ وَيُؤَدِّيهَا إِلَى التَّلْفِ وَأَمَّا النَّبَاتُ فَكَانَ يَطُولُ عَلَيْهِ حَرُّ النَّهَارِ وَوَهْجُ الشَّمْسِ حَتَّى يَجِفَّ وَ يَحْتَرِقَ وَكَذَلِكَ اللَّيْلُ لَوْ امْتَدَّ مِقْدَارُ هَذِهِ الْمُدَّةِ كَانَ يَعُوقُ أَصْنَافَ الْحَيَوَانِ عَنِ الْحَرَكَةِ وَالتَّصَرُّفِ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ حَتَّى تَمُوتَ جُوعًا وَ تَحْمَدُ الْحَرَارَةُ الطَّبِيعِيَّةُ مِنَ النَّبَاتِ حَتَّى يَعْفَنَ وَيَفْسُدَ كَالَّذِي تَرَاهُ يَحْدُثُ عَلَى النَّبَاتِ إِذَا كَانَ فِي مَوْضِعٍ لَا تَطْلُعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ اعْتَبِرْ بِهِ هَذِهِ الْحَرَّ وَالْبُرْدَ كَيْفَ يَتَعَاوَرَانِ الْعَالَمَ وَيَتَصَرَّفَانِ هَذَا التَّصَرُّفَ مِنَ الزِّيَادَةِ وَالتَّقْصَانِ وَ الْإِعْتِدَالِ لِإِقَامَةِ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ مِنَ السَّنَةِ وَ مَا فِيهِمَا مِنَ الْمَصَالِحِ ثُمَّ هُمَا بَعْدَ دِيَاغِ الْأَبْدَانِ الَّتِي عَلَيْهَا بَقَاؤُهَا وَ فِيهَا صَلَاحُهَا فَإِنَّهُ لَوْ لَا الْحَرُّ وَ الْبُرْدُ وَ تَدَاوُلُهُمَا الْأَبْدَانُ لَفَسَدَتْ وَ أَخْوَرَتْ وَ انْتَكثَتْ فَكَرَّرْ فِي دُخُولِ أَحَدِهِمَا عَلَى الْآخَرِ بِهَذَا التَّدْرِيجِ وَ التَّرْسُلِ فَإِنَّكَ تَرَى أَحَدَهُمَا يَنْقُصُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ وَ الْآخَرَ يَزِيدُ مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى يَنْتَهِيَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُنْتَهَاهُ فِي الزِّيَادَةِ وَالتَّقْصَانِ وَ لَوْ كَانَ دُخُولُ أَحَدَاهُمَا عَلَى الْآخَرِ مُفَاجَأَةً لَأَضَرَّ ذَلِكَ بِالْأَبْدَانِ وَ أَسَقَمَهَا كَمَا أَنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ خَرَجَ مِنْ حَمَامٍ حَارًّا إِلَى مَوْضِعِ الْبُرُودَةِ لَصَرَّهُ ذَلِكَ وَ أَسَقَمَ

ص: 118

بَدَنَهُ فَلِمَ جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذَا التَّرْسُلَ فِي الْحَرِّ وَالْبُرْدِ إِلَّا لِلسَّلَامَةِ مِنْ ضَرَرِ الْمُفَاجَأَةِ وَلِمَ جَرَى الْأَمْرُ عَلَى مَا فِيهِ السَّلَامَةُ مِنْ ضَرَرِ الْمُفَاجَأَةِ لَوْلَا التَّنْبِيهُ فِي ذَلِكَ فَإِنَّ رَاعِمًا أَنْ هَذَا التَّرْسُلَ فِي دُخُولِ الْحَرِّ وَالْبُرْدِ إِنَّمَا يَكُونُ لِإِبْطَاءِ مَسِيرِ الشَّمْسِ فِي الِازْتِفَاعِ وَالِانْحِطَاطِ سُنَّيَ عَنِ الْعِلَّةِ فِي إِبْطَاءِ مَسِيرِ الشَّمْسِ فِي اِزْتِفَاعِهَا وَانْحِطَاطِهَا فَإِنَّ اِعْتِلَّ فِي الإِبْطَاءِ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ الْمَسْئَرَيْنِ سُنَّيَ عَنِ الْعِلَّةِ فِي ذَلِكَ فَلَا تَزَالُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ تَرْقَى مَعَهُ إِلَى حَيْثُ رَفِيَ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ حَتَّى اسْتَقَرَّ عَلَى الْعَمْدِ وَالتَّنْبِيهِ لَوْلَا الْحَرُّ لَمَا كَانَتِ الثَّمَارُ الْجَاسِيَّةُ الْمُرَّةُ تَنْضِجُ فَتَلِينُ وَتَعْدُ بَحْبًا رَطْبَةً وَيَابِسَةً وَ لَوْلَا الْبُرْدُ لَمَا كَانَ الزَّرْعُ يُفْرَخُ هَكَذَا وَيَرِيحُ الرَّيْحُ الْكَثِيرَ الَّذِي يَتَسَّعُ لِلْقُوتِ وَ مَا يَرُدُّ فِي الْأَرْضِ لِلْبَدْرِ أَفَلَا تَرَى مَا فِي الْحَرِّ وَالْبُرْدِ مِنْ عَظِيمِ الْغِنَاءِ وَالْمُنْفَعَةِ وَ كِلَاهُمَا مَعَ غِنَائِهِ وَ الْمُنْفَعَةِ فِيهِ يُؤْلِمُ الْأَبْدَانَ وَيَمَضُّهَا وَ فِي ذَلِكَ عِبْرَةٌ لِمَنْ فَكَّرَ وَ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ مِنْ تَدْبِيرِ الْحَكِيمِ فِي مَصْلَحَةِ الْعَالَمِ وَ مَا فِيهِ.

بيان: قوله عليه السلام: لا يجاوز ذلك أى فى معظم المعمورة وقال الفيروزآبادى :

خوت الدار تهدمت و النجوم خيّا أمحلت فلم تمطر كأخوت و قال المنتكث المهزول و قال الترسل الرفق و التؤدة انتهى قوله عليه السلام: بعد ما بين المشرقين أى المشرق و المغرب كناية عن عظم الدائرة التى يقطع عليها البروج أو مشرق الصيف و الشتاء و الأول أظهر قوله عليه السلام: الجاسية أى الصلبة و يتفكه بها أى يتمتع بها و الريح النماء و الزيادة و قال الجوهري: أمضنى الجرح إمضاضا إذا أوجعك و فيه لغة أخرى مضنى الجرح و لم يعرفها الأصمعى.

وَ أَنْبَهَكَ يَا مُفَضَّلُ عَلَى الرِّيحِ وَ مَا فِيهَا أَلَسْتَ تَرَى رُكُودَهَا إِذَا رَكَدَتْ كَيْفَ يُحَدِّثُ الْكَرْبَ الَّذِي يَكَادُ أَنْ يَأْتِيَ عَلَى النَّفْسِ وَيُحْرِضُ الْأَصِحَّاءَ وَ يَنْهَكَ الْمَرْضَى وَ يُفْسِدُ الثَّمَارَ وَ يُعْفَنُ الْبُقُولَ وَ يُعَقِبُ الْوَبَاءَ فِي الْأَبْدَانِ وَ الْآلِهَةِ فِي الْغَلَاتِ فَفِي هَذَا بَيَانٌ أَنَّ هُبُوبَ الرِّيحِ مِنْ تَدْبِيرِ الْحَكِيمِ فِي صَلَاحِ الْخَلْقِ وَ أَنْبَأَكَ عَنِ الْهَوَاءِ بِخَلَّةٍ أُخْرَى فَإِنَّ الصَّوْتِ أَثْرٌ يُؤَثِّرُهُ اصْطِكَاكُ الْأَجْسَامِ فِي الْهَوَاءِ وَ الْهَوَاءُ يُؤَدِّيهِ إِلَى الْمَسَامِعِ وَ النَّاسُ يَتَكَلَّمُونَ فِي حَوَائِجِهِمْ وَ مُعَامَلَاتِهِمْ طُولَ

نَهَارِهِمْ وَبَعْضَ لَيْلِهِمْ فَلَوْ كَانَ أَثَرُ هَذَا الْكَلَامِ يَبْقَى فِي الْهَوَاءِ كَمَا يَبْقَى الْكِتَابُ فِي الْقِرْطَاسِ لَأَمْتَلَأَ الْعَالَمُ مِنْهُ فَكَانَ يَكْرَهُهُمْ وَيَقْدَحُهُمْ وَكَانُوا يَحْتَاجُونَ فِي تَجْدِيدِهِ وَالْإِسْتِبْدَالَ بِهِ إِلَى أَكْثَرِ مِمَّا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي تَجْدِيدِ الْقِرَاطِيسِ لِأَنَّ مَا يُلْقَى مِنَ الْكَلَامِ أَكْثَرُ مِمَّا يُكْتَبُ فَجَعَلَ الْخَلِيقَ الْحَكِيمَ جَلَّ قُدْسُهُ هَذَا الْهَوَاءَ قِرْطَاسًا خَفِيًّا يَحْمِلُ الْكَلَامَ رَيْثَمَا يَبْلُغُ الْعَالَمَ حَاجَتَهُمْ ثُمَّ يُمَحَى فَيَعُودُ جَدِيدًا نَقِيًّا وَيَحْمِلُ مَا حَمَلَ أَوَّلًا بِلا انْقِطَاعٍ وَحَسْبُكَ بِهَذَا السِّيمِ الْمَسْمَى هَوَاءً عِبْرَةً وَمَا فِيهِ مِنَ الْمَصَالِحِ فَإِنَّهُ حَيَاةٌ هَذِهِ الْأَبْدَانِ وَالْمُمْسِكُ لَهَا مِنْ دَاخِلٍ بِمَا تَسْتَشْقِقُ مِنْهُ وَمِنْ خَارِجٍ بِمَا تُبَاشِرُ مِنْ رُوحِهِ وَفِيهِ تَطَرُّدُ هَذِهِ الْأَصْوَاتِ فَيُودَى بِهَا مِنَ الْبُعْدِ الْبَعِيدِ وَهُوَ الْحَامِلُ لِهَذِهِ الْأَرَايِحِ يَنْقُلُهَا مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ أَلَا تَرَى كَيْفَ تَأْتِيكَ الرَّايِحَةُ مِنْ حَيْثُ تَهْبُ الرِّيحُ فَكَذَلِكَ الصَّوْتُ وَهُوَ الْقَابِلُ لِهَذَا الْحَرِّ وَالْبَرْدِ اللَّذَيْنِ يَتَعَاقَبَانِ عَلَى الْعَالَمِ لِصَلَاحِهِ (1) وَمِنْهُ هَذِهِ الرِّيحُ الْهَابَةُ فَالرِّيحُ تَرُوحُ عَنِ الْأَجْسَامِ وَتُرْجَى السَّحَابَ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ لِيُعْمَ نَفْعُهُ حَتَّى يَسَّ تَكْتِفَ فَيَمُطِرُ وَتَقْضُهُ حَتَّى يَسْتَخِفَّ فَيَتَفَشَّى وَتُلْقِحُ الشَّجَرَ وَتَسِيرُ السُّفْنَ وَتُرْخِي الْأَطْعَمَةَ (2) وَتُبْرِدُ الْمَاءَ وَتَشُبُّ النَّارَ وَتُجَفِّفُ الْأَشْيَاءَ النَّدِيَّةَ وَبِالْجُمْلَةِ أَتَاهَا تُحِي كَلَّمَا فِي الْأَرْضِ فَلَوْ لَا الرِّيحُ لَذَوَى النَّبَاتُ (3) وَمَاتَ الْحَيَوَانُ وَحُمَّتِ الْأَشْيَاءُ وَفَسَدَتْ.

توضيح: ركود الريح سكونها و الحرض فساد البدن و يقال نهكته الحمى أى أضنته و هزلته و قوله عليه السلام: و الهواء يؤديه يدل على ما هو المنصور من تكيف الهواء بكيفية الصوت على ما فصل في محله و يقال كربه الأمر أى شق عليه و فدحه الدين أى أثقله و ريشما فعل كذا أى قدر ما فعله و يبلغ إما على بناء المجرد فالعالم فاعله أو على التفعيل فالهواء فاعله و الروح بالفتح الراحة و نسيم الريح و اطرء الشىء تبع بعضه بعضا و جرى و الأراييح جمع للريح و تزجى السحاب على بناء الإفعال

ص: 120

1- و فى نسخة اللذين: يعقبان على العالم لصلاحه.

2- أى صيرها رخوا أى متسعا.

3- ذوى النبات: ذبل و نشف ماؤه.

أى تسوقه و تفضّه أى تفرّقه و النفسى الانتشار و ترخى الأطمعة على التفعيل أو الإفعال أى تصيرها رخوة لطيفة و تثبت النار أى توقدها.

فَكَرَّ يَا مُفْضَلُ فِيمَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ هَذِهِ الْجَوَاهِرَ الْأَرْبَعَةَ لِيَتَسَّعَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْهَا فَمِنْ ذَلِكَ سَعَةٌ هَذِهِ الْأَرْضِ وَ امْتِدَادُهَا فَلَوْلَا ذَلِكَ كَيْفَ كَانَتْ تَتَسَّعُ لِمَسَاكِينِ النَّاسِ وَ مَزَارِعِهِمْ وَ مَرَاعِيهِمْ وَ مَنَابِتِ أَخْشَابِهِمْ وَ أَحْطَابِهِمْ وَ الْعَقَاقِيرِ الْعَظِيمَةِ وَ الْمَعَادِنِ الْجَسِيمَةِ عَنَاوُهَا وَ لَعَلَّ مَنْ يُنْكَرُ هَذِهِ الْقُلُوبِ الْخَاوِيَةَ وَ الْقِفَارِ الْمُوحِشَةَ فَيَقُولُ مَا الْمَنْفَعَةُ فِيهَا فَهِيَ مَأْوَى هَذِهِ الْوُحُوشِ وَ مَحَالُّهَا وَ مَرَاعَاهَا ثُمَّ فِيهَا بَعْدُ مُتَنَسِّسٌ وَ مُضْطَرَّبٌ لِلنَّاسِ إِذَا احْتَجُّوا إِلَى الْإِسْتِبْدَالِ بِأَوْطَانِهِمْ فَكَمْ بَيِّدَاءَ وَ كَمْ فَدَفَدٍ حَالَتْ قُصُوراً وَ حِنَاناً بِانْتِقَالِ النَّاسِ إِلَيْهَا وَ حُلُولِهِمْ فِيهَا وَ لَوْلَا سَعَةٌ الْأَرْضِ وَ فَسَدُ حَتِّهَا لَكَانَ النَّاسُ كَمَنْ هُوَ فِي حِصَارٍ صَدِيقٍ لَا يَجِدُ مَنُذُوحَةً عَنْ وَطَنِهِ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ يَصُدُّ طَرَفَهُ إِلَى الْإِنْتِقَالِ عَنْهُ ثُمَّ فَكَّرَ فِي خَلْقِ هَذِهِ الْأَرْضِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ حِينَ خُلِقَتْ رَأْيَةً رَاكِدَةً فَتَكُونُ مَوْطِناً مُسْتَقَرّاً لِلْأَشْيَاءِ فَيَتِمَّ كُنُ النَّاسِ مِنَ السَّعَى عَلَيْهَا فِي مَارِيهِمْ وَ الْجُلُوسِ عَلَيْهَا لِرَاحَتِهِمْ وَ النَّوْمِ لِهَدْنِهِمْ وَ الْإِتْقَانِ لِأَعْمَالِهِمْ فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ رَجْرَاجَةً مُتَكَفِّئَةً لَمْ يَكُونُوا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُتَّقِنُوا الْبِنَاءَ وَ التَّجَارَةَ وَ الصَّنَاعَةَ وَ مَا أَشَدَّ بِهِ ذَلِكَ بَلْ كَانُوا لَا يَتَهَنَّنُونَ بِالْعَيْشِ وَ الْأَرْضُ تَرْتَجُّ مِنْ تَحْتِهِمْ وَ اعْتَبِرْ ذَلِكَ بِمَا يُصِيبُ النَّاسَ حِينَ الزَّلَازِلِ عَلَى قَلَّةِ مَكْنِهَا حَتَّى يَصِيرُوا إِلَى تَرْكِ مَنَازِلِهِمْ وَ الْهَرَبِ عَنْهَا فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ فَلِمَ صَارَتْ هَذِهِ الْأَرْضُ تُزَلُّ قِيلَ لَهُ إِنَّ الزَّلْزَلَةَ وَ مَا أَشَدَّ بِهَهَا مَوْعِظَةً وَ تَرْهيبٌ يُرْهَبُ بِهَا النَّاسُ لِيَرْعَوْا وَ يَنْزِعُوا عَنِ الْمَعَاصِي وَ كَذَلِكَ مَا يَنْزِلُ بِهِمْ مِنَ الْبَلَاءِ فِي أْبْدَانِهِمْ وَ أَمْوَالِهِمْ يَجْرِي فِي التَّنْذِيرِ عَلَى مَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ وَ اسْتِغْنَامُهُمْ وَ يُدَخَّرُ لَهُمْ إِنْ صَلَحُوا مِنَ الثَّوَابِ وَ الْعَوْضِ فِي الْآخِرَةِ مَا لَا يَعْدِلُهُ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَ رُبَّمَا عَجَّلَ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا إِذَا كَانَ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا صَلَاحاً لِلْخَاصَّةِ وَ الْعَامَّةِ ثُمَّ إِنَّ الْأَرْضَ فِي طِبَاعِهَا الَّتِي طَبَعَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ بَارِدَةٌ يَابِسَةٌ وَ كَذَلِكَ الْجِجَارَةُ وَ إِنَّمَا الْفَرْقُ بَيْنَهَا وَ بَيْنَ الْجِجَارَةِ فَضْلُ يُبْسِ فِي الْجِجَارَةِ أَفْرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ الْيُبْسَ أَفْرَطَ عَلَى الْأَرْضِ قَلِيلاً حَتَّى تَكُونَ حَجراً صُلْداً أَكَانَتْ تُثْبِتُ هَذَا النَّبَاتَ الَّذِي بِهِ حَيَاةُ الْحَيَوَانَ



وَ كَانَ يُمَكِّنُ بِهَا حَرْثَ أَوْ بِنَاءَ أَفْلا تَرَى كَيْفَ تُنصَبُ (1) مِنْ يُسِسِ الْحِجَارَةَ وَ جُعِلَتْ عَلَيَّ مَا هِيَ عَلَيْهِ مِنَ اللَّيْنِ وَ الرَّخَاوَةِ وَ لِيَتَهَيَّأَ لِلِإِعْتِمَادِ وَ مِنْ تَدْبِيرِ الْحَكِيمِ جَلَّ وَ عَلا فِي خَلْقَةِ الْأَرْضِ أَنَّ مَهَبَّ الشَّمَالِ أَرْفَعُ مِنْ مَهَبِّ الْجَنُوبِ فَلِمَ جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ كَذَلِكَ إِلَّا لِيُنَحِّدِرَ الْمِيَاهَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَتَسَقِمَ بِهَا وَ تَرْوِيهَا ثُمَّ تُفِيضُ آخِرَ ذَلِكَ إِلَى الْبَحْرِ فَكَأَنَّمَا يَرْفَعُ أَحَدُ جَانِبَيْ السَّطْحِ (2) وَ يَخْفِضُ الْآخَرَ لِيُنَحِّدِرَ الْمَاءَ عَنْهُ وَ لَا يَقُومَ عَلَيْهِ كَذَلِكَ جُعِلَ مَهَبُّ الشَّمَالِ أَرْفَعُ مِنْ مَهَبِّ الْجَنُوبِ لِهَذِهِ الْعِلَّةِ بَعِيْنَهَا وَ لَوْ لَا ذَلِكَ لَبَقِيَ الْمَاءُ مُتَحَيِّرًا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَكَانَ يَمْنَعُ النَّاسَ مِنْ أَعْمَالِهَا (3) وَ يَقَطَعُ الطَّرِيقَ وَ الْمَسَالِكَ ثُمَّ الْمَاءُ لَوْ لَا كَثْرَتُهُ وَ تَدَقُّقُهُ فِي الْعِيُونِ وَ الْأَدْوِيَةِ وَ الْأَنْهَارِ لَصَاقَ عَمَّا يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَيْهِ لِشُرْبِهِمْ وَ شَرْبِ أَنْعَامِهِمْ وَ مَوَاشِيِهِمْ وَ سَقْيِ رُزُوعِهِمْ وَ أَشْدَّ جَارِهِمْ وَ أَصْنَافِ غَلَّتِهِمْ وَ شَرْبِ مَا يَرِدُهُ مِنَ الْوُحُوشِ وَ الطَّيْرِ وَ السَّبَاعِ وَ تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْحَيَاتَانُ وَ دَوَابُّ الْمَاءِ وَ فِيهِ مَنَافِعُ أُخْرَى أَنْتَ بِهَا عَارِفٌ وَ عَنْ عِظَمِ مَوْقِعِهَا عَافِلٌ فَإِنَّهُ سِوَى الْأَمْرِ الْجَلِيلِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَنَائِهِ فِي إِحْيَاءِ جَمِيعِ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْحَيَوَانِ وَ النَّبَاتِ يَمْزُجُ بِالْأَشْرِبَةِ فَتَلِينُ وَ تَطْيِبُ لِشَارِبِهَا وَ بِهِ تُنظَفُ الْأَبْدَانُ وَ الْأَمْتَعَةُ مِنَ الدَّرَنِ الَّذِي يَغْشَاهَا وَ بِهِ يُبَلُّ التُّرَابُ فَيَصْلِحُ لِلِإِعْتِمَالِ (4) وَ بِهِ يَكْفُ عَادِيَةُ النَّارِ إِذَا اضْطَرَمَّتْ وَ أَشْرَفَ النَّاسُ عَلَى الْمَكْرُوهِ وَ بِهِ يُسَيِّغُ الْغَصَّانُ مَا غَصَّ بِهِ وَ بِهِ يَسْتَحْتِمُ الْمُتَعَبُ الْكُلَّ فَيَجِدُ الرَّاحَةَ مِنْ أَوْصَابِهِ إِلَى أَشْدِّ بَاهٍ هَذَا مِنَ الْمَارِبِ الَّتِي تَعْرِفُ عِظَمَ مَوْقِعِهَا فِي وَفْتِ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا فَإِنَّ شَكَاكَتَ فِي مَنَفَعَةِ هَذَا الْمَاءِ الْكَثِيرِ الْمُتْرَاكِمِ فِي الْبِحَارِ وَ قُلْتَ مَا الْإِزْبُ فِيهِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ مُكْتَنَفٌ وَ مُصَدَّرٌ مَا لَا يُحْصَى مِنْ أَصْنَافِ السَّمَكِ وَ دَوَابِّ الْبَحْرِ وَ مَعْدِنِ اللَّوْلُؤِ وَ الْيَاقُوتِ وَ الْعَنْبَرِ وَ أَصْنَافِ شَيْءٍ تُسَخَّرُ مِنَ الْبَحْرِ وَ فِي سَوَاحِلِهِ مَنَابِتُ الْعُودِ وَ الْيَلَنْجُوجِ وَ صَدْرُوبِ مِنَ الطَّيْبِ وَ الْعَقَّاقِيرِ ثُمَّ هُوَ بَعْدُ مَرْكَبُ النَّاسِ وَ مَحْمَلٌ لِهَذِهِ التَّجَارَاتِ الَّتِي تُجَلَبُ مِنَ الْبُلْدَانِ الْبَعِيدَةِ كَمَثَلِ مَا يُجَلَبُ مِنَ الصِّينِ إِلَى الْعِرَاقِ وَ مِنَ الْعِرَاقِ

ص: 122

1- وفي نسخة: نقصت.

2- كذا في النسخ و الظاهر: فكما يرفع أحد جانبي السطح.

3- وفي نسخة: فكان يمنع الناس من اعمالها.

4- وفي نسخة: فيصلح للاعمال.

إِلَى الْعِرَاقِ (1) فَإِنَّ هَذِهِ التَّجَارَاتِ لَوْ لَمْ يَكُنْ لَهَا مَحْمِلٌ إِلَّا عَلَى الظَّهْرِ لَبَارَتْ (2) وَبَقِيَتْ فِي بُلْدَانِهَا وَآيَدِي أَهْلِهَا لِأَنَّ أَجْرَ حَمْلِهَا كَانَ يُجَاوِزُ أَثْمَانَهَا فَلَا يَتَعَرَّضُ أَحَدٌ لِحَمْلِهَا وَكَانَ يَجْتَمِعُ فِي ذَلِكَ أَمْرَانِ أَحَدُهُمَا فَقْدُ أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ تَعْظُمُ الْحَاجَةُ إِلَيْهَا وَالْآخَرُ انْقِطَاعُ مَعَاشٍ مِنْ يَحْمِلُهَا وَيَتَعَيَّشُ بِفَضْلِهَا وَهَكَذَا الْهَوَاءُ لَوْ لَا كَثْرَتُهُ وَسَعَتُهُ لَأَخْتَقَ (3) هَذَا الْأَنْثَامُ مِنَ الدُّخَانِ وَالبُخَارِ الَّتِي يَتَحَيَّرُ فِيهِ وَيَعْجِزُ عَمَّا يَحْوُلُ إِلَى السَّحَابِ وَ الصَّبَابِ أَوْلَا وَأَوْلَا وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْ صِدْفَتِهِ مَا فِيهِ كِفَايَةٌ وَ النَّارُ أَيْضاً كَذَلِكَ فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَبْنُوتَةً كَالنَّسِيمِ وَ الْمَاءِ كَانَتْ تُحْرِقُ الْعَالَمَ وَ مَا فِيهِ وَ لَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ ظُهُورِهَا فِي الْأَحْيَانِ لِغِنَائِهَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَصَالِحِ فَجُعِلَتْ كَالْمَخْرُوتَةِ فِي الْأَخْشَابِ (4) تَلْتَمَسُ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا وَ تُمْسِكُ بِالْمَادَّةِ وَ الْحَطَبِ مَا احْتِيجَ إِلَى بَقَائِهَا لِئَلَّا تَخْبُو (5) فَلَا هِيَ تُمْسِكُ بِالْمَادَّةِ وَ الْحَطَبِ فَتَعْظُمُ الْمُؤْتَدَةُ فِي ذَلِكَ وَ لَا هِيَ تَطْهَرُ مَبْنُوتَةً فَتُحْرِقُ كُلَّ مَا هِيَ فِيهِ بَلْ هِيَ عَلَى تَهَيُّةٍ وَ تَقْدِيرٍ اجْتَمَعَ فِيهَا الْإِسْتِمْتَاعُ بِمَنَافِعِهَا وَ السَّلَامَةُ مِنْ صَدْرِهَا ثُمَّ فِيهِ خَلَّةٌ أُخْرَى وَ هِيَ أَنَّهَا مِمَّا خُصَّ بِهِ الْإِنْسَانُ دُونَ جَمِيعِ الْحَيَوَانَ لِمَا لَهُ فِيهَا مِنَ الْمَصَدِّ لِحَةٍ فَإِنَّهُ لَوْ فَقَدَ النَّارَ لَعُظِمَ مَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنَ الضَّرْرِ فِي مَعَاشِهِ فَأَمَّا الْبَهَائِمُ فَلَا تَسَعُ النَّارَ وَ لَا تَسَعُ بِهَا وَ لَمَّا قَدَّرَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ أَنْ يَكُونَ هَذَا هَكَذَا خَلَقَ لِلْإِنْسَانِ كَفًّا وَ أَصَابِعَ مُهَيَّأَةً لِقُدْحِ النَّارِ وَ اسْتِعْمَالِهَا وَ لَمْ يُعْطِ الْبَهَائِمَ مِثْلَ ذَلِكَ لَكِنَّهَا أُعِينَتْ بِالصَّبْرِ عَلَى الْجَفَاءِ وَ الْخَلَلِ فِي الْمَعَاشِ لِكَيْلَا يَنَالَهَا فِي فَقْدِ النَّارِ مَا يَنَالُ الْإِنْسَانَ وَ أُبْنُكَ مِنْ مَنَافِعِ النَّارِ عَلَى خَلْقَةٍ صَدَّغِيرَةٍ عَظِيمَةٍ مَوْقِعِهَا وَ هِيَ هَذَا الْمَصَدِّ بَاحِ الَّذِي يَتَّخِذُهُ النَّاسُ فَيَقْضُونَ بِهِ حَوَائِجَهُمْ مَا شَاءُوا مِنْ لَيْلِهِمْ وَ لَوْ لَا هَذِهِ الْخَلَّةُ لَكَانَ النَّاسُ تُصَرَّفُ أَعْمَارُهُمْ بِمَنْزِلَةٍ مِنْ فِي الْقُبُورِ فَمَنْ كَانَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَكْتُبَ أَوْ يَحْفَظَ أَوْ يَنْسِجَ

ص: 123

1- وفي نسخة: الى الصين.

2- بارت أى كسدت.

3- خنق: شد على حلقة حتى يموت. و اختنق مطاوع خنق.

4- وفي نسخة: فى الاجسام.

5- أى لنلا تخمد و تظفا.

فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ وَكَيْفَ كَانَتْ حَالُ مَنْ عَرَّضَ لَهُ وَجَعٌ فِي وَقْتِ مِنْ أَوْقَاتِ اللَّيْلِ فَاحْتِاجَ أَنْ يُعَالِجَ ضِمَاداً أَوْ سَفُوفاً أَوْ شَيْئاً يَسْتَشْفَى بِهِ (1) فَأَمَّا مَنَافِعُهَا فِي نَضِجِ الْأَطْعَمَةِ وَدَفَاءِ الْأَبْدَانِ وَتَجْفِيفِ أَشْيَاءٍ وَتَحْلِيلِ أَشْيَاءٍ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ فَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى وَأَظْهَرُ مِنْ أَنْ تُحْفَى.

تبيان: العقاقير أصول الأدوية والغناء بالفتح المنفعة والخواوية الخالية والفدغد الفلاة والمكان الصلب الغليظ والمرتفع والأرض المستوية والفسحة بالضم السعة ويقال لى عن هذا الأمر مندوحة ومنتدح أى سعة و حزه أمر أى أصابه و الراتبة الثابتة و الراكنة الساكنة و هدأ هدء و هدوء سكن و قوله عليه السلام: رجاجة أى متزلزلة متحركة و التكنفى الانقلاب و التمايل و التحرك و الارتجاج الاضطراب و الارعواء الرجوع عن الجهل و الكف عن القبيح و الصلد و يكسر الصلب الأملس قوله عليه السلام: كيف تنصب كذا فى أكثر النسخ و النصب يكون بمعنى الرفع و الوضع و لعل المراد هنا الثانى و الظاهر أنه تصحيف نقصت أو نحوه قوله عليه السلام: إن مهت الشمال أرفع أى بعد ما خرجت الأرض من الكروية الحقيقية صار ما يلى الشمال منها فى أكثر المعمورة أرفع مما يلى الجنوب و لذا ترى أكثر الأنهار كدجلة و الفرات و غيرهما تجرى من الشمال إلى الجنوب و لما كان الماء الساكن فى جوف الأرض تابعا للأرض فى ارتفاعه و انخفاضه فلذا صارت العيون المتفجرة تجرى هكذا من الشمال إلى الجنوب حتى تجرى على وجه الأرض و لذا حكموا بفقوية الشمال على الجنوب فى حكم اجتماع البئر و البالوعة و إذا تأملت فيما ذكرنا يظهر لك ما بينه عليه السلام من الحكم فى ذلك و أنه لا ينافى كروية الأرض و التدقق التصبب قوله عليه السلام: فإنه سوى الأمر الجليل الضمير راجع إلى الماء و هو اسم إن و يمزج خبره أى للماء سوى النفع الجليل المعروف و هو كونه سببا لحياة كل شىء منافع أخرى منها أنه يمزج مع الأشربة و قال الجوهري الحميم الماء الحار و قد استحمت إذا اغتسلت به ثم صار كل اغتسال

ص:124

1- الضماد بالكسر أن يخلط الأدوية بمائع و يلين و يوضع على العضو، و أصل الضماد الشد من باب ضرب، يقال: ضمد رأسه و جرحه: إذا شده بالضماد، و هى خرقة يشد بها العضو المئوف ثم قيل لوضع الدواء على الجرح و غيره و ان لم يشد. و السفوف بفتح السين: الأدوية المسحوقة اليابسة التى تطرح فى الضماد.

استحماما بأى ماء كان انتهى و الوصب محرّكة المرض و المكتنف بفتح النون من الكنف بمعنى الحفظ و الإحاطة و اكتنّفه أى أحاط به و يظهر منه أن نوعاً من الياقوت يتكون فى البحر و قيل أطلق على المرجان مجازاً و يحتمل أن يكون المراد ما يستخرج منه بالغوص و إن لم يتكون فيه و اليلنجوج عود البخور و من العراق أى البصرة و إلى العراق أى الكوفة أو بالعكس قوله عليه السلام: و يعجز أى لو لا كثرة الهواء لعجز الهواء عما يستحيل الهواء إليه من السحاب و الضباب التى تتكون من الهواء أولاً أو لا أى تدريجاً أى كان الهواء لا يفى بذلك أو لا يتسع لذلك الضباب بالفتح ندى كالغيم أو سحاب رقيق كالدخان و الأحيين جمع أحيان و هو جمع حين بمعنى الدهر و الزمان قوله عليه السلام: فلا هى تمسك بالمادة و الحطب أى دائماً بحيث إذا انطفأت لم يمكن إعادتها و المادة الزيادة المتصلة و المراد هنا الدهن و مثله و دفاء الأبدان بالكسر دفع البرد عنها.

فَكَرَّ يَا مُفْضَلُ فِي الصَّحْوِ (1) وَ الْمَطَرِ كَيْفَ يَعْتَبِرَانِ عَلَى هَذَا الْعَالَمِ لِمَا فِيهِ صَلاَحُهُ وَ لَوْ دَامَ وَاحِدٌ مِنْهُمَا عَلَيْهِ كَانَ فِي ذَلِكَ فَسَادُهُ أَلَا تَرَى أَنَّ الْأَمْطَارَ إِذَا تَوَالَتْ عَفِنَتِ الْبُقُولُ وَ الْخَضِرُ وَ اسْتَرْخَتْ أَبْدَانُ الْحَيَوَانَ وَ خَصِرَ الْهَوَاءُ فَأَحْدَثَ ضَرْباً مِنَ الْأَمْرَاضِ وَ فَسَدَتِ الطُّرُقُ وَ الْمَسَالِكُ وَ أَنَّ الصَّحْوَ إِذَا دَامَ جَفَّتِ الْأَرْضُ وَ احْتَرَقَتِ النَّبَاتُ وَ غِيَضَ مَاءُ الْعُيُونِ وَ الْأُودِيَّةِ فَأَضْرَرَ ذَلِكَ بِالنَّاسِ وَ غَلَبَ الْيُبْسُ عَلَى الْهَوَاءِ فَأَحْدَثَ ضَرْباً أُخْرَى مِنَ الْأَمْرَاضِ فَإِذَا تَعَاقَبَا عَلَى الْعَالَمِ هَذَا التَّعَاقُبَ اعْتَدَلَ الْهَوَاءُ وَ دَفَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَادِيَّةَ الْآخَرِ (2) فَصَلَحَتِ الْأَشْيَاءُ وَ اسْتَبْقَامَتْ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ وَ لِمَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ مَضَرَّةٌ نَبْتَةً قِيلَ لَهُ لِيَمْضُ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ (3) وَ يُؤْلِمُهُ بَعْضُ الْأَلَمِ فَيَرْعَوِي عَنِ الْمَعَاصِي فَكَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا سَقَمَ بَدَنُهُ احْتَجَّ إِلَى الْأَدْوِيَّةِ الْمُرَّةِ الْبَشِيعَةِ لِيَقُومَ طِبَاعُهُ وَ يَصْلُحَ مَا فَسَدَ مِنْهُ كَذَلِكَ إِذَا طَعِيَ وَ أَشْرَ

ص: 125

1- صحا يصحو صحوا و صحى يصحى صحا اليوم: صفا و لم يكن فيه غيم.

2- أى ضرر الآخر.

3- وفى نسخة: يَمْضُ ذلك الإنسان.

احتاج إلى ما يعصه ويؤلمه ليرعوى ويفصد ر عن مس اويه ويثبت على ما فيه حظه ورشده ولو أن ملكاً من الملوك قسم في أهل مملكته قناطير من ذهب وفضة ألم يكن س يعظم عندهم ويذهب له به الصوت فأين هذا من مطرة رواء (1) إذ يعمر به البلاد ويزيد في الغلات أكثر من قناطير الذهب والفضة في أقاليم الأرض كلها أفلا ترى المطرة الواحدة ما أكبر قدرها وأعظم النعمة على الناس فيها وهم عنها ساهون وربما عاقت عن أحدهم حاجة لا قدر لها فيدمر (2) ويسخط إيثاراً للخسيس قدره على العظيم نفعه جهلاً بمحمود العاقبة وقلة معرفته لعظيم الغناء والمنفعة فيها تأمل نزوله على الأرض والتدبير في ذلك فإنه جعل ينحدر عليها من علو ليتفشى ما غلظ وارتفع منها فيرويه ولو كان إنمأ يأتيها من بعض نواحيها لما علا على المواضع المشرفة منها ويقل ما يزرع في الأرض ألا ترى أن الذي يزرع س يحاً (3) أقل من ذلك فالأمطار هي التي تطبق الأرض وربما تزرع هذه البراري الواسعة وسفوح الجبال وذراها (4) فتغل الغلة الكثيرة (5) وبها يسقط عن الناس في كثير من البلدان مئونة س ياق الماء من موضع إلى موضع وما يجري في ذلك بينهم من الشاجر والتظالم حتى يستأثر بالماء ذوو العزة والقوة ويحرمه الضعفاء ثم إنه حين قدر أن ينحدر على الأرض انحداراً جعل ذلك قطراً شبيهاً بالرش ليعور في قطر الأرض فيرويهما ولو كان يس كبه انسكاباً كان ينزل على وجه الأرض فلا يعور فيها ثم كان يحطم الزرع القائمة إذا اندفق عليها فصار ينزل نزولاً رقيقاً (6) فينبت الحب المزروع ويحيى الأرض والزرع القائم وفي نزوله أيضاً مصاليح أخرى فإنه يلين الأبدان ويجلو كدر الهواء فيرتفع الوباء الحادث من ذلك ويعسل ما يسقط على

ص: 126

- 1- على زنة «حياء»: الماء الكثير المشبع.
- 2- في بعض النسخ «يتدمر ويسخط إيثاراً للخسيس قدره على العظيم نفعه جميلاً محمود العاقبة وقلة معرفته لعظيم الغناء والمنفعة فيها».
- 3- السبخ: الماء الجاري على وجه الأرض.
- 4- سفح الجبل: أصله وأسفله. عرضه ومضطجعه الذي ينصب الماء. وذرو الجبل: أعلاه.
- 5- وفي نسخة: فتقل الغلة الكثيرة.
- 6- وفي نسخة: فصار ينزل نزولاً رقيقاً.

الشَّجَرِ وَالزَّرْعِ مِنَ الدَّاءِ الْمُسَمَّى بِالْيَرْقَانِ (1) إِلَى اللَّهِ بِأَهْ هَذَا مِنَ الْمَنَافِعِ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ أَوْ لَيْسَ قَدْ يَكُونُ مِنْهُ فِي بَعْضِ السِّنِينَ الضَّرُّ الْعَظِيمُ الْكَثِيرُ لِشِدَّةِ مَا يَفَعُ مِنْهُ أَوْ بَرْدِ يَكُونُ فِيهِ تَحَطُّمُ الْعَلَّاتِ وَبُخُورَةٌ يُحْدِثُهَا فِي الْهَوَاءِ فَيُولَدُ كَثِيرًا مِنَ الْأَمْرَاضِ فِي الْأَبْدَانِ وَالْآفَاتِ فِي الْعَلَّاتِ قِيلَ بَلَى قَدْ يَكُونُ ذَلِكَ الْفَرْطُ لِمَا فِيهِ مِنْ صَدَاحِ الْإِنْسَانِ وَكَفِّهِ عَنِ رُكُوبِ الْمَعَاصِي وَ التَّمَادِي فِيهَا فَيَكُونُ الْمُنْفَعَةُ فِيمَا يَصْلُحُ لَهُ مِنْ دِينِهِ أَرْجَحَ مِمَّا عَسَى أَنْ يُرْزَأَ فِي مَالِهِ.

بيان: يعتقبان أى يأتى كل منهما عقيب صاحبه و خصر الهواء بكسر الصاد المهملة يقال خصر يومنا أى اشتد برده و ماء خاصر بارد و فى أكثر النسخ بالحاء المهملة و السين من حسر أى كل و هو لا يستقيم إلا بتكلف و تجوز و فى بعضها بالخاء المعجمة و الثاء المثلثة من قولهم خثر اللبن خثرا إذا غلظ و البشع الكريه الطعم الذى يأخذ بالحلق و القنطار معيار و يروى أنه ألف و مائتا أوقية و يقال هو مائة و عشرون رطلا و يقال هو ملء مسك الثور ذهابا قوله عليه السلام: و يذهب له به الصوت أى يملأ صيت كرمه و جوده الآفاق و الذمر الملامة و التهديد قوله ليتفشى التفشى الاتساع و الأظهر ليغشى بالغين المعجمة كما فى بعض النسخ و الحطم الكسر و الاندفاق الانصباب و اليرقان آفة للزرع و قوله مما عسى أن يرزأ من الرزء المصيبة.

انظُرْ يَا مُفَضَّلُ إِلَى هَذِهِ الْجِبَالِ الْمَرْكُومَةِ (2) مِنَ الطِّينِ وَ الْحِجَارَةِ الَّتِي يَحْسَبُهَا الْعَافِلُونَ فَضْلاً لَا حَاجَةَ إِلَيْهَا وَ الْمَنَافِعُ فِيهَا كَثِيرَةٌ فَمِنْ ذَلِكَ أَنْ يَسْقُطَ عَلَيْهَا التُّلُوجُ فَيَبْقَى فِي قَلَابِهَا لِمَنْ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَ يَذُوبُ مَا ذَابَ مِنْهُ فَتَجْرَى مِنْهُ الْعُيُونُ الْغَزِيرَةُ الَّتِي تَجْتَمِعُ مِنْهَا الْأَنْهَارُ الْعَظَامُ وَ يَنْبُتُ فِيهَا ضَرْبٌ مِنَ النَّبَاتِ وَ الْعَقَاقِيرِ الَّتِي لَا يَنْبُتُ مِثْلُهَا فِي السَّهْلِ وَ يَكُونُ فِيهَا كُهُوفٌ وَ مَقَابِلٌ لِلْوُحُوشِ مِنَ السَّبَاعِ الْعَادِيَةِ وَ يُتَّخَذُ مِنْهَا الْحُصُونُ

ص: 127

1- اليرقان: آفة للزرع أو دود يسطو على الزرع.

2- المركومة: المجتمعة من الطين و الحجارة بعضها فوق بعض.

وَ الْفِلَاحُ الْمُنِيَعَةُ لِلتَّحْرُزِ مِنَ الْأَعْدَاءِ وَ يُنَحَّتْ مِنْهَا الْحِجَارَةُ لِلْبِنَاءِ وَ الْأُرْحَاءُ (1) وَ يُوجَدُ فِيهَا مَعَادِنٌ لِضَرْوِبٍ مِنَ الْجَوَاهِرِ وَ فِيهَا خِلَالَ أُخْرَى لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا الْمُقَدِّرُ لَهَا فِي سَابِقِ عِلْمِهِ.

تفسير المقاييل في بعض النسخ بالقاف و كأنه من القيلولة و في بعضها بالعين و لعله من الغيل الشجر الملتف و في بعض كتب اللغة المغالة العش و في بعض النسخ معافل جمع المعقل و هو الملجأ.

فَكَرَّ يَا مُفَضَّلُ فِي هَذِهِ الْمَعَادِنِ وَ مَا يُخْرَجُ مِنْهَا مِنَ الْجَوَاهِرِ الْمُخْتَلِفَةِ مِثْلِ الْجَبْصِ وَ الْكِلْسِ وَ الْجَبْسِ (2) وَ الزَّرَانِيخِ وَ الْمَرْتَكِ وَ الْقُونِيَا (3) [التوتيا] وَ الرَّبِّي وَ النَّحَاسِ وَ الرَّصَاصِ وَ الْفِضَّةِ وَ الذَّهَبِ وَ الزَّبْرَجِدِ وَ الْيَاقُوتِ وَ الزُّمُرْدِ وَ ضَرْوِبِ الْحِجَارَةِ وَ كَذَلِكَ مَا يُخْرَجُ مِنْهَا مِنَ الْقَارِ وَ الْمُومِيَا وَ الْكِبْرِيَتِ وَ النَّفْطِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَسْتَعْمَلُهُ النَّاسُ فِي مَآرِبِهِمْ فَهَلْ يَخْفَى عَلَى ذِي عَقْلِ أَنَّ هَذِهِ كُلُّهَا ذَخَائِرٌ ذُخِرَتْ لِلْإِنْسَانِ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ لَيْسَتْ تَخْرُجُهَا فَيَسَّ تَعْمَلُهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا ثُمَّ قَصَّرَتْ حِيلَةَ النَّاسِ عَمَّا حَاوَلُوا مِنْ صَدْعِهَا عَلَى حِرْصِهِمْ وَ اجْتِهَادِهِمْ فِي ذَلِكَ فَإِنَّهُمْ لَوْ ظَفَرُوا بِمَا حَاوَلُوا مِنْ هَذَا الْعِلْمِ كَانَ لَا مَحَالَةَ سَهَّ يَظْهَرُ وَ يَسَّ تَقْيِضُ فِي الْعَالَمِ حَتَّى تَكْثُرَ الذَّهَبُ وَ الْفِضَّةُ وَ يَسَّ قُطَاعًا عِنْدَ النَّاسِ فَلَا يَكُونُ لَهُمَا قِيمَةٌ وَ يَبْطُلَ الْإِنْتِفَاعُ بِهِمَا فِي الشَّرَاءِ وَ الْبَيْعِ وَ الْمُعَامَلَاتِ وَ لَا كَانَ يَجِبِي السُّلْطَانَ الْأَمْوَالَ وَ لَا يَدَّخِرُهُمَا أَحَدٌ لِلْأَعْقَابِ وَ قَدْ أُعْطِيَ النَّاسُ مَعَ هَذَا صَنْعَةَ الشَّبَهِ مِنَ النَّحَاسِ وَ الرَّجَاجِ مِنَ الرَّمْلِ وَ الْفِضَّةِ مِنَ الرَّصَاصِ وَ الذَّهَبِ مِنَ الْفِضَّةِ وَ أَشْبَاهَ ذَلِكَ مِمَّا لَا مَصْرَةَ فِيهِ فَانْظُرْ كَيْفَ أُعْطُوا إِزَادَتَهُمْ فِيهِمَا لَا- ضَرْرَ فِيهِ وَ مُنْعُوا ذَلِكَ فِيهِمَا كَانَ ضَارًّا لَهُمْ لَوْ نَالُوهُ وَ مَنْ أَوْغَلَ فِي الْمَعَادِنِ انْتَهَى إِلَى وَادٍ عَظِيمٍ يَجْرِي مُنْصَدًّا لِمَاءِ غَزِيرٍ لَا يُدْرِكُ غَوْزُهُ وَ لَا حِيلَةَ فِي عُبُورِهِ وَ مِنْ وَرَائِهِ أَمْثَالُ الْجِبَالِ مِنَ الْفِضَّةِ تَفَكَّرِ الْآنَ فِي هَذَا مِنْ تَدْبِيرِ الْخَالِقِ الْحَكِيمِ فَإِنَّهُ أَرَادَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنْ يُرَى الْعِبَادَ

ص: 128

1- أى الطواحين.

2- أى حجر الجبص.

3- فى نسخة: القونبا. و فى أخرى: التوتيا.

فَدَرَّتْهُ وَ سَعَةً خَزَائِنِهِ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ لَوْ شَاءَ أَنْ يَمْنَحَهُمْ كَالْجِبَالِ مِنَ الْفِضَّةِ لَفَعَلَ لَكِنْ لَا صَدَاحَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ فَيَكُونُ فِيهَا كَمَا ذَكَرْنَا سُفُوطَ هَذَا الْجَوْهَرِ عِدَدَ النَّاسِ وَقَلَّةَ انْتِفَاعِهِمْ بِهِ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ بِأَنَّهُ قَدْ يَطْهَرُ الشَّيْءُ الطَّرِيفُ مِمَّا يُحَدِّثُهُ النَّاسُ مِنَ الْأَوَانِي وَالْأَمْتَعَةِ فَمَا دَامَ عَزِيزًا قَلِيلًا فَهُوَ نَفِيسٌ جَلِيلٌ آخِذُ الثَّمَنِ فَإِذَا فَشَا وَكَثُرَ فِي أَيْدِي النَّاسِ سَقَطَ عِنْدَهُمْ وَخَسَتْ قِيَمَتُهُ وَنَفَاسَةُ الْأَشْيَاءِ مِنْ عَزَّتِهَا.

بيان: الكلس بالكسر الصاروج والجبس بالكسر الجص وفي أكثر النسخ الجبسين ولم أجده فيما عندنا من كتب اللغة لكن في كتب الطب كما في أكثر النسخ والمرتك كمقعد المرداسنج والقونيا بالباء الموحدة أو الياء المثناة من تحت ولم أجدهما في كتب اللغة لكن في القاموس القونية القطعة من الحديد أو الصفر يرفع بها الإناء وفي بعض النسخ والتوتياء وفي كتب اللغة أنه حجر يكتحل به (1) والقار القير وجبي الخراج جباية جمعه والإيغال المبالغة في الدخول والذهاب وانصلت مضى وسبق.

فَكَرَّ يَا مُفَضَّلُ فِي هَذَا النَّبَاتِ وَمَا فِيهِ مِنْ ضَرْوِبِ الْمَارِبِ فَالثَّمَارُ لِلْغِذَاءِ وَالْأَتْبَانُ لِلْعَلْفِ وَالْحَطْبُ لِلْوُقُودِ وَالْخَشْبُ لِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ النَّجَارَةِ وَغَيْرِهَا وَاللِّحَاءُ وَالْوَرَقُ وَالْأَصُولُ وَالْعُرُوقُ وَالصُّمُوعُ لَضَرْوِبٍ مِنَ الْمَنَافِعِ أَرَأَيْتَ لَوْ كُنَّا نَجِدُ الثَّمَارَ الَّتِي نَعْتَدِي بِهَا مَجْمُوعَةً عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ وَلَمْ تَكُنْ تَتَّبْتُ عَلَى هَذِهِ الْأَغْصَانِ الْحَامِلَةِ لَهَا كَمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَيْنَا مِنَ الْخَلَلِ فِي مَعَاشِنَا وَإِنْ كَانَ الْغِذَاءُ مُوجُودًا فَإِنَّ الْمَنَافِعَ بِالْخَشْبِ وَالْحَطْبِ وَالْأَتْبَانِ وَسَائِرِ مَا عَدَدْنَاهُ كَثِيرَةً عَظِيمَةً قَدَّرَهَا جَلِيلٌ مَوْقِعُهَا هَذَا مَعَ مَا فِي النَّبَاتِ مِنَ التَّلَذُّذِ بِحُسْنِ مَنَظَرِهِ وَنَصَارَتِهِ الَّتِي لَا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ مِنْ مَنَاطِرِ الْعَالَمِ وَمَلَاهِيهِ.

بيان: لحاء الشجرة بالكسر قشرها.

فَكَرَّ يَا مُفَضَّلُ فِي هَذَا الرَّيْعِ الَّذِي جُعِلَ فِي الرَّيْعِ فَصَارَتِ الْحَبَّةُ الْوَاحِدَةُ تُخَلَّفُ

ص: 129

1- نقل في كتب الطب عن الشيخ أنه قال: أصل التوتيا دخان يرتفع حيث يخلص النحاس من الحجارة التي تخالطه وآنك الذي يخالطه، وربما صعد الاقليميا فكان مصعده توتيا جيدا ورسوبه قليميا.



مَادَّة حَبَّةٍ وَ أَكْثَرُ وَ أَقَلُّ وَ كَانَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْحَبَّةُ تَأْتِي بِمِثْلِهَا فَلِمَ صَارَتْ تَرِيحُ هَذَا الرَّيْحِ إِلَّا لِيَكُونَ فِي الْعَلَّةِ مُتَّسِعٌ لِمَا يَرُدُّ فِي الْأَرْضِ مِنَ  
الْبَدْرِ وَ مَا يَنْقَوْتُ الزَّرْعُ إِلَى إِدْرَاكِ زَرْعِهَا الْمُسْتَعْبَلِ أَلَا تَرَى أَنَّ الْمَلِكَ لَوْ أَرَادَ عِمَارَةَ بَلَدٍ مِنَ الْبُلْدَانِ كَانَ السَّبِيلُ فِي ذَلِكَ أَنْ يُعْطِيَ أَهْلَهُ مَا  
يَبْدُرُونَهُ فِي أَرْضِهِمْ وَ مَا يَقْوَتُهُمْ إِلَى إِدْرَاكِ زَرْعِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ تَحْدُ هَذَا الْمِثَالَ قَدْ تَقَدَّمَ فِي تَدْيِيرِ الْحَكِيمِ فَصَارَ الزَّرْعُ يَرِيحُ هَذَا الرَّيْحَ لِيَفِيَّ بِمَا  
يُحْتَاجُ إِلَيْهِ لِلْقَوْتِ وَ الزَّرْعَةِ وَ كَذَلِكَ الشَّجَرُ وَ النَّبْتُ وَ النَّخْلُ يَرِيحُ الرَّيْحَ الْكَثِيرَ فَإِنَّكَ تَرَى الْأَصْلَ الْوَاحِدَ حَوْلَهُ مِنْ فِرَاحِهِ أَمْرًا عَظِيمًا فَلِمَ كَانَ  
كَذَلِكَ إِلَّا لِيَكُونَ فِيهِ مَا يَقْطَعُهُ النَّاسُ وَ يَسْتَعْمِلُونَهُ فِي مَارِبِهِمْ وَ مَا يَرُدُّ فَيَغْرَسُ فِي الْأَرْضِ وَ لَوْ كَانَ الْأَصْلُ مِنْهُ يَبْقَى مُنْفَرِدًا لَا يُفْرِحُ وَ لَا يَرِيحُ  
لَمَا أَمَكْنَ أَنْ يَقْطَعَ مِنْهُ شَيْءٌ لِعَمَلٍ وَ لَا لِعَرْسٍ ثُمَّ كَانَ إِنْ أَصَابَتْهُ آفَةٌ انْقَطَعَ أَصْلُهُ فَلَمْ يَكُنْ مِنْهُ حَلْفٌ تَأْمَلُ نَبَاتَ هَذِهِ الْحُبُوبِ مِنَ الْعَدَسِ وَ  
الْمَاشِ وَ الْبَقْلَاءِ وَ مَا أَشَدَّ بِهِ ذَلِكَ فَإِنَّهَا تَخْرُجُ فِي أَوْعِيَةٍ مِثْلِ الْحَرَائِطِ لِتَصُونَهَا وَ تَحْجُبَهَا مِنَ الْآفَاتِ إِلَى أَنْ تَشُدَّ وَ تَسَّ تَحْكَمَ كَمَا قَدْ تَكُونُ  
الْمَشِيْمَةُ عَلَى الْجَنِينِ لِهَذَا الْمَعْنَى بِعَيْنِهِ فَأَمَّا الْبُرُّ وَ مَا أَشْبَهَهُ فَإِنَّهُ يَخْرُجُ مَدْرَجًا فِي قُشُورِ صِلَابٍ عَلَى رُءُوسِهَا مِثَالِ الْأَسْتَةِ مِنَ السُّبْبَلِ لِيَمْنَعَ  
الطَّيْرَ مِنْهُ لِيَتَوَفَّرَ عَلَى الزَّرْعِ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ أَوْ لَيْسَ قَدْ يَنَالُ الطَّيْرُ مِنَ الْبُرِّ وَ الْحُبُوبِ قِيلَ لَهُ بَلَى عَلَى هَذَا قَدْ دَرَّ الْأَمْرُ فِيهَا لِأَنَّ الطَّيْرَ خَلَقَ مِنْ  
خَلْقِ اللَّهِ وَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى لَهُ فِيمَا تُخْرَجُ الْأَرْضُ حَظًّا وَ لَكِنْ حُضِنَتِ الْحُبُوبُ بِهَذِهِ الْحُجْبِ لِنَلَا يَتَمَكَّنَ الطَّيْرُ مِنْهَا كُلَّ التَّمَكُّنِ  
فَيَعْبَثُ فِيهَا وَ يُفْسِدَ الْفَسَادَ الْفَاحِشَ فَإِنَّ الطَّيْرَ لَوْ صَادَفَ الْحَبَّ بَارِزًا لَيْسَ عَلَيْهِ شَيْءٌ يَحُولُ دُونَهُ لِأَكْبَ عَلَيْهِ حَتَّى يَنْسِدَ مِنْهُ أَصْلًا فَكَانَ يَعْرِضُ  
مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَبْسُمَ الطَّيْرُ فَيَمُوتَ وَ يَخْرُجَ الزَّرْعُ مِنْ زَرْعِهِ صِفْرًا فَجَعَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْوَقَايَاتُ لِتَصُونَهُ فَيَنَالُ الطَّائِرُ مِنْهُ شَيْئًا يَسِيرًا يَنْقَوْتُ بِهِ وَ يَبْقَى  
أَكْثَرُهُ لِلْإِنْسَانِ فَإِنَّهُ أَوْلَى بِهِ إِذْ كَانَ هُوَ الَّذِي كَدَحَ فِيهِ وَ شَقِيَ بِهِ وَ كَانَ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَكْثَرَ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الطَّيْرُ تَأْمَلِ الْحِكْمَةَ فِي خَلْقِ  
الشَّجَرِ وَ أَصْنَافِ النَّبَاتِ فَإِنَّهَا لَمَّا كَانَتْ تَحْتَاجُ إِلَى الْغِدَاءِ

الدائم كحاجة الحيوان و لم يكن لها أفواه كأفواه الحيوان و لا حركة تتبع بها لتناول الغذاء جعلت أصولها مذكورة في الأرض لتتنوع منها الغذاء فتؤديه إلى الأعصاب و ما عليها من الورق و الثمر فصارت الأرض كالأم المربية لها و صارت أصولها التي هي كالأفواه ملتصقة للأرض (1) لتتنوع منها الغذاء كما يرضع أصناف الحيوان أمهاتها ألا ترى إلى عمد الفساطيط و الخيم كيف تمد بالأطباء من كل جانب لتثبت ملتصقة فلا تسقط و لا تميل فهكذا تجد النبات كله له عروق منشرة في الأرض ممتدة إلى كل جانب لتمسكه و تقيمه و لو لا ذلك كيف كان يثبت هذا النخل الطوال و الدوح العظام في الريح العاصف فانظر إلى حكمة الخلق كيف سبقت حكمة الصناعة فصارت الحيلة التي تسعملها الصناع في ثبات الفساطيط و الخيم متقدمة في خلق الشجر لأن خلق الشجر قبل صنعة الفساطيط و الخيم ألا ترى عمدها و عيدانها من الشجر فالصناعة مأخوذة من الخلق.

بيان: ينسفه بالكسر أى يقلعه و يشم الحيوان بشما من باب تعب اتخم من كثرة الأكل و الكدح العمل و السعى و الشقا الشدة و العسر شقى كرضى و الدوح بفتح الدال و سكون الواو جمع الدوحة و هى الشجرة العظيمة.

تأمل يا مفضل خلق الورق فإنك ترى فى الورقة شبه العروق مبنوثة فيها أجمع فمنا غلاظ ممتدة فى طولها و عرضها و منها دقاق تتخلل الغلاظ منسوجة نسيجاً دقيقاً معجماً لو كان مما يصنع بالأيدي كصنع نعة البشر لما فرغ من ورق شجرة واحدة فى عام كامل و لا احتيج إلى آلات و حركة و علاج و كلام فصارت يأتى منه فى أيام قلائل من الربيع ما يملأ الجبال و السهل و بقاع الأرض كلها بلا حركة و لا كلام إلا بالزيادة النافذة فى كل شئ و الأمر المطاع و اعرف مع ذلك العلة فى تلك العروق الدقاق فإنها جعلت تتخلل الورقة بأسرها لتستقيمها و توصل الماء إليها بمنزلة العروق المبنوثة فى البدن لتوصل الغذاء إلى كل جزء منها و فى الغلاظ منها معنى آخر فإنها تمسك الورقة بصلابتها و متانتها لئلا

ص: 131

تَنْهَيْتَكَ وَتَتَمَرَّقَ فَتَرَى الْوَرْقَةَ شَبِيهَةً بِوَرْقَةِ مَعْمُولَةٍ بِالصَّنْعَةِ مِنْ خَرَقٍ قَدْ جُعِلَتْ فِيهَا عِيدَانٌ مَمْدُودَةٌ فِي طُولِهَا وَعَرْضِهَا لِتَتَمَاسِكَ فَلَا تَضْطَرِبَ  
فَالصَّنَاعَةُ تَحْكِي الْخَلْقَةَ وَإِنْ كَانَتْ لَا تُدْرِكُهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ فَكَّرَ فِي هَذَا الْعَجْمِ وَالنَّوَى وَالْعِلَّةِ فِيهِ فَإِنَّهُ جُعِلَ فِي جَوْفِ الثَّمَرَةِ لِيُقَوْمَ مَقَامَ  
الْعُرْسِ إِنْ عَاقَ دُونَ الْعُرْسِ عَائِقٌ كَمَا يُحَرِّزُ الشَّيْءُ النَّفِيسَ الَّذِي تَعْظُمُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ فَإِنْ حَدَثَ عَلَى الَّذِي فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ  
مِنْهُ حَادِثٌ وَجِدَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ ثُمَّ بَعْدَ يُمَسِّكُ بِصَدِّ ابْتِيهِ رِخَاوَةَ الثَّمَارِ وَرِقَّتِهَا وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَتَشَدَّخَتْ وَتَفَسَّخَتْ وَأَسْرَعَ إِلَيْهِ الْفَسَادُ وَبَعْضُهُ  
يُؤْكَلُ وَيُسْتَخْرَجُ ذَهْنُهُ فَيُسْتَعْمَلُ مِنْهُ ضُرُوبٌ مِنَ الْمَصَالِحِ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ مَوْضِعُ الْإِرْبِ فِي الْعَجْمِ وَالنَّوَى فَكَّرِ الْآنَ فِي هَذَا الَّذِي تَجِدُهُ فَوْقَ  
النَّوَةِ مِنَ الرُّطْبَةِ وَفَوْقَ الْعَجْمِ مِنَ الْعَبْتَةِ فَمَا الْعِلَّةُ فِيهِ وَلِمَا ذَا يُخْرَجُ فِي هَذِهِ الْهَيْئَةِ وَقَدْ كَانَ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ مَكَانَ ذَلِكَ مَا لَيْسَ فِيهِ مَا كُلُّ  
كَمِثْلِ مَا يَكُونُ فِي السَّرْوِ وَالسُّلْبِ وَمَا أَشَدَّ بِهِ ذَلِكَ فَلِمَ صَارَ يُخْرَجُ فَوْقَهُ هَذِهِ الْمَطَاعِمُ اللَّذِيذَةُ إِلَّا لَيْسَتْ تَمْتَعُ بِهَا الْإِنْسَانُ فَكَّرَ فِي ضَرْوَبٍ مِنَ  
التَّدْبِيرِ فِي الشَّجَرِ فَإِنَّكَ تَرَاهُ يَمُوتُ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَوْتَةً فَيَحْتَبِسُ الْحَرَارَةُ الْغَرِيزِيَّةَ فِي عُدْوِهِ وَيَتَوَلَّدُ فِيهِ مَوَادُّ الثَّمَارِ ثُمَّ تَحْيَا وَتَنْشُرُ فَتَأْتِيكَ بِهِذِهِ  
الْفَوَاكِهُ نَوْعًا بَعْدَ نَوْعٍ كَمَا تَقْدَمُ إِلَيْكَ أَنْوَاعُ الْأَطْيَحَةِ (1) الَّتِي تُعَالَجُ بِالْأَيْدِي وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ فَتَرَى الْأَغْصَانَ فِي الشَّجَرِ تَتَلَقَّكَ بِثَمَارِهَا حَتَّى  
كَأَنَّهَا تَتَنَاوَلُوكَهَا عَنْ يَدٍ وَتَرَى الرِّبَاحِينَ تَلَقَّكَ فِي أَفْئَانِهَا كَأَنَّهَا تَجِيئُكَ بِأَنْفُسِهَا فَلَمَنْ هَذَا التَّقْدِيرُ إِلَّا لِمُقَدَّرٍ حَكِيمٍ وَمَا الْعِلَّةُ فِيهِ إِلَّا تَفْكِيهِ  
الْإِنْسَانَ بِهَذِهِ الثَّمَارِ وَالْأَنْوَارِ (2) وَالْعَجَبُ مِنْ أَنْاسٍ جَعَلُوا مَكَانَ الشُّكْرِ عَلَى النِّعْمَةِ جُحُودَ الْمُنْعِمِ بِهَا اعْتَبَرُ بِخَلْقِ الرُّمَّانَةِ وَمَا تَرَى فِيهَا مِنْ  
أَثْرِ الْعَمْدِ وَالتَّدْبِيرِ فَإِنَّكَ تَرَى فِيهَا كَأَمْثَالِ التَّلَالِ مِنْ شَحْمٍ مَرْكُومٍ فِي نَوَاحِيهَا وَحَبًّا مَرْصُوفًا رَصْفًا كَنَحْوِ مَا يُنْصَدُّ بِالْأَيْدِي (3)

ص: 132

- 1- وفي نسخة: كما تقدم إليك أنواع الاخبصة.
- 2- وفي نسخة: تفكه الإنسان بهذه الثمار والأنوار.
- 3- أي كنحو ما يضمم بعضه إلى بعض متسقا بالأيدي.

و تَرَى الْحَبَّ مَقْسُوماً أَقْسَاماً وَ كُلَّ قِسْمٍ مِنْهَا مَلْفُوفاً بِلَفَائِفٍ مِنْ حُجْبٍ مَنْسُوجَةٍ أَعْجَبَ النَّسِجَ وَ أَلْطَفَهُ وَ قَشْرَهُ يَضُمُّ ذَلِكَ كُلَّهُ فَمِنْ التَّدْبِيرِ فِي هَذِهِ الصَّنْعَةِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَسُو الرُّمَانَةِ مِنَ الْحَبِّ وَ حُدَّهُ وَ ذَلِكَ أَنَّ الْحَبَّ لَا يَمُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً فَجُعِلَ ذَلِكَ الشَّحْمُ خِلَالَ الْحَبِّ لِيَمُدَّهُ بِالْغِذَاءِ أَلَا- تَرَى أَنَّ أُصُولَ الْحَبِّ مَرْكُوزَةٌ فِي ذَلِكَ الشَّحْمِ ثُمَّ لَفَّ بِتِلْكَ اللَّفَائِفِ لِتَضَمَّهُ وَ تُمَسِّكَهُ فَلَا يَضُدُّ طَرِبَ وَ غَشِيَ فَوْقَ ذَلِكَ بِالْقَشْرَةِ الْمُسْتَحْصِنَةِ لِيَصُونَهُ وَ يُحْصِنَهُ مِنَ الْآهَاتِ فَهَذَا قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ وَ هِيَ وَصْفُ الرُّمَانِ وَ فِيهِ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا لِمَنْ أَرَادَ الْإِطْنَابَ وَ التَّدْرُجَ فِي الْكَلَامِ وَ لَكِنْ فِيمَا ذَكَرْتُ لَكَ كِفَايَةً فِي الدَّلَالَةِ وَ الْإِعْتِبَارِ.

بيان: قوله عليه السلام: معجماً لعل المراد شدة ارتباطها قال الفيروزآبادي: باب معجم كمرم مقفل انتهى و يحتمل أن يكون كناية عن خفائها كقوله صلى الله عليه و آله صلاة النهار عجماء و قوله عليه السلام: إن عاق دون الغرس أى غرس الأغصان عائق تغرس النوى بدلها و الشدخ الكسر و الغمز و المشدخ هو بسر يغمز و يبس للشتاء و الدلب بالضم الصنار (1) قوله عليه السلام: فيحتبس الحرارة الغريزية يدل على أن الحرارة الغريزية لا يختص بالحيوان بل يوجد في النبات أيضا كما صرح به جماعة من المحققين و يقال رصفت الحجارة في البناء رصفا أى ضمنت بعضها إلى بعض و استحصف استحكم و التدرج كثرة الكلام و الإفراط فيه.

فَكَرَّرَ يَا مُفَصِّلُ فِي حَمَلِ الْيَقُطِينِ الصَّعِيفِ مِثْلَ هَذِهِ الثَّمَارِ الثَّقِيلَةِ مِنَ الدُّبَاءِ وَ الْقِتَاءِ وَ الْبَطِيخِ وَ مَا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّدْبِيرِ وَ الْحِكْمَةِ فَإِنَّهُ حِينَ قُدِّرَ أَنْ يَحْتَمَلَ مِثْلَ هَذِهِ الثَّمَارِ جُعِلَ نَبَاتُهُ مُنْبَسِطاً عَلَى الْأَرْضِ وَ لَوْ كَانَ يَنْتَصِبُ قَائِماً كَمَا يَنْتَصِبُ الزَّرْعُ وَ الشَّجَرُ لَمَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَحْمَلَ مِثْلَ هَذِهِ الثَّمَارِ الثَّقِيلَةِ وَ لِيَنْقِصُ قَبْلَ إِدْرَاكِهَا وَ انْتِهَائِهَا إِلَى غَايَتِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ صَارَ يَمْتَدُّ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ لِيَلْقَى عَلَيْهَا ثَمَارَهَا فَتَحْمِلَهَا عَنْهُ فَتَرَى الْأَصْلَ مِنَ الْقُرْعِ وَ الْبَطِيخِ مُفْتَرِشاً لِلْأَرْضِ ثِمَارَهُ مَبْنُوثَةً عَلَيْهَا وَ حَوَالِيهِ كَأَنَّهُ هَرَّةٌ مُمْتَدَّةٌ وَ قَدْ اِكْتَنَفَتْهَا أَجْرَاؤُهَا لِتَرْضَعَ مِنْهَا

ص: 133

وَ انْظُرْ كَيْفَ صَارَتِ الْأَصْدَانُ تُؤَافِي فِي وَفْتِ الْمَسَاكِلِ لَهَا مِنْ حَمَارَةِ الصَّيْفِ وَ وَقْدَةِ الْحَرِّ فَتَلْقَاهَا النَّفْسُ بِانْشِرَاحٍ وَ تَشْوُقٍ إِلَيْهَا وَ لَوْ كَانَتْ تُؤَافِي فِي الشِّتَاءِ لَوَافَقَتْ مِنَ النَّاسِ كَرَاهَةً لَهَا وَ أَفْشِدَ عِرَاراً مِنْهَا مَعَ مَا يَكُونُ فِيهَا مِنَ الْمَصْرَةِ لِلْأَبْدَانِ أَلَا تَرَى أَنَّهُ رُبَّمَا أَدْرَكَ شَيْءٌ مِنَ الْخِيَارِ فِي الشِّتَاءِ فَيَمْتَنِعُ النَّاسُ مِنْ أَكْلِهِ إِلَّا الشَّرِيَةَ الَّتِي لَا يَمْتَنِعُ مِنْ أَكْلِ مَا يَصُرُّهُ وَ لَيْسَتْ وَخِمٌ مَغَبَّةٌ.

توضيح: قال الفيروزآبادي: اليقطين ما لا ساق له من النبات ونحوه والقصف الكسر وقال الجوهري: الجرو والجرو ولد الكلب و السباع والجمع أجر وأصله أجر و على أفعال و جراء و جمع الجراء أجرية و الجرو و الجروة الصغير من القثاء انتهى و الحمارة بتخفيف الميم و تشديد الراء و قد يخفف في الشعر شدة الحر و في الأساس ما لى أراك تشرح إلى كل رتبة و هو إظهار الرغبة إليها و فيه هو شره العين يطمع في كل ما يراه يرمى نفسه عليه و يتمناه انتهى و استوخمه لم يجده مريئاً موافقاً و المغبة العاقبة.

فَكَرَّ يَا مُفْضَلُ فِي النَّخْلِ فَإِنَّهُ لَمَّا صَارَ فِيهِ إناثٌ يَحْتَاجُ إِلَى التَّلْقِيحِ (1) جُعِلَتْ فِيهِ ذُكُورَةٌ لِلْقَاحِ مِنْ غَيْرِ غِرَاسٍ فَصَارَ الذَّكَرُ مِنَ النَّخْلِ بِمَنْزِلَةِ الذَّكَرِ مِنَ الْحَيَوَانِ الَّتِي يُلْقِحُ الْإناثَ لِتَحْمَلِ وَ هُوَ لَا يَحْمِلُ تَأَمَّلْ خَلْقَةَ الْجَذَعِ (2) كَيْفَ هُوَ فَإِنَّكَ تَرَاهُ كَالْمَنْسُوجِ نَسَجاً مِنْ غَيْرِ خَيْوِطٍ مَمْدُودَةٍ كَالسَّدى وَ أُخْرَى مَعَهُ مُعْتَرِضَةٌ كَاللَّحْمَةِ (3) كَنَحْوِ مَا يَنْسُجُ بِالْأَيْدِي وَ ذَلِكَ لَيْسَتْ تَدَّ وَ يَصَلِّبُ وَ لَا يَنْقُصُ مِنْ حَمْلِ الْقِنُونِ (4) التَّقِيلَةَ وَ هَزَّ الرِّيحَ الْعَوَاصِبِ إِذَا صَارَ نَحْلَةً وَ لَيْتَهَيًّا لِلشُّقُوفِ وَ الْجُسُورِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَتَّخِذُ مِنْهُ إِذَا صَارَ جَذَعاً وَ كَذَلِكَ تَرَى الْحَشَّابَ مِثْلَ النَّسِجِ فَإِنَّكَ تَرَى بَعْضَهُ مُدَاخِلًا بَعْضاً طُولاً وَ عَرَضاً كَتَدَاخُلِ أَجْزَاءِ اللَّحْمِ وَ فِيهِ

ص: 134

1- التلقيح في النخل: وضع طلع الذكور في الاناث.

2- الجذع: ساق النخلة.

3- السدى من الثوب: ما مد من خيوطه و هو خلاف اللحمية. و اللحمية ما نسج عرضاً و هو خلاف سداه.

4- القنوان جمع القنا و القنى و القنو- بكسر القاف و ضمها-: العذق و هو من النخل كالعنقود من العنب.

مَعَ ذَلِكَ مَتَانَةً لِيَصْدَحَ لِمَا يَتَّخِذُ مِنْهُ مِنَ الْأَلَاتِ فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ مُسْتَحْصَفاً (1) كَالْحِجَارَةِ لَمْ يُمَكِّنْ أَنْ يُسَدَّ تَعْمَلَ فِي السُّقُوفِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُسَدَّ تَعْمَلُ فِيهِ الْخَشَبُ كَالْأَبْوَابِ وَالْأَسْرَةِ وَالتَّوَابِتِ وَ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ وَ مِنْ جَسِيمِ الْمَصَالِحِ فِي الْخَشَبِ أَنَّهُ يَطْفُو عَلَى الْمَاءِ فَكُلُّ النَّاسِ يَعْرِفُ هَذَا مِنْهُ وَ لَيْسَ كُلُّهُمْ يَعْرِفُ جَلَالََةَ الْأَمْرِ فِيهِ فَلَوْ لَا هَذِهِ الْخَلَّةُ كَيْفَ كَانَتْ هَذِهِ الشُّمْنُ وَالْأَطْرَافُ تَحْمِلُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ مِنَ الْحَمُولَةِ وَ أَنَّى كَانَ يَبَالُ النَّاسُ هَذَا الْوُفْقَ (2) وَ خَفَّةَ الْمُتَوَاتَةِ فِي حَمْلِ التَّجَارَاتِ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ وَ كَانَتْ تَعْظُمُ الْمُتَوَاتَةُ عَلَيْهِمْ فِي حَمْلِهَا حَتَّى يُلْقَى كَثِيرٌ مِمَّا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي بَعْضِ الْأَبْدَانِ مَفْقُوداً أَصلاً أَوْ عَسراً أَوْ جُودُهُ فَكَّرُ فِي هَذِهِ الْعَقَاقِيرِ وَ مَا خُصَّ بِهَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا مِنَ الْعَمَلِ فِي بَعْضِ الْأَدْوَاءِ فَهَذَا يَغُورُ فِي الْمَفَاصِلِ فَيَسَدُ تَخْرُجُ الْفُضُولُ الْغَلِيظَةَ مِثْلَ الشَّيْطَرِجِ (3) وَ هَذَا يَنْزِفُ الْمِرَّةَ السَّوْدَاءَ مِثْلَ الْأَفْتِيمُونِ (4) وَ هَذَا يَنْفِي الرِّيَّاحَ مِثْلَ السَّكِينِجِ وَ هَذَا يُحَلِّلُ الْأُورَامَ وَ أَشْبَهَ هَذَا مِنْ أَعْمَالِهَا فَمَنْ جَعَلَ هَذِهِ الْقُوَى فِيهَا إِلَّا مَنْ خَلَقَهَا لِلْمَنْفَعَةِ وَ مَنْ فَطَنَ النَّاسَ بِهَا إِلَّا مَنْ جَعَلَ هَذَا فِيهَا وَ مَتَى كَانَ يُوقَفُ عَلَى هَذَا مِنْهَا بِالْعَرَضِ وَ الْإِتِّفَاقِ كَمَا قَالَ قَائِلُونَ وَ هَبِ الْإِنْسَانُ فَطَنَ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ بِذِهْنِهِ وَ لَطِيفِ رُؤْيَيْهِ وَ تَجَارِبِهِ فَالْبَهَائِمُ كَيْفَ فَطَنَتْ لَهَا حَتَّى صَارَ بَعْضُ السَّبَاعِ يَتَدَاوَى مِنْ جِرَاحَةٍ إِنْ أَصَابَتْهُ بِبَعْضِ الْعَقَاقِيرِ فَيَبْرَأُ وَ بَعْضُ الطَّيْرِ يَحْتَقِنُ مِنَ الْحُصْرِ يَصِدُّ بِئِهِ بِمَاءِ الْبَحْرِ فَيَسَدُّ لَمْ وَ أَشْبَاهَ هَذَا كَثِيرٌ وَ لَعَلَّكَ تَشْكُكُ فِي هَذَا النَّبَاتِ النَّابِتِ فِي الصَّحَارَى وَ الْبَرَارَى حَيْثُ لَا أَنْسَ وَ لَا أَنْيسَ فَتَطُنُّ أَنَّهُ فَضْلٌ لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ وَ لَيْسَ كَذَلِكَ بَلْ هُوَ طَعْمٌ لِهَذِهِ الْوُحُوشِ وَ حَبُّهُ عَلْفٌ لِلطَّيْرِ وَ عُوْدُهُ وَ أَفْنَانُهُ حَطْبٌ فَيَسَدُ تَعْمَلُهُ النَّاسُ وَ فِيهِ بَعْدُ أَشْيَاءٌ تُعَالَجُ بِهِ الْأَبْدَانُ وَ أُخْرَى تُدْبَعُ بِهِ الْجُلُودُ وَ أُخْرَى تُصْبَغُ بِهِ الْأَمْتَعَةُ وَ أَشْبَاهَ هَذَا مِنَ الْمَصَالِحِ أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ أَحْسَّ النَّبَاتِ وَ أَحَقْرَهُ

ص: 135

1- أى مستحكما، والحصيف: كل محكم لا خلل فيه.

2- فى نسخة: هذا الرفق.

3- وفى كتب الطب أنه يزيل الطحال أكلا وضمادا أيضا، وتعليقه على الاذن الوجعة يسكن وجعها.

4- وله منافع اخرى معدودة فى كتب الطب كإسهاله البلغم و الصفراء، ونفعه من الصرع و التشنج الامتلائي، و النفخ و أصحاب السرطان و الجرب و غير ذلك، كما أن للسكبينج منافع اخرى مبينة فى محله.

هَذَا الْبَرْدِيُّ (1) وَمَا أَشْبَهَهَا فِيهَا مَعَ هَذَا مِنْ ضَرْبِ الْمَنَافِعِ فَقَدْ يُتَّخَذُ مِنَ الْبَرْدِيِّ الْقَرَاتِيسُ الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا الْمُلُوكُ وَالسُّوقَةُ وَالْحَصْرُ الَّتِي يَسْتَعْمِلُهَا كُلُّ صِنْفٍ مِنَ النَّاسِ وَلِيَعْمَلَ مِنْهُ الْعُلْفُ الَّتِي يُوقَى بِهَا الْأَوَانِي وَيُجْعَلُ حَشَوًّا بَيْنَ الطَّرُوفِ فِي الْأَسْفَاطِ (2) لِكَيْلَا تَعِيبَ وَتَنْكَسِرَ وَأَشْبَاهُ هَذَا مِنَ الْمَنَافِعِ فَاعْتَبِرْ بِمَا تَرَى مِنْ ضَرْبِ الْمَارِبِ فِي صَغِيرِ الْخَلْقِ وَكَبِيرِهِ وَبِمَا لَهُ قِيمَةٌ وَمَا لَا قِيمَةَ لَهُ وَأَخْسُ مِنْ هَذَا وَأَحْقَرُهُ الرَّبْلُ وَالْعَذْرَةُ الَّتِي اجْتَمَعَتْ فِيهَا الْخَسَاسَةُ وَالنَّجَاسَةُ مَعًا وَمَوْقِعُهَا مِنَ الزُّرُوعِ وَالْبُقُولِ وَالْخَضَرِ أَجْمَعِ الْمَوْقِعِ الَّذِي لَا يَعْدِلُهُ شَيْءٌ حَتَّى إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْخَضَرِ لَا يَصْلُحُ وَلَا يَزُكُو إِلَّا بِالرَّبْلِ وَالسَّمَادِ الَّذِي يَسْتَقْدِرُهُ النَّاسُ وَيَكْرَهُونَ الدُّنُوءَ مِنْهُ وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ مَنْزِلَةُ الشَّيْءِ عَلَى حَسَبِ قِيمَتِهِ بَلْ هُمَا قِيمَتَانِ مُخْتَلِفَتَانِ بِسُوقَيْنِ وَرُبَّمَا كَانَ الْحَسِيصُ فِي سُوقِ الْمُكْتَسَبِ نَفِيسًا فِي سُوقِ الْعِلْمِ فَلَا تَسْتَصِدَّ عَنِ الْعِبْرَةِ فِي الشَّيْءِ لِصِدْقِ قِيمَتِهِ فَلَوْ فَطَنُوا طَالِبُوا الْكِيمِيَاءَ لِمَا فِي الْعَذْرَةِ لَأَشْتَرَوْهَا بِأَنْفُسِ الْأَثْمَانِ وَغَالُوا بِهَا قَالِ الْمُفْضَلُ وَحَانَ وَقْتُ الزَّوَالِ فَقَامَ مَوْلَايَ إِلَى الصَّلَاةِ وَقَالَ بَكَرٌ إِلَى غَدَاً إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَأَنْصَرَفْتُ وَقَدْ تَضَاعَفَ سُورِي بِمَا عَرَفْتَنِيهِ مُبْتَهَجًا بِمَا آتَانِيهِ حَامِدًا لِلَّهِ عَلَى مَا مَنَحْنِيهِ فَبِتُّ لَيْلَتِي مَسْرُورًا.

بيان: قوله عليه السلام: ليصلح بيان لما يتحصل مما مر لا للمتانة فقط و النزف النزع قوله عليه السلام: هب الإنسان أى سلمنا أنه كذلك و الحصر بالضم اعتقال البطن و السوقة بالضم الرعية للواحد و الجمع و المذكر و المؤنث و الغلف بضمه و بضميتين و كركع جمع غلاف و الزبل بالكسر السرقين و قال الفيروزآبادي: السماد السرقين برماد و قال الجزري هو ما يطرح فى أصول الزرع و الخضر من العذرة و الزبل ليجود نباته أقول يدل ظاهرا على جواز استعمال العذرات النجسة فى ذلك و ربما يستدل به على تطهير الاستحالة.

ص: 136

1- البردى: نبت رخو ينبت فى ديار المصر كثيرا، يمضغ أصله كقصب السكر و يتخذ منه القرطاس و قيل: له ورق كخوص النخل، فارسيه نوخ.

2- جمع السفت: وعاء كالقفة أو الجوالق.

الْمَجْلِسِ الرَّابِعِ قَالَ الْمَفْضَلُ فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الرَّابِعُ بَكَرْتُ إِلَى مَوْلَايَ فَاسْتَوْدِنَ لِي فَأَمَرَنِي بِالْجُلُوسِ فَجَلَسْتُ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَّا التَّحْمِيدُ وَ  
التَّسْبِيحُ وَ التَّعْظِيمُ وَ التَّقْدِيسُ لِلِاسْمِ الْأَقْدَمِ وَ الثُّورِ الْأَعْظَمِ الْعَلِيِّ الْعَلَامِ ذِي الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ وَ مُنْشَى الْأَنَامِ وَ مُفْتَى الْعَوَالِمِ وَ الدُّهُورِ وَ  
صَاحِبِ السَّرِّ الْمَسْتَوْرِ وَ الْغَيْبِ الْمَحْظُورِ وَ الْإِسْمِ الْمَخْزُونِ وَ الْعِلْمِ الْمَكْتُونِ وَ صَلَوَاتِهِ وَ بَرَكَاتِهِ عَلَى مُبْلَغِ وَحْيِهِ وَ مُؤَدَّى رِسَالَتِهِ الَّذِي ابْتَعَثَهُ  
بَشِيرًا وَ تَذِيرًا وَ دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَ سِرَاجًا مُنِيرًا لِيَهْدِكَ مِنْ هَذَاكَ عَنْ بَيْتَةٍ وَيَحْيِي مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْتَةٍ فَعَلَيْهِ وَ عَلَى آلِهِ مِنْ بَارئِهِ الصَّلَوَاتُ  
الطَّيِّبَاتُ وَ التَّحِيَّاتُ الزَّاكِيَاتُ النَّامِيَاتُ وَ عَلَيْهِ وَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَ الرَّحْمَةُ وَ الْبَرَكَاتُ فِي الْمَاضِيْنَ وَ الْغَابِرِينَ أَبَدَ الْأَبْدِينَ وَ دَهْرَ الدَّاهِرِينَ وَ هُمْ  
أَهْلُهُ وَ مُسَدِّحُهُ قَدْ شَرَحْتَ لَكَ يَا مَفْضَلُ مِنَ الْأَدْلَةِ عَلَى الْخَلْقِ وَ الشَّوَاهِدِ عَلَى صَوَابِ التَّدْبِيرِ وَ الْعَمْدِ فِي الْإِنْسَانِ وَ الْحَيَوَانِ وَ النَّبَاتِ وَ  
السَّجَرِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا فِيهِ عِبْرَةٌ لِمَنْ اعْتَبَرَ وَ أَنَا شَرَحْتُ لَكَ الْآثَانَ الْوَاحِدَةَ فِي بَعْضِ الْأَزْمَانِ الَّتِي اتَّخَذَهَا أَنَسٌ مِنَ الْجُهَالِ ذَرِيعةً إِلَى  
جُحُودِ الْخَالِقِ وَ الْخَلْقِ وَ الْعَمْدِ وَ التَّدْبِيرِ وَ مَا أَنْكَرْتَ الْمُعْطَلَةَ وَ الْمَنَانِيَّةَ (1) مِنَ الْمَكَارِهِ وَ الْمَصَائِبِ وَ مَا أَنْكَرُوهُ مِنَ الْمَوْتِ وَ الْفَنَاءِ وَ مَا قَالَهُ  
أَصْحَابُ الطَّبَائِعِ وَ مَنْ زَعَمَ أَنْ كُونَ الْأَشْيَاءَ بِالْعَرَضِ وَ الْإِتِّفَاقِ لَيْتَسِعَ ذَلِكَ الْقَوْلُ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ اتَّخَذَ أَنَسٌ مِنَ  
الْجُهَالِ هَذِهِ الْآثَانَ الْوَاحِدَةَ فِي بَعْضِ الْأَزْمَانِ كَمَثَلِ الْوَبَاءِ وَ الْبِرْقَانِ (2) وَ الْبُرْدِ وَ الْجَرَادِ ذَرِيعةً إِلَى جُحُودِ الْخَلْقِ وَ التَّدْبِيرِ وَ الْخَالِقِ فَيُقَالُ  
فِي جَوَابِ ذَلِكَ إِنَّهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ خَالِقٌ وَ مُدَبِّرٌ فَلِمَ لَا يَكُونُ مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا وَ أَفْطَعُ فَمِنْ ذَلِكَ أَنْ يَسْقُطَ السَّمَاءُ عَلَى الْأَرْضِ وَ تَهْوِيَ الْأَرْضُ  
فَتَذْهَبَ سُفْلًا وَ تَتَخَلَّفَ الشَّمْسُ عَنِ الطُّلُوعِ أَصْلًا وَ تَجَفَّ الْأَنْهَارُ وَ الْعُيُونُ حَتَّى لَا يُوجَدَ مَاءٌ لِلشَّفَةِ وَ تَرْتَكِدَ الرِّيحُ حَتَّى

ص: 137

1- الظاهر: المانوية.

2- اليرقان: مرض معروف يصيب الناس و يسبب اصفرار الجلد، و آفة للزرع، أو دود يسطو على الزرع. و لعل المراد المعنى الثاني لذكره قبل ذلك.



تَحَمَّ الْأَشْيَاءَ وَتَفْسَدَ وَيَقِصَّ مَاءَ الْبَحْرِ عَلَى الْأَرْضِ فَيَغْرِفَهَا ثُمَّ هَذِهِ الْآهَاتُ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا مِنَ الْوَبَاءِ وَالْجَرَادِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مَا بَالِهَا لَا تَدُومُ وَتَمْتَدُّ حَتَّى تَجْتَاخَ كُلَّ مَا فِي الْعَالَمِ بَلْ تَحْدُثُ فِي الْأَحْيَانِ ثُمَّ لَا تَلْبُثُ أَنْ تَرْفَعَ أَفْلا تَرَى أَنَّ الْعَالَمَ يُصَانُ وَيُحْفَظُ مِنْ تِلْكَ الْأَحْدَاثِ الْجَلِيلَةِ الَّتِي لَوْ حَدَّثَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا كَانَ فِيهِ بَوَازُهُ وَيُلْدَعُ (1) أَحْيَانًا بِهَذِهِ الْآفَاتِ الْيَسِيرَةِ لِتَأْدِيبِ النَّاسِ وَتَقْوِيمِهِمْ ثُمَّ لَا تَدُومُ هَذِهِ الْآهَاتُ بَلْ تَكْشِفُ عَنْهُمْ عِنْدَ الْقُنُوطِ مِنْهُمْ فَتَكُونُ وَقُوعَهَا بِهِمْ مَوْعِظَةً وَكَشْفُهَا عَنْهُمْ رَحْمَةٌ وَقَدْ أَتَكَرَّتِ الْمُعْطَلَّةُ مَا أَتَكَرَّتِ الْمَنَائِيَةُ (2) مِنَ الْمَكَارِهِ وَالْمَصَائِبِ الَّتِي تُصِيبُ النَّاسَ فَكِلَاهُمَا يَقُولُ إِنْ كَانَ لِلْعَالَمِ خَالِقٌ رَءُوفٌ رَحِيمٌ فَلِمَ يُحْدِثُ فِيهِ هَذِهِ الْأُمُورَ الْمَكْرُوهَةَ وَالْقَائِلُ بِهَذَا الْقَوْلِ يَذْهَبُ بِهِ إِلَى أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَيْشُ الْإِنْسَانِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا صَافِيًا مِنْ كُلِّ كَدْرٍ وَلَوْ كَانَ هَكَذَا كَانَ الْإِنْسَانُ سَدَّ يَخْرُجُ مِنَ الْأَشْرِ وَالْعُتُوِّ إِلَى مَا لَا يَصْلُحُ فِي دِينٍ وَدُنْيَا كَالَّذِي تَرَى كَثِيرًا مِنَ الْمُتَرَفِينَ وَمَنْ نَشَأَ فِي الْجِدَّةِ وَالْأَمْنِ يَخْرُجُونَ إِلَيْهِ حَتَّى أَنْ أَحَدَهُمْ يَنْسَى أَنَّهُ بَشَرٌ أَوْ أَنَّهُ مَرْبُوبٌ أَوْ أَنَّ ضَرَرًا يَمَسُّهُ أَوْ أَنَّ مَكْرُوهًا يَنْزِلُ بِهِ أَوْ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَرْحَمَ ضَعِيفًا أَوْ يُوَسِّيَ فَقِيرًا أَوْ يَرِثِي لِمَبْتَلَى (3) أَوْ يَتَحَنَّنَ عَلَى ضَعِيفٍ أَوْ يَتَعَطَّفَ عَلَى مَكْرُوبٍ فَإِذَا عَصَّنَهُ الْمَكَارِهِ وَوَجَدَ مَضَضَ هَا أَتَعَطَّ وَأَبْصَرَ كَثِيرًا مِمَّا كَانَ جِهَلَهُ وَغَفَلَ عَنْهُ وَرَجَعَ إِلَى كَثِيرٍ مِمَّا كَانَ يَجِبُ عَلَيْهِ وَالْمُنْكَرُونَ لَهُذِهِ الْأُمُورِ الْمُؤَذِيَّةِ بِمَنْزِلَةِ الصَّبِيَّانِ الَّذِينَ يَدْمُونَ الْأَدْوِيَةَ الْمُرَّةَ الشَّدْعَةَ وَيَسَدَّ حُطُونَ مِنَ الْمَنْعِ مِنَ الْأَطْعَمَةِ الصَّارَّةِ وَيَتَكَرَّهُونَ الْأَدَبَ وَالْعَمَلَ وَيَجِبُونَ أَنْ يَتَفَرَّغُوا لِلْهُوِّ وَالْبَطَالَةِ وَيَنَالُوا كُلَّ مَطْعَمٍ وَمَشْرَبٍ وَلَا يَعْرِفُونَ مَا تُؤَدِّيهِمْ إِلَيْهِ الْبَطَالَةُ مِنْ سُوءِ النُّشُوءِ وَالْعَادَةِ وَ مَا تُعْقِبُهُمُ الْأَطْعَمَةُ اللَّذِيذَةُ الصَّارَّةُ مِنَ الْأَدْوَاءِ وَالْأَسْقَامِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَدَبِ مِنَ الصَّلَاحِ وَفِي الْأَدْوِيَةِ مِنَ الْمَنْفَعَةِ وَإِنْ شَابَ ذَلِكَ بَعْضُ الْكَرَاهَةِ فَإِنْ قَالُوا وَلِمَ لَمْ يَكُنِ الْإِنْسَانُ مَعْصُومًا مِنَ الْمَسَاوِي حَتَّى لَا يَحْتَاجَ إِلَى أَنْ

ص: 138

- 1- يلذع بالذال المعجمة والعين المهملة: يوجع ويولم. وفي بعض النسخ يلذغ بالذال المهملة والغين المعجمة أى يلسع.
- 2- كذا في النسخ والظاهر: المانوية.
- 3- أى يبرق ويرحم له.

يَلْدَعُهُ بِهَذِهِ الْمَكَارِهِ قِيلَ إِذَا كَانَ يَكُونُ غَيْرَ مَحْمُودٍ عَلَى حَسَنَةِ بَأْتِيهَا وَلَا مُسْتَحِقًّا لِلثَّوَابِ عَلَيْهَا فَإِنْ قَالُوا وَمَا كَانَ يَضُرُّهُ أَنْ لَا يَكُونَ مَحْمُودًا عَلَى الْحَسَنَاتِ مُسْتَحِقًّا لِلثَّوَابِ بَعْدَ أَنْ يَصِيرَ إِلَى غَايَةِ النَّعِيمِ وَاللَّذَّةِ قِيلَ لَهُمْ اعْرَضُوا عَلَى امْرِئٍ صَحِيحِ الْجِسْمِ وَالْعَقْلِ أَنْ يَجْلِسَ مُنْعَمًا وَ يُكْفَى كُلَّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ بِلَا سَعْيٍ وَلَا اسْتِحْقَاقٍ فَانظُرُوا هَلْ تَقْبَلُ نَفْسُهُ ذَلِكَ بَلَّ سَتَجِدُونَهُ بِالْقَلِيلِ مِمَّا يَنَالُهُ بِالسَّعْيِ وَالْحَرَكَةِ أَشَدَّ اغْتِبَاطًا وَ سُرُورًا مِنْهُ بِالْكَثِيرِ مِمَّا يَنَالُهُ بِغَيْرِ الْإِسْتِحْقَاقِ وَ كَذَلِكَ نَعِيمِ الْآخِرَةِ أَيْضًا يَكْمُلُ لِأَهْلِهِ بَأَنْ يَنَالُوهُ بِالسَّعْيِ فِيهِ وَ الْإِسْتِحْقَاقِ لَهُ فَالْنَّعْمَةُ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي هَذَا الْبَابِ مُضَاعَفَةٌ بِأَنْ أُعِدَّ لَهُ الثَّوَابُ الْجَزِيلُ عَلَى سَعْيِهِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَ جُعِلَ لَهُ السَّبِيلُ إِلَى أَنْ يَنَالَ بِسَعْيِهِ وَ اسْتِحْقَاقٍ فَيَكْمُلُ لَهُ السُّرُورُ وَ الْإِغْتِبَاطُ بِمَا يَنَالُهُ مِنْهُ فَإِنْ قَالُوا أَوْ لَيْسَ قَدْ يَكُونُ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَرْكُنُ إِلَى مَا نَالَ مِنْ خَيْرٍ وَإِنْ كَانَ لَا يَسْتَحِقُّهُ فَمَا الْحُجَّةُ فِي مَنَعِ مَنْ رَضِيَ أَنْ يَنَالَ نَعِيمِ الْآخِرَةِ عَلَى هَذِهِ الْجُمْلَةِ (1) قِيلَ لَهُمْ إِنَّ هَذَا بَابٌ لَوْ صَحَّ لِلنَّاسِ لَخَرَجُوا إِلَى غَايَةِ الْكُلْبِ وَ الضَّرَاوَةِ عَلَى الْفَوَاحِشِ وَ انْتِهَاكِ الْمَحَارِمِ فَمَنْ كَانَ يَكْفُفُ نَفْسَهُ عَنْ فَاحِشَةٍ أَوْ يَتَحَمَّلُ الْمَسْتَقَّةَ فِي بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْبِرِّ لَوْ وَثِقَ بِأَنَّهُ صَائِرٌ إِلَى النَّعِيمِ لَا مَحَالَةَ أَوْ مَنْ كَانَ يَأْمَنُ عَلَى نَفْسِهِ وَ أَهْلِهِ وَ مَالِهِ مِنَ النَّاسِ لَوْ لَمْ يَخَافُوا الْحِسَابَ وَ الْعِقَابَ فَكَانَ ضَرُرُّ هَذَا الْبَابِ سَيِّئًا لِلنَّاسِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ فَيَكُونُ فِي ذَلِكَ تَعْطِيلُ الْعَدْلِ وَ الْحِكْمَةِ مَعًا وَ مَوْضِعٌ لِلظُّعْنِ عَلَى التَّدْبِيرِ بِخِلَافِ الصَّوَابِ وَ وَضَعُ الْأُمُورِ غَيْرَ مَوَاضِعِهَا وَ قَدْ يَتَعَلَّقُ هَؤُلَاءِ بِالْآفَاتِ الَّتِي تُصِيبُ النَّاسَ فَتَعْمُ الْبُرِّ وَ الْفَاجِرِ أَوْ يُبْتَلَى بِهَا الْبُرِّ وَ يَسْلَمُ الْفَاجِرُ مِنْهَا فَقَالُوا كَيْفَ يَجُوزُ هَذَا فِي تَدْبِيرِ الْحَكِيمِ وَ مَا الْحُجَّةُ فِيهِ فَيَقَالُ لَهُمْ إِنَّ هَذِهِ الْآفَاتِ وَ إِنْ كَانَتْ تَنَالُ الصَّالِحَ وَ الطَّالِحَ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ ذَلِكَ صَدَاحًا لِلصَّنْفَيْنِ كِلَيْهِمَا أَمَّا الصَّالِحُونَ فَإِنَّ الَّذِي يُصِيبُهُمْ مِنْ هَذَا يَرُدُّهُمْ (2) نَعَمَ رَبِّهِمْ عِنْدَهُمْ فِي سَالِفِ

ص: 139

1- وفي نسخة: على هذه الخلة.

2- كذا في النسخ و الظاهر: يذكرهم.

يَأْتِيهِمْ فَيَحْدُوهُمْ ذَلِكَ عَلَى الشُّكْرِ وَالصَّبْرِ وَأَمَّا الطَّالِحُونَ فَإِنَّ مِثْلَ هَذَا إِذَا نَالَهُمْ كَسْرٌ شَرَّتْهُمْ وَرَدَّعَهُمْ عَنِ الْمَعَاصِي وَالْفَوَاحِشِ وَكَذَلِكَ يَجْعَلُ لِمَنْ سَلِمَ مِنْهُمْ مِنَ الصَّنَفَيْنِ صِلَاحًا فِي ذَلِكَ أَمَّا الْأَبْرَارُ فَإِنَّهُمْ يَغْتَبُطُونَ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْبِرِّ وَالصَّلَاحِ وَيَزْدَادُونَ فِيهِ رَغْبَةً وَبَصِيرَةً وَأَمَّا الْفُجَّارُ فَإِنَّهُمْ يَعْرِفُونَ رَاقَةَ رَبِّهِمْ (1) وَتَطَوُّلَهُ عَلَيْهِمْ بِالسَّلَامَةِ مِنْ غَيْرِ اسْتِحْقَاقِهِمْ (2) فَيَحْضُهُمْ ذَلِكَ عَلَى الرَّاقَةِ بِالنَّاسِ وَالصَّفْحِ عَمَّنْ آسَاءَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّ قَائِلًا- يَقُولُ إِنَّ هَذِهِ الْآفَاتِ الَّتِي تُصِيبُ النَّاسَ فِي أَمْوَالِهِمْ فَمَا قَوْلُكَ فِيمَا يُبْتَلُونَ بِهِ فِي أَبْدَانِهِمْ فَيَكُونُ فِيهِ تَلْفُهُمْ كَمِثْلِ الْحَرْقِ وَالْغَرَقِ وَالسَّيْلِ وَالْخَسْفِ فَيَقَالُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ فِي هَذَا أَيْضًا صَدَاحًا لِلصَّنَفَيْنِ جَمِيعًا أَمَّا الْأَبْرَارُ فَلَمَّا لَهُمْ فِي مُفَارَقَةِ هَذِهِ الدُّنْيَا مِنَ الرَّاحَةِ مِنْ تَكَالِيفِهَا وَالنَّجَاةِ مِنْ مَكَارِهَيْهَا وَأَمَّا الْفُجَّارُ فَلَمَّا لَهُمْ فِي ذَلِكَ مِنْ تَمَحُّصِ أَوْزَارِهِمْ وَحَبْسِهِمْ عَنِ الْإِزْدِيَادِ مِنْهَا وَجُمْلَةُ الْقَوْلِ أَنَّ الْخَالِقَ تَعَالَى ذِكْرُهُ بِحِكْمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ قَدْ يَصْرِفُ هَذِهِ الْأُمُورَ كُلَّهَا إِلَى الْخَيْرَةِ وَالْمَنْفَعَةِ فَكَمَا أَنَّهُ إِذَا قَطَعَتِ الرِّيحُ شَجْرَةً أَوْ قَطَعَتْ نَخْلَةً أَخَذَهَا الصَّانِعُ الرَّفِيقُ وَاسْتَعْمَلَهَا فِي صَدْرٍ مِنَ الْمَنَافِعِ فَكَذَلِكَ يَفْعَلُ الْمُدَبِّرُ الْحَكِيمُ فِي الْآفَاتِ الَّتِي تَنْزِلُ بِالنَّاسِ فِي أَبْدَانِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ فَيَصَدِّيرُهَا جَمِيعًا إِلَى الْخَيْرَةِ وَالْمَنْفَعَةِ فَإِنَّ قَالٍ وَلَمْ يَحْدُثْ عَلَى النَّاسِ قِيلَ لَهُ لِكَيْلَا يَرْكُنُوا إِلَى الْمَعَاصِي مِنْ طُولِ السَّلَامَةِ فَيَبَالِغَ الْفَاجِرُ فِي رُكُوبِ الْمَعَاصِي وَيَقْتَرِ الصَّالِحُ عَنِ الْاجْتِهَادِ فِي الْبِرِّ فَإِنَّ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا يَغْلِبَانِ عَلَى النَّاسِ فِي حَالِ الْخَفْضِ (3) وَالدَّعَةِ (4) وَهَذِهِ الْحَوَادِثُ الَّتِي تَحْدُثُ عَلَيْهِمْ تَزِدُّهُمْ (5) وَتُبَيِّهُهُمْ عَلَى مَا فِيهِ رُشْدُهُمْ فَلَوْ أُخْلُوا مِنْهُمَا لَغَلَوُا فِي الطُّغْيَانِ وَالْمَعْصِيَةِ كَمَا عَلَى النَّاسِ فِي أَوَّلِ الزَّمَانِ حَتَّى وَجَبَ عَلَيْهِمْ الْبُورُ بِالطُّوفَانِ وَتَطْهِيرِ الْأَرْضِ مِنْهُمْ

ص: 140

1- وفي نسخة: فانهم يعرفون رحمة ربهم.

2- وفي نسخة: من غير استحقاق.

3- خفض العيش: سهل وكان هينًا.

4- الراحة وخفض العيش.

5- وفي نسخة: وهذه الحوادث التي تحدث عليهم تروعيهم.

وَمِمَّا يَنْتَبِهُهُ الْجَاهِدُونَ لِلْعَمَلِ وَالتَّقْدِيرِ الْمَوْتِ وَ الْفَنَاءِ فَإِنَّهُمْ يَدْهَبُونَ إِلَى أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ النَّاسُ مُخَلِّدِينَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مُبَرَّعِينَ مِنَ  
 الْآفَاتِ فَيَنْبَغِي أَنْ يُسَاقَ هَذَا الْأَمْرُ إِلَى غَايَتِهِ فَيَنْظَرُ مَا مَحْصُولُهُ أَفْرَأَيْتَ لَوْ كَانَ كُلُّ مَنْ دَخَلَ الْعَالَمَ وَيَدْخُلُهُ يَبْقُونَ وَلَا يَمُوتُ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَلَمْ  
 تَكُنِ الْأَرْضُ تَضِيقُ بِهِمْ حَتَّى تُعَوِّزَهُمُ الْمَسَاكِنَ وَالْمَزَارِعَ وَالْمَعَاشَ فَإِنَّهُمْ وَالْمَوْتَ يَمْنِيهِمْ أَوَّلًا أَوَّلًا يَتَنَافَسُونَ فِي الْمَسَاكِنِ وَالْمَزَارِعِ حَتَّى  
 يَنْشَبَ بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ الْحُرُوبُ وَيُسَفَكَ فِيهِمُ الدَّمَاءُ فَكَيْفَ كَانَتْ تَكُونُ حَالُهُمْ لَوْ كَانُوا يُوَلَّدُونَ وَلَا يَمُوتُونَ وَكَانَ يَغْلِبُ عَلَيْهِمُ الْحِرْصُ وَ  
 الشَّرُّ وَفَسَادُ الْقُلُوبِ فَلَوْ وَتَقُوا بِأَنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ لَمَا قَنِعَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ بِشَيْءٍ يَنَالُ وَلَا أَفْرَجَ لِأَحَدٍ عَنِ شَيْءٍ يَسْأَلُهُ وَلَا سَدَّ لَاعَنْ شَيْءٍ مِمَّا  
 يَحْدُثُ عَلَيْهِ ثُمَّ كَانُوا يَمَلُّونَ الْحَيَاةَ وَكُلَّ شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا كَمَا قَدْ يَمَلُّ الْحَيَاةَ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ حَتَّى يَتَمَمَّى الْمَوْتَ وَالرَّاحَةَ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنْ  
 قَالُوا إِنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُرْفَعَ عَنْهُمْ الْمَكَارَهُ وَالْأَوْصَابُ حَتَّى لَا يَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ وَلَا يَسْتَتَاقُوا إِلَيْهِ فَقَدْ وَصَفْنَا مَا كَانَ يُخْرِجُهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْعُتُوبِ وَ  
 الْأَشْرِ الْحَامِلِ لَهُمْ عَلَى مَا فِيهِ فسادُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَإِنْ قَالُوا إِنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ لَا يَتَوَالَدُوا كَيْلًا تَضِيقُ عَنْهُمْ الْمَسَاكِنُ وَالْمَعَاشَ قِيلَ لَهُمْ إِذَا  
 كَانَ يَحْرُمُ أَكْثَرُ هَذَا الْخَلْقِ دُخُولَ الْعَالَمِ وَالِاسْتِمْتَاعَ بِنِعْمِ اللَّهِ وَمَوَاهِبِهِ فِي الدَّارَيْنِ جَمِيعًا إِذَا لَمْ يَدْخُلِ الْعَالَمَ إِلَّا قَرْنٌ وَاحِدٌ لَا يَتَوَالَدُونَ وَ  
 لَا يَتَنَاسَلُونَ فَإِنْ قَالُوا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَخْلُقَ فِي ذَلِكَ الْقَرْنِ الْوَاحِدِ مِنَ النَّاسِ مِثْلَ مَا خَلَقَ وَيَخْلُقُ إِلَى انْقِضَاءِ الْعَالَمِ يَقَالُ لَهُمْ رَجَعَ الْأَمْرُ إِلَى  
 مَا ذَكَرْنَا مِنْ ضِيْقِ الْمَسَاكِنِ وَالْمَعَاشِ عَنْهُمْ ثُمَّ لَوْ كَانُوا لَا يَتَوَالَدُونَ وَلَا يَتَنَاسَلُونَ لَدَهَبَ مَوْضِعُ الْأَنْسِ بِالْقَرَابَاتِ وَذَوِي الْأَرْحَامِ وَالِانْتِصَارِ  
 بِهِمْ عِنْدَ السُّدَانِ وَمَوْضِعُ تَرْبِيَةِ الْأَوْلَادِ وَ الشَّرُّورِ بِهِمْ فَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ كُلَّ مَا تَذَهَبُ إِلَيْهِ الْأَوْهَامُ سِوَى مَا جَرَى بِهِ التَّدْبِيرُ خَطَأً وَسَفَاهَةً  
 مِنَ الرَّأْيِ وَالْقَوْلِ وَ لَعَلَّ طَاعِنًا يَطْعُنُ عَلَى التَّدْبِيرِ مِنْ جِهَةِ أُخْرَى فَيَقُولُ كَيْفَ يَكُونُ هَاهُنَا تَدْبِيرٌ وَ نَحْنُ نَرَى النَّاسَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مَنْ عَزَبَ  
 فَالْقَوِيُّ يَظْلِمُ وَيَغْصِبُ وَ الضَّعِيفُ يَظْلَمُ وَيَسْأَمُ الْخَسْفَ وَ الصَّالِحُ فَقِيرٌ مُبْتَلَى وَ الْفَاسِقُ مُعَافَى مُوسَّعٌ عَلَيْهِ وَ مَنْ رَكِبَ فَاحِشَةً أَوْ ائْتَهَكَ  
 مُحَرَّمًا لَمْ يَعْاجِلْ بِالْعُقُوبَةِ فَلَوْ كَانَ فِي الْعَالَمِ تَدْبِيرٌ لَجَرَتْ الْأُمُورُ عَلَى

القياس القائم فكان الصالح هو المرزوق والطالح هو المحروم وكان القوى يمنع من ظلم الضعيف والمتهتك للمحارم يعاجل بالعقوبة في جواب ذلك إن هذا لو كان هكذا لذهب موضع الإحسان الذي فضل به الإنسان على غيره من الخلق وحمل النفس على البر والعمل الصالح احتساباً للثواب وثقة بما وعد الله منه ولصار الناس بمنزلة الدواب التي تأس (1) بالعصا والعلف ويلمع لها بكل واحد منهما ساعة فساعة فتستقيم على ذلك ولم يكن أحد يعمل على يقين بثواب أو عقاب حتى كان هذا يخرجهم عن حد الإنسية إلى حد البهائم ثم لا يعرف ما غاب ولا يعمل إلا على الحاضر وكان يحدث من هذا أيضاً أن يكون الصالح إنما يعمل الصالحات للرزق والسعة في هذه الدنيا ويكون الممتنع من الظلم والفواحش إنما يعف عن ذلك لترقب عقوبة تنزل به من سماعته حتى يكون أفعال الناس كلها تجري على الحاضر لا يسوبها شيء من اليقين بما عند الله ولا يسه تحقون ثواب الآخرة والتعيم الدائم فيها مع أن هذه الأمور التي ذكرها الطاعن من الغنى والفقر والعافية والبلاء ليست بجارية على خلاف قياسه بل قد تجري على ذلك أحياناً والأمر المفهوم فقد ترى كثيراً من الصالحين يوزقون المال لضروب من التدبير وكيلا- يسبق إلى قلوب الناس أن الكفار هم المرزوقون والأبرار هم المحرومون فيوثرون [فيوثروا] الفسق على الصالح وترى كثيراً من الفساق يعاجلون بالعقوبة إذا تقام طغيانهم وعظم ضررهم على الناس وعلى أنفسهم كما عوجل فرعون بالغرق وبختصر بالتيه وبلبيس بالقتل وإن أمهل بعض الأشرار بالعقوبة وأخر بعض الأخيار بالثواب إلى الدار الآخرة لأسباب تخفى على العباد لم يكن هذا مما يبطل التدبير فإن مثل هذا قد يكون من ملوك الأرض ولا يبطل تدبيرهم بل يكون تأخيرهم ما أخروه أو تعجيلهم ما عجلوه داخلاً في صواب الرأي والتدبير وإذا كانت الشواهد تشهد هدى وقياسهم يوجب أن للأشياء خالفاً حكيماً قادراً فما يمنع أن يدبر خلقه فإنه لا يصح في قياسهم أن يكون الصانع يهمل صدقته إلا بإحدى ثلاث خلال إما عجز وإما جهل وإما شرارة وكل هذه محال في صنعته عز وجل

ص: 142

1- ساس الدواب أى قام عليها وراضها.

وَتَعَالَى ذِكْرُهُ وَذَلِكَ أَنَّ الْعَاجِزَ لَا يَسَّ تَطِيْعُ أَنْ يَأْتِيَ بِهِ ذِهِ الْخَلَائِقِ الْجَلِيلَةِ الْعَجِيبَةِ وَالْجَاهِلِ لَا يَهْتَدِي لِمَا فِيهَا مِنَ الصَّوَابِ وَالْحِكْمَةِ وَ الشَّرِيرِ لَا يَتَطَاوَلُ لِخَلْفِهَا وَإِنْ شَانِهَا وَإِذَا كَانَ هَذَا هَكَذَا وَجَبَ أَنْ يَكُونَ الْخَالِقُ لَهُ ذِهِ الْخَلَائِقِ يُدَبِّرُهَا لَا مَحَالَةَ وَإِنْ كَانَ لَا تُدْرِكُ كُنْهَ ذَلِكَ التَّدْبِيرِ وَمَخَارِجُهُ فَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ تَدْبِيرِ الْمُلُوكِ لَا تَقْتَهُمُ الْعَامَّةُ وَلَا تَعْرِفُ أَسَّ بَابِهِ لِأَنَّهَا لَا تَعْرِفُ دَخْلَةَ أَمْرِ الْمُلُوكِ وَأَسَّ رَأْسَهُمْ فَإِذَا عُرِفَ سَبَبُهُ وَجِدَ قَائِمًا عَلَى الصَّوَابِ وَالشَّاهِدُ الْمَحْنَةُ وَلَوْ شَكَّكَتَ فِي بَعْضِ الْأَدْوِيَةِ وَالْأَطْعِمَةِ فَيَبِينُ لَكَ مِنْ جِهَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ أَنَّهُ حَازٌ أَوْ بَارِدٌ أَلَمْ تَكُنْ سَتَقْضِي عَلَيْهِ بِذَلِكَ وَتَنْفِي الشَّكِّ فِيهِ عَنْ نَفْسِكَ فَمَا بَالُ هَذَا الْجَهْلَةِ لَا يَقْضُونَ عَلَى الْعَالَمِ بِالْخَالِقِ وَ التَّدْبِيرِ مَعَ هَذِهِ الشَّوَاهِدِ الْكَثِيرَةِ وَ أَكْثَرَ مِنْهَا مَا لَا يُحْصَى كَثْرَةً لَوْ كَانَ نَصْفُ الْعَالَمِ وَ مَا فِيهِ مُسْكِلاً صَوَابُهُ لَمَّا كَانَ مِنْ حَزْمِ الرَّأْيِ وَ سَمْتِ الْأَدَبِ أَنْ يَقْضَى عَلَى الْعَالَمِ بِالْإِهْمَالِ لِأَنَّهُ كَانَ فِي النَّصْفِ الْآخَرَ وَ مَا يَظْهَرُ فِيهِ مِنَ الصَّوَابِ وَ الْإِتْقَانِ مَا يَزِدُّعُ الْوَهْمَ عَنِ التَّسْرُّعِ إِلَى هَذِهِ الْقَضِيَّةِ فَكَيْفَ وَكُلُّ مَا كَانَ فِيهِ إِذَا فَتَّسَ وَجِدَ عَلَى غَايَةِ الصَّوَابِ حَتَّى لَا يَخْطُرُ بِالْبَالِ شَيْءٌ إِلَّا وَجِدَ مَا عَلَيْهِ الْخَلْقَةُ أَصَحَّ وَ أَصَوَّبَ مِنْهُ .

بيان: قوله عليه السلام: للاسم الأقدم لعل المراد بالاسم المسمى (1) أو المراد الاسم الذي أظهره وأثبتته في اللوح قبل سائر الأسماء أو المراد الاسم الذي يخص الذات فهو أسبق الأسماء في الاعتبار وأشرفها كما يظهر من الآثار قوله والغيب المحذور أى الممنوع عن غيره تعالى إلا من ارتضاه لذلك قوله بالعرض قال الفيروزآبادى :

عرض الشيء ظهر و العرض أن يموت الإنسان من غير علة و الاجتياح الاستيصال قوله عليه السلام: و يلذع يقال لذعته النار أى أحرقتة و لذعه بلسانه أى أوجعه بكلام

ص: 143

1- المراد بالاسم هو المسمى لكن لا- كما ذكره رحمه الله و أراد بالمسمى الذات بل كما تدلّ عليه الاخبار الآتية فى أبواب الأسماء الحسنى تحكى عن المصداق المناسب لها و نفس المصداق اسم للذات عزت أسماؤه و أن الأسماء الملفوظة فى الحقيقة أسماء الأسماء، لكنه رحمه الله عد هذه الأخبار من المتشابهات و لذلك تكلف فى أمثال هذه الموارد بما تكلف؛ و أمّا المعنيين الآخرا فواضح الفساد كيف و الامام عليه السلام يوصف هذا الاسم بقوله: ذى الجلال و الإكرام... بعد عطف قوله: و النور الأعظم عليه؛ فتأمل فيه، ط.

وفى بعض النسخ بإهمال الأول وإعجام الثانى من لدغ العقرب و يقال رثيت لفلان أى رقت له و الممضض محركة وجع المصيبة قوله عليه السلام: إذا كان يكون غير محمود يمكن أن يقرأ إذا بالتونين وبدونها و على الثانى يكون خبر كان محذوفا أى إذا كان الإنسان كذلك.

ثم اعلم أنه ينبغي أن تحمل العصمة المأخوذة فى السؤال على غير المعنى المشهور الذى سيأتى تحقيقه فى باب عصمة الأئمة عليهم السلام بل المراد العصمة بمعنى الإلجاء الذى لم يبق معه اختيار و لذا فرع عليه السلام عليه عدم استحقاق الثواب و إلا فالعصمة التى اتصفت بها الأنبياء و الأئمة عليهم السلام لا ينافى ذلك كما سنحققه فى مقامه إن شاء الله تعالى و يمكن أن يقال على تقدير أن يكون المراد هذا المعنى أيضا بأنه إذا صار هذا عاما فى جميع البشر لا يتأتى فى بعض المواد التى لا تستحق ذلك من نفوس الأشرار و الفجار إلا بالإلجاء الراجع للاستحقاق قوله عليه السلام: إلى غاية الكلب و الضراوة قال الجوهري :

دفعت عنك كلب فلان أى شره و أذاه و الكلب أيضا شبيه بالجنون و قال ضرى الكلب بالصيد ضراوة أى تعود أقول لما كان السؤال مبنيا على فرض العصمة ظاهرا فتصحیح هذا الجواب فى غاية الإشكال و خطر بالبال و جوه الأول أن لا يكون السؤال مبنيا على فرض العصمة بل يكون المراد أنه لما ذكرت أن العصمة تنافى الاستحقاق فنقول لم لم يبذل لهم الثواب على أى حال بأن يكلفهم العمل ليستحقوا الثواب إن أرادوا استحقاقه و إلا أعطاهم من غير استحقاق إذ كثير من الناس يطلبون النعيم بغير استحقاق فلا يكون عليهم فى الدنيا و الآخرة سخط على المخالفة و على هذا الجواب ظاهر الانطباق على السؤال كما لا يخفى.

الثانى أن يكون السؤال مبنيا على فرض العصمة فى بعضهم و هم الذين يطلبون الثواب و لا يريدون استحقاقه كما هو ظاهر السياق و يكون حاصل الجواب أنه لو كان المجهور على الخيرات مثابا فمقتضى العدل أن يكون غير المجهور الطالب للخير و الاستحقاق غير معاقب على حال و إلا لكان له الحجة على ربه بأنك لم تعصمنى كما عصمت غيرى و منعت عنى اللطف بالبلايا و الصوارف عن المعاصى فى الدنيا ثم تعذبنى على المعاصى

فعلى هذا فلو علم غير المعصومين ذلك لدعتهم الدواعى النفسانية إلى غاية الفساد و هذا وجه وجيه لكن يحتاج إلى طى بعض المقدمات.

الثالث أن يكون السؤال مبنيا على ذلك الفرض أيضا لكن يكون الجواب مبنيا على أنه قد يستلزم المحال نقيضه إذ الكلام فى هذا النوع من الخلق المسمى بالإنسان الذى اقتضت الحكمة أن يكون قد ركبت فيه أنواع الشهوات و الدواعى فلو فرضته على غير تلك الحالة لكان من قبيل فرض الشيء إنسانا و ملكا و هما لا يجتمعان فعلى هذا يلزمه أيضا لفرض كونه إنسانا أن يدعو عدم خوف العقاب و الفراغ إلى الأثر و البطر و أنواع المعاصى و حاصله يرجع إلى تغيير الجواب الأول إلى جواب آخر لا يرد عليه السؤال على غاية اللطف و الدقة.

و الردع الكف و المنع و قوله يعتبطون على البناء للفاعل من الاغتباط و هو حسن الحال بحيث يتمنى غيره حاله و الحض الحث و التحريض و تمحيص الأوزار تنقيصها أو إزالتها قوله عليه السلام: فإن قال و لم يحدث على الناس أقول لما كان آخر الكلام موهما لأن هذه الأمور بعد حدوثها يصيرها الله تعالى إلى الحكمة و الصلاح سأل ثانيا ما السبب فى أصل الحدوث حتى يحتاج إلى أن يجعله الله صلاحا و يحتمل أن يكون مراده أنا علمنا أن فى وجودها صلاحا فهل فى عدمها فساد و الجواب على التقديرين ظاهر و قال الفيروزآبادى: عوز الشيء كفرح لم يوجد و أعوزه الشيء احتاج إليه و الدهر أحوجه و قال تناشبو تضاموا و تعلق بعضهم ببعض و نشبه الأمر كلزم زنة و معنى و قال أفرجوا عن الطريق و القتل انكشفوا و عن المكان تركوه انتهى و المراد هنا عدم التخلية بين أحد و بين ما يريد قوله عليه السلام: و لا سلا عن شيء أى لا ينسى و يتسلى عن شيء من المصائب إذ بتذكر الموت تزول شدة المحن من قولهم سلا عن الشيء أى نسيه و قال الجوهري: بزه يزه بزا سلبه و فى المثل من عز بز أى من غلب أخذ السلب و قال سامه خسفا و خسفا بالضم أى أولاه ذلا- و قال الفيروزآبادى :

لمع بيده أشار و قال تفاقم الأمر عظم قوله عليه السلام: و بخت نصر بالتية أقول لعله إشارة إلى ما ذكره جماعة من المؤرخين أن ملكا من الملائكة لطم بخت نصر لطمه



و مسخه و صار فى الوحش فى صورة أسد و هو مع ذلك يعقل ما يفعله الإنسان ثم رده الله تعالى إلى صورة الإنسان و أعاد إليه ملكه فلما عاد إلى ملكه أراد قتل دانيال فقتله الله على يد واحد من غلمانه (1) و قيل فى سبب قتله أن الله أرسل عليه بعوضة فدخلت فى منخره و صعدت إلى رأسه فكان لا يقر و لا يسكن حتى يدق رأسه فمات من ذلك و بلبيس غير معروف عند المؤرخين و التطاول هنا مبالغة فى الطول بمعنى الفضل و الإحسان و دخلت الرجل مثلثة نيته و مذهبه و جمع أمره و بطانته قوله عليه السلام: و الشاهد المحنة أى بالشاهد يمكن امتحان الغائب.

وَ اعْلَمْ يَا مُفْضَلُ أَنَّ اسْمَ هَذَا الْعَالَمِ بِلِسَانِ الْيُونَانِيَّةِ الْجَارِي الْمَعْرُوفِ عِنْدَهُمْ قَوْسَمُوسُ (2) وَ تَفْسِيرُهُ الرَّيْبَةُ وَ كَذَلِكَ سَمَّيْتُهُ الْفَلَاسِفَةُ وَ مِنْ ادَّعَى الْحِكْمَةَ أَفْكَانُوا يَسْمُونَهُ بِهَذَا الْإِسْمِ إِلَّا لَمَّا رَأَوْا فِيهِ مِنَ التَّقْدِيرِ وَ النَّظَامِ فَلَمْ يَرْضَوْا أَنْ يُسَمَّوهُ تَقْدِيرًا وَ نِظَامًا حَتَّى سَمَّوهُ زِينَةً لِيُخْبِرُوا أَنَّهُ مَعَ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الصَّوَابِ وَ الْإِتْقَانِ عَلَى غَايَةِ الْحُسْنِ وَ الْبَهَاءِ أَعْجَبَ يَا مُفْضَلُ مِنْ قَوْمٍ لَا يَقْضُونَ صِنَاعَةَ الطَّبِّ بِالْخَطِإِ وَ هُمْ يَرُونَ الطَّيِّبَ يُخْطِئُ وَ يَقْضُونَ عَلَى الْعَالَمِ بِالْإِهْمَالِ وَ لَا يَرُونَ شَيْئًا مِنْهُ مُهْمَلًا بَلْ أَعْجَبَ مِنْ أَخْلَاقٍ مَنْ ادَّعَى الْحِكْمَةَ حَتَّى جَهَلُوا مَوَاضِعَهَا فِي الْخَلْقِ فَأَرْسَلُوا أَلْسِنَتَهُمْ بِالذَّمِّ لِلْخَالِقِ جَلًّا وَ عَلَا بَلِ الْعَجَبُ مِنَ الْمَخْذُولِ مَا نَبَى حِينَ ادَّعَى عِلْمَ الْأَسْرَارِ وَ عَمِيَ عَنْ دَلَائِلِ الْحِكْمَةِ فِي الْخَلْقِ حَتَّى نَسَبَهُ إِلَى الْخَطِإِ وَ نَسَبَ خَالِقَهُ إِلَى الْجَهْلِ تَبَارَكَ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ وَ أَعْجَبَ مِنْهُمْ جَمِيعًا الْمُعْطَلَةُ الَّذِينَ رَامُوا أَنْ يُدْرِكَ بِالْحِسِّ مَا لَا يُدْرِكُ بِالْعَقْلِ فَلَمَّا أَعْوَزَهُمْ (3) ذَلِكَ خَرَجُوا إِلَى الْجُحُودِ وَ التَّكْذِيبِ فَقَالُوا وَ لِمَ لَا يُدْرِكُ بِالْعَقْلِ قِيلَ لِأَنَّهُ فَوْقَ مَرْتَبَةِ الْعَقْلِ كَمَا لَا يُدْرِكُ الْبَصَرُ مَا هُوَ فَوْقَ مَرْتَبَتِهِ فَإِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ حَجْرًا يَرْتَفِعُ فِي الْهَوَاءِ عَلِمْتَ أَنَّ رَامِيًا رَمَى بِهِ فَلَيْسَ هَذَا الْعِلْمُ مِنْ قِبَلِ الْبَصَرِ بَلْ مِنْ قِبَلِ الْعَقْلِ لِأَنَّ الْعَقْلَ هُوَ الَّذِي يُمَيِّرُهُ فَيَعْلَمُ أَنَّ الْحَجَرَ لَا يَذْهَبُ عُلُوءًا مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ أَفَلَا تَرَى كَيْفَ وَقَفَ الْبَصَرُ

ص: 146

1- سنشير ان شاء الله إلى ما فى هذا النقل من الاختلاط و الوهن.

2- و فى نسخة: فرسموس.

3- أعوزه أى أعجزه و صعّب عليه نيّله.

عَلَى حَدِّهِ فَلَمْ يَتَجَاوِزْهُ فَكَذَلِكَ يَفِيفُ الْعَقْلُ عَلَى حَدِّهِ مِنْ مَعْرِفَةِ الْخَالِقِ فَلَا يَعُدُّهُ وَ لَكِنْ يَعْقِلُهُ بِعَقْلِ أَقْرَبَ أَنْ فِيهِ نَفْسًا وَ لَمْ يُعَايِنْهَا وَ لَمْ يُدْرِكْهَا بِحَاسَّةٍ مِنَ الْحَوَاسِّ وَ عَلَى حَسَبِ هَذَا أَيْضًا نَقُولُ إِنَّ الْعَقْلَ يَعْرِفُ الْخَالِقَ مِنْ جِهَةٍ تُوجِبُ عَلَيْهِ الْإِفْرَازَ وَ لَا يَعْرِفُهُ بِمَا يُوجِبُ لَهُ الْإِحَاطَةَ بِصِدْقِهِ فَإِنْ قَالُوا فَكَيْفَ يُكَلِّفُ الْعَبْدَ الضَّعِيفُ مَعْرِفَتَهُ بِالْعَقْلِ اللَّطِيفِ وَ لَا- يُحِيطُ بِهِ قِيلَ لَهُمْ إِنَّمَا كَلَّفَ الْعِبَادَ مِنْ ذَلِكَ مَا فِي طَاقَتِهِمْ أَنْ يَبْلُغُوهُ وَ هُوَ أَنْ يُوقِنُوا بِهِ وَ يَقْفُوا عِنْدَ أَمْرِهِ وَ نَهْيِهِ وَ لَمْ يُكَلِّفُوا الْإِحَاطَةَ بِصِدْقِهِ كَمَا أَنَّ الْمَلِكَ لَا يُكَلِّفُ رَعِيَّتَهُ أَنْ يَعْلَمُوا أَطْوِيلَ هُوَ أَمْ قَصِيرٌ أَيْضًا هُوَ أَمْ أَسْمَرٌ (1) وَ إِنَّمَا يُكَلِّفُهُمُ الْإِذْعَانَ بِسُلْطَانِهِ وَ الْإِنْتِهَاءَ إِلَى أَمْرِهِ أَلَا تَرَى أَنَّ رَجُلًا لَوْ أَتَى بَابَ الْمَلِكِ فَقَالَ اعْرِضْ عَلَيَّ نَفْسَكَ حَتَّى أَنْتَقِصَ مَعْرِفَتَكَ (2) وَ إِلَّا لَمْ أَسْمَعْ لَكَ كَانَ قَدْ أَحَلَّ نَفْسَهُ الْعُقُوبَةَ فَكَذَا الْقَائِلُ إِنَّهُ لَا يَقِرُّ بِالْخَالِقِ سُبْحَانَهُ حَتَّى يُحِيطَ بِكُنْهِهِ مُتَعَرِّضٌ لِسَخَطِهِ فَإِنْ قَالُوا أَوْ لَيْسَ قَدْ نَصَبْتَهُ فَنَقُولُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ الْجَوَادُ الْكَرِيمُ قِيلَ لَهُمْ كُلُّ هَذِهِ صِفَاتُ إِفْرَارٍ وَ لَيْسَتْ صِفَاتُ إِحَاطَةٍ فَإِنَّا نَعْلَمُ أَنَّهُ حَكِيمٌ وَ لَا نَعْلَمُ بِكُنْهِ ذَلِكَ مِنْهُ (3) وَ كَذَلِكَ قَدِيرٌ وَ جَوَادٌ وَ سَائِرُ صِفَاتِهِ كَمَا قَدْ نَرَى السَّمَاءَ وَ لَا نَدْرِي مَا جَوْهَرُهَا وَ نَرَى الْبَحْرَ وَ لَا نَدْرِي أَيْنَ مُنْتَهَاهُ بَلْ فَوْقَ هَذَا الْمِثَالِ بِمَا لَا نِهَيَّةَ لَهُ لِأَنَّ الْأَمْثَالَ كُلَّهَا تَقْصُرُ عَنْهُ وَ لَكِنَّهَا تَقُودُ الْعَقْلَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ فَإِنْ قَالُوا وَ لِمَ يُخْتَلَفُ فِيهِ قِيلَ لَهُمْ لِقَصْرِ الْأَوْهَامِ عَنْ مَدَى عَظَمَتِهِ (4) وَ تَعَدُّبِهَا أَقْدَارَهَا فِي طَلَبِ مَعْرِفَتِهِ وَ أَنَّهَا تَرُومُ الْإِحَاطَةَ بِهِ وَ هِيَ تَعْجِزُ عَنْ ذَلِكَ وَ مَا دُونَهُ فَمِنْ ذَلِكَ هَذِهِ الشُّمُوسُ الَّتِي تَرَاهَا تَطْلُعُ عَلَى الْعَالَمِ وَ لَا يُوقَفُ عَلَى حَقِيقَةِ أَمْرِهَا وَ لِذَلِكَ كَثُرَتِ الْأَقَاوِيلُ فِيهَا وَ اخْتَلَفَتِ الْفَلَاسِفَةُ الْمَذْكُورُونَ فِي وَصْفِهَا فَقَالَ بَعْضُهُمْ هُوَ فَلَكَ أَجُوفٌ مَمْلُوءٌ نَارًا لَهُ فَمَنْ يَجِيشُ بِهَذَا الْوَهْجِ وَ الشُّعَاعِ وَ قَالَ آخَرُونَ هُوَ سَحَابَةٌ وَ قَالَ آخَرُونَ هُوَ جِسْمٌ رُجَاجِيٌّ يَقْبَلُ نَارِيَّةً فِي الْعَالَمِ وَ يُرْسِلُ عَلَيْهِ شُعَاعَهَا وَ قَالَ آخَرُونَ هُوَ صَفْوٌ

ص: 147

- 1- السمرة: لون بين السواد والبياض.
- 2- تقصى واستقصى المسألة: بلغ النهاية فى البحث عنها.
- 3- وفى نسخة: و لا نحيط بكنه ذلك منه.
- 4- المدى: الغاية و المنتهى.

لَطِيفٌ يَنْعَقِدُ مِنْ مَّاءِ الْبَحْرِ وَقَالَ آخِرُونَ هُوَ أَجْزَاءُ كَثِيرَةٌ مُجْتَمِعَةٌ مِنَ النَّارِ وَقَالَ آخِرُونَ هُوَ مِنْ جَوْهَرٍ خَامِسٍ سِوَى الْجَوَاهِرِ الْأَرْبَعِ ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِي سَدِّ كُلِّهَا فَقَالَ بَعْضُهُمْ هِيَ بِمَنْزِلَةِ صَفِيحَةٍ عَرِيضَةٍ وَقَالَ آخِرُونَ هِيَ كَالْكُرَةِ الْمُدْحَرَجَةِ وَكَذَلِكَ اخْتَلَفُوا فِي مِقْدَارِهَا فَرَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّهَا مِثْلُ الْأَرْضِ سِوَاءٍ وَقَالَ آخِرُونَ بَلْ هِيَ أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ آخِرُونَ هِيَ أَعْظَمُ مِنَ الْجَزِيرَةِ الْعَظِيمَةِ وَقَالَ أَصْحَابُ الْهَنْدَسَةِ هِيَ أَصَدُّ عَافِ الْأَرْضِ مَادَّةً وَسَدُّعُونَ مَرَّةً فَفِي اخْتِلَافٍ هَذِهِ الْأَقْوَابِلِ مِنْهُمْ فِي الشَّمْسِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَفْقَهُوا عَلَى الْحَقِيقَةِ مِنْ أَمْرِهَا وَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الشَّمْسُ الَّتِي يَقَعُ عَلَيْهَا الْبَصَرُ وَيُدْرِكُهَا الْجِسُّ قَدْ عَجَزَتِ الْعُقُولُ عَنِ الْوُقُوفِ عَلَى حَقِيقَتِهَا فَكَيْفَ مَا لَطَفَ عَنِ الْجِسِّ وَاسْتَرَّ عَنِ الْوَهْمِ فَإِنْ قَالُوا وَلِمَ اسْتَرَّ قِيلَ لَهُمْ لَمْ يَسْتَرَّ بِحِيلَةٍ يَخْلُصُ إِلَيْهَا كَمَنْ يَحْتَجِبُ عَنِ النَّاسِ بِالْأَبْوَابِ وَالسُّتُورِ وَإِنَّمَا مَعْنَى قَوْلِنَا اسْتَرَّ أَنَّهُ لَطَفَ عَنِ مَدَى مَا تَبَلَّغَهُ الْأَوْهَامُ كَمَا لَطَفَتِ النَّفْسُ وَهِيَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِهِ وَازْتَفَعَتْ عَنِ إِدْرَاكِهَا بِالنَّظَرِ فَإِنْ قَالُوا وَلِمَ لَطَفَ وَتَعَالَى عَنِ ذَلِكَ عَلَواً كَبِيراً كَانَ ذَلِكَ خَطأً مِنَ الْقَوْلِ لِأَنَّهُ لَا يَلِيقُ بِالَّذِي هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُبَايَناً لِكُلِّ شَيْءٍ مُتَعَالِياً عَنِ كُلِّ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَإِنْ قَالُوا كَيْفَ يُعْقَلُ أَنْ يَكُونَ مُبَايَناً لِكُلِّ شَيْءٍ مُتَعَالِياً قِيلَ لَهُمُ الْحَقُّ الَّذِي تُطَلَّبُ مَعْرِفَتُهُ مِنَ الْأَشْيَاءِ هُوَ الْأَرْبَعَةُ أَوْجُهُ فَأَوَّلُهَا أَنْ يُنْظَرَ أَوْ مَوْجُودٌ هُوَ أَمْ لَيْسَ بِمَوْجُودٍ وَالثَّانِي أَنْ يُعْرَفَ مَا هُوَ فِي ذَاتِهِ وَجَوْهَرِهِ وَالثَّالِثُ أَنْ يُعْرَفَ كَيْفَ هُوَ وَمَا صِفَتُهُ وَالرَّابِعُ أَنْ يُعْلَمَ لِمَاذَا هُوَ وَلِأَيِّ عِلَّةٍ فَلَيْسَ مِنْ هَذِهِ الْوُجُوهِ شَيْءٌ يُمْكِنُ الْمَخْلُوقُ أَنْ يَعْرِفَهُ مِنَ الْخَالِقِ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ غَيْرَ أَنَّهُ مَوْجُودٌ فَقَطُّ فَإِذَا قُلْنَا كَيْفَ وَ مَا هُوَ فَمُمْتَنِعٌ عِلْمٌ كُنْهٍ وَ كَمَالُ الْمَعْرِفَةِ بِهِ وَ أَمَّا لِمَاذَا هُوَ فَسَاقِطٌ فِي صِفَةِ الْخَالِقِ لِأَنَّهُ جَلَّ تَنَاوُهُ عِلَّةً كُلِّ شَيْءٍ وَ لَيْسَ شَيْءٌ بِعِلَّةٍ لَهُ ثُمَّ لَيْسَ عِلْمُ الْإِنْسَانِ بِأَنَّهُ مَوْجُودٌ يُوجِبُ لَهُ أَنْ يَعْلَمَ مَا هُوَ كَمَا أَنَّ عِلْمَهُ بِوُجُودِ النَّفْسِ لَا يُوجِبُ أَنْ يَعْلَمَ مَا هِيَ وَ كَيْفَ هِيَ وَ كَذَلِكَ الْأُمُورُ الرُّوحَانِيَّةُ اللَّطِيفَةُ

فَإِنْ قَالُوا فَانْتُمْ الْآيْنَ نَصِيْفُونَ مِنْ قُصُورِ الْعِلْمِ عَنْهُ وَصِفَاءً حَتَّى كَانَتْهُ غَيْرُ مَعْلُومٍ قِيلَ لَهُمْ هُوَ كَذَلِكَ مِنْ جِهَةٍ إِذَا رَامَ الْعَقْلُ مَعْرِفَةَ كُنْهِهِ وَ الْإِحَاطَةَ بِهِ وَ هُوَ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى أَقْرَبُ مِنْ كُلِّ قَرِيبٍ إِذَا اسْتَدَلَّ عَلَيْهِ بِالذَّلَائِلِ الشَّافِيَةِ فَهُوَ مِنْ جِهَةٍ كَالْوَاضِحِ لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ وَ هُوَ مِنْ جِهَةٍ كَالْغَامِضِ لَا يُدْرِكُهُ أَحَدٌ وَ كَذَلِكَ الْعَقْلُ أَيْضًا ظَاهِرٌ بِشَوَاهِدٍ وَ مَسْتُورٌ بِذَاتِهِ فَأَمَّا أَصْحَابُ الطَّبَائِعِ فَقَالُوا إِنَّ الطَّبِيعَةَ لَا تَفْعَلُ شَيْئًا لِغَيْرِ مَعْنَى وَ لَا تَتَجَاوَزُ عَمَّا فِيهِ تَمَامُ الشَّيْءِ فِي طَبِيعَتِهِ وَ زَعَمُوا أَنَّ الْحِكْمَةَ تَشْهَدُ بِذَلِكَ (1) فَقِيلَ لَهُمْ فَمَنْ أَعْطَى الطَّبِيعَةَ هَذِهِ الْحِكْمَةَ وَ الْوُقُوفَ عَلَى حُدُودِ الْأَشْيَاءِ بِلاَ مُجَاوِزَةٍ لَهَا وَ هَذَا قَدْ تَعَجَّزُ عَنْهُ الْعُقُولُ بَعْدَ طُولِ التَّجَارِبِ فَإِنْ أَوْجَبُوا لِلطَّبِيعَةِ الْحِكْمَةَ وَ الْقُدْرَةَ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْأَفْعَالِ فَقَدْ أَقْرَأُوا بِمَا أَنْكَرُوا لِأَنَّ هَذِهِ هِيَ صِفَاتُ الْخَالِقِ وَ إِنْ أَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ هَذَا لِلطَّبِيعَةِ فَهَذَا وَجْهُ الْخَلْقِ يَهْتَفُ بِأَنَّ الْفِعْلَ لِخَالِقِ [لِلْخَالِقِ] الْحَكِيمِ وَ قَدْ كَانَ مِنَ الْقَدَمَاءِ طَائِفَةٌ أَنْكَرُوا الْعَمْدَ وَ التَّدْبِيرَ فِي الْأَشْيَاءِ وَ زَعَمُوا أَنَّ كَوْنَهَا بِالْعَرَضِ وَ الْإِتْفَاقِ وَ كَانَ مِمَّا احْتَجَّجُوا بِهِ هَذِهِ الْآفَاتُ الَّتِي تَلِدُ [تَكُونُ عَلَى] غَيْرِ مَجْرَى الْعُرْفِ وَ الْعَادَةِ كَالْإِنْسَانِ يُؤَلِّدُ نَاقِصًا أَوْ زَائِدًا إِصْبَعًا أَوْ يَكُونُ الْمَوْلُودُ مُشَوَّهًا (2) مُبَدَّلَ الْخَلْقِ فَجَعَلُوا هَذَا دَلِيلًا عَلَى أَنَّ كَوْنَ الْأَشْيَاءِ لَيْسَ بِعَمْدٍ وَ تَقْدِيرٍ بَلْ بِالْعَرَضِ كَيْفَ مَا اتَّفَقَ أَنْ يَكُونَ وَ قَدْ كَانَ أَرَسَ طَاطَالِيْسُ رَدَّ عَلَيْهِمْ فَقَالَ إِنَّ الَّذِي يَكُونُ بِالْعَرَضِ وَ الْإِتْفَاقِ إِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ يَأْتِي فِي الْفُرْطِ مَرَّةً لِأَعْرَاضٍ تَعْرِضُ لِلطَّبِيعَةِ فَتَرِي يُلْهَى عَنْ سَبِيلِهَا وَ لَيْسَ بِمَنْزِلَةِ الْأُمُورِ الطَّبِيعِيَّةِ الْجَارِيَةِ عَلَى سُكُلٍ وَاحِدٍ جَزِيًّا دَائِمًا مُتَتَابِعًا وَ أَنْتَ يَا مَفْضَلُ تَرَى أَصْنَافَ الْحَيَوَانَ أَنْ يَجْرِي أَكْثَرَ ذَلِكَ عَلَى مِثَالٍ وَ مِنْهَاجٍ وَاحِدٍ كَالْإِنْسَانِ يُؤَلِّدُ وَ لَهُ يَدَانِ وَ رِجْلَانِ وَ خَمْسُ أَصَابِعٍ كَمَا عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ مِنَ النَّاسِ فَأَمَّا مَا يُؤَلِّدُ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لِعِلَّةٍ تَكُونُ فِي الرَّحِمِ أَوْ فِي الْمَادَّةِ الَّتِي يَنْشَأُ مِنْهَا الْجَنِينُ كَمَا يَعْرِضُ فِي الصَّنَاعَاتِ حِينَ يَتَعَمَّدُ الصَّانِعُ الصَّوَابَ فِي صَنْعَتِهِ فَيَعْوِقُ دُونَ ذَلِكَ (3)

ص: 149

1- وفي نسخة: وزعموا أن المحنة تشهد بذلك.

2- أي مقبحا.

3- عاقه يعوقه عن كذا: صرفه و ثبطه و أخره عنه. و العائق: كل ما عاقك و شغلك.

عَائِقُ فِي الْأَدَاةِ أَوْ فِي الْأَلْمَةِ الَّتِي يَعْمَلُ فِيهَا الشَّيْءَ فَقَدْ يَحْدُثُ مِثْلُ ذَلِكَ فِي أَوْلَادِ الْحَيَوَانِ لِلْأَسَةِ بَابِ الَّتِي وَصَفْنَا فَيَأْتِي الْوَلَدُ زَائِدًا أَوْ نَاقِصًا أَوْ مُسَوَّهَاً وَيَسْلَمُ أَكْثَرُهَا فَيَأْتِي سَوِيًّا لَا عِلَّةَ فِيهِ فَكَمَا أَنَّ الَّذِي يَحْدُثُ فِي بَعْضِ الْأَعْمَالِ الْأَعْرَاضَ (1) لِعِلَّةٍ فِيهِ لَا تَوْجِبُ عَلَيْهَا جَمِيعًا الْإِهْمَالَ وَعَدَمَ الصَّنَاعِ كَذَلِكَ مَا يَحْدُثُ عَلَى بَعْضِ الْأَفْعَالِ الطَّبِيعِيَّةِ لِعَائِقٍ يَدْخُلُ عَلَيْهَا لَا يَوْجِبُ أَنْ يَكُونَ جَمِيعُهَا بِالْعَرَضِ وَالِاتِّفَاقِ فَقَوْلُ مَنْ قَالَ فِي الْأَشْيَاءِ إِنَّ كَوْنَهَا بِالْعَرَضِ وَالِاتِّفَاقِ مِنْ قِبَلِ أَنْ شَيْئًا مِنْهَا يَأْتِي عَلَى خِلَافِ الطَّبِيعَةِ [بِعَرَضٍ] يَعْرِضُ لَهُ خَطَأً وَخَطْلٌ فَإِنْ قَالُوا وَ لِمَ صَارَ مِثْلُ هَذَا يَحْدُثُ فِي الْأَشْيَاءِ قِيلَ لَهُمْ لِيُعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ كَوْنُ الْأَشْيَاءِ بِاصْطِرَافٍ مِنَ الطَّبِيعَةِ وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ سِوَاهُ كَمَا قَالَ قَائِلُونَ [الْقَائِلُونَ] بَلْ هُوَ تَقْدِيرٌ وَعَمْدٌ مِنْ خَالِقٍ حَكِيمٍ إِذْ جَعَلَ الطَّبِيعَةَ تَجْرِي أَكْثَرَ ذَلِكَ عَلَى مَجْرَى وَمِنْهَاجٍ مَعْرُوفٍ وَيَزُولُ أَحْيَانًا عَنْ ذَلِكَ لِأَعْرَاضٍ تَعْرِضُ لَهَا فَيَسَدُّ تَدَلُّ بِذَلِكَ عَلَى أَنَّهَا مُصَدَّرَةٌ مُدَبَّرَةٌ فَتَقِيرُ إِلَى إِبْدَاءِ الْخَالِقِ وَقُدْرَتِهِ فِي بُلُوغِ غَايَتِهَا وَإِنَّمَا عَمَلُهَا فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ يَا مُفْضَلُ خُذْ مَا آتَيْتُكَ وَ احْفَظْ مَا مَنَحْتُكَ وَ كُنْ لِرَبِّكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ وَ لِأَوْلِيَائِهِ مِنَ الْحَامِدِينَ وَ لِأَوْلِيَائِهِ مِنَ الْمُطِيعِينَ فَقَدْ شَرَحْتُ لَكَ مِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَى الْخَلْقِ وَ الشَّوَاهِدِ عَلَى صَوَابِ التَّدْبِيرِ وَ الْعَمْدِ قَلِيلًا مِنْ كَثِيرٍ وَ جُزْءًا مِنْ كُلِّ قَدْبَرَةٍ وَ فِكْرٍ فِيهِ وَ اعْتَبِرْ بِهِ فَقُلْتُ بِمَعُونَتِكَ يَا مَوْلَايَ أَقْوَى عَلَى ذَلِكَ وَ أَبْلَغُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِي فَقَالَ احْفَظْ بِمَشِيَّةِ اللَّهِ وَ لَا تَنْسَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَخَرَزْتُ مَعْشِيَةً يَا عَلِيُّ فَلَمَّا أَفْقَتُ قَالَ كَيْفَ تَرَى نَفْسَكَ يَا مُفْضَلُ فَقُلْتُ قَدْ اسْتَعْنَيْتُ بِمَعُونَةِ مَوْلَايَ وَ تَأْيِيدِهِ عَنِ الْكِتَابِ الَّذِي كَتَبْتَهُ وَ صَارَ ذَلِكَ بَيْنَ يَدَيَّ كَأَنَّمَا أَقْرُوهُ مِنْ كَفِّي وَ لِمَوْلَايَ الْحَمْدُ وَ الشُّكْرُ كَمَا هُوَ أَهْلُهُ وَ مَسْتَحَقُّهُ فَقَالَ يَا مُفْضَلُ فَرَّغَ قَلْبُكَ وَ اجْمَعْ إِلَيْكَ ذَهْنَكَ وَ عَقْلَكَ وَ طُمَأْنِئْتَكَ فَسَأَلَنِي إِلَيْكَ مِنْ عِلْمِ مَلَكَوَتِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا خَلَقَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا وَ فِيهِمَا مِنْ عَجَائِبِ خَلْقِهِ وَ أَصْدَانِ الْمَلَائِكَةِ وَ صُفُوفِهِمْ وَ مَقَامَاتِهِمْ وَ مَرَاتِبِهِمْ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَ سَائِرِ الْخَلْقِ مِنْ

الْحِجْنَ وَالْإِنْسِ إِلَى الْأَرْضِ السَّابِعَةِ السُّفْلَى وَ مَا تَحْتَ الثَّرَى حَتَّى يَكُونَ مَا وَعَيْتَهُ جُزْءاً مِنْ أَجْزَاءِ أَنْصَرِفَ إِذَا شِئْتُ مُصَاحِباً مَكْلُوءاً (1) فَأَنْتَ  
مِنَّا بِالْمَكَانِ الرَّفِيعِ وَ مَوْضِعِ عُنُقٍ مِنْ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ مَوْضِعِ الْمَاءِ مِنَ الصَّدَى وَ لَا تَسْأَلَنَّ عَمَّا وَعَدْتُكَ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا قَالَ الْمُفْضَلُ  
فَأَنْصَرَفْتُ مِنْ عِنْدِ مَوْلَايَ بِمَا لَمْ يَنْصَرِفْ أَحَدٌ بِمِثْلِهِ.

بيان: جاش البحر و القدر و غيرهما يجيش جيشاً غلا قوله عليه السلام: قال أصحاب الهندسة أقول المشهور بين متأخريهم أن جرم الشمس  
مائة و ستة و ستون مثلاً و ربع و ثمن لجرم الأرض و ما ذكره عليه السلام لعله كان مذهب قدمائهم مع أنه قريب من المشهور و الاختلاف  
بين قدمائهم و متأخريهم فى أمثال ذلك كثير قوله عليه السلام: الحق الذى أى الأمور الحقة الثابتة التى تطلب معرفتها من بين الأشياء و فى  
بعض النسخ لحق أى ما يحق و ينبغى أن تطلب معرفته من أحوال الأشياء هو أربعة أوجه و قال الجوهرى قولهم لقبته فى الفرط بعد الفرط  
إى الحين بعد الحين و الصدى بالفتح العطش.

ثم اعلم أن بعض تلك الفقرات تومئ إلى تجرد النفس و الله يعلم و حججه صلوات الله عليهم أجمعين (2).

ص: 151

1- أى محفوظاً.

2- بل الى وجود أمور اخرى غير النفس مجردة كما يشعر به قوله: و كذلك الأمور الروحانية اللطيفة و منه يظهر أن وصف شىء بأنه روحانى  
أو لطيف فى الاخبار يشعر بتجرده. ط.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ النَّحْوِيُّ بِدِمَشْقَ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُسْهِرٍ (1) بِالرَّمْلَةِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: كَتَبَ الْمُفَضَّلُ بْنُ عُمَرَ الْجُعْفِيُّ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يُعَلِّمُهُ أَنَّ أَقْوَامًا ظَهَرُوا مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْمِلَّةِ يَجْحَدُونَ الرُّبُوبِيَّةَ وَيُجَادِلُونَ عَلَى ذَلِكَ وَ يَسْأَلُهُ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ قَوْلَهُمْ وَيَحْتَجَّ عَلَيْهِمْ فِيمَا ادَّعَوْا بِحَسَبِ مَا احْتَجَّ بِهِ عَلَى غَيْرِهِمْ فَكَتَبَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَمَّا بَعْدُ وَقَدْ نَزَّ اللَّهُ وَإِيَّاكَ لِبَطَاعَتِهِ وَأَوْجَبَ لَنَا بِذَلِكَ رِضْوَانَهُ بِرَحْمَتِهِ وَصَلَّ كِتَابُكَ تَذَكُّرًا فِيهِ مَا ظَهَرَ فِي مِلَّتِنَا وَذَلِكَ مِنْ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْإِلْحَادِ بِالرُّبُوبِيَّةِ قَدْ كَثُرَتْ عِدَّتُهُمْ وَاسْتَدَّتْ خُصُومَتُهُمْ وَتَسَالَى أَنْ أَصْنَعَ لِلرَّدِّ عَلَيْهِمْ وَالتَّقْضِ لِمَا فِي أَيْدِيهِمْ كِتَابًا عَلَى نَحْوِ مَا رَدَدْتُ عَلَى غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ وَالاخْتِلَافِ وَنَحْنُ نَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى النِّعَمِ السَّابِغَةِ وَالْحُجَجِ الْبَالِغَةِ وَالْبَلَاءِ الْمَحْمُودِ عِنْدَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ فَكَانَ مِنْ نِعَمِهِ الْعِظَامِ وَالْآيَةِ الْجِسَامِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا تَقْرِيرُهُ قُلُوبَهُمْ بِرُبُوبِيَّتِهِ وَأَخَذَهُ مِيثَاقَهُمْ بِمَعْرِفَتِهِ وَإِنزَالُهُ عَلَيْهِمْ كِتَابًا فِيهِ شَهَادَةٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ مِنْ أَمْرَاضِ الْخَوَاطِرِ وَمُسْتَبْهَاتِ الْأُمُورِ وَلَمْ يَدْعُ لَهُمْ وَلَا لَشَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ حَاجَةً إِلَى مَنْ سِوَاهُ وَاسْتَغْنَى عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا وَلَعَمْرِي مَا أَتَى الْجُهَالُ مِنْ قِبَلِ رَبِّهِمْ وَإِنَّهُمْ لَيَرَوْنَ الدَّلَالَاتِ الْوَاضِحَاتِ وَالْعَلَامَاتِ الْبَيِّنَاتِ فِي خَلْقِهِمْ وَمَا يُعَايِنُونَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالصُّنْعِ الْعَجِيبِ الْمُتَّقِنِ الدَّالِّ عَلَى الصَّانِعِ وَكَانَتْ قَوْمٌ فَتَحُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَبْوَابَ الْمَعَاصِي وَسَهَّلُوا لَهَا سَبِيلَ الشَّهَوَاتِ فَغَلَبَتِ الْأَهْوَاءُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاسْتَحْوَذَ الشَّيْطَانُ بِظُلْمِهِمْ عَلَيْهِمْ وَكَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ وَالْعَجَبُ مِنْ مَخْلُوقٍ يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ يَخْفَى عَلَى عِبَادِهِ وَهُوَ يَرَى أَثَرَ الصُّنْعِ فِي نَفْسِهِ بِتَرْكِيهِ يَبْهَرُ عَقْلَهُ وَتَأْلِيفِهِ يُبْطِلُ حُجَّتَهُ (2)

1- وفى نسخة: محمد بن أبي مشتهر.

2- وفى نسخة: وتأليف يبطل جحوده.

وَلَعَمْرِي لَوْ تَفَكَّرُوا فِي هَذِهِ الْأُمُورِ الْعِظَامِ لَعَايَنُوا مِنْ أَمْرِ التَّرْكِيبِ الْبَيِّنِ وَ لُطْفِ التَّنْذِيرِ الظَّاهِرِ وَ وُجُودِ الْأَشْيَاءِ مَحْلُوقَةٍ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ ثُمَّ تَحَوَّلَهَا مِنْ طَبِيعَةٍ إِلَى طَبِيعَةٍ وَ صَدَّ نَبِيعَةٍ بَعْدَ صَنِيعَةٍ مَا يَدُلُّهُمْ ذَلِكَ عَلَى الصَّانِعِ فَإِنَّهُ لَا يَخْلُو شَيْءٌ مِنْهَا مِنْ أَنْ يَكُونَ فِيهِ أَثَرُ تَنْذِيرٍ وَ تَرْكِيبٍ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لَهُ خَالِقًا مَدْبِرًا وَ تَأْلِيفٌ بِتَنْذِيرٍ يَهْدِي إِلَى وَاحِدٍ حَكِيمٍ وَ قَدْ وَفَّانِي كِتَابُكَ وَ رَسَمْتُ لَكَ كِتَابًا كُنْتُ نَارَعْتُ فِيهِ بَعْضَ أَهْلِ الْأَذْيَانِ مِنْ أَهْلِ الْإِنْكَارِ وَ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَحْضُرُنِي طَيْبٌ مِنْ بِلَادِ الْهِنْدِ وَ كَانَ لَا يَزَالُ يُنَازِعُنِي فِي رَأْيِهِ وَ يُجَادِلُنِي عَلَى ضَلَالَتِهِ فَبَيْنَا هُوَ يَوْمًا يَدُقُّ إِهْلِيلِجَةً لِيَخْلِطَهَا دَوَاءً أَحْتَجُّتُ (1) إِلَيْهِ مِنْ أَدْوِيَّتِهِ إِذْ عَرَضَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِهِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ يُنَازِعُنِي فِيهِ مِنْ ادِّعَائِهِ أَنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَزَلْ وَ لَا تَزَالُ شَجَرَةً تَنْبُتُ وَ أُخْرَى تَسْقُطُ نَفْسٌ تُؤَلَّدُ وَ أُخْرَى تَتَلَفُ وَ زَعَمَ أَنَّ انْتِحَالِي الْمَعْرِفَةَ لِلَّهِ تَعَالَى دَعْوَى لَا بَيِّنَةَ لِي عَلَيْهَا وَ لَا حُجَّةَ لِي فِيهَا وَ أَنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ أَخَذَهُ الْآخِرُ عَنِ الْأَوَّلِ وَ الْأَصَدُّ عَنِ الْأَكْبَرِ وَ أَنَّ الْأَشْيَاءَ الْمُخْتَلِفَةَ وَ الْمُؤْتَلِفَةَ وَ الْبَاطِنَةَ وَ الظَّاهِرَةَ إِنَّمَا تُعْرَفُ بِالْحَوَاسِّ الْحَمْسِ نَظَرِ الْعَيْنِ وَ سَمْعِ الْأُذُنِ وَ شَمِّ الْأَنْفِ وَ ذَوْقِ الْفَمِ وَ لَمْسِ الْجَوَارِحِ ثُمَّ قَادَ (2) مَنْطِقَهُ عَلَى الْأَصْلِ الَّذِي وَضَعَهُ فَقَالَ لَمْ يَقَعْ شَيْءٌ مِنْ حَوَاسِّي عَلَى خَالِقٍ يُؤَدِّي إِلَى قَلْبِي إِتْكَارًا لِلَّهِ تَعَالَى ثُمَّ قَالَ أَخْبِرْنِي بِمِ تَحْتَجُّ فِي مَعْرِفَةِ رَبِّكَ الَّذِي تَصِفُ قُدْرَتَهُ وَ رُبُوبِيَّتَهُ وَ إِنَّمَا يَعْرِفُ الْقَلْبُ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا بِالذَّلَالَاتِ الْحَمْسِ الَّتِي وَصَفْتُ لَكَ قُلْتُ بِالْعَقْلِ الَّذِي فِي قَلْبِي وَ الدَّلِيلِ الَّذِي أَحْتَجُّ بِهِ فِي مَعْرِفَتِهِ قَالَ فَأَنَّى يَكُونُ مَا تَقُولُ وَ أَنْتَ تَعْرِفُ أَنَّ الْقَلْبَ لَا يَعْرِفُ شَيْئًا بَعْدَ الْغَوَاسِّ الْحَمْسِ فَهَلْ عَايَنْتَ رَبَّكَ بِبَصَرٍ أَوْ سَمِعْتَ صَوْتَهُ بِأُذُنٍ أَوْ شَمِمْتَهُ بِنَسِيمٍ أَوْ ذُقْتَهُ بِفَمٍ أَوْ مَسِسْتَهُ بِيَدٍ فَأَدَّى ذَلِكَ الْمَعْرِفَةَ إِلَى قَلْبِكَ قُلْتُ أَرَأَيْتَ إِذَا أَنْكَرْتَ اللَّهَ وَ جَحَدْتَهُ (3)

ص: 153

1- وفي نسخة: احتاج.

2- قاد الدابة: مشى أمامها آخذًا بقيادها.

3- وفي نسخة: إذا أنكرت الله و جحدته.



لَا نَكَ زَعَمْتَ أَنَّكَ لَا تَحْسُهُ بِحَوَاسِّكَ الَّتِي تَعْرِفُ بِهَا الْأَشْيَاءَ وَأَقْرَزْتُ أَنَا بِهِ هَلْ بُدِّ مِنْ أَنْ يَكُونَ أَحَدُنَا صَادِقًا وَالْآخَرُ كَاذِبًا قَالَ لَا قُلْتُ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ الْقَوْلُ قَوْلِكَ فَهَلْ يُخَافُ عَلَيَّ شَيْءٌ مِمَّا أُخَوِّفُكَ بِهِ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ قَالَ لَا قُلْتُ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ كَمَا أَقُولُ وَالْحَقُّ فِي يَدِي أَلَسْتُ قَدْ أَخَذْتُ فِيمَا كُنْتُ أُحَاذِرُ مِنْ عِقَابِ الْخَالِقِ بِالثِّقَةِ وَأَنَّكَ قَدْ وَقَعْتَ بِجُحُودِكَ وَإِنْكَارِكَ فِي الْهَلَكَةِ قَالَ بَلَى قُلْتُ فَأَيُّنَا أَوْلَى بِالْحَزْمِ وَأَقْرَبُ مِنَ النَّجَاةِ قَالَ أَنْتَ إِلَّا أَنَّكَ مِنْ أَمْرِكَ عَلَى ادِّعَاءٍ وَشُبُهَةٍ وَأَنَا عَلَى يَقِينٍ وَثِقَةٍ لِأَنِّي لَا أَرَى حَوَاسِّي الْخَمْسَ أَدْرِكُهُ وَمَا لَمْ تُدْرِكْهُ حَوَاسِّي فَلَيْسَ عِنْدِي بِمَوْجُودٍ قُلْتُ إِنَّهُ لَمَّا عَجَزَتْ حَوَاسُّكَ عَنْ إِدْرَاكِ اللَّهِ أَنْكَرْتَهُ وَأَنَا لَمَّا عَجَزَتْ حَوَاسِّي عَنْ إِدْرَاكِ اللَّهِ تَعَالَى صَدَّقْتُ بِهِ قَالَ وَكَيْفَ ذَلِكَ قُلْتُ لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ جَرَى فِيهِ أَثَرُ تَرْكِيْبٍ لِحِسْمٍ أَوْ وَقَعَ عَلَيْهِ بَصَرٌ لَلْوْنِ فَمَا أَدْرَكَتَهُ الْأَبْصَارُ وَنَالَتَهُ الْحَوَاسُّ فَهُوَ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لِأَنَّهُ لَا يُشَبَّهُهُ الْخَلْقُ وَأَنَّ هَذَا الْخَلْقُ يَنْتَقِلُ بِتَغْيِيرِ زَوَالِ وَكُلُّ شَيْءٍ أَشْبَهَ التَّغْيِيرِ وَالزَّوَالِ فَهُوَ مِثْلُهُ وَلَيْسَ الْمَخْلُوقُ كَالْخَالِقِ وَلَا الْمُحَدَّثُ كَالْمُحَدِّثِ .

شرح: قوله عليه السلام: و البلاء المحمود عند الخاصة و العامة أى النعمة التى يحمدها و يقر بها الخاص و العام لنا و هو العلم أو النعم التى شملت الخاص و العام كما سيفصله عليه السلام بعد ذلك قوله عليه السلام: ما أتى الجهال أى ما أتاهم الضرر و الهلاك إلا من قبلهم قال الفيروزآبادى: أتى كعنى أشرف عليه العدو و قال الجزرى فى حديث أبى هريرة فى العَدْوَى أتى قلت أتيت أى دهيت و تغير عليك حسك فتوهمت ما ليس بصحيح صحيحا قوله عليه السلام: استحوذ الشيطان أى غلب و استولى قوله عليه السلام: و صنيعه أى إحسان و يحتمل أن يراد بها هنا الخلقة المصنوعة قوله عليه السلام: لجسم بفتح اللام أى البتة هو جسم و كذا قوله للون و يدل على أن التركيب الخارجى إنما يكون فى الجسم و أن المبصر بالذات هو اللون قوله عليه السلام: أشبه التغير أى المتغير أو ذا التغير بتقدير مضاف.

متن: قَالَ إِنَّ هَذَا لَقَوْلٌ وَ لَكِنِّي لَمُنْكَرٌ مَا لَمْ تُدْرِكْهُ حَوَاسِي فَتُوَدِّيهِ إِلَى قَلْبِي فَلَمَّا اعْتَصَمَ بِهِدِهِ الْمَقَالَةَ وَ لَزِمَ هَذِهِ الْحُجَّةَ قُلْتُ أَمَا إِذَا أُبَيَّتَ إِلَّا أَنْ تَعْتَصِمَ بِالْجِهَالَةِ وَ تَجْعَلَ الْمُحَاجَزَةَ حُجَّةً فَقَدْ دَخَلْتَ فِي مِثْلِ مَا عِبْتِ وَ امْتَثَلْتَ مَا كَرِهْتَ حَيْثُ قُلْتَ إِنِّي اخْتَرْتُ الدَّعْوَى لِنَفْسِي لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ لَمْ تُدْرِكْهُ حَوَاسِي عِنْدِي بِلَا شَيْءٍ قَالَ وَ كَيْفَ ذَلِكَ قُلْتُ لِأَنَّكَ تَقَمَّتْ عَلَيَّ الإِدْعَاءَ وَ دَخَلْتَ فِيهِ فَادْعَيْتِ أَمْرًا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا وَ لَمْ تَقْلُهُ عِلْمًا فَكَيْفَ اسْتَجَزْتَ لِنَفْسِكَ الدَّعْوَى فِي إِتْكَارِكَ اللَّهُ وَ دَفَعِكَ أَعْلَامَ النَّبُوَّةِ وَ الْحُجَّةِ الْوَاضِحَةِ وَ عِبْتَهَا عَلَيَّ أَخْبِرْنِي هَلْ أَحَطْتَ بِالْجِهَاتِ كُلِّهَا وَ بَلَّغْتَ مُنْتَهَاهَا قَالَ لَا قُلْتُ فَهَلْ رَقِيتَ إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَرَى أَوْ انْحَدَرْتَ إِلَى الْأَرْضِ السُّفْلَى فَجُلْتَ فِي أَقْطَارِهَا (1) أَوْ هَلْ خُضْتَ فِي عَمْرَاتِ الْبُحُورِ (2) وَ اخْتَرْتِ نَوَاحِيَ الْهَوَاءِ فِيمَا فَوْقَ السَّمَاءِ وَ تَحْتَهَا إِلَى الْأَرْضِ وَ مَا اسْتَفَلَ مِنْهَا فَوَجَدْتَ ذَلِكَ خَلَاءً مِنْ مُدَبِّرٍ حَكِيمٍ عَالِمٍ بَصِيرٍ قَالَ لَا قُلْتُ فَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ الَّذِي أَنْكَرَهُ قَلْبُكَ هُوَ فِي بَعْضِ مَا لَمْ تُدْرِكْهُ حَوَاسُكَ وَ لَمْ يُحِطْ بِهِ عِلْمُكَ قَالَ لَا أَدْرِي لَعَلَّ فِي بَعْضِ مَا ذَكَرْتَ مُدَبِّرًا وَ مَا أَدْرِي لَعَلَّهُ لَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ قُلْتُ أَمَا إِذْ خَرَجْتَ مِنْ حَدِّ الإِنْتِكَارِ إِلَى مَنْزِلَةِ الشُّكِّ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ تَخْرُجَ إِلَى الْمَعْرِفَةِ قَالَ فَإِنَّمَا دَخَلَ عَلَيَّ الشُّكُّ لِسُؤَالِكَ إِيَّايَ عَمَّا لَمْ يُحِطْ بِهِ عِلْمِي وَ لَكِنْ مِنْ أَيْنَ يَدْخُلُ عَلَيَّ اليَقِينُ بِمَا لَمْ تُدْرِكْهُ حَوَاسِي قُلْتُ مِنْ قَبْلِ إِهْلِيلِجَتِكَ هَذِهِ قَالَ ذَلِكَ إِذَا أُثْبِتَ لِلْحُجَّةِ لِأَنَّهَا مِنْ آدَابِ الطَّبِّ الَّذِي أُدْعَى بِمَعْرِفَتِهِ (3) قُلْتُ إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ آتِيَكَ بِهِ مِنْ قَبْلِهَا لِأَنَّهَا أَقْرَبُ الْأَشْيَاءِ إِلَيْكَ وَ لَوْ كَانَ شَيْءٌ أَقْرَبَ إِلَيْكَ مِنْهَا لِأَنَّكَ مِنْ قَبْلِهِ (4) لِأَنَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ أَثَرَ تَرْكِيْبٍ وَ حِكْمَةٍ وَ شَاهِدًا يَدُلُّ عَلَى

ص: 155

1- وفي نسخة: فدرت في أقطارها.

2- وفي نسخة: هل غصت في عمرات البحور.

3- وفي نسخة: لانها من أداة الطب الذي ادعى معرفته.

4- وفي نسخة: لا نباتك من قبله.

الصَّنْعَةِ الدَّالَّةِ عَلَى مَنْ صَنَعَهَا وَ لَمْ تَكُنْ شَيْئاً وَ يُهْلِكُهَا حَتَّى لَا تَكُونَ شَيْئاً قُلْتُ فَأَخْبِرْنِي هَلْ تَرَى هَذِهِ إِهْلِيلَجَةً قَالَ نَعَمْ قُلْتُ أَفَتَرَى غَيْبَ مَا فِي جَوْفِهَا قَالَ لَا قُلْتُ أَفَتَشَدُّ هَدُ أَتَهَا مُسَدَّةٌ عَلَى نَوَاةٍ وَ لَا تَرَاهَا قَالَ مَا يُدْرِينِي لَعَلَّ لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ قُلْتُ أَفَتَرَى أَنَّ خَلْفَ هَذَا الْقِسْرِ مِنْ هَذِهِ الإِهْلِيلَجَةِ غَائِبٌ لَمْ تَرَهُ مِنْ لَحْمٍ أَوْ ذِي لَوْنٍ قَالَ مَا أَدْرِي لَعَلَّ مَا تَمَّ غَيْرُ ذِي لَوْنٍ وَ لَا لَحْمٍ قُلْتُ أَفَتَقَرُّ أَنَّ هَذِهِ الإِهْلِيلَجَةَ الَّتِي تُسَمِّيهَا النَّاسُ بِالْهِنْدِ مَوْجُودَةٌ لِاجْتِمَاعِ أَهْلِ الإِخْتِلَافِ مِنَ الأُمَمِ عَلَى ذِكْرِهَا قَالَ مَا أَدْرِي لَعَلَّ مَا اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ بَاطِلٌ قُلْتُ أَفَتَقَرُّ أَنَّ الإِهْلِيلَجَةَ فِي أَرْضٍ تَبَيَّنَتْ قَالَ تِلْكَ الأَرْضُ وَ هَذِهِ وَاحِدَةٌ وَ قَدْ رَأَيْتَهَا قُلْتُ أَفَمَا تَشَدُّ هَدُ بِحُضُورِ هَذِهِ الإِهْلِيلَجَةِ عَلَى وَجُودِ مَا غَابَ مِنْ أَشْبَاهِهَا قَالَ مَا أَدْرِي لَعَلَّهُ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا إِهْلِيلَجَةٌ غَيْرُهَا فَلَمَّا اعْتَصَمَ بِأَلْبَاطِهَا قُلْتُ أَخْبِرْنِي عَنْ هَذِهِ الإِهْلِيلَجَةِ أَتَقَرُّ أَنَّهَا خَرَجَتْ مِنْ شَجَرَةٍ أَوْ تَقُولُ إِنَّهَا هَكَذَا وَجَدَتْ قَالَ لَا بَلْ مِنْ شَجَرَةٍ خَرَجَتْ قُلْتُ فَهَلْ أَدْرَكَتْ حَوَاسِكَ الخَمْسِ مَا غَابَ عَنْكَ مِنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ قَالَ لَا قُلْتُ فَمَا أَرَاكَ إِلاَّ قَدْ أَقْرَزَتْ بِوُجُودِ شَجَرَةٍ لَمْ تُدْرِكْهَا حَوَاسِكُ قَالَ أَجَلٌ وَ لَكِنِّي أَقُولُ إِنَّ الإِهْلِيلَجَةَ وَ الأَشْيَاءَ المُخْتَلِفَةَ (1) شَيْءٌ لَمْ تَزَلْ تُدْرِكُ فَهَلْ عِنْدَكَ فِي هَذَا شَيْءٌ تَرُدُّ بِهِ قَوْلِي قُلْتُ نَعَمْ أَخْبِرْنِي عَنْ هَذِهِ الإِهْلِيلَجَةِ هَلْ كُنْتَ عَايِنْتَ شَجَرَتَهَا وَ عَرَفْتَهَا قَبْلَ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الإِهْلِيلَجَةَ فِيهَا قَالَ نَعَمْ قُلْتُ فَهَلْ كُنْتَ تُعَايِنُ هَذِهِ الإِهْلِيلَجَةَ قَالَ لَا قُلْتُ أَفَمَا تَعْلَمُ أَنَّكَ كُنْتَ عَايِنْتَ الشَّجَرَةَ وَ لَيْسَ فِيهَا الإِهْلِيلَجَةُ ثُمَّ عُدْتَ إِلَيْهَا فَوَجَدْتَ فِيهَا الإِهْلِيلَجَةَ أَفَمَا تَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ فِيهَا مَا لَمْ تَكُنْ قَالِ مَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُنْكِرَ ذَلِكَ وَ لَكِنِّي أَقُولُ إِنَّهَا كَانَتْ فِيهَا مُتَفَرِّقَةً قُلْتُ فَأَخْبِرْنِي هَلْ رَأَيْتَ تِلْكَ الإِهْلِيلَجَةَ الَّتِي تَبَيَّنَتْ مِنْهَا شَجَرَةُ هَذِهِ الإِهْلِيلَجَةِ قَبْلَ أَنْ تُغْرَسَ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ فَهَلْ يَحْتَمِلُ عَقْلُكَ أَنَّ الشَّجَرَةَ الَّتِي تَبْلُغُ أَصْلُهَا وَ عُرْوَتُهَا وَ فُرُوعُهَا وَ لِحَاؤُهَا وَ كُلُّ ثَمَرَةٍ جُنَيْتَ (2) وَ وَرَقَةٍ سَقَطَتْ أَلْفَ أَلْفِ رِطْلٍ كَانَتْ كَامِنَةً فِي هَذِهِ الإِهْلِيلَجَةِ قَالَ مَا

ص: 156

1- وفي نسخة: و الأشياء الموثلة.

2- جنى الثمر: تناوله من شجرته.

يَحْتَمِلُ هَذَا الْعَقْلُ وَلَا يَقْبَلُهُ الْقَلْبُ قُلْتُ أَفَرَزْتَ أَنَّهَا حَدَّثَتْ فِي الشَّجَرَةِ قَالَ نَعَمْ وَ لَكِنِّي لَا أَعْرِفُ أَنَّهَا مَصَّةٌ نَوْعَةٌ فَهَلْ تَقْدِرُ أَنْ تُقَرِّرَنِي بِذَلِكَ قُلْتُ نَعَمْ أَرَأَيْتَ أَنِّي إِنْ أَرَيْتُكَ تَدْبِيرًا أَتَقْرَأُ أَنْ لَهُ مَدْبَرًا وَ تَصْوِيرًا أَنْ لَهُ مُصَوِّرًا قَالَ لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ قُلْتُ أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْإِهْلِيلَجَةَ لَحْمٌ رَكَبَ عَلَى عَظْمٍ فَوَضِعَ فِي جَوْفِ مُتَّصِلٍ (1) بِغُصْنِ مُرْكَبٍ عَلَى سَاقٍ يَقُومُ عَلَى أَصْلِ فَيْقُومِي بِعُرُوقٍ مِنْ تَحْتِهَا عَلَى جِزْمٍ مُتَّصِلٍ بَعْضُ بَعْضٍ بِبَعْضٍ قَالَ بَلَى قُلْتُ أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْإِهْلِيلَجَةَ مُصَوَّرَةٌ بِتَقْدِيرٍ وَ تَخْطِيطٍ وَ تَأْلِيفٍ وَ تَرْكِيبٍ وَ تَقْصِيدٍ يَلِ مُتَدَاخِلٍ بِتَأْلِيفِ شَيْءٍ فِي بَعْضِ شَيْءٍ بِهِ طَبَقَ بَعْدَ طَبَقٍ وَ جِسْمٍ عَلَى جِسْمٍ وَ لَوْنٌ مَعَ لَوْنٍ أَيْضًا فِي صَفْرَةٍ وَ لَيْلٍ عَلَى شَدِيدٍ (2) فِي طَبَائِعٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَ طَرَائِقٍ مُخْتَلِفَةٍ وَ أَجْزَاءٍ مُؤْتَلِفَةٍ مَعَ لِحَاةٍ تَسْقِيهَا وَ عُرُوقٍ يَجْرِي فِيهَا الْمَاءُ وَ وَرَقٍ يَسْتُرُهَا وَ تَقِيهَا مِنَ الشَّمْسِ أَنْ تُحْرِقَهَا وَ مِنَ الْبَرْدِ أَنْ يَهْلِكُهَا وَ الرِّيحِ أَنْ تَدْبِلَهَا (3) قَالَ أَفَلَيْسَ لَوْ كَانَ الْوَرَقُ مُطَبَّقًا عَلَيْهَا كَانَ خَيْرًا لَهَا قُلْتُ اللَّهُ أَحْسَنُ تَقْدِيرًا لَوْ كَانَ كَمَا تَقُولُ لَمْ يَصِلْ إِلَيْهَا رِيحٌ يَرُوحُهَا وَ لَا بَرْدٌ يُشَدِّدُهَا وَ لَعَفِنَتْ عِنْدَ ذَلِكَ وَ لَوْ لَمْ يَصِلْ إِلَيْهَا حُرُّ الشَّمْسِ لَمَا نَضِجَتْ وَ لَكِنِ شَيْءٌ مَرَّةً وَ رِيحٌ مَرَّةً وَ بَرْدٌ مَرَّةً قَدَّرَ اللَّهُ ذَلِكَ بِقُوَّةٍ لَطِيفَةٍ وَ دَبَّرَهُ بِحِكْمَةٍ بِالْغَةِ قَالَ حَسْبِي مِنَ التَّصْوِيرِ فَسَّرَ لِي التَّدْبِيرَ الَّذِي زَعَمْتَ أَنَّكَ تَرَيْتَهُ قُلْتُ أَرَأَيْتَ الْإِهْلِيلَجَةَ قَبْلَ أَنْ تَعْقِدَ إِذْ هِيَ فِي قِمَعِهَا مَاءٌ بَغِيرِ نَوَاةٍ وَ لَا لَحْمٍ وَ لَا قَشْرٍ وَ لَا لَوْنٍ وَ لَا طَعْمٍ وَ لَا شِدَّةَ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ أَرَأَيْتَ لَوْ لَمْ يَفْرُقِ الْخَالِقُ ذَلِكَ الْمَاءَ الضَّعِيفَ الَّذِي هُوَ مِثْلُ الْخَرْدَلَةِ فِي الْقَلَّةِ وَ الدَّلَّةِ وَ لَمْ يَقْوِهِ بِقُوَّتِهِ وَ يُصَوِّرَهُ بِحِكْمَتِهِ وَ يُقَدِّرَهُ بِقُدْرَتِهِ هَلْ كَانَ ذَلِكَ الْمَاءُ يَزِيدُ عَلَى أَنْ يَكُونَ فِي قِمَعِهِ غَيْرَ مَجْمُوعٍ بِجِسْمٍ وَ قِمَعٍ وَ تَقْصِيدٍ فَإِنْ زَادَ زَادَ مَاءً مُتْرَاكِبًا غَيْرَ مُصَوَّرٍ وَ لَا مُحَطَّطٍ وَ لَا مَدْبَرٍ بِزِيَادَةِ أَجْزَاءٍ وَ لَا تَأْلِيفِ أَطْبَاقٍ قَالَ قَدْ أَرَيْتَنِي مِنْ تَصْوِيرِ شَجَرَتِهَا وَ تَأْلِيفِ خَلْقَتِهَا وَ حَمَلِ ثَمَرَتِهَا وَ زِيَادَةِ أَجْزَائِهَا وَ تَقْصِيلِ تَرْكِيبِهَا أَوْضَحَ

ص: 157

1- وفي نسخة: موضوع على جرم متصل.

2- في نسخة: و لين مع لين و لين على شدة.

3- ذيل النبات. قل ماؤه و ذهب نضارته.

الدَّلَالَاتِ وَأَظْهَرَ الْبَيِّنَةَ عَلَى مَعْرِفَةِ الصَّانِعِ وَ لَقَدْ صَدَقْتَ بِأَنَّ الْأَشْيَاءَ مَصْنُوعَةٌ وَ لَكِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلَّ الْإِهْلِيلِجَةَ وَ الْأَشْيَاءَ صَنَعْتَ أَنْفَسَهَا قُلْتَ  
أَوْ لَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ خَالِقَ الْأَشْيَاءِ وَ الْإِهْلِيلِجَةَ حَكِيمٌ عَالِمٌ بِمَا عَايَنْتَ مِنْ قُوَّةِ تَدْبِيرِهِ قَالَ بَلَى قُلْتَ فَهَلْ يَنْبَغِي لِلذِّي هُوَ كَذَلِكَ أَنْ يَكُونَ حَدَثًا  
قَالَ لَا قُلْتَ أَفَلَسْتَ قَدْ رَأَيْتَ الْإِهْلِيلِجَةَ حِينَ حَدَّثْتَ وَ عَايَنْتَهَا بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ شَيْئًا ثُمَّ هَلَكَ كَأَنَّ لَمْ تَكُنْ شَيْئًا قَالَ بَلَى وَ إِنَّمَا أُعْطَيْتُكَ أَنَّ  
الْإِهْلِيلِجَةَ حَدَّثَتْ وَ لَمْ أُعْطِكَ أَنَّ الصَّانِعَ لَا يَكُونُ حَدِيثًا لَا يَخْلُقُ نَفْسَهُ قُلْتَ أَلَمْ تُعْطِنِي أَنَّ الْحَكِيمَ الْخَالِقَ لَا يَكُونُ حَدِيثًا وَ زَعَمْتَ أَنَّ  
الْإِهْلِيلِجَةَ حَدَّثَتْ فَقَدْ أُعْطَيْتَنِي أَنَّ الْإِهْلِيلِجَةَ مَصْنُوعَةٌ فَهُوَ عَزَّ وَ جَلَّ صَانِعُ الْإِهْلِيلِجَةَ وَ إِنْ رَجَعْتَ إِلَيَّ أَنْ تَقُولَ إِنَّ الْإِهْلِيلِجَةَ صَنَعْتَ نَفْسَهَا  
وَ دَبَّرْتَ خَلْقَهَا فَمَا زِدْتَ أَنْ أَقْرُزْتَ بِمَا أَنْكَرْتَ وَ وَصَفْتَ صَانِعًا مُدْبِرًا أَصَبَتْ صِفَتُهُ وَ لَكِنَّكَ لَمْ تَعْرِفْهُ فَسَمَّيْتَهُ بِغَيْرِ اسْمِهِ قَالَ كَيْفَ ذَلِكَ قُلْتَ  
لَأَنَّكَ أَقْرُزْتَ بِوُجُودِ حَكِيمٍ لَطِيفٍ مُدْبِرٍ فَلَمَّا سَأَلْتُكَ مَنْ هُوَ قُلْتَ الْإِهْلِيلِجَةُ قَدْ أَقْرُزْتَ بِاللَّهِ سَبْحَانَهُ وَ لَكِنَّكَ سَمَّيْتَهُ بِغَيْرِ اسْمِهِ وَ لَوْ عَقَلْتَ وَ  
فَكَّرْتَ لَعَلِمْتَ أَنَّ الْإِهْلِيلِجَةَ أَنْقَضَ قُوَّةً مِنْ أَنْ تَخْلُقَ نَفْسَهَا وَ أَصَدَّ عَفْ حِيلَةً مِنْ أَنْ تَدْبُرَ خَلْقَهَا قَالَ هَلْ عِنْدَكَ غَيْرُ هَذَا قُلْتَ نَعَمْ أَخْبِرْنِي عَنْ  
هَذِهِ الْإِهْلِيلِجَةَ الَّتِي زَعَمْتَ أَنَّهَا صَنَعَتْ نَفْسَهَا وَ دَبَّرَتْ أَمْرَهَا كَيْفَ صَنَعَتْ نَفْسَهَا صَغِيرَةَ الْخَلْقَةِ صَغِيرَةَ الْقُدْرَةِ نَاقِصَةَ الْقُوَّةِ لَا تَمْتَنِعُ أَنْ تُكْسِرَ  
وَ تُعْصِرَ وَ تُؤَكَّلَ وَ كَيْفَ صَنَعَتْ نَفْسَهَا مَفْضُولَةً مَأْكُولَةً مَرَّةً قَبِيحَةَ الْمُنْظَرِ لَا بَهَاءَ لَهَا وَ لَا مَاءَ قَالَ لِأَنَّهَا لَمْ تَقُو إِلَّا عَلَى مَا صَنَعَتْ نَفْسَهَا أَوْ لَمْ  
تَصْنَعْ إِلَّا- مَا هُوَ يَتَّ قُلْتَ أَمَا إِذْ أُبَيَّتَ إِلَّا التَّمَادِي فِي الْبَاطِلِ فَأَعْلَمْنِي مَتَى خَلَقْتَ نَفْسَهَا وَ دَبَّرْتَ خَلْقَهَا قَبْلَ أَنْ تَكُونَ أَوْ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ فَإِنْ  
زَعَمْتَ أَنَّ الْإِهْلِيلِجَةَ خَلَقَتْ نَفْسَهَا بَعْدَ مَا كَانَتْ فَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَيْبِنِ الْمَحَالِ كَيْفَ تَكُونُ مَوْجُودَةً مَصْنُوعَةً ثُمَّ تَصْنَعُ نَفْسَهَا مَرَّةً أُخْرَى فَيَصِيرُ  
كَلَامُكَ إِلَى أَنَّهَا مَصْنُوعَةٌ مَرَّتَيْنِ وَ لَيْتَنِي قُلْتَ إِنَّهَا خَلَقَتْ نَفْسَهَا وَ دَبَّرْتَ خَلْقَهَا قَبْلَ أَنْ تَكُونَ إِنَّ هَذَا مِنْ أَوْضَحِ الْبَاطِلِ وَ أَيْبِنِ الْكُذْبِ لِأَنَّهَا قَبْلَ  
أَنْ تَكُونَ لَيْسَ بِشَيْءٍ فَكَيْفَ يَخْلُقُ لَا شَيْءٌ شَيْئًا وَ كَيْفَ تَعِيبُ قَوْلِي إِنَّ شَيْئًا يَصْنَعُ لَا شَيْئًا وَ لَا تَعِيبُ قَوْلَكَ إِنَّ لَا شَيْءَ يَصْنَعُ لَا شَيْئًا فَانْظُرْ  
أَيُّ الْقَوْلَيْنِ أَوْلَى بِالْحَقِّ قَالَ

فَوَلَّكَ قُلْتَ فَمَا يَمْنَعُكَ مِنْهُ قَالَ قَدْ قَبِلْتُهُ وَاسْتَبَانَ لِي حَقُّهُ وَصِدْقُهُ بِأَنَّ الْأَشْيَاءَ الْمُخْتَلِفَةَ وَالْإِهْلِيلِجَةَ لَمْ يَصْنَعْنَ أَنْفُسَهُنَّ وَلَمْ يُدَبِّرْنَ خَلْقَهُنَّ وَ لَكِنَّهُ تَعَرَّضُ لِي أَنَّ الشَّجَرَةَ هِيَ الَّتِي صَدَعَتِ الْإِهْلِيلِجَةَ لِأَنَّهَا خَرَجَتْ مِنْهَا قُلْتُ فَمَنْ صَدَعَ الشَّجَرَةَ قَالَ الْإِهْلِيلِجَةُ الْأُخْرَى قُلْتُ اجْعَلْ لِكَلَامِكَ غَايَةً أَنْتَهَى إِلَيْهَا فَمَا أَنْ تَقُولَ هُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فَيُقْبَلُ مِنْكَ وَإِنَّمَا أَنْ تَقُولَ الْإِهْلِيلِجَةُ فَسَأَلَكَ قَالَ سَلْ قُلْتُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِهْلِيلِجَةِ هَلْ تَنْبُتُ مِنْهَا الشَّجَرَةُ إِلَّا بَعْدَ مَا مَاتَتْ وَ بَلِيَتْ وَ بَادَتْ قَالَ لَا قُلْتُ إِنَّ الشَّجَرَةَ بَقِيَتْ بَعْدَ هَلَاكِ الْإِهْلِيلِجَةِ مِائَةَ سَنَةٍ فَمَنْ كَانَ يَحْمِيهَا وَ يَزِيدُ فِيهَا وَ يُدَبِّرُ خَلْقَهَا وَ يُرَبِّيهَا وَ يُنْبِتُ وَ رَفَهَا مَا لَكَ بَدُّ مِنْ أَنْ تَقُولَ هُوَ الَّذِي خَلَقَهَا وَ لَكِنْ قُلْتَ الْإِهْلِيلِجَةُ وَ هِيَ حَيَّةٌ قَبْلَ أَنْ تَهْلِكَ وَ تُبَلَى وَ تُصِيرَ تُرَابًا وَ قَدْ رَبَّتِ الشَّجَرَةَ وَ هِيَ مَيِّتَةٌ إِنَّ هَذَا الْقَوْلَ مُخْتَلِفٌ قَالَ لَا أَقُولُ ذَلِكَ قُلْتُ أَفَتَقَرُّ بِأَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ أَمْ قَدْ بَقِيَ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ قَالَ إِنِّي مِنْ ذَلِكَ عَلَى حَدِّ وَ قُوفٍ مَا أَتَخَلَّصُ إِلَى أَمْرٍ يَنْقُذُ لِي فِيهِ الْأَمْرُ قُلْتُ أَمَّا إِذْ أُبَيَّتَ إِلَّا الْجَهَّالَةَ وَ رَعَمْتَ أَنَّ الْأَشْيَاءَ لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِالْحَوَاسِّ فَإِنِّي أَخْبِرُكَ أَنَّهُ لَيْسَ لِلْحَوَاسِّ دَلَالَةٌ عَلَى الْأَشْيَاءِ وَ لَا فِيهَا مَعْرِفَةٌ إِلَّا بِالْقَلْبِ فَإِنَّهُ دَلِيلُهَا وَ مَعْرِفُهَا الْأَشْيَاءَ الَّتِي تَدَّعَى أَنَّ الْقَلْبَ لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا بِهَا .

شرح: قوله عليه السلام: و امتثلت قال الفيروزآبادي: امتثل طريقتة تبعها فلم يعدها قوله نقت على أى عبت و كرهت قوله من لحم قال الفيروزآبادي: لحم كل شىء لبه قوله تلك الأرض أى أشار إلى الأرض و قال أقر بوجود هذه الأرض التى أرى و الإهليلجة الواحدة التى فى يدي قوله كانت فيها متفرقة لعله اختار مذهب أنكساغورس و من تبعه من الدهرية القائلين بالكمون و البروز و أن كل شىء كامن و يومئى إليه جوابه قوله عليه السلام: فى قمعها قال الفيروزآبادي: القمع محركة بثرة تخرج فى أصول الأشفار و قال القمع بالفتح و الكسر و كعنب ما التزق بأسفل التمرة و البسرة و نحوهما انتهى و على التقديرين استعير لما يبدو من الإهليلجة ابتداء فى شجرها من القشرة الرقيقة الصغيرة التى فيها ماء و الأول أبلغ قوله عليه السلام: غير مجموع بجسم أى هل كان يزيد بغير أن يضم إليه جسم آخر من خارج أو قمع آخر مثله أو بغير قمعه

أى قلعه و تفصيله أى تفريقه ليدخل فيه شىء أو يضم إلى شىء قوله عليه السلام: فإن زاد أى فإن سلم أنه كان يمكن أن يزيد بطبيعته بغير ما ذكر كانت زيادته ماء متراكبا بعضه فوق بعض فقط كما كان أولا لا بتخطيط و تصوير و تدبير و تأليف إذ يحكم العقل بديهة أن مثل تلك الأفاعيل المختلفة المنطبقة على قانون الحكمة لا تصدر عن طبيعة عادمة للشعور و الإرادة قوله عليه السلام: فهل ينبغى إشارة إلى ما يحكم به الوجدان من أن من كان على هذا المبلغ من العلم و الحكمة و التدبير لا يكون ممكنا محدثا محتاجا فى العلم و سائر الأمور إلى غيره إلا أن يفيض عليه من العالم بالذات و هو إقرار بالصانع قوله و لم أعطك غفل الهندي عما كان يلزم من اعترافه قوله عليه السلام: و إن رجعت أى إن قلت إن الصانع القديم الحكيم هو طبيعة الإهليلجة صنعت هذا الشخص منها فقد أقرت بالصانع و سميته الطبيعة إذ هى غير حكيم و لا ذات إرادة فقد أقرت بالصانع و أخطأت فى التسمية أو المراد أنك بعد الاعتراف بالخالق الحكيم القديم لو قلت إنه هذه الإهليلجة فقد أقرت بما أنكرت أى نقضت قولك الأول و قلت بالتقيضين و لا محمل لتصحيحه إلا أن تقول سميت ما أقرت به بهذا الاسم و هذا لا يضرنا بعد ما تيسر لنا من إقرارك و يحتمل أن يكون هذا كلاما على سبيل الاستظهار فى المجادلة أى إن تنزلنا عما أقرت به من قدم الحكيم و حدوث الإهليلجة يكفينا إقرارك بكون الخالق حكيما إذ معلوم أنها ليست كذلك فقد سميت الصانع الحكيم بهذا الاسم قوله عليه السلام: مفضولة إذ ظاهر أن كثيرا من المخلوقات أفضل و أشرف منها قوله عليه السلام: هو الذى خلقها أى لا بد أن يكون مربيا هو خالقها فإن قلت إن الخالق و المربى واحد و هى الإهليلجة خلقت عند كونها حية و ربت بعد موتها فالقول مختلف إذ خلقها تدريجى و عند خلق أى مقدار من الشجرة لا بد من انقلاب بعضها شجرة فلم تكن الإهليلجة باقية بعد تمام خلق ذلك المقدار و الخلق و التربية ممزوجان لا يصلح القول بكونها حية عند أحدهما ميتة عند الآخر و يحتمل أن يكون المراد أن القول بأن الخالق و المربى واحد و القول بأن الإهليلجة بعد موتها ربت متنافيان لأن موتها عبارة عن استحالتها بشىء آخر فالمربى شىء آخر سوى الإهليلجة و فى بعض النسخ و قد رأيت الشجرة قوله

ما أتخلص أى ما أصل إلى أمر يجرى فيه أمرى أى حكى و يمكنى أن أحكم بصحته ثم لما علم عليه السلام أن سبب توفقه اقتصاره على حكم الحواس بين عليه السلام أن الحواس داخله تحت حكم العقل ولا بد من الرجوع إلى العقل فى معرفة الأشياء.

متن: فَقَالَ أَمَا إِذْ نَطَقْتَ بِهِدَا فَمَا أَقْبَلُ مِنْكَ إِلَّا بِالتَّخْلِيسِ وَالتَّحْصِصِ مِنْهُ بِإِضَاحٍ وَبَيَانٍ وَحُجَّةٍ وَبُرْهَانٍ قُلْتُ فَأَوَّلُ مَا أَبْدَأُ بِهِ أَنْتَ تَعَلَّمَ أَنَّهُ زُبْمًا ذَهَبَ الْحَوَاسُ أَوْ بَعْضُهَا وَدَبَّرَ الْقَلْبُ الْأَشْياءَ الَّتِي فِيهَا الْمَصْدَرَةُ وَالْمَنْفَعَةُ مِنَ الْأُمُورِ الْعَلَانِيَةِ وَالْحَقِيقَةِ فَأَمَرَ بِهَا وَنَهَى فَتَقَدَّرَ فِيهَا أَمْرُهُ وَصَحَّ فِيهَا قَضَاؤُهُ قَالَ إِنَّكَ تَقُولُ فِي هَذَا قَوْلًا يُشْبِهُ الْحُجَّةَ وَكَيِّنِي أَحِبُّ أَنْ تُوضِحَهُ لِي غَيْرَ هَذَا الْإِضَاحِ قُلْتُ أَكُنْتُ تَعَلَّمُ أَنَّ الْقَلْبَ يَبْقَى بَعْدَ ذَهَابِ الْحَوَاسِ قَالَ نَعَمْ وَكَيِّنِي بِغَيْرِ دَلِيلٍ عَلَى الْأَشْياءَ الَّتِي تَدُلُّ عَلَيْهَا الْحَوَاسُ قُلْتُ أَفَلَسْتُ تَعَلَّمُ أَنَّ الطِّفْلَ تَضَعُهُ أُمُّهُ مُضْغَةً لَيْسَ تَدُلُّهُ الْحَوَاسُ عَلَى شَيْءٍ يُسْمَعُ وَلَا يُبْصَرُ وَلَا يُدَاقُ وَلَا يُلْمَسُ وَلَا يُشْمُّ قَالَ بَلَى قُلْتُ فَأَيُّهُ الْحَوَاسُ دَلَّتْهُ عَلَى طَلَبِ اللَّبَنِ إِذَا جَاعَ وَالضَّحِكِ بَعْدَ الْبُكَاءِ إِذَا رَوَى مِنَ اللَّبَنِ وَأَيُّ حَوَاسٍ سَبَّحَ الطَّيْرُ وَلَا يَفْطِرُ الْحَبُّ مِنْهَا دَلَّتْهَا عَلَى أَنْ تُتَلَقَّى بَيْنَ أَفْرَاحِهَا اللَّحْمَ وَالْحَبَّ فَتَهْوَى سَبَّحُهَا إِلَى اللَّحْمِ وَالْآخَرُونَ إِلَى الْحَبِّ وَأَخْبِرْنِي عَنْ فِرَاحِ طَيْرِ الْمَاءِ أَكُنْتُ تَعَلَّمُ أَنَّ فِرَاحَ طَيْرِ الْمَاءِ إِذَا طَرِحَتْ فِيهِ سَبَّحَتْ وَإِذَا طَرِحَتْ فِيهِ فِرَاحُ طَيْرِ الْبَرِّ غَرِقَتْ وَالْحَوَاسُ وَاحِدَةٌ فَكَيْفَ انْتَفَعَ بِالْحَوَاسِ طَيْرُ الْمَاءِ وَأَعَانَتْهُ عَلَى السَّبَّاحَةِ وَلَمْ تَنْتَفِعْ طَيْرُ الْبَرِّ فِي الْمَاءِ بِحَوَاسِهَا وَمَا بَالُ طَيْرِ الْبَرِّ إِذَا غَمَسَتْ تَهَا فِي الْمَاءِ سَاعَةً مَاتَتْ وَإِذَا غَمَسَتْ طَيْرُ الْمَاءِ عَنِ الْمَاءِ سَاعَةً مَاتَتْ فَلَا أَرَى الْحَوَاسَ فِي هَذَا إِلَّا مُنْكَسِرًا عَلَيْكَ وَلَا يَنْبَغِي ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ إِلَّا مِنْ مَدَبِّ حَكِيمٍ جَعَلَ لِلْمَاءِ خَلْقًا وَلِلْبَرِّ خَلْقًا أَمْ أَخْبِرْنِي مَا بَالُ الذَّرَّةِ الَّتِي لَا تُعَايِنُ الْمَاءَ قَطُّ تُطْرَحُ فِي الْمَاءِ فَتَسْبُحُ وَتَلْقَى الْإِنْسَانَ ابْنَ خَمْسِينَ سَنَةً مِنْ أَقْوَى الرِّجَالِ وَأَعْقَلِهِمْ لَمْ يَتَعَلَّمِ السَّبَّاحَةَ فَيَغْرُقُ كَيْفَ لَمْ يَدُلَّهُ عَقْلُهُ وَلُبُّهُ وَتَجَارِبُهُ وَبَصَرُهُ بِالْأَشْياءِ مَعَ اجْتِمَاعِ حَوَاسِهِ وَصِدْقِهَا أَنْ يَدْرِكَ ذَلِكَ بِحَوَاسِهِ كَمَا أَدْرَكَتْهُ الذَّرَّةُ إِنْ كَانَ ذَلِكَ إِنَّمَا يَدْرِكُ بِالْحَوَاسِ أَفَلَيْسَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعَلَّمَ أَنَّ الْقَلْبَ الَّذِي هُوَ مَعْدِنُ الْعَقْلِ فِي الصَّبِيِّ الَّذِي وَصَفْتُ وَغَيْرِهِ مِمَّا سَمِعْتَ مِنَ الْحَيَوَانِ



هُوَ الَّذِي يُهَيِّجُ الصَّبِيَّ إِلَى طَلَبِ الرِّضَاعِ وَالطَّيْرَ اللَّاقِطَ عَلَى لَقْطِ الْحَبِّ وَالسَّبَاعَ عَلَى ابْتِلاعِ اللَّحْمِ قَالَ لَسْتُ أَجِدُ الْقَلْبَ يَعْلَمُ شَيْئاً إِلَّا بِالْحَوَاسِّ قُلْتُ أَمَا إِذْ أُبَيَّتْ إِلَّا-النُّزُوعَ إِلَى الْحَوَاسِّ فَإِنَّا لَنَقْبَلُ نُزُوعَكَ إِلَيْهَا بَعْدَ رَفْضِكَ لَهَا وَنُحْيِيكَ فِي الْحَوَاسِّ حَتَّى يَتَقَرَّرَ عِدَاكَ أَنَّهَا لَا تَعْرِفُ مِنْ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ إِلَّا الظَّاهِرَ مِمَّا هُوَ دُونَ الرَّبِّ الْأَعْلَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَأَمَّا مَا يَخْفَى وَلَا يَظْهَرُ فَلَيْسَتْ تَعْرِفُهُ وَذَلِكَ أَنَّ خَالِقَ الْحَوَاسِّ جَعَلَ لَهَا قَلْباً احْتَجَّ بِهِ عَلَى الْعِبَادِ وَجَعَلَ لِلْحَوَاسِّ الدَّلَالَاتِ عَلَى الظَّاهِرِ الَّذِي يُسَدُّ بِهَا عَلَى الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ فَنَظَرَتْ الْعَيْنُ إِلَى خَلْقِ مُتَّصِلٍ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ فَدَلَّتِ الْقَلْبَ عَلَى مَا عَايَنَتْ وَتَفَكَّرَ الْقَلْبُ حِينَ دَلَّتْهُ الْعَيْنُ عَلَى مَا عَايَنَتْ مِنْ مَلَكُوتِ السَّمَاءِ وَارْتِفَاعِهَا فِي الْهَوَاءِ بِغَيْرِ عَمَدٍ يُرَى وَلَا دَعَائِمٍ تُسَمِّي كُفَّهَا لَا تَوْخِرُ مَرَّةً فَتَنْكَشِطُ وَلَا تَقْدَمُ أُخْرَى فَتَزُولُ وَلَا تَهْبِطُ مَرَّةً فَتَدْنُو وَلَا تَرْتَفِعُ أُخْرَى فَتَنَائِي (1) لَا تَتَغَيَّرُ لِطُولِ الْأَمَدِ وَلَا تَخْلُقُ (2) لِاخْتِلَافِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ وَلَا-تَتَدَاعَى مِنْهَا نَاحِيَةٌ وَلَا يَنْهَارُ مِنْهَا طَرْفٌ مَعَ مَا عَايَنَتْ مِنَ النُّجُومِ الْجَارِيَةِ السَّبْعَةَ الْمُخْتَلِفَةَ بِمَسِيرِهَا لِدَوْرَانِ الْفَلَكَ وَتَقْلِبِهَا فِي الْبُرُوجِ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ وَشَهْرًا بَعْدَ شَهْرٍ وَسَنَةً بَعْدَ سَنَةٍ مِنْهَا السَّرِيعُ وَمِنْهَا الْبَطِيءُ وَمِنْهَا الْمُعْتَدِلُ السَّرِيرُ ثُمَّ رُجُوعُهَا وَاسْتِقَامَتُهَا وَأَخْذُهَا عَرْضًا وَطُولًا وَخُنُوسُهَا عِنْدَ الشَّمْسِ وَهِيَ مُشْرِقَةٌ وَظُهُورُهَا إِذَا غَرَبَتْ وَجَرَى الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ فِي الْبُرُوجِ دَائِبِينَ لَا يَتَغَيَّرَانِ فِي أَرْزَاقِهِمَا وَأَوْقَاتِهِمَا يَعْرِفُ ذَلِكَ مَنْ يَعْرِفُ بِحِسَابِ مَوْضُوعٍ وَأَمْرٍ مَعْلُومٍ بِحِكْمَةٍ يَعْرِفُ ذُووِ الْأَلْبَابِ أَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ حِكْمَةِ الْإِنْسِ وَلَا-تَفْتِيشُ الْأَوْهَامَ وَلَا تَقْلِبُ التَّفَكُّرَ فَعَرَفَ الْقَلْبُ حِينَ دَلَّتْهُ الْعَيْنُ عَلَى مَا عَايَنَتْ أَنَّ لِدَلِّكَ الْخَلْقِ وَالتَّيْبِيرِ وَ الْأَمْرِ الْعَجِيبِ صَانِعاً يُمَسِّكُ السَّمَاءَ الْمُنْطَبِقَةَ أَنْ تَهْوِيَ إِلَى الْأَرْضِ وَأَنَّ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ وَالنُّجُومَ فِيهَا خَالِقُ السَّمَاءِ ثُمَّ نَظَرَتْ الْعَيْنُ إِلَى مَا اسْتَقْلَمَتْ مِنَ الْأَرْضِ فَدَلَّتِ الْقَلْبَ عَلَى مَا عَايَنَتْ فَعَرَفَ الْقَلْبُ بِعَقْلِهِ أَنَّ مُمَسِّكَ الْأَرْضِ الْمُؤْتَدَّةَ (3) أَنَّ تَزُولُ أَوْ تَهْوِيَ فِي الْهَوَاءِ وَهُوَ يَرَى الرِّيشَةَ يُرْمَى بِهَا فَتَسْقُطُ مَكَانَهَا وَهِيَ فِي الْخِفَّةِ عَلَى

ص: 162

1- أي فتبعده. وفي نسخة: فتناهى فلا ترى.

2- أي لا تبلى ولا تثر.

3- وفي نسخة: أن ممسك الأرض الممهدة.

مَا هِيَ عَلَيْهِ هُوَ الَّذِي يُمَسِّكُ السَّمَاءَ الَّتِي فَوْقَهَا وَأَنَّهُ لَوْ لَا ذَلِكَ لَحَسَمَتْ بِمَا عَلَيْهَا مِنْ ثِقَلِ الْجِبَالِ وَالْأَنْامِ وَالْأَشْدَّ جَارِ وَالْبُحُورِ وَالرَّمَالِ فَعَرَفَ الْقَلْبُ بِدَلَالَةِ الْعَيْنِ أَنَّ مُدَبِّرَ الْأَرْضِ هُوَ مُدَبِّرُ السَّمَاءِ ثُمَّ سَمِعَتِ الْأُذُنُ صَوْتَ الرِّيحِ الشَّدِيدَةِ الْعَاصِفَةِ وَاللَّيْنَةِ الطَّيِّبَةِ وَعَايَنَتِ الْعَيْنُ مَا يُقْلَعُ مِنْ عِظَامِ الشَّجَرِ وَيُهْدَمُ مِنْ وَثِيقِ الْبُنْيَانِ وَتُسَفَى فِي (1) مِنْ ثِقَالِ الرَّمَالِ تُخَلِّي مِنْهَا نَاحِيَةً وَتَصَبُّبُهَا فِي أُخْرَى بِلَا سَائِقٍ تُبْصِرُهُ الْعَيْنُ وَلَا تَسْمَعُهُ الْأُذُنُ وَلَا يَدْرِكُ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَوَاسِّ وَكَيْسَتْ مُجَسَّدَةً تَلْمَسُ وَلَا مَحْدُودَةً تُعَايِنُ فَلَمْ تَرِدِ الْعَيْنُ وَالْأُذُنُ وَسَائِرَ الْحَوَاسِّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الْقَدَبَ أَنَّ لَهَا صَانِعًا وَذَلِكَ أَنَّ الْقَلْبَ يَفَكِّرُ بِالْعَقْلِ الَّذِي فِيهِ فَيَعْرِفُ أَنَّ الرِّيحَ لَمْ تَتَحَرَّكَ مِنْ تَلْقَائِهَا وَأَنَّهَا لَوْ كَانَتْ هِيَ الْمُتَحَرِّكَةَ لَمْ تَكْفُفْ عَنِ التَّحَرُّكِ وَلَمْ تَهْدِمِ طَائِفَةً وَتُعَيِّنِ أُخْرَى (2) وَلَمْ تَقْلَعِ شَجَرَةً وَتَدْعُ أُخْرَى إِلَى جَنْبِهَا وَلَمْ تَصَبِّ أَرْضًا وَتَنْصَرِفْ عَنْ أُخْرَى فَلَمَّا تَفَكَّرَ الْقَلْبُ فِي أَمْرِ الرِّيحِ عَلِمَ أَنَّ لَهَا مُحَرِّكًا هُوَ الَّذِي يَسُوقُهَا حَيْثُ يَشَاءُ وَيَسُدُّ كُنْهَا إِذَا شَاءَ وَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهَا عَمَّنْ يَشَاءُ فَلَمَّا نَظَرَ الْقَلْبُ إِلَى ذَلِكَ وَجَدَهَا مُتَّصِلَةً بِالسَّمَاءِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْآيَاتِ فَعَرَفَ أَنَّ الْمُدَبِّرَ الْقَادِرَ عَلَى أَنْ يُمَسِّكَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ هُوَ خَالِقُ الرِّيحِ وَمُحَرِّكُهَا إِذَا شَاءَ وَمُمَسِّكُهَا كَيْفَ شَاءَ وَمُسَدِّ لُطْفِهَا عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَكَذَلِكَ ذَلِكَ الْعَيْنُ وَالْأُذُنُ الْقَلْبُ عَلَى هَذِهِ الزَّلْزَلَةِ وَعَرَفَ ذَلِكَ بِغَيْرِهِمَا مِنْ حَوَاسِّهِ حِينَ حَرَكْتَهُ فَلَمَّا دَلَّ الْحَوَاسُّ عَلَى تَحْرِيكِ هَذَا الْخَلْقِ الْعَظِيمِ مِنَ الْأَرْضِ فِي غِلْظِهَا وَثِقَلِهَا وَطُولِهَا وَعَرْضِهَا وَمَا عَلَيْهَا مِنْ ثِقَلِ الْجِبَالِ وَالْمِيَاهِ وَالْأَنْامِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَإِنَّمَا تَتَحَرَّكَ فِي نَاحِيَةٍ وَلَمْ تَتَحَرَّكَ فِي نَاحِيَةٍ أُخْرَى (3) وَهِيَ مُلْتَحِمَةٌ جَسَدًا وَاحِدًا وَخَلْقًا مُتَّصِلًا بِلَا فَصْلِ وَلَا وَصْلٍ تَهْدِمُ نَاحِيَةً وَتَحْسِفُ بِهَا وَتُسَلِّمُ أُخْرَى فَعِنْدَهَا عَرَفَ الْقَلْبُ أَنَّ مُحَرِّكَ مَا حَرَّكَ مِنْهَا هُوَ مُمَسِّكُ مَا أُمْسِكَ مِنْهَا وَهُوَ مُحَرِّكُ الرِّيحِ وَمُمَسِّكُهَا وَهُوَ مُدَبِّرُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَأَنَّ الْأَرْضَ لَوْ كَانَتْ هِيَ الْمُرْزَلَةَ لِنَفْسِهَا لَمَا تَزَلْزَلَتْ وَلَمَا تَحَرَّكَتْ وَ لَكِنَّهُ الَّذِي دَبَّرَهَا وَخَلَقَهَا حَرَّكَ مِنْهَا مَا شَاءَ ثُمَّ نَظَرَتِ الْعَيْنُ إِلَى الْعَظِيمِ مِنَ الْآيَاتِ مِنَ السَّحَابِ

ص: 163

1- سفت و أسفت الريح التراب: ذرته أو حملته.

2- عفت الريح المنزل: درسته و محته. و يمكن أن يكون من أعفى إعفاء أى تركه.

3- و فى نسخة: و إنها تحرك ناحية و تمسك عن اخرى.

الْمُسْحَرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ بِمَنْزِلَةِ الدَّخَانِ لَا جَسَدَ لَهُ يُلْمَسُ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَرْضِ وَالْجِبَالِ يَتَخَلَّلُ الشَّجَرَةَ فَلَا يَحْرُكُ مِنْهَا شَيْئاً وَلَا يَهْصِرُ مِنْهَا غُصْنًا وَلَا يَعْلَقُ مِنْهَا بِشَيْءٍ يَعْترِضُ الرُّكْبَانَ فَيَحُولُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ مِنْ ظُلْمَتِهِ وَكثَافَتِهِ وَيَحْتَمِلُ مِنْ ثِقَلِ الْمَاءِ وَكَثْرَتِهِ مَا لَا يُقْدِرُ عَلَى صِدْفَتِهِ مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الصَّوَاعِقِ الصَّادِعَةِ وَالْبُرُوقِ اللَّامِعَةِ وَالرَّعْدِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرْدِ وَالْجَلِيدِ مَا لَا تَبْلُغُ الْأَوْهَامُ صِدْفَتَهُ وَلَا تَهْتَدِي الْقُلُوبُ إِلَى كُنْهِ عَجَائِبِهِ فَيَخْرُجُ مُسَدِّقًا فِي الْهَوَاءِ يَجْتَمِعُ بَعْدَ تَفَرُّقِهِ (1) وَيَلْتَحِمُ بَعْدَ تَزَايُلِهِ تَفَرُّقَهُ الرِّيَّاحُ (2) مِنَ الْجِهَاتِ كُلِّهَا إِلَى حَيْثُ تَسُوقُهُ بِإِذْنِ اللَّهِ رَبِّهَا يَسْفُلُ مَرَّةً وَيَعْلُو أُخْرَى مُتَمَسِّكٌ بِمَا فِيهِ مِنَ الْمَاءِ الْكَثِيرِ الَّذِي إِذَا أَرْجَاهُ (3) صَارَتْ مِنْهُ الْبُحُورُ يَمُرُّ عَلَى الْأَرْضِ الْكَثِيرَةِ وَالْبُلْدَانِ الْمُتَنَائِيَةِ لَا تَنْقُصُ مِنْهُ نُقْطَةً (4) حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى مَا لَا يُحْصَى مِنَ الْفَرَاسِخِ فَيُرْسِلُ مَا فِيهِ قَطْرَةً بَعْدَ قَطْرَةٍ وَسَدِيلًا بَعْدَ سَدِيلٍ مُتَتَابِعٍ عَلَى رِسْلِهِ حَتَّى يَنْتَفِعَ الْبِرْكُ (5) وَتَمْتَلِي الْفِجَاجُ وَتَعْتَلِي الْأُودِيَّةُ بِالسُّيُولِ كَأَمْثَالِ الْجِبَالِ غَاصَّةً بِسُيُولِهَا مُصَدِّمَةً الْأَذَانَ لِذَوِيهَا وَهَدِيرَهَا (6) فَتُحْيَا بِهَا الْأَرْضَ الْمَيِّتَةَ فَتُصَبِّحُ مَخْضَرَةً بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مُغْبَرَةً وَمُعْشَبَةً بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مُجْدِبَةً قَدْ كُسِبَتْ أَلْوَانًا مِنْ نَبَاتِ عُشْبٍ نَاصِرَةٍ زَاهِرَةٍ مُرَيَّةٍ مَعَاشًا لِلنَّاسِ وَالْأَنْعَامِ فَإِذَا أَفْرَغَ الْعَمَامُ مَاءَهُ أَقْلَعَ وَتَفَرَّقَ وَذَهَبَ حَيْثُ لَا يُعَايَنُ وَلَا يُدْرَى أَيْنَ تَوَارَى فَأَدَّتِ الْعَيْنُ ذَلِكَ إِلَى الْقَلْبِ فَعَرَفَ الْقَلْبُ أَنَّ ذَلِكَ السَّحَابَ لَوْ كَانَ بَعِيرٍ مَدْبَرٍ وَكَانَ مَا وَصَفْتُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ مَا احْتَمَلَ نَصْفَ ذَلِكَ مِنَ الثَّقَلِ مِنَ الْمَاءِ وَإِنْ كَانَ هُوَ الَّذِي يُرْسِلُهُ لِمَا احْتَمَلَهُ أَلْفَى فَرَسٍ أَوْ أَكْثَرَ وَلَا أُرْسِلُهُ فِيمَا هُوَ أَقْرَبُ مِنْ ذَلِكَ وَلَمَّا أُرْسِلَهُ قَطْرَةً بَعْدَ قَطْرَةٍ بَلَّ كَانَ يُرْسِلُهُ إِسْرَالًا فَكَانَ يَهْدِمُ الْبُنْيَانَ وَيُسَيِّدُ النَّبَاتَ وَلَمَّا جَارَ إِلَى بَلَدٍ وَ

ص: 164

- 1- وفي نسخة: ينفجر بعد تمسكه.
- 2- وفي نسخة: تصفقه الرياح.
- 3- ازجاه أى دفعه برفق.
- 4- وفي نسخة: لا تقطر منه قطرة.
- 5- بكسر الباء وفتح الراء جمع بركة: مستنقع الماء، الحوض.
- 6- وفي نسخة: ومصممة الاذان لدويها وهديرها.

تَرَكَ آخَرَ دُونَهُ فَعَرَفَ الْقَلْبُ بِأَعْلَامِ الْمُنبِيَةِ الْوَاضِحَةِ أَنَّ مَدَبَّ الْأُمُورِ وَاحِدٌ وَأَنَّه لَوْ كَانَ اثْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً لَكَانَ فِي طُولِ هَذِهِ الْأَزْمِنَةِ وَالْأَبَدِ وَالْدَّهْرِ اخْتِلَافٌ فِي التَّدْبِيرِ وَتَنَاقُضٌ فِي الْأُمُورِ وَلِتَأَخَّرَ بَعْضٌ وَتَقَدَّمَ بَعْضٌ وَلَكَانَ تَسَمُّلٌ بَعْضُ مَا قَدْ عَلَا وَلَعَلَّا بَعْضُ مَا قَدْ سَقَطَ وَلَطَّلَعَ شَيْءٌ وَغَابَ فَتَأَخَّرَ عَنْ وَقْتِهِ أَوْ تَقَدَّمَ مَا قَبْلَهُ فَعَرَفَ الْقَلْبُ بِذَلِكَ أَنَّ مَدَبَّ الْأَشْيَاءِ مَا غَابَ مِنْهَا وَمَا ظَهَرَ هُوَ اللَّهُ الْأَوَّلُ خَالِقُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَفَارِشُ الْأَرْضِ وَدَاحِيهَا وَصَانِعُ مَا بَيْنَ ذَلِكَ مِمَّا عَدَدْنَا وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَمْ يُحْصَ وَكَذَلِكَ عَايَنَتِ الْعَيْنُ اخْتِلَافَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ دَائِبَيْنِ جَدِيدَيْنِ لَا يَبْلِيَانِ فِي طُولِ كَرِّهِمَا وَلَا يَتَغَيَّرَانِ لِكَثْرَةِ اخْتِلَافِهِمَا وَلَا يَنْقُصَانِ عَنْ حَالِهِمَا النَّهَارُ فِي نُورِهِ وَضِيَائِهِ وَاللَّيْلُ فِي سَوَادِهِ وَظُلْمَتِهِ يَلْبِغُ أَحَدَهُمَا فِي الْآخِرِ حَتَّى يَنْتَهِيَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى غَايَةِ مَحْدُودَةٍ مَعْرُوفَةٍ فِي الطُّولِ وَالْقِصَرِ عَلَى مَرْتَبَةٍ وَاحِدَةٍ وَمَجْرَى وَاحِدٍ مَعَ سَكُونٍ مِنْ يَسَكُنُ فِي اللَّيْلِ وَانْتِشَارٍ مِنْ يَنْتَشِرُ فِي اللَّيْلِ وَانْتِشَارٍ مِنْ يَنْتَشِرُ فِي النَّهَارِ وَسَكُونٍ مَنْ يَسْكُنُ فِي النَّهَارِ ثُمَّ الْحَرُّ وَالْبُرْدُ وَحُلُولُ أَحَدِهِمَا بِعَقْبِ الْآخَرِ حَتَّى يَكُونَ الْحَرُّ بَرْدًا وَالْبُرُّ حَرًّا فِي وَقْتِهِ وَإِبَانَهُ فَكُلُّ هَذَا مِمَّا يَسْتَدِلُّ بِهِ الْقَلْبُ عَلَى الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَعَرَفَ الْقَلْبُ بِعَقْلِهِ أَنَّ مَدَبَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ هُوَ الْوَاحِدُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ الَّذِي لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ وَأَنَّه لَوْ كَانَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَيْنَ إِلَهَةٍ مَعَهُ سُبْحَانَهُ لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَفَسَدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى صَاحِبِهِ وَكَذَلِكَ سَمِعَتِ الْأُذُنُ مَا أَنْزَلَ الْمُدَبِّرُ مِنَ الْكُتُبِ تَصَدِيقًا لِمَا أَدْرَكَتَهُ الْقُلُوبُ بِعُقُولِهَا وَتَوْفِيقٍ لِلَّهِ إِيَّاهَا وَمَا قَالَهُ مَنْ عَرَفَهُ كُنْهَ مَعْرِفَتِهِ بِلَا وِلْدٍ وَلَا صَاحِبَةٍ وَلَا شَرِيكِ فَأَدَّتِ الْأُذُنُ مَا سَمِعَتْ مِنَ اللِّسَانِ بِمَقَالَةِ الْأَنْبِيَاءِ إِلَى الْقَلْبِ .

شرح: قوله عليه السلام: ربما ذهب الحواس إما بالنوم كما سيأتى أو بآفة فإن العقل لا محالة يدلّه على أن يشير إلى بعض ما يصلحه ويطلب ما يقيمه بأى وجه كان على أن ذهاب الحواس الخمس لا ينافى بقاء النطق قوله عليه السلام: إلا النزوع إلى الحواس أى الاشتياق إليها و الحاصل أنا نوافقك ونستدل لك بما تدلّ عليه الحواس وإن كنت رفضتها وتركتها وسلمت فيما مضى كونها معزولة عن بعض الأشياء فنقول إن حكم

العقل بوجود الصانع إنما هو من جهة ما دلته الحواس عليه مما نشاهده من آثار صنعه تعالى قوله عليه السلام: فتتكشط الانكشاف الانكشاف وقوله تعالى: وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (1) أى قلعت كما يقلع السقف و لعل المراد بالتأخر تأخر ما يحاذى رءوسنا بحيث يرى ما وراءه و بالتقدم أن يتحرك جميعها حركة أينية حتى يخرج من بينها و يحتمل أن يكون المراد فيهما معا أما الأول أو الثانى و يكون التعبير عن أحدهما بالانكشاف و عن الآخر بالزوال لمحض تقنن العبارة و على التقادير المراد بالزوال الزوال عنا و عن محاذاتنا قوله عليه السلام: و لا يتداعى قال الجوهري تداعت الحيطان للخراب أى تهدمت و قال انهيار أى انهدم قوله عليه السلام: ثم رجوعها إشارة إلى ما يعرض للمتخيرة من الرجعة و الاستقامة و الإقامة و قوله عليه السلام: و أخذها عرضا و طولاً إشارة إلى كونها تارة عن جنوب المعدل و تارة عن شمالها و كون بعضها تارة عن جنوب منطقة البروج و تارة عن شمالها و إلى حركة المائل فى السفليين و عرض الورااب و الانحراف و الاستواء فيهما (2) و إلى ميل الذروة و الحضيض فى المتخيرة و خنوسها غيبتها و استتارها تحت شعاع الشمس قوله عليه السلام: المنطبقة أى المحيطة بجميع الخلق و فى بعض النسخ المظلة و استقلها أى حملها و رفعها قوله عليه السلام: متصله بالسمااء أى داخله فى ذلك النظام شبيهة بها فيه قوله عليه السلام: يلمس بشىء لعل المراد الاصطكاك الذى يحصل منه صوت و فى بعض النسخ كشىء و يحتمل أن يكون تصحيف يشبه بشىء و قال الفيروزآبادى الهصر الجذب و الإمالة و الكسر و الدفع و الإدناء و عطف شىء رطب كغصن و نحوه و كسره من غير بينونة و قال الجليلد ما يسقط على الأرض من الندى فيجمد انتهى و قوله عليه السلام: أزجاه أى دفعه و الرسل بالكسر التأنى و الرفق و ينقع بالياء على المعلوم أو بالتاء على المجهول و البرك كعنب جمع بركة و هى معروفة و الفجاج بالضم الطريق الواسع بين جبلين و بالكسر جمع الفج بمعناه و الاعتلاء الارتفاع و قوله عليه السلام: غاصة أى ممتلئة و المصمخة لعلها مشتقة من الصماخ أى

ص: 166

1- التكوير: 11.

2- فى نسخة: و عرض الورااب و الانحراف و الالتواء فيهما.

تؤدى الصماخ و الأظهر مصممة قوله عليه السلام: من نبات بالإضافة على أن يكون مصدرا أو بالتثنية ليكون عشب بدل بعض له و الإقلاع عن الأمر الكف عنه و الكر الرجوع قوله عليه السلام: مع سكون من يسكن فى الليل أى جعل فى معظم المعمورة طول كل منهما و قصره على حد محدود لا يتجاوزه لثلا تقوت مصلحة كل منهما من السكون فى الليل و الانتشار فى النهار و يحتمل أن يكون إشارة إلى أصل الحكمة فى حصول الليل و النهار قوله عليه السلام: و انتشار من ينتشر فى الليل كالخفاش و البعوضة و سائر ما ينتشر فى الليل من الهوام و كالخائف و المسافر الذى تصلحه حركة الليل قوله: إِذَا لَذَّهَبَ أَى لو كان معه آلهة كما يقولون لذهب كل إله منهم بما خلقه و استبد به و امتاز ملكه عن ملك الآخرين و وقع بينهم التجاذب و التغالب كما هو حال ملوك الدنيا إذ يستحيل كونهما واجبين كاملين و هذا شأن الناقص و يحتمل أن يكون الغرض نفى الآلهة الناقصة الممكنة التى جعلوها شريكا للواجب تعالى شأنه و سيأتى الكلام فيه فى باب التوحيد و فى بعض النسخ هكذا و لعلا بعضهم على بعض و لأفسد كل واحد منهم على صاحبه و كذلك سمعت الأذن ما أنزل الله من كتبه على ألسن أنبيائه تصديقا لما أدركته العقول بتوفيق الله إياها و عونها لها إذا أرادت ما عنده أنه الأول لا شبيه له و لا مثل له و لا ضد له و لا تحيط به العيون و لا تدركه الأوهام كيف هو لأنه لا كيف له و إنما كيف للمكيف المخلوق المحدود المحدث غير أنا نوقن أنه معروف بخلقه موجود بصنعه فتبارك الله و تعالى اسمه لا شريك له فعرف القلب بعقله أنه لو كان معه شريك كان ضعيفا ناقصا و لو كان ناقصا ما خلق الإنسان و لاختلفت التدابير و انتقضت الأمور مع النقص الذى يوصف به الأرباب المتفردون و الشركاء المتعانتون قال قد أتيتى.

متن: فَقَالَ قَدْ أَتَيْتِي مِنْ أَبْوَابٍ لَطِيفَةٍ بِمَا لَمْ يَأْتِنِي بِهِ أَحَدٌ غَيْرُكَ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَمْنَعُنِي مِنْ تَرْكِ مَا فِي يَدِي إِلَّا الْإِيضَاحُ وَ الْحُجَّةُ الْقَوِيَّةُ بِمَا وَصَفْتَ لِي وَ فَسَّرْتَ قُدَّتْ أَمَّا إِذَا حَجَبْتَ عَنِ الْجَوَابِ (1) وَ اخْتَلَفَ مِنْكَ الْمَقَالُ فَسَّ يَا تُبَيْكُ مِنَ الدَّلَالَةِ مِنْ قَبْلِ نَفْسِكَ خَاصَّةً مَا يَسْتَبِينُ لَكَ أَنَّ الْحَوَاسَّ لَا تَعْرِفُ شَيْئًا إِلَّا بِالْقَلْبِ فَهَلْ رَأَيْتَ فِي الْمَنَامِ أَنَّكَ تَأْكُلُ

ص: 167

1- فى نسخة: أما إذ حجبت عن الجواب.

وَتَشْرَبُ حَتَّى وَصَلَتْ لَذَّةُ ذَلِكَ إِلَى قَلْبِكَ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ فَهَلْ رَأَيْتَ أَنَّكَ نَضَّحَكَ وَتَبَكَّى وَتَجُولُ فِي الْبُلْدَانِ الَّتِي لَمْ تَرَهَا وَ الَّتِي قَدْ رَأَيْتَهَا حَتَّى تَعْلَمَ مَعَالِمَ مَا رَأَيْتَ مِنْهَا قَالَ نَعَمْ مَا لَأُحْصِي قُلْتُ هَلْ رَأَيْتَ أَحَدًا مِنْ أَقَارِبِكَ مِنْ أَخٍ أَوْ أَبٍ أَوْ ذِي رَحِمٍ قَدْ مَاتَ قَبْلَ ذَلِكَ حَتَّى تَعْلَمَهُ وَ تَعْرِفَهُ كَمَا عَرَفْتِكَ إِيَّاهُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ قَالَ أَكْثَرَ مِنَ الْكَثِيرِ قُلْتُ فَأَخْبِرْنِي أَيُّ حَوَاسِكَ أَدْرَكَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ فِي مَنَامِكَ حَتَّى دَلَّتْ قَلْبَكَ عَلَى مُعَايَنَةِ الْمَوْتَى وَ كَلَامِهِمْ وَ أَكْلِ طَعَامِهِمْ وَ الْجَوْلَانِ فِي الْبُلْدَانِ وَ الصَّحِكِ وَ الْبُكَاءِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ قَالَ مَا أَقْدِرُ أَنْ أَقُولَ لَكَ أَيُّ حَوَاسِي أَدْرَكَ ذَلِكَ أَوْ شَيْئًا مِنْهُ وَ كَيْفَ تَدْرِكُ وَ هِيَ بِمَنْزِلَةِ الْمَيِّتِ لَا تَسْمَعُ وَ لَا تُبْصِرُ قُلْتُ فَأَخْبِرْنِي حَيْثُ اسْتَيْقَظْتَ أَلَسْتَ قَدْ ذَكَرْتَ الَّذِي رَأَيْتَ فِي مَنَامِكَ تَحْفَظُهُ وَ تَقْضِيهِ بَعْدَ يَقْظَتِكَ عَلَى إِخْوَانِكَ لَا تَسْسَى مِنْهُ حَرْفًا قَالَ إِنَّهُ كَمَا تَقُولُ وَ رَبَّمَا رَأَيْتَ الشَّيْءَ فِي مَنَامِي ثُمَّ لَا أُمْسِي حَتَّى أَرَاهُ فِي يَقْظَتِي كَمَا رَأَيْتُهُ فِي مَنَامِي قُلْتُ فَأَخْبِرْنِي أَيُّ حَوَاسِكَ قَرَّرْتَ عِلْمَ ذَلِكَ فِي قَلْبِكَ حَتَّى ذَكَرْتَهُ بَعْدَ مَا اسْتَيْقَظْتَ قَالَ إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ مَا دَخَلَتْ فِيهِ الْحَوَاسُ قُلْتُ أَفَلَيْسَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ حَيْثُ بَطَلَتْ الْحَوَاسُ فِي هَذَا أَنَّ الَّذِي عَايَنَ تِلْكَ الْأَشْيَاءَ وَ حَفِظَهَا فِي مَنَامِكَ قَلْبُكَ الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ فِيهِ الْعَقْلَ الَّذِي احْتَجَّ بِهِ عَلَى الْعِبَادِ قَالَ إِنَّ الَّذِي رَأَيْتُ فِي مَنَامِي لَيْسَ بِشَيْءٍ إِلَّا مَا هُوَ بِمَنْزِلَةِ السَّرَابِ الَّذِي يُعَايِنُهُ صَاحِبُهُ وَ يُنْظَرُ إِلَيْهِ لَا يَشْكُ فِيهِ أَنَّهُ مَاءٌ فَإِذَا انْتَهَى إِلَى مَكَانِهِ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا فَمَا رَأَيْتُ فِي مَنَامِي فِيهِ إِذِهِ الْمَنْزِلَةَ قُلْتُ كَيْفَ شَبَّهْتَ السَّرَابَ بِمَا رَأَيْتَ فِي مَنَامِكَ مِنْ أَكْلِكَ الطَّعَامِ الْحُلْوِ وَ الْحَامِضِ وَ مَا رَأَيْتَ مِنَ الْفَرَحِ وَ الْحَزَنِ قَالَ لِأَنَّ السَّرَابَ حَيْثُ انْتَهَيْتُ إِلَى مَوْضِعِهِ صَارَ لَا شَيْءَ وَ كَذَلِكَ صَارَ مَا رَأَيْتُ فِي مَنَامِي حِينَ انْتَبَهْتُ قُلْتُ فَأَخْبِرْنِي إِنْ أَتَيْتُكَ بِأَمْرٍ وَجَدْتُ لَذَّةً فِي مَنَامِكَ وَ حَفَقَ لَذَلِكَ قَلْبُكَ أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْأَمْرَ عَلَى مَا وَصَفْتُ لَكَ قَالَ بَلَى قُلْتُ فَأَخْبِرْنِي هَلْ احْتَلَمْتَ قَطُّ حَتَّى قَضَيْتَ فِي امْرَأَةٍ نَهْمَتَكَ (1) عَرَفْتَهَا أَمْ لَمْ تَعْرِفْهَا قَالَ بَلَى مَا لَأُحْصِيهِ قُلْتُ أَلَسْتَ وَجَدْتُ لِي ذَلِكَ لَذَّةً عَلَى قَدْرِ لَذَّتِكَ فِي يَقْظَتِكَ فَتَنْتَبِهَ وَ قَدْ أَنْزَلْتَ الشَّهْوَةَ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْكَ بِقَدْرِ مَا تَخْرُجُ مِنْكَ فِي الْيَقَظَةِ هَذَا كَسَّرَ لِجُحَّتِكَ فِي السَّرَابِ قَالَ مَا يَرَى الْمُحْتَلِمُ فِي مَنَامِهِ شَيْئًا إِلَّا مَا كَانَتْ

ص: 168

حَوَاسُهُ دَلَّتْ عَلَيْهِ فِي الْيَقَظَةِ قُلْتُ مَا زِدْتَ عَلَى أَنْ قَوَّيْتَ مَقَالَتِي وَزَعَمْتَ أَنَّ الْقَلْبَ يَعْقِلُ الْأَشْيَاءَ وَيَعْرِفُهَا بَعْدَ ذَهَابِ الْحَوَاسِ وَمَوْتِهَا فَكَيْفَ أَنْكَرْتَ أَنَّ الْقَلْبَ يَعْرِفُ الْأَشْيَاءَ وَهُوَ يَقْظَانُ مُجْتَمِعَةً لَهُ حَوَاسُهُ وَمَا الَّذِي عَرَفَهُ إِيَّاهَا بَعْدَ مَوْتِ الْحَوَاسِ وَهُوَ لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَ لَكُنْتُ حَقِيقًا أَنْ لَا تُنْكَرَ لَهُ الْمَعْرِفَةُ وَ حَوَاسُهُ حَيَّةٌ مُجْتَمِعَةٌ إِذَا أَقْرَزَتْ أَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى الْإِمْرَأَةِ بَعْدَ ذَهَابِ حَوَاسِهِ حَتَّى نَكَحَهَا وَأَصَابَ لَذَّتَهُ مِنْهَا فَيَنْبَغِي لِمَنْ يَعْقِلُ حَيْثُ وَصَفَ الْقَلْبَ بِمَا وَصَفَهُ بِهِ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِالْأَشْيَاءِ وَالْحَوَاسِ ذَاهِبَةً أَنْ يَعْرِفَ أَنَّ الْقَلْبَ مُدَبِّرُ الْحَوَاسِ وَمَالِكُهَا وَرَأْسُهَا (1) وَالْقَاضِي عَلَيْهِ فَإِنَّهُ مَا جَهَلَ الْإِنْسَانُ مِنْ شَيْءٍ فَمَا يَجْهَلُ أَنَّ الْيَدَ لَا تَقْدِرُ عَلَى الْعَيْنِ أَنْ تَقْلَعَهَا وَلَا عَلَى اللِّسَانِ أَنْ تَقْطَعَهُ وَأَنَّهُ لَيْسَ يَقْدِرُ شَيْءٌ مِنَ الْحَوَاسِ أَنْ يَفْعَلَ بِشَيْءٍ مِنَ الْجَسَدِ شَيْئًا بَعْدَ إِذْنِ الْقَلْبِ وَدَلَالَتِهِ وَتَدْبِيرِهِ لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَ الْقَلْبَ مُدَبِّرًا لِلْجَسَدِ بِهِ يَسْمَعُ وَبِهِ يُبْصِرُ وَهُوَ الْقَاضِي وَالْأَمِيرُ عَلَيْهِ وَلَا يَتَقَدَّمُ الْجَسَدُ إِذَا هُوَ تَأَخَّرَ وَلَا يَتَأَخَّرُ إِذَا هُوَ تَقَدَّمَ وَبِهِ سَمِعَتِ الْحَوَاسُ وَأَبْصَرَتْ إِذَا أَمَرَهَا انْتَمَرَتْ وَإِنْ نَهَاها انْتَهَتْ وَبِهِ يَنْزِلُ الْفَرْحُ وَالْحَزَنُ وَبِهِ يَنْزِلُ الْأَلَمُ إِذَا فَسَدَ شَيْءٌ مِنَ الْحَوَاسِ بَقِيَ عَلَى حَالِهِ وَإِنْ فَسَدَ الْقَلْبُ ذَهَبَ جَمِيعًا حَتَّى لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ قَالَ لَقَدْ كُنْتُ أَظُنُّكَ لَا تَتَخَلَّصُ مِنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَقَدْ حُنْتُ بِشَيْءٍ لَا أَقْدِرُ عَلَى رَدِّهِ قُلْتُ وَأَنَا أُعْطِيكَ تَصَادِيقَ مَا أَتْبَأْتُكَ بِهِ وَمَا رَأَيْتَ فِي مَنَامِكَ فِي مَجْلِسِكَ السَّاعَةَ قَالَ أَفْعَلُ فَإِنِّي قَدْ تَحَيَّرْتُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ قُلْتُ أَخْبِرْنِي هَلْ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مِنْ تِجَارَةٍ أَوْ صِنَاعَةٍ أَوْ بِنَاءٍ أَوْ تَقْدِيرِ شَيْءٍ وَتَأْمُرُ بِهِ إِذَا أَحْكَمْتَ تَقْدِيرَهُ فِي ظَنِّكَ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ فَهَلْ اشْرَكَتَ قَلْبَكَ فِي ذَلِكَ الْفِكْرِ شَيْئًا مِنْ حَوَاسِكَ قَالَ لَا قُلْتُ أَفَلَا تَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي أَخْبَرَكَ بِهِ قَلْبُكَ حَقٌّ قَالَ الْيَقِينُ هُوَ فَرْدُنِي مَا يُدْهِبُ الشَّكَّ عَنِّي وَيُزِيلُ الشُّبُهَةَ مِنْ قَلْبِي .

شرح: خفق القلب اضطرابه والنهمة بلوغ الهمة في الشيء والنهم بالتحريك إفراط الشهوة في الطعام أقول قد عرفت أن القلب يطلق في مصطلح الأخبار على النفس الناطقة ولما كان السائل منكرا لإدراك ما سوى الحواس الظاهرة بتبته عليه السلام على خطائه بمدركات الحواس الباطنة التي هي آلات النفس.

ص: 169

1- الراس: الوالي، في مقابلة المرءوس للمستولى عليه.



أقول: ذكر السيد ابن طائوس قدس الله روحه في كتاب النجوم من هذه الرسالة جملةً ليست فيما عندنا من النسخ فلندكرها:

قلت أخبرني هل يعرف أهل بلادك علم النجوم قال إنك لعافل عن علم أهل بلادى بالنجوم قلت وما بلغ من علمهم بها فقال إنا نخبرك عن علمهم بخصميتين تكتفي بهما عما سواهما قلت فأخبرني ولا تخبرني إلا بحق قال يدينى لا أخبرك إلا بحق وبما عاينت قلت هات قال أما إحدى الخصلتين فإن ملوك الهند لا يتخذون إلا الخصيان قلت ولم ذلك قال لأن لكل رجل منهم منجماً حاسباً فإذا أصبح أتى باب الملك فقام الشمس وحسب فأخبره بما يحدث في يومه ذلك وما حدث في ليلته التي كان فيها فإن كانت امرأة من نسائه قارفت شيئاً يكرهه أخبره فقال فلان قارف كذا وكذا مع فلانة ويحدث في هذا اليوم كذا وكذا قلت فأخبرني عن الخصم لمة الأخرى قال قوم بالهند بمنزلة الخنثيين عندكم يقتلون الناس بلا سلاح ولا خنق ويأخذون أموالهم قلت وكيف يكون هذا قال يخرجون مع الرفقة والتجار بقدر ما فيها من الرجال فيمشون معهم أياماً ليس معهم سلاح ويحدثون الرجال ويحسبون حساب كل رجل من التجار فإذا عرف أجمعهم موضع النفس من صاحبه وكز كل واحد منهم صاحبه الذي حسب به في ذلك الموضع فيقع جميع التجار موتى قلت إن هذا أرفع من الباب الأول إن كان ما تقول حقاً قال أحلف لك يدينى أنه حق ولربما رأيت بلاد الهند قد أخذ بعضهم وأمر بقتله قلت فأخبرني كيف كان هذا حتى أطلعوا عليه قال بحساب النجوم قلت فما سمعت كهذا علماً قط وما أشك أن واضع الحكيم العليم فأخبرني من وضع هذا العلم الدقيق الذي لا يدرك بالحواس ولا بالعقول ولا بالفكر قال حساب النجوم وضعت الحكماء وتوارثه الناس (1).

ص: 170

1- إلى هنا انتهى ما يختص به كتاب النجوم، ويشارك سائر النسخ من قوله: فاذا سألت الرجل منهم....

متن: قُلْتُ أَخْبِرْنِي هَلْ يَعْلَمُ أَهْلُ بِلَادِكَ عِلْمَ النُّجُومِ قَالَ إِنَّكَ لِعَافِلٌ عَنْ عِلْمِ أَهْلِ بِلَادِي بِالنُّجُومِ فَلَيْسَ أَحَدٌ أَعْلَمُ بِذَلِكَ مِنْهُمْ قُلْتُ أَخْبِرْنِي كَيْفَ وَقَعَ عِلْمُهُمْ بِالنُّجُومِ وَهِيَ مِمَّا لَا يُدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ وَلَا بِالْفِكْرِ قَالَ حِسَابٌ وَصَدَعَتْهُ الْحُكَمَاءُ وَتَوَارَثَتْهُ النَّاسُ فَإِذَا سَأَلَتِ الرَّجُلَ مِنْهُمْ عَنْ شَيْءٍ قَاسَ الشَّمْسَ وَنَظَرَ فِي مَآزِلِ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ وَ مَا لِلطَّالِعِ مِنَ التُّحُوسِ وَ مَا لِلْبَاطِنِ مِنَ الشُّعُودِ ثُمَّ يَحْسُبُ وَ لَا يُخْطِئُ وَ يُحْمَلُ إِلَيْهِ الْمُؤَلَّدُ فَيَحْسُبُ لَهُ وَ يُخْبِرُ بِكُلِّ عِلْمَةٍ فِيهِ بِغَيْرِ مُعَايَنَةٍ وَ مَا هُوَ مُصِيبُهُ إِلَى يَوْمِ يَمُوتُ قُلْتُ كَيْفَ دَخَلَ الْحِسَابُ فِي مَوَالِيدِ النَّاسِ قَالَ لِأَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ إِنَّمَا يُؤَلَّدُونَ بِهَذِهِ النُّجُومِ وَ لَوْ لَا ذَلِكَ لَمْ يَسَّ تَقَمُّ هَذَا الْحِسَابُ فَمَنْ ثُمَّ لَا يُخْطِئُ إِذَا عَلِمَ السَّاعَةَ وَ اليَوْمَ وَ الشَّهْرَ وَ السَّنَةَ الَّتِي يُؤَلَّدُ فِيهَا الْمُؤَلَّدُ قُلْتُ لَقَدْ تَوَصَّفَتْ عِلْمًا عَجِيبًا (1) لَيْسَ فِي عِلْمِ الدُّنْيَا أَدْقُ مِنْهُ وَ لَا أَعْظَمُ إِنْ كَانَ حَقًّا كَمَا ذَكَرْتَ يُعْرَفُ بِهِ الْمُؤَلَّدُ الصَّبِيُّ وَ مَا فِيهِ مِنَ العِلْمَاتِ وَ مُنْتَهَى أَجَلِهِ وَ مَا يُصِيبُهُ فِي حَيَاتِهِ أَوْ لَيْسَ هَذَا حِسَابًا تُؤَلَّدُ بِهِ جَمِيعُ أَهْلِ الدُّنْيَا مَنْ كَانَ مِنَ النَّاسِ قَالَ لَا أَشْكُ فِيهِ قُلْتُ فَتَعَالَى نَظْرُ بَعْثُولِنَا كَيْفَ عَلِمَ النَّاسُ هَذَا العِلْمَ وَ هَلْ يَسَّ تَقِيمُ أَنْ يَكُونَ لِبَعْضِ النَّاسِ إِذَا كَانَ جَمِيعُ النَّاسِ يُؤَلَّدُونَ بِهَذِهِ النُّجُومِ وَ كَيْفَ عَرَفَهَا بِسَّ عُودِهَا وَ نُحُوسِهَا وَ سَاعَاتِهَا وَ أَوْقَاتِهَا وَ دَقَائِقِهَا وَ دَرَجَاتِهَا وَ بَطِيئِهَا وَ سَرِيعِهَا وَ مَوَاضِعِهَا مِنَ السَّمَاءِ وَ مَوَاضِعِهَا تَحْتَ الأَرْضِ وَ دَلَالَتِهَا عَلَى غَامِضِ هَذِهِ الأَشْيَاءِ الَّتِي وَصَفْتَ فِي السَّمَاءِ وَ مَا تَحْتَ الأَرْضِ فَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ البُرُوجِ فِي السَّمَاءِ وَ بَعْضَهَا تَحْتَ الأَرْضِ وَ كَذَلِكَ النُّجُومُ السَّبْعَةُ مِنْهَا تَحْتَ الأَرْضِ وَ مِنْهَا فِي السَّمَاءِ فَمَا يَقْبَلُ عَقْلِي أَنَّ مَخْلُوقًا مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ قَدَرَ عَلَى هَذَا قَالَ وَ مَا أَنْكَرْتَ مِنْ هَذَا قُلْتُ إِنَّكَ زَعَمْتَ أَنَّ جَمِيعَ أَهْلِ الأَرْضِ إِنَّمَا يَتَوَالَّدُونَ بِهَذِهِ النُّجُومِ فَارَى الْحَكِيمَ الَّذِي وَصَعَ هَذَا الْحِسَابَ بِرَعْمِكَ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الدُّنْيَا وَ لَا شَكَّ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا أَنَّهُ وُلِدَ بِبَعْضِ هَذِهِ النُّجُومِ وَ السَّاعَاتِ وَ الْحِسَابِ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ إِلَّا أَنْ تَزْعُمَ أَنَّ ذَلِكَ الْحَكِيمَ لَمْ يُؤَلَّدَ بِهَذِهِ النُّجُومِ كَمَا وُلِدَ سَائِرُ النَّاسِ قَالَ وَ هَلْ هَذَا الْحَكِيمُ إِلَّا كَسَائِرِ النَّاسِ قُلْتُ أَفَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ يَدُلَّكَ عَقْلُكَ عَلَى أَنَّهَا قَدْ خُلِقَتْ قَبْلَ هَذَا الْحَكِيمِ الَّذِي زَعَمْتَ أَنَّهُ وَصَعَ هَذَا الْحِسَابَ وَ قَدْ زَعَمْتَ أَنَّهُ وُلِدَ بِبَعْضِ هَذِهِ النُّجُومِ قَالَ بَلَى

ص: 171

قُلْتُ فَكَيْفَ اهْتَدَى لَوْضَعِ هَذِهِ النُّجُومِ وَ هَلْ هَذَا الْعِلْمُ إِلَّا مِنْ مُعَلِّمٍ كَانَ قَبْلَهُمَا وَ هُوَ الَّذِي أَسَّسَ هَذَا الْحِسَابَ الَّذِي رَعَمْتَ أَنَّهُ أَسَاسُ الْمُؤَلُودِ وَ الْأَسَاسُ أَقْدَمُ مِنَ الْمُؤَلُودِ وَ الْحَكِيمُ الَّذِي رَعَمْتَ أَنَّهُ وَضَعَ هَذَا إِنَّمَا يَتَّبِعُ أَمْرَ مُعَلِّمٍ هُوَ أَقْدَمُ مِنْهُ وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَهُ مُؤَلُوداً بِبَعْضِ هَذَا النُّجُومِ وَ هُوَ الَّذِي أَسَّسَ هَذِهِ الْبُرُوجَ الَّتِي وُلِدَ بِهَا غَيْرُهُ مِنَ النَّاسِ فَوَاضِعُ الْأَسَاسِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ أَقْدَمَ مِنْهَا هَبْ أَنْ هَذَا الْحَكِيمُ عُمَرُ مُذْ كَانَتْ الدُّنْيَا عَشْرَةَ أَضْعَافٍ هَلْ كَانَ نَظَرُهُ فِي هَذِهِ النُّجُومِ إِلَّا كَنَظَرِكَ إِلَيْهَا مُعَلِّقَةً فِي السَّمَاءِ أَوْ تَرَاهُ كَانَ قَادِراً عَلَى الدُّنْيَا مِنْهَا وَ هِيَ فِي السَّمَاءِ حَتَّى يَعْرِفَ مَنَازِلَهَا وَ مَجَارِيهَا نُحُوسَهَا وَ سُدُوعُودَهَا وَ دَقَائِقَهَا وَ بَابِئِهَا تَكْسِيفُ الشَّمْسِ وَ الْقَمَرِ وَ بَابِئِهَا يُولَدُ كُلُّ مُؤَلُودٍ وَ آيِهَا السَّعْدُ وَ آيِهَا النَّحْسُ وَ آيِهَا الْبَطِيءُ وَ آيِهَا السَّرِيعُ ثُمَّ يَعْرِفُ بَعْدَ ذَلِكَ سُدُوعُودَ سَاعَاتِ النَّهَارِ وَ نُحُوسَهَا وَ آيِهَا السَّعْدُ وَ آيِهَا النَّحْسُ وَ كَمْ سَاعَةٍ يَمُكُّثُ كُلُّ نَجْمٍ مِنْهَا تَحْتَ الْأَرْضِ وَ فِي أَيِّ سَاعَةٍ تَغِيبُ وَ أَيِّ سَاعَةٍ تَطْلُعُ وَ كَمْ سَاعَةٍ يَمُكُّثُ طَالِعاً وَ فِي أَيِّ سَاعَةٍ تَغِيبُ وَ كَمْ اسْتَقَامَ لِرَجُلٍ حَكِيمٍ كَمَا رَعَمْتَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا أَنْ يَعْلَمَ عِلْمَ السَّمَاءِ مِمَّا لَا يَدْرُكُ بِالْحَوَاسِّ وَ لَا يَقَعُ عَلَيْهِ الْفِكْرُ وَ لَا يَخْطُرُ عَلَى الْأَوْهَامِ وَ كَيْفَ اهْتَدَى أَنْ يَمِيسَ الشَّمْسَ حَتَّى يَعْرِفَ فِي أَيِّ بُرْجٍ وَ فِي أَيِّ بُرْجٍ الْقَمَرُ وَ فِي أَيِّ بُرْجٍ مِنَ السَّمَاءِ هَذِهِ السَّبْعَةُ السُّعُودُ وَ النَّحُوسُ وَ مَا الطَّالِعُ مِنْهَا وَ مَا الْبَاطِنُ وَ هِيَ مُعَلِّقَةٌ فِي السَّمَاءِ وَ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ لَا يَرَاهَا إِذَا تَوَازَتْ بِضَوْءِ الشَّمْسِ إِلَّا أَنْ تَزْعُمَ أَنْ هَذَا الْحَكِيمُ الَّذِي وَضَعَ هَذَا الْعِلْمَ قَدْ رَفَى إِلَى السَّمَاءِ وَ أَنَا أَشْهَدُ أَنَّ هَذَا الْعَالِمَ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى هَذَا الْعِلْمِ إِلَّا بِمَنْ فِي السَّمَاءِ لِأَنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ عِلْمِ أَهْلِ الْأَرْضِ قَالَ مَا بَلَغَنِي أَنَّ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ رَفَى إِلَى السَّمَاءِ قُلْتُ فَلَعَلَّ هَذَا الْحَكِيمَ فَعَلَ ذَلِكَ وَ لَمْ يَبْلُغْكَ قَالَ وَ لَوْ بَلَغَنِي مَا كُنْتُ مُصَدِّقاً قُلْتُ فَأَنَا أَقُولُ قَوْلَكَ هَبْهُ رَفَى إِلَى السَّمَاءِ هَلْ كَانَ لَهُ بُدٌّ مِنْ أَنْ يَجْرِيَ مَعَ كُلِّ بُرْجٍ مِنْ هَذِهِ الْبُرُوجِ وَ نَجْمٍ مِنْ هَذِهِ النُّجُومِ مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ إِلَى حَيْثُ يَغِيبُ ثُمَّ يَعُودُ إِلَى الْآخَرِ حَتَّى يَفْعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى آخِرِهَا فَإِنَّ مِنْهَا مَا يَقْطَعُ السَّمَاءَ فِي ثَلَاثِينَ سَنَةً وَ مِنْهَا مَا يَقْطَعُ دُونَ ذَلِكَ وَ هَلْ كَانَ لَهُ بُدٌّ مِنْ أَنْ يَجُولَ فِي أَقْطَارِ السَّمَاءِ حَتَّى يَعْرِفَ مَطَالِعَ السُّعُودِ مِنْهَا وَ النَّحُوسِ

وَالْبَطِيءَ وَالسَّرِيعَ حَتَّى يُحْصِيَ ذَلِكَ أَوْ هَبْهُ قَدَرَ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى فَرَعَ مِمَّا فِي السَّمَاءِ هَلْ كَانَ يَسْتَتِقِيمُ لَهُ حِسَابُ مَا فِي السَّمَاءِ حَتَّى يُحْكِمَ حِسَابَ مَا فِي الْأَرْضِ وَمَا تَحْتَهَا وَأَنْ يَعْرِفَ ذَلِكَ مِثْلَ مَا قَدْ عَايَنَ فِي السَّمَاءِ لِأَنَّ مَجَارِيَهَا تَحْتَ الْأَرْضِ عَلَى غَيْرِ مَجَارِيهَا فِي السَّمَاءِ فَلَمْ يَكُنْ يَقْدِرُ عَلَى إِحْكَامِ حِسَابِهَا وَدَقَائِقِهَا وَسَاعَاتِهَا إِلَّا بِمَعْرِفَةٍ مَا غَابَ عَنْهُ تَحْتَ الْأَرْضِ مِنْهَا لِأَنَّهُ لَا يُعَايِنُهَا وَلَا مَا طَلَعَ مِنْهَا وَلَا مَا غَابَ وَلَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ الْعَالِمُ بِهَا وَاحِدًا وَإِلَّا لَمْ يَنْتَفِعْ بِالْحِسَابِ أَلَا تَزْعُمُ أَنَّ ذَلِكَ الْحَكِيمَ قَدْ دَخَلَ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ بَيْنَ وَالْبِحَارِ فَسَارَ مَعَ النُّجُومِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ فِي مَجَارِيهَا عَلَى قَدْرِ مَا سَارَ فِي السَّمَاءِ حَتَّى عَلِمَ الْعُيُوبَ مِنْهَا وَعَلِمَ مَا تَحْتَ الْأَرْضِ عَلَى قَدْرِ مَا عَايَنَ مِنْهَا فِي السَّمَاءِ قَالَ وَهَلْ أَرَيْتَنِي أَجَبْتُكَ إِلَى أَنْ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ رَفَى إِلَى السَّمَاءِ وَقَدَرَ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى أَقُولَ إِنَّهُ دَخَلَ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ بَيْنَ وَالْبِحَارِ قُلْتُ فَكَيْفَ وَقَعَ هَذَا الْعِلْمُ الَّذِي زَعَمْتَ أَنَّ الْحُكَمَاءَ مِنَ النَّاسِ وَضَعُوهُ وَأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ مَوْلُودُونَ بِهِ وَكَيْفَ عَرَفُوا ذَلِكَ الْحِسَابَ وَهُوَ أَقْدَمُ مِنْهُمْ .

أقول: فى نسخة السيد ابن طاوس هاهنا زيادة.

قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ قُلْتَ لَكَ إِنَّ الْبُرُوجَ لَمْ تَزَلْ وَهِيَ الَّتِي خَلَقْتَ أَنْفُسَهَا عَلَى هَذَا الْحِسَابِ مَا الَّذِي تَرُدُّ عَلَيَّ (1) قُلْتُ أَسْأَلُكَ كَيْفَ يَكُونُ بَعْضُهَا سَعْدًا وَبَعْضُهَا نَحْسًا وَبَعْضُهَا مُصِيبًا وَبَعْضُهَا مُظْلِمًا وَبَعْضُهَا صَغِيرًا وَبَعْضُهَا كَبِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَرَادْتَ أَنْ تَكُونَ بِمَنْزِلَةِ النَّاسِ فَإِنَّ بَعْضَهُمْ جَمِيلٌ وَبَعْضُهُمْ قَبِيحٌ وَبَعْضُهُمْ قَصِيرٌ وَبَعْضُهُمْ طَوِيلٌ وَبَعْضُهُمْ أَبْيَضٌ وَبَعْضُهُمْ أَسْوَدٌ وَبَعْضُهُمْ صَالِحٌ وَبَعْضُهُمْ طَالِحٌ قُلْتُ فَالْعَجَبُ مِنْكَ إِنِّي أَرَاؤُكَ مِنْذُ الْيَوْمِ عَلَى أَنْ تَقَرَّ بِصَانِعِ فَلَمْ تُجِئْنِي إِلَى ذَلِكَ حَتَّى كَانَ الْآنَ أَقْرَزْتَ بِأَنَّ الْقِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ خَلَقْنَ أَنْفُسَهُنَّ قَالَ لَقَدْ بَهَتَنِي بِمَا لَمْ يَسْمَعْ النَّاسُ مِنِّي قُلْتُ أَفْمُنْكَرٌ أَنْتَ لِذَلِكَ قَالَ

ص: 173

1- فى نسخة: ما الذى يرد على .

أَشَدَّ إِنكَارٍ قُلْتُ فَمَنْ خَلَقَ الْفَرْدَةَ وَالْحَنَازِيرَ إِنْ كَانَ النَّاسُ وَالنُّجُومُ خَلَقْنَ أَنْفُسَهُنَّ فَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ تَقُولَ إِنَّهُنَّ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ أَوْ خَلَقْنَ أَنْفُسَهُنَّ  
أَفْتَقُولُ إِنَّهَا مِنْ خَلْقِ النَّاسِ قَالَ لَا قُلْتُ فَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهَا خَالِقٌ أَوْ هِيَ خَلَقَتْ أَنْفُسَهَا فَإِنْ قُلْتَ إِنَّهَا مِنْ خَلْقِ النَّاسِ أَفَرَزْتَ أَنْ لَهَا خَالِقًا  
فَإِنْ قُلْتَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهَا خَالِقٌ فَقَدْ صَدَقْتَ وَ مَا أَعْرَفْنَا بِهِ وَ لَكِنْ قُلْتَ إِنَّهُنَّ خَلَقْنَ أَنْفُسَهُنَّ فَقَدْ أَعْطَيْتَنِي فَوْقَ مَا طَلَبْتُ مِنْكَ مِنَ الْإِقْرَارِ  
بِصَانِعٍ ثُمَّ قُلْتَ فَأَخْبِرْنِي بَعْضُهُمْ قَبْلَ بَعْضٍ خَلَقْنَ أَنْفُسَهُنَّ أَمْ كَانَ ذَلِكَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ فَإِنْ قُلْتَ بَعْضُهُمْ قَبْلَ بَعْضٍ فَأَخْبِرْنِي السَّمَاوَاتُ وَ مَا  
فِيهِنَّ وَ النُّجُومُ قَبْلَ الْأَرْضِ وَ الْإِنْسِ وَ الدَّرِّ خُلِقْنَ أَمْ بَعْدَ ذَلِكَ فَإِنْ قُلْتَ إِنَّ الْأَرْضَ قَبْلَ أَفَلَا تَرَى قَوْلَكَ إِنَّ الْأَشْيَاءَ لَمْ تَزَلْ قَدْ بَطَلَ حَيْثُ  
كَانَتِ السَّمَاءُ بَعْدَ الْأَرْضِ قَالَ بَلَى وَ لَكِنْ أَقُولُ مَعًا جَمِيعًا خُلِقْنَ قُلْتُ أَفَلَا تَرَى أَنَّكَ قَدْ أَفْرَزْتَ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ شَيْئًا قَبْلَ أَنْ خُلِقْنَ وَ قَدْ أَذْهَبَتْ  
حُجَّتَكَ فِي الْأَزَلِيَّةِ قَالَ إِنِّي لَعَلَى حَدِّ وَ قُوفٍ مَا أَدْرِي مَا أُجِيبُكَ فِيهِ لِأَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ الصَّانِعَ إِنَّمَا سَمَّى صَانِعًا لِصِدِّ نَاعَتِهِ وَ الصَّنَاعَةَ غَيْرَ الصَّانِعِ وَ  
الصَّانِعَ غَيْرَ الصَّنَاعَةِ لِأَنَّهُ يُقَالُ لِلرَّجُلِ الْبَانِي لِصِدِّ نَاعَتِهِ الْبِنَاءُ وَ الْبِنَاءُ غَيْرُ الْبَانِي وَ الْبَانِي غَيْرُ الْبِنَاءِ وَ كَذَلِكَ الْحَارِثُ غَيْرَ الْحَرْثِ وَ الْحَرْثُ غَيْرُ  
الْحَارِثِ قُلْتُ فَأَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِكَ إِنْ النَّاسَ خَلَقُوا أَنْفُسَهُمْ فَكَيْمَالِهِمْ خَلَقُوهَا أَرْوَاحَهُمْ وَ أَجْسَادَهُمْ وَ صُورَهُمْ وَ أَنْفُسَهُمْ أَمْ خَلَقَ بَعْضُ ذَلِكَ  
غَيْرُهُمْ قَالَ بِكَمَالِهِمْ لَمْ يَخْلُقْ ذَلِكَ وَ لَا شَيْئًا مِنْهُمْ غَيْرُهُمْ قُلْتُ فَأَخْبِرْنِي الْحَيَاةَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ أَمْ الْمَوْتُ قَالَ أَوْ تَشْكُ أَنْهُ لَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ  
مِنَ الْحَيَاةِ وَ لَا أَبْغَضُ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمَوْتِ قُلْتُ فَأَخْبِرْنِي مَنْ خَلَقَ الْمَوْتَ الَّذِي يُخْرِجُ أَنْفُسَهُمُ الَّتِي رَعَمَتْ أَنَّهُمْ خَلَقُوهَا فَإِنَّكَ لَا تُنْكِرُ أَنَّ  
الْمَوْتَ غَيْرَ الْحَيَاةِ وَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَذْهَبُ بِالْحَيَاةِ فَإِنْ قُلْتَ إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ غَيْرُهُمْ فَإِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ الْحَيَاةَ وَ لَكِنْ  
قُلْتَ هُمُ الَّذِينَ خَلَقُوا الْمَوْتَ لِأَنفُسِهِمْ إِنْ هَذَا لِمَحَالٍّ مِنَ الْقَوْلِ وَ كَيْفَ خَلَقُوا لِأَنفُسِهِمْ مَا يَكْرَهُونَ إِنْ كَانُوا كَمَا رَعَمْتَ خَلَقُوا أَنْفُسَهُمْ هَذَا  
مَا يُسْتَنْكَرُ مِنْ ضَلَالِكَ إِنْ تَزْعُمُ أَنَّ النَّاسَ قَدَرُوا عَلَى خَلْقِ أَنْفُسِهِمْ بِكَمَالِهِمْ وَ أَنَّ الْحَيَاةَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمَوْتِ وَ خَلَقُوا مَا يَكْرَهُونَ لِأَنفُسِهِمْ

قَالَ مَا أَحَدٌ وَاحِدًا مِنَ الْقَوْلَيْنِ يَنْقَادُ لِي وَ لَقَدْ فَطَعْتَهُ عَلَيَّ قَبْلَ الْغَايَةِ الَّتِي كُنْتُ أُرِيدُهَا قُلْتُ دَعْنِي فَإِنَّ مِنَ الدَّخُولِ فِي أَبْوَابِ الْجَهَالَاتِ مَا لَا يَنْقَادُ مِنَ الْكَلَامِ وَإِنَّمَا أَسْأَلُكَ عَنْ مُعَلِّمِ هَذَا الْحِسَابِ الَّذِي عَلَّمَ أَهْلَ الْأَرْضِ عِلْمَ هَذِهِ النُّجُومِ الْمُعَلَّقَةِ فِي السَّمَاءِ .

أقول: رجعنا إلى ما في النسخ المشهورة.

قَالَ مَا أَحَدٌ يَسْتَعِينُ أَنْ أَقُولَ إِنَّ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ وَضَعَ عِلْمَ هَذِهِ النُّجُومِ الْمُعَلَّقَةِ فِي السَّمَاءِ قُلْتُ فَلَا بُدَّ لَكَ أَنْ تَقُولَ إِنَّمَا عَلَّمَهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ بِأَمْرِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَ مُدَبِّرُهُمَا قَالَ إِنْ قُلْتُ هَذَا فَقَدْ أَفْرَزْتُ لَكَ بِالْهَيْكَلِ الَّذِي تَزْعُمُ أَنَّهُ فِي السَّمَاءِ قُلْتُ أَمَا أَنْتَ فَقَدْ أَعْطَيْتَنِي أَنَّ حِسَابَ هَذِهِ النُّجُومِ حَقٌّ وَأَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ وُلِدُوا بِهَا قَالَ السُّكُّ فِي غَيْرِ هَذَا قُلْتُ وَ كَذَلِكَ أَعْطَيْتَنِي أَنَّ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ لَمْ يَقْدِرْ عَلَيَّ أَنْ يَغِيبَ مَعَ هَذِهِ النُّجُومِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ فِي الْمَغْرِبِ حَتَّى يَعْرِفَ مَجَارِيَهَا وَيَطَّلِعَ مَعَهَا إِلَى الْمَشْرِقِ قَالَ الطُّلُوعُ إِلَى السَّمَاءِ دُونَ هَذَا قُلْتُ فَلَا أَرَاكَ تَحِيدُ بُدًّا مِنْ أَنْ تَزْعُمَ أَنَّ الْمُعَلِّمَ لِهَذَا مِنَ السَّمَاءِ قَالَ لَيْنَ قُلْتُ أَنْ لَيْسَ لِهَذَا الْحِسَابِ مُعَلِّمٌ لَقَدْ قُلْتُ إِذَا غَيَّرَ الْحَقُّ وَلَيْنَ زَعَمْتُ أَنَّ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ عَلَّمَ مَا فِي السَّمَاءِ وَ مَا تَحْتَ الْأَرْضِ لَقَدْ أَبْطَلْتُ لِأَنَّ أَهْلَ الْأَرْضِ لَا يَقْدِرُونَ عَلَيَّ عِلْمَ مَا وَصَفْتُ لَكَ مِنْ حَالِ هَذِهِ النُّجُومِ وَ الْبُرُوجِ بِالْمُعَايَنَةِ وَ الدُّنُوِّ مِنْهَا (1) فَلَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ لِأَنَّ عِلْمَ أَهْلِ الدُّنْيَا لَا يَكُونُ عِنْدَنَا إِلَّا بِالْحَوَاسِّ وَ مَا يُدْرِكُ عِلْمَ هَذِهِ النُّجُومِ الَّتِي وَصَفْتُ بِالْحَوَاسِّ لِأَنَّهَا مُعَلَّقَةٌ فِي السَّمَاءِ وَ مَا زَادَتْ الْحَوَاسُّ عَلَى النَّظَرِ إِلَيْهَا حَيْثُ تَطَّلِعُ وَ حَيْثُ تَغِيبُ فَأَمَّا حِسَابُهَا وَ دَقَائِقُهَا وَ نُحُوسُهَا وَ سُعُودُهَا وَ بَطِيئُهَا وَ سَرِيعُهَا وَ خُنُوسُهَا وَ رُجُوعُهَا فَآتَى تَدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ أَوْ يُهْتَدَى إِلَيْهَا بِالْقِيَاسِ قُلْتُ فَأَخْبِرْنِي لَوْ كُنْتُ مُتَعَلِّمًا مُسْتَوْصِفًا لِهَذَا الْحِسَابِ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ تَسْتَوْصِدَ مِنْهُ وَ تَتَعَلَّمَهُ أَمْ مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ قَالَ مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ إِذْ كَانَتْ النُّجُومُ مُعَلَّقَةً فِيهَا حَيْثُ لَا يَعْلَمُهَا أَهْلُ الْأَرْضِ

ص: 175

1- وفي نسخة: فاما الدنو.

قُلْتُ فَافْتَهُمْ وَأَدِقَّ النَّظَرَ وَنَاصِحَ نَفْسِكَ أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ حَيْثُ كَانَ جَمِيعُ أَهْلِ الدُّنْيَا إِنَّمَا يُؤَلَّدُونَ بِهَذِهِ النُّجُومِ عَلَى مَا وَصَّفْتَ فِي النُّحُوسِ وَ الشُّعُودِ أَنَّهُنَّ كُنَّ قَبْلَ النَّاسِ قَالَ مَا أَمْتَنِعُ أَنْ أَقُولَ هَذَا قُلْتُ أَفَلَيْسَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ قَوْلَكَ إِنَّ النَّاسَ لَمْ يَزَالُوا وَلَا يَزَالُونَ قَدْ انْكَسَرَ عَلَيْكَ (1) حَيْثُ كَانَتِ النُّجُومُ قَبْلَ النَّاسِ فَالْتَّاسِ حَدَثٌ بَعْدَهَا وَلَئِنْ كَانَتِ النُّجُومُ خُلِقَتْ قَبْلَ النَّاسِ مَا تَجِدُ بُدْأً مِنْ أَنْ تَزْعُمَ أَنَّ الْأَرْضَ خُلِقَتْ قَبْلَهُمْ قَالَ وَلِمَ تَزْعُمُ أَنَّ الْأَرْضَ خُلِقَتْ قَبْلَهُمْ قُلْتُ أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّهَا لَوْ لَمْ تَكُنِ الْأَرْضُ جَعَلَ اللَّهُ لِخَلْقِهِ فِرَاشًا وَمِهَادًا مَا اسْتَقَامَ النَّاسُ وَلَا غَيْرُهُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ وَلَا قَدَرُوا أَنْ يَكُونُوا فِي الْهَوَاءِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ أَجْنِحَةٌ قَالَ وَمَا ذَا يَغْنِي عَنْهُمْ الْأَجْنِحَةُ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُمْ مَعِيشَةٌ قُلْتُ فَفِي شَكِّ أَنْتَ مِنْ أَنَّ النَّاسَ حَدَثَ بَعْدَ الْأَرْضِ وَالْبُرُوجِ قَالَ لَا وَلَكِنْ عَلَى الْيَقِينِ مِنْ ذَلِكَ قُلْتُ آتَيْكَ أَيْضًا بِمَا تُبْصِرُهُ قَالَ ذَلِكَ أَنْفَى (2) لِلشَّكِّ عَنِّي قُلْتُ أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي تَدُورُ عَلَيْهِ هَذِهِ النُّجُومُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ هَذَا الْفَلَكَ قَالَ بَلَى قُلْتُ أَفَلَيْسَ قَدْ كَانَ أَسَاسًا لِهَذِهِ النُّجُومِ قَالَ بَلَى قُلْتُ فَمَا أَرَى هَذِهِ النُّجُومَ الَّتِي زَعَمْتَ أَنَّهَا مَوَالِيدُ النَّاسِ إِلَّا وَقَدْ وُضِعَتْ بَعْدَ هَذَا الْفَلَكَ لِأَنَّهُ بِهِ تَدُورُ الْبُرُوجُ وَتَسْفُلُ مَرَّةً وَتَصْعَدُ أُخْرَى قَالَ قَدْ حِثَّ بِأَمْرٍ وَاضِحٍ لَا يُشْكَلُ عَلَى ذِي عَقْلِ أَنْ الْفَلَكَ الَّذِي تَدُورُ بِهِ النُّجُومُ هُوَ أَسَاسُهَا الَّذِي وُضِعَ لَهَا لِأَنَّهَا إِنَّمَا جَرَتْ بِهِ قُلْتُ أَفَرَزْتَ أَنَّ خَالِقَ النُّجُومِ الَّتِي يُؤَلَّدُ بِهَا النَّاسُ سَعُودُهُمْ وَنُحُوسُهُمْ هُوَ خَالِقُ الْأَرْضِ لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ خَلَقَهَا لَمْ يَكُنْ ذَرَّةً قَالَ مَا أَجِدُ بُدْأً مِنْ إِبْجَاتِكَ إِلَى ذَلِكَ قُلْتُ أَفَلَيْسَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ يَدُلَّكَ عَقْلُكَ عَلَى أَنَّهُ لَا يَدْرُ عَلَى خَلْقِ السَّمَاءِ إِلَّا الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ وَالذَّرَّةَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَ النُّجُومَ وَأَنَّهُ لَوْ لَا السَّمَاءُ وَمَا فِيهَا لَهَلَكَ ذَرَّةٌ الْأَرْضِ .

شرح: أن يكون لبعض الناس أى هذا العلم اعلم أن كلامه واحتجابه ع

ص: 176

1- وفي نسخة: قد أنكر عليك.

2- وفي نسخة: قال: ذلك أنقى للشك عنى.

مبنى على أحد أمرين الأول ما يحكم به الوجدان من أن العلم بدقائق حركات هذه الكواكب و خواص آثارها و المناسبة بينها و بين ما هي علامة لحدوثها لا يتأتى إلا لخالقها الذى جعلها كذلك أو من ينتهى علمه إليه و معلوم أن ما هو الحق من هذه العلوم إنما وصل إلى الخلق من الأنبياء كما اعترفوا به و لما لم يحيطوا بجميع ذلك و ضاع عنهم بعض ما استفادوا من الأنبياء عليهم السلام أيضا فلذا ترى الرياضيين يتحIRON فى بعض الحركات التى لا تستقيم على أصولهم و يسمونها ما لا ينحل و ترى المنجمين يخطئون فى كثير من أحكامهم لذلك ثم ذكر عليه السلام على سبيل التنزل أنه لو سلمنا أنه يمكن أن يتيسر ذلك لمخلوق من البشر فلا يتأتى ذلك إلا لمن كان معها فى حركاتها و يعاشرها مدة طويلة ليعلم كيفية حركاتها و جرب بكثرة المعاشرة خواصها و آثارها.

و الثانى أن يكون المراد أنك إذا اعترفت أن كل الخلق يولدون بهذه النجوم فلا يكون أحد منهم علة لها و لآثارها لتقدمها عليهم و لا شك فى أنه لا بد من حكيم عالم بجميع الأمور قادر عليها أسس ذلك الأساس و بنى عليها تلك الآثار و الأحكام التى أمكن للخلق بها استعمال ما لم يأت من الأمور فقد أقررت بالصانع فهو أول عالم بهذا العلم لا الحكيم الذى تزعم أنه يولد بتلك النجوم (1) و يحتمل أن يكون المقصود من الكلام الإشارة إلى كلا الدليلين كما لا يخفى بعد التأمل قوله عليه السلام: مواضعها من السماء أى عند كونها فوق الأرض و مواضعها تحت الأرض أى بعد غروبها و استتارها عنا بالأرض قوله عليه السلام: إلا بمن فى السماء أى بمن أحاط علمه و قدرته و حكمه بالسماء و ما فيها قوله عليه السلام: فأنا أقول قولك أى أنا أعتقد ما قلت من أن الحكماء الذين تزعمهم عالمين به لم يرقوا إلى السماء أو أعتقد أنه لا يمكنهم أن يرقوا إلى السماء بأنفسهم بدون تعلق إرادة الرب تعالى به و مع ذلك فإن سلمناه فلا يكفى محض الصعود للإحاطة بذلك قوله عليه السلام: مع كل برج أى فيه أو بالحركة السريعة قوله عليه السلام: فى ثلاثين سنة و هو زحل و هو أبطأ السيارات و إنما لم يتعرض عليه السلام للثوابت مع

ص:177

1- و بعبارة أخرى إنك بعد ما اعترفت بأن جميع الناس يولدون بهذه النجوم و لم يمكن أن يولد أحد من أهل الأرض الا بهذه النجوم لآثارها علة، فقد اعترفت بأن واضع هذه النجوم غير أهل الدنيا لانهم معلولون لها، و هذا تسليم و ادعان منك بالصانع تعالى.



كونها أبطأ لأن مبنى أحكامهم على السيارات قوله عليه السلام: لأن مجاريها تحت الأرض لما ذكر عليه السلام سابقا سيره مع الكواكب من الطلوع إلى الغروب أشار عليه السلام هاهنا إلى أنه لا- يكفي ذلك للعلم بجميع الحركات حتى يسير معها بعد الغروب فيحاذى ما تحت الأرض من البحار والمواضع المظلمة بالبخارات أو يسير مع سائر الكواكب عند كون الشمس فوق الأرض حتى يحاذى ما تحتها الظلمة ثم يبين عليه السلام الحاجة إلى ذلك بأنه لا تكفى الإحاطة ببعض مسيرها للعلم بحركاتها لأن حركاتها الخاصة عندهم مختلفة بالنسبة إلى مركز العالم بسبب التداوير والأفلاك الخارجة المراكز وغيرها فتارة تسرع وتارة تبطئ فلا تتأتى مقايسة بعض حركاتها ببعض.

قوله عليه السلام: كيف يكون بعضها سعدا أى يرجع قولك إلى أنها مع صفاتها وجدت من غير صانع فكيف صار بعضها هكذا وبعضها هكذا فترجح هذه الأحوال الممكنة و حصولها من غير علة مما يحكم العقل باستحالته أو المراد أنها لو كانت خالقة لأنفسها لكان كل منها يختار لنفسه أفضل الأحوال وأشرفها فكان جميعها على حالة واحدة هى أفضل الأحوال وهذا أظهر ثم لما لم يفهم السائل ذلك غير الكلام و صرفه إلى ما هو أوضح وقوله عليه السلام: قد أقررت أنها لم تكن شيئا إما مبنى على أن الصنع والخلق لا يتعلقان إلا بالحدث أو على ما كان ظاهر كلام السائل أن لوجودها مبدأ ثم إن السائل لما تفتن بفساد كون الشيء صانعا لنفسه رجع وأقر بأن العقل يحكم بديهة بأن المصنوع غير الصانع والبانى غير البناء وما ذكره عليه السلام من أن خالق الحياة والموت لا بد أن يكون واحدا مما يحكم به الوجدان مع أن الظاهر من خالق الحياة من يكون مستقلا فيه والموت ليس إلا رفع الحياة فلو كان مستندا إلى غيره لم يكن خالق الحياة مستقلا فيه.

قوله عليه السلام: دون هذا أى أنا أنكر الصعود إلى السماء الذى هو أسهل مما ذكرت فكيف أقر به أو المراد أن الصعود إلى السماء أسهل على من الإقرار بما ذكرت قوله عليه السلام: إنهن كن قبل الناس أى بالعلية والسببية كما ظن السائل أو بالزمان أى تقدمها على كل شخص أو على الجميع بناء على لزوم التقدم على كل

من الأشخاص التقدم على الجميع كما قيل أو على أنه عليه السلام كان يعلم أن السائل كان قائلاً بذلك فذكره عليه السلام إلزاماً عليه كما اعترف به و على الأول يكون المراد بقوله لم يزالوا ولا يزالون عدم استنادهم إلى علة و على الثاني فالمراد إما قدم مادتهم أو صورهم أيضاً بناء على القول بالكمون و على الثالث فالمراد قدم نوعهم قوله عليه السلام: بعد هذا الفلك أى هى محتاجة إلى الفلك و الفلك متقدمة عليها بالعلية فلا يصح كون النجوم علة لها للزوم الدور قوله عليه السلام: لم يكن ذرء أى مذروء و مخلوق من الإنس.

ثم اعلم أن حاصل استدلاله على ما ظهر لهذا القاصر هو أنه عليه السلام لما قرر السائل سألها على أن النجوم ليست خالقة لأنفسها و آنفاً على أنها ليست مخلوقة للناس و غيرها مما يحدث بزعمه بتأثيرها لتأخرها عنها و على أن الأرض أيضاً متقدمة على ما عليها من الخلق فلا تكون مخلوقة لما عليها و على أن الفلك لتقدمه على النجوم المتقدمة على الناس لا يجوز كونه مخلوقاً لشيء منها استدلالاً عليه السلام هاهنا على أنه لا بد أن يكون خالق السماء و الأرض و ما فى السماء من الشمس و القمر و النجوم و ما على الأرض من الخلق واحداً.

أما اتحاد خالق الأرض و النجوم فيمكن تقريره بوجهين الأول أن الناس محتاجون إلى الأرض كما عرفت و ظاهر أنها من أعظم مصالحهم فالوجدان الصحيح يحكم بأن من خلق شيئاً يعد له ما يصلحه و يهيئ له ما سيحتاج إليه فظهر أنه لا بد أن يكون خالق الناس و خالق الأرض واحداً و الناس بزعمك مخلوقون للنجوم و لزمك القول بوجود خالق للنجوم فلا بد من القول بكون الأرض منسوبة إلى خالق النجوم إما بلا واسطة أو بواسطة النجوم أو غيرها فثبت المطلوب.

الثانى أنا نرى التلازم بين الناس و الأرض لحكم العقل بأن كلا منهما يرتفع عند ارتفاع الآخر إذ الظاهر أن غاية خلق الأرض هو الإنسان و نحوه و هم محتاجون فى أمورهم إليها و قد تقرر أن المتلازمين إما أن يكون أحدهما علة للآخر أو كل منهما معلول علة ثالثة و لا يجوز أن يكون الناس عللاً للأرض لما عرفت و لا معلولة

لها لانتسابها عندك إلى النجوم فلا بد من أن يكونا معلولى علة واحدة و بأحد هذين التقريرين يثبت اتحاد خالق السماء و خالق هذه الأمور السابقة لاحتياج ما على الأرض من الخلق إلى السماء و ما فيها من النجوم و إليه أشار عليه السلام بقوله و إنه لو لا السماء و ما فيها لهلك ذرء الأرض هذا ما أحاط به نظرى العاثر و سيأتى فى تضاعيف كلامه عليه السلام توضيح ما قلناه و التصريح ببعض ما قررناه و الله يعلم و حججه عليه السلام حقائق كلامهم و دقائق مرامهم ثم لا يتوهم متوهم من كلامه عليه السلام أن للنجوم تأثيرا فإنه ظاهر أنه عليه السلام إنما ذكرها إلزاما عليه و مماشاة معه لإتمام الحجة عليه (1) بل لا يمكن الاستدلال على سعوها و نحوسها و كونها علامات للكائنات أيضا بهذا الوجه لكن ظاهره أن لها سعادة و نحوسة و أنها علامات و سيأتى القول فى ذلك مفصلا فى كتاب السماء و العالم.

متن: قَالَ أَشْهَدُ أَنَّ الْخَالِقَ وَاحِدٌ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ لِأَنَّكَ قَدْ أَتَيْتَنِي بِحُجَّةٍ ظَهَرَتْ لِعَقْلِي وَ انْقَطَعَتْ بِهَا حُجَّتِي وَ مَا أَرَى يَسَّ تَقْيِيمُ أَنْ يَكُونَ وَاضِعٌ هَذَا الْحِسَابِ وَ مُعَلِّمٌ هَذِهِ النُّجُومِ وَاحِدًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ لِأَنَّهَا فِي السَّمَاءِ وَ لَا مَعَ ذَلِكَ يَعْرِفُ مَا تَحْتَ الْأَرْضِ مِنْهَا إِلَّا مُعَلِّمٌ مَا فِي السَّمَاءِ مِنْهَا وَ لَكِنْ لَسْتُ أَدْرِي كَيْفَ سَقَطَ أَهْلُ الْأَرْضِ عَلَى هَذَا الْعِلْمِ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ حَتَّى اتَّفَقَ حِسَابُهُمْ عَلَى مَا رَأَيْتَ مِنَ الدَّقَّةِ وَ الصَّوَابِ فَإِنِّي لَوْ لَمْ أَعْرِفْ مِنْ هَذَا الْحِسَابِ مَا أَعْرِفُهُ لِأَنَّكَ تَعْرِفُهُ وَ لَأَخْبَرْتُكَ أَنَّهُ بَاطِلٌ فِي بَدءِ الْأَمْرِ فَكَانَ أَهْوَنَ عَلَيَّ قُلْتُ فَأَعْطِنِي مَوْثِقًا إِنْ أَنَا أَعْطَيْتُكَ مِنْ قَبْلِ هَذِهِ الْإِهْلِيلِجَةِ الَّتِي فِي يَدِكَ وَ مَا تَدَّعَى مِنَ الطَّبِّ الَّذِي هُوَ صِدِّ نَاعَتِكَ وَ صِدِّ نَاعَةِ آبَائِكَ حَتَّى يَتَّصِلَ الْإِهْلِيلِجَةُ وَ مَا يُشَدُّ بِهَا مِنَ الْأَدْوِيَةِ بِالسَّمَاءِ لَتُدْعِنَنَّ بِالْحَقِّ وَ لَتُنْصِفَنَّ مِنْ نَفْسِكَ قَالَ ذَلِكَ لَكَ قُلْتُ هَلْ كَانَ النَّاسُ عَلَى حَالٍ وَ هُمْ لَا يَعْرِفُونَ الطَّبَّ وَ مَنَافِعَهُ مِنْ هَذِهِ الْإِهْلِيلِجَةِ وَ أَشْبَاهِهَا قَالَ نَعَمْ قُلْتُ فَمِنْ أَيَّنَ اهْتَدَوْا لَهُ قَالَ بِالتَّجْرِبَةِ وَ طُولِ الْمُقَابَسَةِ قُلْتُ فَكَيْفَ خَطَرَ

ص: 180

1- ما ذكره رحمه الله بمعنى التأثير بنحو الاستقلال حق، و أمّا أصل التأثير بمعنى وجود رابطة السببية و المسببية بين هذه الأشياء فهو ممّا بنى عليه كلامه عليه السلام من أوله إلى آخره كما هو ظاهر. ط.

عَلَى أَوْهَامِهِمْ حَتَّى هُمُوا بِتَجَرِبَتِهِ وَكَيْفَ ظَنُّوا أَنَّهُ مَصْلَحَةٌ لِلْأَجْسَادِ وَ هُمْ لَا يَرُونَ فِيهِ إِلَّا الْمَصْرَةَ أَوْ كَيْفَ عَزَمُوا عَلَى طَلَبِ مَا لَا يَعْرِفُونَ مِمَّا لَا تَدْلُهُمْ عَلَيْهِ الْحَوَاشِ قَالَ بِالتَّجَارِبِ قُلْتُ أَخْبِرْنِي عَنْ وَاضِعِ هَذَا الطَّبِّ وَ وَاصِفِ هَذِهِ الْعَقَاقِيرِ الْمُتَفَرِّقَةِ بَيْنَ الْمَسَّرِقِ وَ الْمَغْرِبِ هَلْ كَانَ بُدُّ مِنْ أَنْ يَكُونَ الَّذِي وَضَعَ ذَلِكَ وَ دَلَّ عَلَى هَذِهِ الْعَقَاقِيرِ رَجُلٌ حَكِيمٌ [رَجُلًا حَكِيمًا] مِنْ بَعْضِ أَهْلِ هَذِهِ الْبُلْدَانِ قَالَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ وَ أَنْ يَكُونَ رَجُلًا - حَكِيمًا وَضَعَ ذَلِكَ وَ جَمَعَ عَلَيْهِ الْحُكَمَاءُ فَظَنُّوا فِي ذَلِكَ وَ فَكَّرُوا فِيهِ بِعُقُولِهِمْ قُلْتُ كَأَنَّكَ تُرِيدُ الْإِنْصَافَ مِنْ نَفْسِكَ وَ الْوَفَاءَ بِمَا أُعْطِيتَ مِنْ مِيثَاقِكَ فَأَعْلِمْنِي كَيْفَ عَرَفَ الْحَكِيمُ ذَلِكَ وَ هَبْهُ قَدْ عَرَفَ بِمَا فِي بِلَادِهِ مِنَ الدَّوَاءِ وَ الزَّعْفَرَانِ الَّذِي بِأَرْضِ فَارِسَ أَ تَرَاهُ اتَّبَعَ جَمِيعَ نَبَاتِ الْأَرْضِ فَذَاقَهُ شَجَرَةً شَجَرَةً حَتَّى ظَهَرَ عَلَى جَمِيعِ ذَلِكَ وَ هَلْ يَدُلُّكَ عَقْلُكَ عَلَى أَنَّ رَجُلًا حَكِيمًا قَدَرُوا عَلَى أَنْ يَتَّبِعُوا جَمِيعَ بِلَادِ فَارِسَ وَ نَبَاتِهَا شَجَرَةً شَجَرَةً حَتَّى عَرَفُوا ذَلِكَ بِحَوَاسِهِمْ وَ ظَهَرُوا عَلَى تِلْكَ الشَّجَرَةِ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا خِلْطٌ بَعْضُ هَذِهِ الْأَدْوِيَةِ الَّتِي لَمْ تُدْرِكْ حَوَاسُهُمْ شَيْئًا مِنْهَا وَ هَبْهُ أَصَابَ تِلْكَ الشَّجَرَةَ بَعْدَ بَحْثِهِ عَنْهَا وَ تَتَّبَعَهُ جَمِيعَ شَجَرِ فَارِسَ وَ نَبَاتِهَا كَيْفَ عَرَفَ أَنَّهُ لَا يَكُونُ دَوَاءً حَتَّى يَصْمَ إِلَيْهِ الْإِهْلِيْدَجَ مِنَ الْهِنْدِ وَ الْمَصَّ طَكَى مِنَ الرُّومِ وَ الْمِسْكَ مِنَ الثُّبَّتِ وَ الدَّارِصِيْنِيَّ مِنَ الصِّينِ وَ خُصَّيْ بِيْدَسْتَرَ مِنَ الثُّرْكِ وَ الْأَفْيُونَ مِنَ مِصْرَ وَ الصَّبْرَ مِنَ الْيَمَنِ (1) وَ الْبُورْقَ مِنْ إِرْمَنِ (2) [إِرْمِينِيَّة] وَ غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَخْلَاطِ الْأَدْوِيَةِ الَّتِي تَكُونُ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ وَ كَيْفَ عَرَفَ أَنَّ بَعْضَ تِلْكَ الْأَدْوِيَةِ وَ هِيَ عَقَاقِيرٌ مُخْتَلِفَةٌ يَكُونُ الْمَنْفَعَةُ بِاجْتِمَاعِهَا وَ لَا يَكُونُ مَنْفَعَتُهَا فِي الْحَالَاتِ بَعِيرِ اجْتِمَاعِ أَمْ كَيْفَ اهْتَدَى لِمَنَابِتِ هَذِهِ الْأَدْوِيَةِ وَ هِيَ أَلْوَانٌ مُخْتَلِفَةٌ وَ عَقَاقِيرٌ مُتَبَايِنَةٌ فِي بُلْدَانٍ مُتَفَرِّقَةٍ فَمِنْهَا عُرُوقٌ وَ مِنْهَا لِحَاءٌ (3) وَ مِنْهَا وَرَقٌ وَ مِنْهَا ثَمَرٌ وَ مِنْهَا عَصِيرٌ وَ مِنْهَا مَانِعٌ وَ مِنْهَا صَمْعٌ وَ مِنْهَا دُهْنٌ وَ مِنْهَا

ص: 181

1- الصبر وزان كنتف: عصاره شجر مر.

2- البورق بالفتح معرب بوره: شىء يتكون مثل الملح فى شطوط الأنهار و المياه.

3- اللحاء: قشر العود أو الشجر.

مَا يُعَصَّرُ وَيُطْبَخُ وَ مِنْهَا مَا يُعَصَّرُ وَلَا يُطْبَخُ مِمَّا سَمِيَ بِاللُّغَاتِ شَتَّى لَا يُصْلَحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ وَلَا يَصِيرُ دَوَاءً إِلَّا بِاجْتِمَاعِهَا وَ مِنْهَا مَرَاتِرُ السَّبَّاحِ وَ الدَّوَابِّ الْبَرِّيَّةِ وَ الْبَحْرِيَّةِ وَ أَهْلُ هَذِهِ الْبُلْدَانِ مَعَ ذَلِكَ مُتَعَادُونَ مُخْتَلِفُونَ مُتَفَرِّقُونَ بِاللُّغَاتِ مُتَعَالِبُونَ بِالْمُنَاصَبَةِ (1) وَ مُتَحَارِبُونَ بِالْقَتْلِ وَ السَّبِي أَفْتَرَى ذَلِكَ الْحَكِيمَ تَتَبَعَ هَذِهِ الْبُلْدَانَ حَتَّى عَرَفَ كُلَّ لُغَةٍ وَ طَافَ كُلَّ وَجْهِ وَ تَتَبَعَ هَذِهِ الْعَقَاقِرَ مَشْرِقًا وَ مَغْرِبًا آمِنًا صَحِيحًا لَا يَخَافُ وَ لَا يَمْرَضُ سَلِيمًا لَا يُعْطَبُ حَيًّا لَا يَمُوتُ هَادِيًا لَا يَضِلُّ قَاصِدًا لَا يَجُورُ (2) حَافِظًا لَا يَنْسَى نَشِيطًا لَا يَمَلُّ حَتَّى عَرَفَ وَقْتَ أَرْمَتِهَا وَ مَوَاضِعَ مَنَابِتِهَا مَعَ اخْتِلَافِهَا وَ اخْتِلَافِ صِيغَاتِهَا وَ تَبَايُنِ أَلْوَانِهَا وَ تَفَرُّقِ أَسْمَائِهَا ثُمَّ وَضَعَ مِثَالَهَا عَلَى شِدْبِهَا وَ صِيغَتِهَا ثُمَّ وَصَفَ كُلَّ شَجَرَةٍ بِنَبَاتِهَا وَ وَرْقِهَا وَ ثَمَرِهَا وَ رِيحِهَا وَ طَعْمِهَا أَمْ هَلْ كَانَ لِهَذَا الْحَكِيمِ بُدٌّ مِنْ أَنْ يَتَّبَعَ جَمِيعَ أَشْجَارِ الدُّنْيَا وَ يَقُولِهَا وَ عُرُوقِهَا شَجَرَةً شَجَرَةً وَ وَرْقَةً وَرْقَةً شَيْئًا شَيْئًا فَهَبُّهُ وَقَعَ عَلَى الشَّجَرَةِ الَّتِي أَرَادَ فَكَيْفَ دَلَّتْهُ حَوَاسُّهُ عَلَى أَنَّهَا نَصَبٌ لِدَوَاءٍ وَ الشَّجَرُ مُخْتَلِفٌ مِنْهُ الْحُلُوُّ وَ الْحَامِضُ وَ الْمُرُّ وَ الْمَالِحُ وَ إِنْ قُلْتَ يَسَّ تَوْصِيفُ فِي هَذِهِ الْبُلْدَانِ وَ يَعْمَلُ بِالسُّؤَالِ فَأَنْتَى يَسْأَلُ عَمَّا لَمْ يُعَايِنَ وَ لَمْ يُدْرِكْهُ بِحَوَاسِّهِ أَمْ كَيْفَ يَهْتَدِي إِلَى مَنْ يَسْأَلُهُ عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَ هُوَ يُكَلِّمُهُ بِغَيْرِ لِسَانِهِ وَ بِغَيْرِ لُغَتِهِ وَ الْأَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ فَهَبُّهُ فَعَلَّ كَيْفَ عَرَفَ مَنَافِعَهَا وَ مَضَارِّهَا وَ تَسَّ كَيْفَهَا وَ تَهْيِيجَهَا وَ بَارِدَهَا وَ حَارَّهَا وَ حُلُوَّهَا وَ مَرَارَتَهَا وَ حَرَافَتَهَا (3) وَ لَيْنَهَا وَ شَدِيدِهَا (4) فَلَيْنٌ قُلْتُ بِالظَّنِّ إِنْ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَدْرِكُ وَ لَا يُعْرَفُ بِالطَّبَائِعِ وَ الْحَوَاسِّ وَ لَيْنٌ قُلْتُ بِالتَّجْرِبَةِ وَ الشُّرْبِ لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَمُوتَ فِي أَوَّلِ مَا شَرِبَ وَ جَرَّبَ تِلْكَ الْأَدْوِيَةَ بِجَهَالَتِهِ بِهَا وَقَلَّةِ مَعْرِفَتِهِ بِمَنَافِعِهَا وَ مَضَارِّهَا وَ أَكْثَرَهَا السَّمُّ الْقَاتِلُ وَ لَيْنٌ قُلْتُ بَلْ طَافَ فِي كُلِّ بَلَدٍ وَ أَقَامَ فِي كُلِّ أُمَّةٍ يَتَعَلَّمُ لُغَاتِهِمْ وَ يُجَرِّبُ بِهِمْ أَدْوِيَتَهُمْ تُقْتَلُ الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ مِنْهُمْ مَا كَانَ لِيَتَّبَعَ مَعْرِفَتَهُ الدَّوَاءَ الْوَاحِدَ إِلَّا بَعْدَ قَتْلِ قَوْمٍ كَثِيرٍ فَمَا كَانَ أَهْلُ تِلْكَ الْبُلْدَانِ

ص: 182

1- في نسخة: متقلبون بالمناسبة.

2- في نسخة: قاصدا لا يجوز.

3- الحرافة: طعم يلذع اللسان بحرارته.

4- في نسخة: و لينها و يابسها.

الَّذِينَ قُتِلَ مِنْهُمْ مَنْ قُتِلَ بِتَجْرِبَتِهِ بِالَّذِينَ يَنْقَادُونَهُ بِالْقَتْلِ وَلَا يَدْعُونَهُ أَنْ يُجَاوِرَهُمْ وَهَبَهُ تَرْكُوهُ وَسَلَّمُوا لِأَمْرِهِ وَلَمْ يَنْهَوْهُ كَيْفَ قَوَى عَلَى خَلْطِهَا وَعَرَفَ قَدْرَهَا وَوَزْنَهَا وَأَخَذَ مَثَاقِيلَهَا وَقَرَطَ قَرَارِيطَهَا وَهَبَهُ تَتَبَعَ هَذَا كُلَّهُ وَأَكْثَرَهُ سَمَّ قَاتِلٍ إِنْ زِيدَ عَلَى قَدْرِهَا قَتْلٌ وَإِنْ نَقَصَ عَنْ قَدْرِهَا بَطْلٌ وَهَبَهُ تَتَبَعَ هَذَا كُلَّهُ وَجَالَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا وَطَالَ عُمُرُهُ فِيهَا تَتَبَعَهُ شَجَرَةٌ شَجَرَةٌ وَبُعْعَةٌ بُعْعَةٌ كَيْفَ كَانَ لَهُ تَتَبَعُ مَا لَمْ يَدْخُلْ فِي ذَلِكَ مِنْ مَرَاةِ الطَّيْرِ وَالسَّبَاعِ وَدَوَابِّ الْبَحْرِ هَلْ كَانَ بُدُّ حَيْثُ زَعَمْتَ أَنَّ ذَلِكَ الْحَكِيمَ تَتَبَعَ عَقَاقِيرَ الدُّنْيَا شَجَرَةٌ شَجَرَةٌ وَثَمَرَةٌ ثَمَرَةٌ حَتَّى جَمَعَهَا كُلَّهَا فَمِنْهَا مَا لَا يَصُدُّ لَحْ وَلَا يَكُونُ دَوَاءً إِلَّا بِالْمَرَارِ هَلْ كَانَ بُدُّ مِنْ أَنْ يَتَّبِعَ جَمِيعَ طَيْرِ الدُّنْيَا وَسَبَاعِهَا وَدَوَابِّهَا دَابَّةً دَابَّةً وَطَائِرًا طَائِرًا يَقْتُلُهَا وَ يُجَرِّبُ مَرَاتِهَا كَمَا بَحَثَ عَنْ تِلْكَ الْعَقَاقِيرِ عَلَى مَا زَعَمْتَ بِالتَّجَارِبِ وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ فَكَيْفَ بَقِيَتِ الدَّوَابُّ وَتَنَاسَلَتْ وَ لَيْسَتْ بِمَنْزِلَةِ الشَّجَرَةِ إِذَا قَطِعَتْ شَجَرَةٌ نَبَتَتْ أُخْرَى وَهَبَهُ أَتَى عَلَى طَيْرِ الدُّنْيَا كَيْفَ يَصْنَعُ بِمَا فِي الْبَحْرِ مِنَ الدَّوَابِّ الَّتِي كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَتَّبِعَهَا بَحْرًا بَحْرًا وَ دَابَّةً دَابَّةً حَتَّى أَحَاطَ بِهِ كَمَا أَحَاطَ بِجَمِيعِ عَقَاقِيرِ الدُّنْيَا الَّتِي بَحَثَ عَنْهَا حَتَّى عَرَفَهَا وَ طَلَبَ ذَلِكَ فِي غَمَرَاتِ الْمَاءِ فَإِنَّكَ مَهْمَا جِهَلْتَ شَيْئًا مِنْ هَذَا فَإِنَّكَ لَا تَجْهَلُ أَنَّ دَوَابَّ الْبَحْرِ كُلَّهَا تَحْتَ الْمَاءِ فَهَلْ يَدُلُّ الْعَقْلُ وَالْحَوَاسُّ عَلَى أَنَّ هَذَا يَدْرِكُ بِالتَّجَارِبِ قَالَ لَقَدْ صَدَّقْتُمْ عَلَى الْمَذَاهِبِ فَمَا أُدْرِي مَا أُجِيبُكُمْ بِهِ قُلْتُ فَإِنِّي آتِيكَ بِغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ أَوْضَحُ وَأَبْيَنُ مِمَّا اقْتَصَدْتُمْ عَلَيْكُمْ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ هَذِهِ الْعَقَاقِيرَ الَّتِي مِنْهَا الْأَدْوِيَّةُ وَالْمَرَارُ مِنَ الطَّيْرِ وَالسَّبَاعِ لَا يَكُونُ دَوَاءً إِلَّا بَعْدَ الْإِجْتِمَاعِ قَالَ هُوَ كَذَلِكَ قُلْتُ فَأَخْبِرْنِي كَيْفَ حَوَاسُّ هَذَا الْحَكِيمِ وَصَعَتْ هَذِهِ الْأَدْوِيَّةُ مَثَاقِيلَهَا وَقَرَارِيطَهَا فَإِنَّكَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِذَلِكَ لِأَنَّ صِدْقَ نَاعَتِكَ الطَّبُّ وَأَنْتَ تَدْخُلُ فِي الدَّوَاءِ الْوَاحِدِ مِنَ اللَّوْنِ الْوَاحِدِ زِنَةَ أَرْبَعِمِائَةٍ مِثْقَالٍ وَمِنْ الْآخِرِ مَثَاقِيلَ وَقَرَارِيطَ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ وَ دُونَهُ حَتَّى يَجِيءَ بِقَدْرِ وَاحِدٍ مَعْلُومٍ إِذَا سَقَيْتَ مِنْهُ صَاحِبَ الْبِطْنَةِ بِمِقْدَارِ عَقْدِ بَطْنِهِ وَإِنْ سَقَيْتَ صَاحِبَ الْقَوْلُجِ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ اسْتَطَلَقَ بَطْنُهُ وَالْآنَ (1) فَكَيْفَ أَذْرَكَتَ حَوَاسُّهُ عَلَى هَذَا

ص: 183

1- استطلق البطن: مشى. و الآن اى جعله لينا.

أَمْ كَيْفَ عَرَفْتَ حَوَاسُّهُ أَنَّ الَّذِي يُسَقَى لَوَجَعِ الرَّأْسِ لَا يَنْحَدِرُ إِلَى الرَّجْلَيْنِ وَالْإِنْحِدَارُ أَهْوَنُ عَلَيْهِ مِنَ الصُّعُودِ وَالَّذِي يُسَقَى لَوَجَعِ الْقَدَمَيْنِ لَا يَصَدُّ عَدُوَّ إِلَى الرَّأْسِ وَهُوَ إِلَى الرَّأْسِ عَدُوٌّ أَقْرَبُ مِنْهُ وَكَذَلِكَ كُلُّ دَوَاءٍ يُسَقَى صَاحِبَهُ لِكُلِّ عَضْوٍ لَا يَأْخُذُ إِلَّا طَرِيقَهُ فِي الْعُرُوقِ الَّتِي تُسَقَى لَهُ وَكُلُّ ذَلِكَ يَصِيرُ إِلَى الْمَعْدَةِ وَمِنْهَا يَتَفَرَّقُ أَمْ كَيْفَ لَا يَسْفُلُ مِنْهُ مَا صَدَّ عَدُوَّ وَلَا يَصَدُّ عَدُوَّ مِنْهُ مَا انْحَدَرَ أَمْ كَيْفَ عَرَفْتَ الْحَوَاسُّ هَذَا حَتَّى عَلِمَ أَنَّ الَّذِي يَنْبَغِي لِلْأَذُنِ لَا يَنْبَغِي لِلْعَيْنِ وَمَا يَنْبَغِي لِلْعَيْنِ لَا يَنْبَغِي لِلْأَذُنِ وَكَذَلِكَ جَمِيعُ الْأَعْضَاءِ يَصِيرُ كُلُّ دَاءٍ مِنْهَا إِلَى ذَلِكَ الدَّوَاءِ (1) الَّذِي يَنْبَغِي لَهُ بَعِيْنُهُ فَكَيْفَ أَذْرَكَتِ الْعُقُولُ وَالْحِكْمَةُ وَالْحَوَاسُّ هَذَا وَهُوَ غَائِبٌ فِي الْجَوْفِ وَالْعُرُوقِ فِي اللَّحْمِ وَفَوْقَهُ الْجِلْدُ لَا يَدْرِكُ بِسَمْعٍ وَلَا بِبَصَرٍ وَلَا بِسَمٍّ وَلَا بِلَمْسٍ وَلَا بِذَوْقٍ قَالَ لَقَدْ جِئْتُ بِمَا أَعْرِفُهُ (2) إِلَّا أَنَّنَا نَقُولُ إِنَّ الْحَكِيمَ الَّذِي وَضَعَ هَذِهِ الْأَدْوِيَةَ وَ أَحْلَاطَهَا كَانَ إِذَا سَقَى أَحَدًا شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْأَدْوِيَةِ فَمَاتَ سَقَى بَطْنَهُ وَتَبَعَ عُرُوقَهُ وَنَظَرَ مَجَارِيَ تِلْكَ الْأَدْوِيَةِ وَ أَتَى الْمَوَاضِعَ الَّتِي تِلْكَ الْأَدْوِيَةُ فِيهَا قُلْتُ فَأَخْبِرْنِي أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الدَّوَاءَ كُلَّهُ إِذَا وَقَعَ فِي الْعُرُوقِ اخْتَلَطَ بِالدَّمِ فَصَدَّارَ شَيْئًا وَاحِدًا قَالَ بَلَى قُلْتُ أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا خَرَجَتْ نَفْسُهُ بَرَدَ دَمُهُ وَجَمَدَ قَالَ بَلَى قُلْتُ فَكَيْفَ عَرَفَ ذَلِكَ الْحَكِيمَ دَوَاءَهُ الَّذِي سَقَاهُ لِلْمَرِيضِ بَعْدَ مَا صَارَ غَلِيظًا عَيْطًا لَيْسَ بِأَمْسَاجٍ يُسْتَدَلُّ عَلَيْهِ بِالْوَنِّ فِيهِ غَيْرِ لَوْنِ الدَّمِ قَالَ لَقَدْ حَمَلْتَنِي عَلَى مَطِيَّةٍ صَعْبَةٍ مَا حَمَلْتُ عَلَى مِثْلِهَا قَطُّ وَ لَقَدْ جِئْتُ بِأَشْيَاءَ لَا أَقْدِرُ عَلَى رَدِّهَا .

شرح: قوله عليه السلام: خلط بعض هذه الأدوية الخلط بالكسر ما يخلط بالشيء أى ما يدخل فى بعض هذه الأدوية المركبة قوله عليه السلام: ثم وضع مثالها على شبهها أى ضمّ كلما وجد من كل نوع إلى مثله لأنه يشبهه و يوافقه فى الصفة أو ترك الأشياء التى تشبه ما يريد و إن كانت موافقة له فى الصفات فإن كثيرا من العقاقير تشبهه بغيرها لاتفاقهما فى كثير من الصفات قوله عليه السلام: فكيف بقيت لعل المفروض أن ذلك كان

ص: 184

1- فى نسخة: يصير كل دواء منها إلى ذلك الداء.

2- فى نسخة: لقد جئت بما أعرف.

فى مبادئ خلق العالم لقدم ذلك العلم فىلزم من التجارب الكثرىة فناء الحىوانات لقلتها فى تلك الأزمنة قوله عليه السلام: لىس بأمشاج أى أشىاء مختلطة متمازة.

أقول: كلامه عليه السلام يدل على أن خواص الأدوية وأجناسها و منافعها و مناسبتها للأمراض إنما وصل إلى الخلق بإخبار الرسل عليهم الصلاة و السلام و لم يصل الخلق إليها بعقولهم و تجاربهم.

متن: قُلْتُ: فَأَخْبَرْنِي مِنْ أَيْنَ عَلِمَ الْعِبَادُ مَا وَصَفْتَ مِنْ هَذِهِ الْأَدْوِيَةِ الَّتِي فِيهَا الْمَنَافِعُ لَهُمْ حَتَّى خَلَطُوهَا وَ تَبَعُّوا عَقَاقِيرَهَا فِي هَذِهِ الْبُلْدَانِ الْمُتَفَرِّقَةِ وَ عَرَفُوا مَوَاضِعَهَا وَ مَعَادِنَهَا فِي الْأَمَاكِنِ الْمُتَبَايِنَةِ وَ مَا يَصْلُحُ مِنْ عُرُوقِهَا وَ زَيْتِهَا مِنْ مَثَاقِيلِهَا وَ قَرَارِيطِهَا وَ مَا يَدْخُلُهَا مِنَ الْحِجَارَةِ وَ مِرَارِ السَّبَّاحِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ قَالَ قَدْ أُعْيِيْتُ عَنْ إِجَابَتِكَ (1) لِعُضْوٍ مَسْأَلِيكَ وَ الْجَائِزِ إِتَى إِلَى أَمْرٍ لَا يَذْرُكُ عِلْمُهُ بِالْحَوَاسِّ وَ لَا بِالشَّشْبِيهِ وَ الْقِيَاسِ وَ لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ وَضَعَ هَذِهِ الْأَدْوِيَةَ وَاضِعٌ لِأَنَّهَا لَمْ تَضَعْ هِيَ أَنْفَسَهَا وَ لَا اجْتَمَعَتْ حَتَّى جَمَعَهَا غَيْرُهَا بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ إِيَّاهَا فَأَخْبَرْنِي كَيْفَ عَلِمَ الْعِبَادُ هَذِهِ الْأَدْوِيَةَ الَّتِي فِيهَا الْمَنَافِعُ حَتَّى خَلَطُوهَا وَ طَلَبُوا عَقَاقِيرَهَا فِي هَذِهِ الْبُلْدَانِ الْمُتَفَرِّقَةِ قُلْتُ إِنِّي ضَارِبٌ لَكَ مَثَلًا وَ نَاصِبٌ لَكَ دَلِيلًا تَعْرِفُ بِهِ وَاضِعَ هَذِهِ الْأَدْوِيَةِ وَ الدَّالَّ عَلَى هَذِهِ الْعَقَاقِيرِ الْمُخْتَلِفَةِ وَ بَنَى الْجَسَدِ وَ وَاضِعَ الْعُرُوقِ الَّتِي يَأْخُذُ فِيهَا الدَّوَاءُ إِلَى الدَّاءِ قَالَ فَإِنْ قُلْتَ ذَلِكَ لَمْ أَحِذْ بَدَأًا مِنَ الْإِنْتِيَادِ إِلَى ذَلِكَ قُلْتُ فَأَخْبَرْنِي عَنْ رَجُلٍ أَنْشَأَ حَدِيقَةً عَظِيمَةً وَ بَنَى عَلَيْهَا حَائِطًا وَثِقًا ثُمَّ غَرَسَ فِيهَا الْأَشْجَارَ وَ الْأَثْمَارَ وَ الرِّيَاحِينَ وَ الْبُقُولَ وَ تَعَاهَدَ سَمِيحًا وَ تَرَبَّيْتَهَا وَ وَقَاهَا مَا يَصُدُّ رُهَا حَتَّى لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَوْضِعُ كُلِّ صَيْفٍ مِنْهَا فَإِذَا أُدْرِكَتْ أَشْجَارُهَا وَ أَيْنَعَتْ أَثْمَارُهَا (2) وَ اهْتَرَّتْ بُقُولُهَا دَفَعْتُ إِلَيْهِ (3) فَسَأَلْتَهُ أَنْ يُطْعِمَكَ لَوْ نَأَى مِنَ الثَّمَارِ وَ الْبُقُولِ سَمِيحَةً لَهُ أَرَاهُ كَانَ قَادِرًا عَلَى

ص: 185

1- أى قد اعجزت عن إجابتك.

2- ابيع الثمر: أدرك و طاب و حان قطافه. و فى بعض النسخ: ابيع أثمارها. فهو من أبيع الغلام: ترعرع و ناهز البلوغ.

3- فى نسخة: ذهب إلىه.



أَنْ يَنْطَلِقَ قَاصِدًا مُسْتَمِرًّا لَا يَرْجِعُ وَلَا يَهْوِي إِلَى شَيْءٍ يَمُرُّ بِهِ مِنَ الشَّجَرَةِ وَالْبُقُولِ حَتَّى يَأْتِيَ الشَّجَرَةَ الَّتِي سَأَلْتَهُ أَنْ يَأْتِيكَ بِثَمَرِهَا وَ الْبُقْلَةَ الَّتِي  
 طَلَبْتَهَا حَيْثُ كَانَتْ مِنْ أَدْنَى الْحَدِيقَةِ أَوْ أَقْصَاهَا فَيَأْتِيكَ بِهَا قَالَ نَعَمْ قُلْتُ أَفَرَأَيْتَ لَوْ قَالَ لَكَ صَاحِبُ الْحَدِيقَةِ حَيْثُ سَأَلْتَهُ الثَّمَرَةَ ادْخُلِ  
 الْحَدِيقَةَ فَخُذْ حَاجَتَكَ فَإِنِّي لَا أَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ هَلْ كُنْتَ تَقْدِرُ أَنْ تَنْطَلِقَ قَاصِدًا لَا تَأْخُذُ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الشَّجَرَةِ فَتَجْتَنِبَ مِنْهَا  
 قَالَ وَ كَيْفَ أَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ وَ لَا عِلْمَ لِي فِي أَيِّ مَوَاضِعِ الْحَدِيقَةِ هِيَ قُلْتُ أَفَلَيْسَ تَعْلَمُ أَنَّكَ لَمْ تَكُنْ لِتَصِدَّ بِبِهَا دُونَ أَنْ تَهْجُمَ عَلَيْهَا بِتَعَسُّفٍ وَ  
 جَوْلَانٍ فِي جَمِيعِ الْحَدِيقَةِ حَتَّى تَسَّ تَدِلَّ عَلَيْهَا بِبَعْضِ حَوَاسِكَ بَعْدَ مَا تَنْصَفُ فَمُحَّ فِيهَا مِنَ الشَّجَرَةِ شَجَرَةٌ شَجَرَةٌ وَ ثَمَرَةٌ ثَمَرَةٌ حَتَّى تَسَّ قَطَّ عَلَى  
 الشَّجَرَةِ الَّتِي تَطْلُبُ بِبَعْضِ حَوَاسِكَ أَنْ تَأْتِيهَا وَ إِنْ لَمْ تَرَهَا انْصَرَفْتَ قَالَ وَ كَيْفَ أَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ وَ لَمْ أُعَايِنِ مَعْرِسَهَا حَيْثُ عُرِسَتْ وَ لَا مَنْبِتَهَا  
 حَيْثُ نَبَتَتْ وَ لَا ثَمَرَتَهَا حَيْثُ طَلَعَتْ قُلْتُ فَإِنَّهُ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ يَدْلِكَ عَقْلُكَ حَيْثُ عَجَزَتْ حَوَاسِكَ عَنْ إِدْرَاكِ ذَلِكَ أَنَّ الَّذِي غَرَسَ هَذَا الْبُسْتَانَ  
 الْعَظِيمَ فِيمَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَ غَرَسَ فِيهِ هَذِهِ الْأَشْجَارَ وَ الْبُقُولَ هُوَ الَّذِي دَلَّ الْحَكِيمَ الَّذِي زَعَمْتَ أَنَّه وَضَعَ الطَّبَّ عَلَى تِلْكَ الْعَقَاقِيرِ  
 وَ مَوَاضِعِهَا فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَ كَذَلِكَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَسَّ تَدِلَّ بِعَقْلِكَ عَلَى أَنَّهُ هُوَ الَّذِي سَمَّاهَا وَ سَمَّى بِلَدَّتِهَا وَ عَرَفَ مَوَاضِعَهَا كَمَعْرِفَةِ  
 صَاحِبِ الْحَدِيقَةِ الَّذِي سَأَلْتَهُ الثَّمَرَةَ وَ كَذَلِكَ لَا يَسَّ تَقِيمُ وَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْغَارِسُ وَ الدَّالُّ عَلَيْهَا إِلَّا الدَّالُّ عَلَى مَنَافِعِهَا وَ مَضَارِّهَا وَ  
 قَرَارِيطِهَا وَ مَثَاقِيلِهَا قَالَ إِنَّ هَذَا لَكَمَا تَقُولُ قُلْتُ أَفَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ خَالِقُ الْجَسَدِ وَ مَا فِيهِ مِنَ الْعَصَبِ وَ اللَّحْمِ وَ الْأَمْعَاءِ وَ الْعُرُوقِ الَّتِي يَأْخُذُ فِيهَا  
 الْأَدْوِيَّةُ إِلَى الرَّأْسِ وَ إِلَى الْقَدَمَيْنِ وَ إِلَى مَا سِوَى ذَلِكَ غَيْرِ خَالِقِ الْحَدِيقَةِ وَ غَارِسِ الْعَقَاقِيرِ هَلْ كَانَ يَعْرِفُ زِنْتَهَا وَ مَثَاقِيلَهَا وَ قَرَارِيطَهَا وَ مَا  
 يَصَلُّحُ لِكُلِّ دَاءٍ مِنْهَا وَ مَا كَانَ يَأْخُذُ فِي كُلِّ عَرَقٍ قَالَ وَ كَيْفَ يَعْرِفُ ذَلِكَ أَوْ يَقْدِرُ عَلَيْهِ وَ هَذَا لَا يُدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَعْرِفَ هَذَا إِلَّا  
 الَّذِي غَرَسَ الْحَدِيقَةَ وَ عَرَفَ كُلَّ شَجَرَةٍ وَ بُقْلَةٍ وَ مَا فِيهَا مِنَ الْمَنَافِعِ وَ الْمَضَارِّ قُلْتُ أَفَلَيْسَ كَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْخَالِقُ وَاحِدًا لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ  
 اثْنَيْنِ أَحَدُهُمَا خَالِقُ

الدَّوَاءِ وَالْأَخْرُ خَالِقُ الْجَسَدِ وَ الدَّاءِ لَمْ يَهْتَدِ غَارِسُ الْعَقَائِرِ لِإِيصَالِ دَوَائِهِ إِلَى الدَّاءِ الَّذِي بِالْجَسَدِ مِمَّا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ وَلَا اهْتَدَى خَالِقُ الْجَسَدِ إِلَى عِلْمِ مَا يُصَلِّحُ ذَلِكَ الدَّاءَ مِنْ تِلْكَ الْعَقَائِرِ فَلَمَّا كَانَ خَالِقُ الدَّاءِ وَ الدَّوَاءِ وَاحِدًا أَمْضَى الدَّوَاءَ فِي العُرُوقِ الَّتِي بَرَأَ وَصَوَّرَ إِلَى الدَّاءِ الَّذِي عَرَفَ وَ وَضَعَ فَعَلِمَ مَرَّاجَهَا مِنْ حَرِّهَا وَ بَرْدِهَا وَ لَيْبِنَهَا وَ شَدِيدِهَا وَ مَا يَدْخُلُ فِي كُلِّ دَوَاءٍ مِنْهُ مِنَ القَرَارِيطِ وَ المَثاقِيلِ وَ مَا يَصَدُّ عَدُوَّ الرُّؤْسِ مِنْهَا وَ مَا يَهْبِطُ إِلَى القَدَمِينَ مِنْهَا وَ مَا يَنْفَرُقُ مِنْهُ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ قَالَ لَا أَشْكُ فِي هَذَا لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ خَالِقُ الْجَسَدِ غَيْرَ خَالِقِ الْعَقَائِرِ لَمْ يَهْتَدِ وَاحِدٌ مِنْهُمَا إِلَى مَا وَصَفْتُ قُلْتُ فَإِنَّ الَّذِي دَلَّ الحَكِيمَ الَّذِي وَصَفْتُ أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ خَلَطَ هَذِهِ الأَدْوِيَةَ وَ دَلَّ عَلَى عَقَائِرِهَا المُتَفَرِّقَةَ فِيمَا بَيْنَ المَشْرِقِ وَ المَغْرِبِ وَ وَضَعَ هَذَا الطَّبَّ عَلَى مَا وَصَفْتُ لَكَ هُوَ صَاحِبُ الحَدِيقَةِ فِيمَا بَيْنَ المَشْرِقِ وَ المَغْرِبِ وَ هُوَ بَانِي الْجَسَدِ وَ هُوَ دَلَّ الحَكِيمَ بِوَحْيٍ مِنْهُ عَلَى صِدْقَةِ كُلِّ شَجَرَةٍ وَ بَلَدِهَا وَ مَا يَصْلُحُ مِنْهَا مِنَ العُرُوقِ وَ الثَّمَارِ وَ الدُّهْنِ وَ الوُرُوقِ وَ الخَشَبِ وَ اللِّحَاءِ وَ كَذَلِكَ دَلَّهُ عَلَى أَوْزَانِهَا مِنْ مَثاقِيلِهَا وَ قَرَارِيطِهَا وَ مَا يَصَلِّحُ لِكُلِّ دَاءٍ مِنْهَا وَ كَذَلِكَ هُوَ خَالِقُ السَّبَاعِ وَ الطَّيْرِ وَ الدَّوَابِّ الَّتِي فِي مَرَّاجِهَا المَنَافِعُ مِمَّا يَدْخُلُ فِي تِلْكَ الأَدْوِيَةَ فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ غَيْرَ خَالِقِهَا لَمْ يَدْرِ مَا يُنْتَفَعُ بِهِ مِنْ مَرَّاجِهَا وَ مَا يَصُدُّ وَ مَا يَدْخُلُ مِنْهَا فِي العَقَائِرِ فَلَمَّا كَانَ الخَالِقُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى وَاحِدًا دَلَّ عَلَى مَا فِيهِ مِنَ المَنَافِعِ مِنْهَا فَسَمَّاهُ بِاسْمِهِ حَتَّى عَرَفَ وَ تَرَكَ مَا لَا مَنفَعَةَ فِيهِ مِنْهَا فَمَنْ تَمَّ عِلْمَ الحَكِيمِ أَى السَّبَاعِ وَ الدَّوَابِّ وَ الطَّيْرِ فِيهِ المَنَافِعُ وَ أَيُّهَا لَا مَنفَعَةَ فِيهِ وَ لَوْ لَا أَنَّ خَالِقَ هَذِهِ الأَشْيَاءِ دَلَّهُ عَلَيْهَا مَا اهْتَدَى بِهَا قَالَ إِنَّ هَذَا لَكَمَا تَقُولُ وَ قَدْ بَطَلَتِ الحَوَاسُّ وَ التَّجَارِبُ عِنْدَ هَذِهِ الصِّفَاتِ قُلْتُ أَمَا إِذَا صَحَّتْ نَفْسُكَ فَتَعَالَ تَنْظُرُ بِعُقُولِنَا وَ نَسْتَدِلُّ بِحَوَاسِّنَا هَلْ كَانَ يَسَّ تَقْيِيمُ لِخَالِقِ هَذِهِ الحَدِيقَةِ وَ غَارِسِ هَذِهِ الأَشْجَارِ وَ خَالِقِ هَذِهِ الدَّوَابِّ وَ الطَّيْرِ وَ النَّاسِ الَّذِي خَلَقَ هَذِهِ الأَشْيَاءَ لِمَنَافِعِهِمْ أَنْ يَخْلُقَ هَذَا الخَلْقَ وَ يَغْرِسَ هَذَا العَرَسَ فِي أَرْضٍ غَيْرِهِ مِمَّا إِذَا شَاءَ مَنَعَهُ ذَلِكَ قَالَ مَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الأَرْضُ الَّتِي خُلِقَتْ فِيهَا الحَدِيقَةُ العَظِيمَةُ وَ غَرِسَتْ فِيهِ

الْأَشْجَارُ إِلَّا لِخَالِقِ هَذَا الْخَلْقِ وَ مَلِكِ يَدِهِ قُلْتُ فَقَدْ أَرَى الْأَرْضَ أَيْضاً لِصَاحِبِ الْحَدِيقَةِ لِاتِّصَالِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ بِبَعْضِهَا بَعْضٌ قَالَ مَا فِي هَذَا  
شَدِّكَ قُلْتُ فَأَخْبَرَنِي وَ نَاصِحِ نَفْسِكَ أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْحَدِيقَةَ وَ مَا فِيهَا مِنَ الْخَلْقَةِ الْعَظِيمَةِ مِنَ الْإِنْسِ وَ الدَّوَابِّ وَ الطَّيْرِ وَ الشَّجَرِ وَ  
العَقَاقِيرِ وَ الثَّمَارِ وَ غَيْرِهَا لَا يَصَدُّ لِحُحَاهَا إِلَّا شَرْبُهَا وَ رَبُّهَا مِنَ الْمَاءِ الَّذِي لَا حَيَاةَ لَشَيْءٍ إِلَّا بِهِ قَالَ بَلَى قُلْتُ أَفَتَرَى الْحَدِيقَةَ وَ مَا فِيهَا مِنَ الدَّرَّةِ  
خَالِقُهَا وَاحِدٌ وَ خَالِقِ الْمَاءِ غَيْرُهُ يَحْسِبُهُ عَنِ هَذِهِ الْحَدِيقَةِ إِذَا شَاءَ وَ يُرْسِلُهُ إِذَا شَاءَ فَيُفْسِدُ عَلَى خَالِقِ الْحَدِيقَةِ قَالَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ خَالِقُ هَذِهِ  
الْحَدِيقَةِ وَ ذَارِي هَذَا الدَّرَّةِ الْكَثِيرِ وَ غَارِسُ هَذِهِ الْأَشْجَارِ إِلَّا الْمُدَبِّرُ الْأَوَّلُ وَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْمَاءُ لِعَاجِزِهِ وَ إِنَّ الْبَقِيَّةَ عِنْدِي لَهُوَ إِنَّ  
الَّذِي يُجْرِي هَذِهِ الْمِيَاهُ مِنْ أَرْضِهِ وَ جِبَالِهِ لَغَارِسُ هَذِهِ الْحَدِيقَةِ وَ مَا فِيهَا مِنَ الْخَلْقَةِ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ الْمَاءُ لِعَاجِزِ صَاحِبِ الْحَدِيقَةِ لَهَلَكَتِ الْحَدِيقَةُ وَ  
مَا فِيهَا وَ لَكِنَّهُ خَالِقُ الْمَاءِ قَبْلَ الْغَرَسِ وَ الدَّرَّةِ وَ بِهِ اسْتَقَامَتِ الْأَشْيَاءُ وَ صَدَّ لِحَتْ قُلْتُ أَفَرَأَيْتَ لَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُذِهِ الْمِيَاهِ الْمُنْفَجِرَةِ فِي الْحَدِيقَةِ  
مَغِيضٌ (1) لِمَا يَفْضُلُ مِنْ شُرْبِهَا يَحْسِبُهُ عَنِ الْحَدِيقَةِ أَنْ يَفِيضَ عَلَيْهَا أَلَيْسَ كَانَ يَهْلِكُ مَا فِيهَا مِنَ الْخَلْقِ عَلَى حَسَبِ مَا كَانُوا يَهْلِكُونَ لَوْ لَمْ  
يَكُنْ لَهَا مَاءٌ قَالَ بَلَى وَ لَكِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلَّ هَذَا الْبَحْرَ لَيْسَ لَهُ حَاسِبٌ وَ أَنَّهُ شَيْءٌ لَمْ يَزَلْ قُلْتُ أَمَا أَنْتَ فَقَدْ أَعْطَيْتَنِي أَنَّهُ لَوْ لَا الْبَحْرُ وَ مَغِيضُ  
الْمِيَاهِ إِلَيْهِ لَهَلَكَتِ الْحَدِيقَةُ قَالَ أَجَلٌ قُلْتُ فَإِنِّي أُخْبِرُكَ عَنْ ذَلِكَ بِمَا تَسْتَيْقِنُ بِأَنَّ خَالِقَ الْبَحْرِ هُوَ خَالِقُ الْحَدِيقَةِ وَ مَا فِيهَا مِنَ الْخَلْقَةِ وَ أَنَّهُ  
جَعَلَهُ مَغِيضاً لِمِيَاهِ الْحَدِيقَةِ مَعَ مَا جَعَلَ فِيهِ مِنَ الْمَنَافِعِ لِلنَّاسِ قَالَ فَاجْعَلْنِي مِنْ ذَلِكَ عَلَى يَقِينٍ كَمَا جَعَلْتَنِي مِنْ غَيْرِهِ قُلْتُ أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ  
فُضُولَ مَاءِ الدُّنْيَا يَصِيرُ فِي الْبَحْرِ قَالَ بَلَى قُلْتُ فَهَلْ رَأَيْتَهُ زَائِداً قَطُّ فِي كَثْرَةِ الْمَاءِ وَ تَتَابِعِ الْأَمْطَارِ عَلَى الْحَدِّ الَّذِي لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ أَوْ هَلْ رَأَيْتَهُ  
نَاقِصاً فِي قَلَّةِ الْمِيَاهِ وَ شِدَّةِ الْحَرِّ وَ شِدَّةِ الْقَحْطِ قَالَ لَا قُلْتُ أَفَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ يَدُلَّكَ عَقْلُكَ عَلَى أَنَّ خَالِقَهُ وَ خَالِقِ الْحَدِيقَةِ وَ مَا فِيهَا مِنَ  
الْخَلْقَةِ وَاحِدٌ وَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي وَضَعَ لَهُ حَدّاً لَّا يَجَاوِزُهُ لِكَثْرَةِ الْمَاءِ وَ لَا لِقَلَّتِهِ وَ أَنَّ مِمَّا يُسَدُّ تَدَلُّ عَلَى مَا أَقُولُ أَنَّهُ يَقْبَلُ بِالْأَمْوَاجِ أَمْثَالَ الْجِبَالِ  
يُشْرِفُ عَلَى

السَّهْلِ وَالْجَبَلِ فَلَوْ لَمْ تُقْبَضْ أَمْوَاغُهُ وَلَمْ تُحْبَسْ فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي أَمَرْتُ بِالْأَحْيَاءِ فِيهَا لِأَطَبَقْتُ عَلَى الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا انْتَهَتْ عَلَى تِلْكَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي لَمْ تَزَلْ تَنْتَهَى إِلَيْهَا ذَلَّتْ أَمْوَاغُهُ وَخَصَعَ إِسْدُ رَافِعِهِ قَالَ إِنَّ ذَلِكَ لَكُمَْا وَصَدُمْتُ وَ لَقَدْ عَايَنْتُ مِنْهُ كُلَّ الَّذِي ذَكَرْتَ وَ لَقَدْ أَتَيْتَنِي بِبُرْهَانٍ وَ دَلَالَاتٍ وَ مَا أَقْدِرُ عَلَى إِنْكَارِهَا وَ لَا جُحُودِهَا لِبَيَانِهَا قُلْتُ وَ غَيْرَ ذَلِكَ سَأَتِيكَ بِهِ مِمَّا تَعْرِفُ اتِّصَالَ الْخَلْقِ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ وَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ مُدَبِّرٍ حَكِيمٍ عَالِمٍ قَدِيرٍ أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ عَامَّةَ الْحَدِيقَةِ لَيْسَ شَرُّهَا مِنَ الْأَنْهَارِ وَ الْعُيُونِ وَ أَنَّ أَعْظَمَ مَا يَنْبُتُ فِيهَا مِنَ الْعَفَاقِيرِ وَ الْبُقُولِ الَّتِي فِي الْحَدِيقَةِ وَ مَعَاشٍ مَا فِيهَا مِنَ الدَّوَابِّ وَ الْوَحْشِ وَ الطَّيْرِ مِنَ الْبَرَارِيِّ الَّتِي لَا عُيُونَ لَهَا وَ لَا أَنْهَارَ إِنَّمَا يَسْقِيهِ السَّحَابُ قَالَ بَلَى قُلْتُ أَفَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ يَدُلَّكَ عَقْلُكَ وَ مَا أَدْرَكَتْ بِالْحَوَاسِّ الَّتِي زَعَمْتَ أَنَّ الْأَشْيَاءَ لَا تُعْرِفُ إِلَّا بِهَا أَنَّهُ لَوْ كَانَ السَّحَابُ الَّذِي يَحْتَمِلُ مِنَ الْمِيَاهِ إِلَى الْبُلْدَانِ وَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي لَا تَنَالُهَا مَاءُ الْعُيُونِ وَ الْأَنْهَارِ وَ فِيهَا الْعَفَاقِيرُ وَ الْبُقُولُ وَ السَّجَرُ وَ الْأَنْعَامُ لِغَيْرِ صَاحِبِ الْحَدِيقَةِ لِأَمْسَكَهُ عَنِ الْحَدِيقَةِ إِذَا شَاءَ وَ لَكَانَ خَالِقُ الْحَدِيقَةِ مِنْ بَقَاءِ خَلِيقَتِهِ الَّتِي ذَرَأَ وَ بَرَأَ عَلَى غُرُورٍ وَ وَجَلٍ خَائِفًا عَلَى خَلِيقَتِهِ أَنْ يَحْبَسَ صَاحِبُ الْمَطَرِ الْمَاءَ الَّذِي لَا حَيَاةَ لِلْخَلِيقَةِ إِلَّا بِهِ قَالَ إِنَّ الَّذِي جِئْتُ بِهِ لَوَاضِحٌ مُتَّصِلٌ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ وَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الَّذِي خَلَقَ هَذِهِ الْحَدِيقَةَ وَ هَذِهِ الْأَرْضَ وَ جَعَلَ فِيهَا الْخَلِيقَةَ وَ خَلَقَ لَهَا هَذَا الْمَغِيضَ وَ أَنْبَتَ فِيهَا هَذِهِ الشُّمَارَ الْمُخْتَلِفَةَ إِلَّا خَالِقَ السَّمَاءِ وَ السَّحَابِ يُرْسِلُ مِنْهَا مَا شَاءَ مِنَ الْمَاءِ إِذَا شَاءَ أَنْ يَسْقِيَ الْحَدِيقَةَ وَ يُحْيِيَ مَا فِي الْحَدِيقَةِ مِنَ الْخَلِيقَةِ وَ الْأَشْجَارِ وَ الدَّوَابِّ وَ الْبُقُولِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ إِلَّا أَنِّي أَحِبُّ أَنْ تَأْتِيَنِي بِحُجَّةٍ أَرْدَادُ بِهَا يَقِينًا وَ أَخْرُجُ بِهَا مِنَ الشَّكِّ قُلْتُ فَإِنِّي آتِيكَ بِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ قَبْلِ إِهْلِيلِجَتِكَ وَ اتَّصَالِهَا بِالْحَدِيقَةِ وَ مَا فِيهَا مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمُتَّصِلَةِ بِأَسَدِ بَابِ السَّمَاءِ لِتَعْلَمَ أَنَّ ذَلِكَ بِتَدْبِيرِ عَلِيمٍ حَكِيمٍ قَالَ وَ كَيْفَ تَأْتِيَنِي بِمَا يُذْهَبُ عَنِّي الشَّكُّ مِنْ قَبْلِ إِهْلِيلِجَةِ قُلْتُ فِيمَا أُرِيكَ فِيهَا مِنْ إِتْقَانِ الصُّنْعِ وَ أَثَرِ التَّرْكِيبِ الْمُؤَلَّفِ وَ اتِّصَالِ مَا بَيْنَ عُرُوقِهَا إِلَى فُرُوعِهَا وَ احْتِيَاجِ بَعْضِ ذَلِكَ إِلَى بَعْضٍ حَتَّى يَتَّصِلَ بِالسَّمَاءِ قَالَ إِنْ أَرَيْتَنِي ذَلِكَ لَمْ أَشْكُ قُلْتُ أَلَسْتَ

تَعْلَمُ أَنَّ الْإِهْلِيلَجَةَ نَابِتَةٌ فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ عُرُوقَهَا مُؤَلَّفَةٌ إِلَى أَصْلِ وَأَنَّ الْأَصْلَ مُتَعَلِّقٌ بِسَاقِ مُتَّصِلٍ بِالْغُصُونِ وَالْغُصُونُ مُتَّصِلٌ بِالْفُرُوعِ وَالْفُرُوعُ مُنْطَوِمَةٌ بِالْأَكْمَامِ وَالْوَرَقِ وَمَلْبَسُ ذَلِكَ كُلِّهِ الْوَرَقُ وَيَتَّصِلُ جَمِيعُهُ بِظِلِّ يَبْقِيهِ حَرَّ الزَّمَانِ وَبَرْدَهُ قَالَ أَمَّا الْإِهْلِيلَجَةُ فَقَدْ تَبَيَّنَ لِي اتِّصَالُ لِحَائِهَا وَمَا بَيْنَ عُرُوقِهَا وَبَيْنَ وَرَقِهَا وَمَنْبِتُهَا مِنَ الْأَرْضِ فَأَشَدُّ هَدًى أَنْ خَالِقَهَا وَاحِدٌ لَا يَشُدُّ رُكْبَةً فِي خَلْقِهَا غَيْرُهُ لِاتِّقَانِ الصُّنْعِ وَاتِّصَالِ الْخَلْقِ وَاتِّتْلَافِ التَّدْيِيرِ وَإِحْكَامِ التَّقْدِيرِ قُلْتُ إِنَّ أَرِيْتِكَ التَّدْيِيرَ مُؤْتَلِفًا بِالْحِكْمَةِ وَالْإِتْقَانَ مُعْتَدِلًا بِالصَّنْعَةِ مُحْتَاجًا بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ مُتَّصِلًا بِالْأَرْضِ الَّتِي خَرَجَتْ مِنْهُ الْإِهْلِيلَجَةُ فِي الْحَالَاتِ كُلِّهَا أَتَقَرُّ بِخَالِقِ ذَلِكَ قَالَ إِذَنْ لَا أَشُكُّ فِي الْوَحْدَانِيَّةِ قُلْتُ فَأَفْهَمَ وَافْقَهُ مَا أَصِفُ لَكَ أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْأَرْضَ مُتَّصِلَةٌ بِالْإِهْلِيلَجَتِكَ وَالْإِهْلِيلَجَتِكَ مُتَّصِلَةٌ بِالثَّرَابِ وَالثَّرَابُ مُتَّصِلٌ بِالْحَرِّ وَالْحَرُّ وَالْبُرْدُ وَالْحَرُّ وَالْبُرْدُ مُتَّصِلَانِ بِالْهَوَاءِ وَالْهَوَاءُ مُتَّصِلٌ بِالرِّيْحِ وَالرِّيْحُ مُتَّصِلٌ بِالسَّحَابِ وَالسَّحَابُ مُتَّصِلٌ بِالْمَطَرِ وَالْمَطَرُ مُتَّصِلٌ بِالْأَرْضِ وَالْأَرْضُ مُتَّصِلَةٌ بِالزَّمَنِ وَالزَّمَنُ مُتَّصِلٌ بِالسَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالسَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُتَّصِلَتَانِ بِدَوْرَانِ الْفَلَكَ وَالْفَلَكَ مُتَّصِلٌ بِمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ صَنْعَةً ظَاهِرَةً وَحِكْمَةً بَالِغَةً وَتَأْلِيفَ مُتَّصِلٍ وَتَدْيِيرَ مُحْكَمٍ مُتَّصِلٍ كُلُّ هَذَا مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَقُومُ بَعْضُهُ إِلَّا بِبَعْضٍ وَلَا يَتَأَخَّرُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا عَنْ وَقْتِهِ وَلَا تَأَخَّرُ عَنْ وَقْتِهِ لِهَلَاكِ جَمِيعِ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْأَنْعَامِ وَالنَّبَاتَاتِ قَالَ إِنَّ هَذِهِ لَهِيَ الْعَلَامَاتُ الْبَيِّنَاتُ وَالِدَّلَالَاتُ الْوَاضِحَاتُ الَّتِي يَجْرِي مَعَهَا أَثَرُ التَّدْيِيرِ بِاتِّقَانِ الْخَلْقِ وَالتَّأْلِيفِ مَعَ اتِّقَانِ الصُّنْعِ لَكِنِّي لَسْتُ أَدْرِي لَعَلَّ مَا تَرَكْتُ غَيْرُ مُتَّصِلٍ بِمَا ذَكَرْتُ قُلْتُ وَمَا تَرَكْتُ قَالَ النَّاسُ قُلْتُ أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا كُلُّهُ مُتَّصِلٌ بِالنَّاسِ سَدَّ حَرَّهُ لَهَا الْمُدَبِّرُ الَّذِي أَعْلَمْتُكَ أَنَّهُ إِنْ تَأَخَّرَ شَيْءٌ مِمَّا عَدَدْتُ عَلَيْكَ هَلَكَتِ الْخَلِيقَةُ وَبَادَ جَمِيعُ مَا فِي الْحَدِيقَةِ وَذَهَبَتِ الْإِهْلِيلَجَةُ الَّتِي تَزْعُمُ أَنَّ فِيهَا مَنَافِعَ النَّاسِ قَالَ فَهَلْ تَقْدِرُ أَنْ تُفَسِّرَ لِي هَذَا الْبَابَ عَلَى مَا لَخَّصْتَ لِي غَيْرُهُ قُلْتُ نَعَمْ أَبِينُ لَكَ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِ إِهْلِيلَجَتِكَ حَتَّى تَشْهَدَ أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ مُسَخَّرٌ لِبَنِي آدَمَ قَالَ وَكَيْفَ ذَلِكَ قُلْتُ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاءَ سَقْفًا مَرْفُوعًا وَلَوْ لَا ذَلِكَ اغْتَمَّ خَلْقُهُ لِقُرْبِهَا وَأَحْرَقَتْهُمْ

الشمس لدنوها وخلق لهم شهباً ونجوماً يهتدى بها في ظلمات البر والبحر لمنافع الناس ونجوماً يعرف بها أصل الحسب فيها الدلالات على إبطال الحواس ووجود معلمها الذي علمها عباده مما لا يدرك علمها بالعقول فضلاً عن الحواس ولا يقع عليها الأوهام ولا يبلغها العقول إلا به لأنه العزيز الجبار الذي دبرها وجعل فيها سراجاً وقمرًا منيراً يسبحان (1) في فلك يدور بهما دائرتين (2) يطلعهما تارة ويؤفلهما أخرى فبني عليه الأيام والشهور والسنين التي هي من سبب الشتاء والصيف والربيع والخريف أزمنة مختلفة الأعمال أصلها اختلاف الليل والنهار اللذين لو كان واحداً منهما سمداً على العباد لما قامت لهم معاش أبداً فجعل مدبر هذه الأشياء وخالقها النهار مبدراً والليل سكوناً وأهبط فيهما الحر والبرد متباينين لودام واحداً منهما بغير صاحبه ما نبتت شجرة ولا طلعت ثمرة ولهلكت الخليفة لأن ذلك متصل بالريح المصدرة في الجهات الأربع باردة تبرد أنفاسهم وحارة تلهح أجسادهم وتدفع الأذى عن أبدانهم ومعاشهم ورتوبة ترطب طبائعهم ويؤسدة تنشف رطوباتهم وبها ياتلف المفترق وبها يتفرق الغمام المطبوق حتى ينسبط في السماء كيف يشاء مدبره ف يجعله كسفا فتري الودق يخرج من خلاله بقدر معلوم لمعاش مفهوم وأزراق مقسومة وأجال مكتوبة ولو احتسب عن أزمنته ووقته هلكت الخليفة ويبست الحديدية فأنزل الله المطر في أيامه ووقته إلى الأرض التي خلقها ليني آدم وجعلها فرشاً ومهاداً وحسبها أن تزول بهم وجعل الجبال لها أوتاداً وجعل فيها ينابيع تجري في الأرض بما تنبت فيها لا تقوم الحديدية والخليفة إلا بها ولا يصح لمحون إلا عليها مع البحار التي يركبونها ويستخرجون منها حلية يلبسونها ولحماً طرياً وغيره يأكلونه فعلم أن إله البر والبحر والسماء والأرض وما بينهما واحد حتى قيوم مدبر حكيم وأنه لو كان غيره لاختلفت الأشياء وكذلك السماء نظير الأرض التي أخرج الله منها حباً وعبأ وقضاً وزيتوناً

ص: 191

- 
- 1- سبح في الماء وبالماء: عام وانسبط فيه. ويستعار لمر النجوم وجرى الفرس وما شاكل.  
2- أى مستمرين.

وَنَحْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا بَدِيدٍ مُؤَلَّفٍ مَبِينٍ بِتَصْوِيرِ الزَّهْرَةِ وَالشَّمْرَةِ حَيَاةً لِبَنِي آدَمَ وَمَعَاشًا يَتَّقُونَ بِهِ أَجْسَادَهُمْ وَتَعِيشَ بِهَا أَنْعَامَهُمُ  
الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ فِي أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْدَّ عَارَهَا أَثَانًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ وَالْإِنْتِفَاعِ بِهَا وَالْبَلَاحِ عَلَى ظُهُورِهَا مَعَاشًا لَهُمْ لَا يَحْيُونَ إِلَّا بِهِ وَ  
صَالِحًا لَا يَقُومُونَ إِلَّا عَلَيْهِ وَكَذَلِكَ مَا جَهَلْتَ مِنَ الْأَشْيَاءِ فَلَا تَجْهَلْ أَنَّ جَمِيعَ مَا فِي الْأَرْضِ شَيْئَانِ شَيْءٌ يُولَدُ وَشَيْءٌ يَنْبُتُ أَحَدُهُمَا آكِلٌ  
وَالْآخَرُ مَأْكُولٌ وَمِمَّا يَدُلُّكَ عَقْلُكَ أَنَّ خَالِقَهُمْ مَا تَرَى مِنَ خَلْقِ الْإِنْسَانِ وَتَهَيِّئَةَ جَسَدِهِ لِشَهْوَةِ الطَّعَامِ وَالْمَعِدَةَ لِتَطْحَنَ الْمَأْكُولَ وَمَجَارِيَ  
الْعُرُوقِ لِصَفْوَةِ الطَّعَامِ وَهَيَّا لَهَا الْأُمْعَاءَ وَلَوْ كَانَ خَالِقُ الْمَأْكُولِ غَيْرَهُ لَمَا خَلَقَ الْأَجْسَادَ مُشْتَهِيَةً لِلْمَأْكُولِ وَلَيْسَ لَهُ قُدْرَةٌ عَلَيْهِ قَالَ لَقَدْ  
وَصَفْتِ صِدْقَةً أَعْلَمَ أَنَّهَا مِنْ مَدْبَرٍ حَكِيمٍ لَطِيفٍ قَدِيرٍ عَلِيمٍ قَدْ آمَنْتُ وَصَدَّقْتُ أَنَّ الْخَالِقَ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ غَيْرَ أَنِّي أَشْكُ فِي هَذِهِ  
السَّمَائِمِ الْقَاتِلَةِ أَنْ يَكُونَ هُوَ الَّذِي خَلَقَهَا لِأَنَّهَا ضَارَّةٌ غَيْرُ نَافِعَةٍ قُلْتُ أَلَيْسَ قَدْ صَارَ عِنْدَكَ أَنَّهَا مِنْ غَيْرِ خَلْقِ اللَّهِ قَالَ نَعَمْ لِأَنَّ الْخَلْقَ عِبْدُهُ وَ  
لَمْ يَكُنْ لِيَخْلُقْ مَا يَصُدُّهُمْ قُلْتُ سَأُبْصِرُكَ مِنْ هَذَا شَيْئًا تَعْرِفُهُ وَلَا أُتْبِتُكَ إِلَّا مِنْ قَبْلِ إِهْلِيلِجَتِكَ هَذِهِ وَعِلْمِكَ بِالطَّبِّ قَالَ هَاتِ قُلْتُ هَلْ  
تَعْرِفُ شَيْئًا مِنَ النَّبْتِ لَيْسَ فِيهِ مَضَرَّةٌ لِلْخَلْقِ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ مَا هُوَ قَالَ هَذِهِ الْأَطْعَمَةُ قُلْتُ أَلَيْسَ هَذَا الطَّعَامُ الَّذِي وَصَفْتَ يُعَبِّرُ أَلْوَانَهُمْ وَيُهَيِّجُ  
أَوْجَاعَهُمْ حَتَّى يَكُونَ مِنْهَا الْجُدَامُ وَالْبَرَصُ وَالسَّلَالُ (1) وَ الْمَاءُ الْأَصْفَرُ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَوْجَاعِ قَالَ هُوَ كَذَلِكَ قُلْتُ أَمَا هَذَا الْبَابُ فَقَدْ  
انْكَسَرَ عَلَيْكَ قَالَ أَجَلٌ قُلْتُ هَلْ تَعْرِفُ شَيْئًا مِنَ النَّبْتِ لَيْسَ فِيهِ مَنْفَعَةٌ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ أَلَيْسَ يَدْخُلُ فِي الْأَدْوِيَةِ الَّتِي يَدْفَعُ بِهَا الْأَوْجَاعَ مِنَ  
الْجُدَامِ وَالْبَرَصِ وَالسَّلَالِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَيَدْفَعُ الدَّاءَ وَيُذْهِبُ السُّقْمَ مِمَّا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ لِطَوْلِ مُعَالَجَتِكَ قَالَ إِنَّهُ كَذَلِكَ قُلْتُ فَأَخْبِرْنِي أَيُّ الْأَدْوِيَةِ  
عِنْدَكُمْ أَعْظَمُ فِي السَّمَائِمِ الْقَاتِلَةِ أَلَيْسَ التَّرِّيَاقُ

ص: 192

1- السل بالكسر في اللغة الهزال، وفي الطب القديم قرحة في الرية، وانما سمي المرض به لان من لوازمه هزال البدن، و لان الحمى  
الدقية لازمة لهذه القرحة.

قَالَ نَعَمْ هُوَ رَأْسُهَا وَأَوَّلُ مَا يُفْرَغُ إِلَيْهِ عِنْدَ نَهْشِ الْحَيَاتِ (1) وَلَسَعِ الْهُوَامُّ وَشَرِبِ السَّمَائِمِ قُلْتُ أَلَيْسَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَا بُدَّ لِلْأَدْوِيَةِ الْمُرْتَبِعَةِ وَالْأَدْوِيَةِ الْمُحْرِقَةِ فِي أَحْلَاطِ التَّرْيَاقِ إِلَّا أَنْ تُطْبَخَ بِالْأَفَاعِي الْقَاتِلَةِ قَالَ نَعَمْ هُوَ كَذَلِكَ وَلَا يَكُونُ التَّرْيَاقُ الْمُنْتَفِعَ بِهِ الدَّافِعَ لِلْسَّمَائِمِ الْقَاتِلَةِ إِلَّا بِذَلِكَ وَلَقَدْ انْكَسَرَ عَلَيَّ هَذَا الْبَابُ فَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّهُ خَالِقُ السَّمَائِمِ الْقَاتِلَةِ وَالْهُوَامِّ الْعَادِيَةِ وَجَمِيعِ النَّبْتِ وَالْأَشْجَارِ وَغَارِسُهَا وَمُنْبِتُهَا وَبَارِئُ الْأَجْسَادِ وَسَائِقُ الرِّيَّاحِ وَمَسْحَرُ السَّحَابِ وَأَنَّهُ خَالِقُ الْأَدْوَاءِ الَّتِي تُهَيِّجُ بِالْإِنْسَانِ كَالسَّمَائِمِ الْقَاتِلَةِ الَّتِي تَجْرِي فِي أَعْضَائِهِ وَعِظَامِهِ وَمُسَدِّتُ الْأَدْوَاءِ وَمَا يُصَدِّ لِحُجَّتِهَا مِنَ الدَّوَاءِ الْعَارِفِ بِالرُّوحِ وَمَجْرَى الدَّمِّ وَأَقْسَامِهِ فِي الْعُرُوقِ وَاتِّصَالِهِ بِالْعَصَبِ وَالْأَعْضَاءِ وَالْعَصَبِ وَالْجَسَدِ وَأَنَّهُ عَارِفٌ بِمَا يُصَدِّ لِحُجَّتِهِ مِنَ الْحَرِّ وَالْبُرْدِ عَالِمٌ بِكُلِّ عَضْوٍ بِمَا فِيهِ وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي وَضَعَ هَذِهِ النُّجُومَ وَحَسَابَهَا وَالْعَالِمِ بِهَا وَالِدَالُّ عَلَى نُحُوسِهَا وَسَعُودِهَا وَمَا يَكُونُ مِنَ الْمَوَالِيدِ وَأَنَّ التَّدْبِيرَ وَاحِدٌ لَمْ يَحْتَلِفْ مُتَّصِلٌ فِيمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهَا فَبَيَّنَّ لِي كَيْفَ قُلْتُ هُوَ الْآوَّلُ وَالْآخِرُ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ وَأَشْهَدُ بِأَنَّ ذَلِكَ قُلْتُ هُوَ الْآوَّلُ بِمَا كَيْفَ وَهُوَ الْآخِرُ بِمَا نَهَايَةَ لَيْسَ لَهُ مِثْلٌ خَلَقَ الْخَلْقَ وَالْأَشْيَاءَ لَا مِنْ شَيْءٍ وَلَا كَيْفَ بِمَا عِلَاجٍ وَلَا مَعَانَاةٍ وَلَا فِكْرٍ وَلَا كَيْفٍ كَمَا أَنَّهُ لَا كَيْفَ لَهُ وَإِنَّمَا الْكَيْفُ بِكَيْفِيَّةِ الْمَخْلُوقِ لِأَنَّهُ الْآوَّلُ لَا بَدَأَ لَهُ وَلَا شَيْءَ وَلَا مِثْلَ وَلَا ضِدَّ وَلَا نِدَّ لَا يُدْرِكُ بِبَصَرٍ وَلَا يُحَسُّ بِلَمْسٍ وَلَا يُعْرَفُ إِلَّا بِخَلْقِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ فَصَفَّ لِي قُوَّتَهُ قُلْتُ إِنَّمَا سَمَى رَبُّنَا جَلَّ جَلَالُهُ قُوِّيًّا لِلْخَلْقِ الْعَظِيمِ الْقَوِيَّ الَّذِي خَلَقَ مِثْلَ الْأَرْضِ وَمَا عَلَيْهَا مِنْ جِبَالِهَا وَبِحَارِهَا وَرِمَالِهَا وَأَشْجَارِهَا وَمَا عَلَيْهَا مِنَ الْخَلْقِ الْمُتَحَرِّكِ مِنَ الْإِنْسِ وَمِنَ الْحَيَوَانَ وَتَصَرَّفَ رِيْفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ الْمُتَقَلِّ بِالْمَاءِ الْكَثِيرِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَعِظْمِهِمَا وَعِظْمِ نُورِهِمَا الَّذِي لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ بُلُوغًا وَلَا مُنْتَهَى وَالنُّجُومِ الْجَارِيَةِ وَدَوْرَانِ الْفَلَكَ وَغِلْظِ السَّمَاءِ وَعِظْمِ الْخَلْقِ الْعَظِيمِ

ص: 193

1- نهش الحية: تناوله بفمه ليعضه فيؤثر فيه ولا يجرحه.



وَ السَّمَاءِ الْمُسَقَّفَةِ فَوَقْنَا رَاكِدَةً فِي الْهَوَاءِ وَ مَا دُونَهَا مِنَ الْأَرْضِ الْمَسْطُوعَةِ وَ مَا عَلَيْهَا مِنَ الْخَلْقِ التَّقِيلِ وَ هِيَ رَاكِدَةٌ لَا تَتَحَرَّكُ غَيْرَ أَنَّهُ رَبَّمَا حُرِّكَ فِيهَا نَاحِيَةٌ وَ النَّاحِيَةُ الْأُخْرَى ثَابِتَةٌ وَ رَبَّمَا حَسَفَ مِنْهَا نَاحِيَةٌ وَ النَّاحِيَةُ الْأُخْرَى قَائِمَةٌ يَرِينَا فُذْرَتَهُ وَ يَدُلُّنَا بِفِعْلِهِ عَلَى مَعْرِفَتِهِ فَلِهَذَا سَمَّيَ قَوِيًّا لَا لِقُوَّةِ الْبَطْشِ الْمَعْرُوفَةِ مِنَ الْخَلْقِ وَ لَوْ كَانَتْ قُوَّتُهُ تُشَبِّهُ قُوَّةَ الْخَلْقِ لَوَقَعَ عَلَيْهِ التَّشْبِيهُ وَ كَانَ مُحْتَمَلًا لِلزِّيَادَةِ وَ مَا احْتَمَلَ الزِّيَادَةَ كَانَ نَاقِصًا وَ مَا كَانَ نَاقِصًا لَمْ يَكُنْ تَامًا وَ مَا لَمْ يَكُنْ تَامًا كَانَ عَاجِزًا ضَعِيفًا وَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ لَا يُشَبِّهُهُ بِشَيْءٍ ءِ وَ إِنَّمَا قُلْنَا إِنَّهُ قَوِيٌّ لِلْخَلْقِ الْقَوِيِّ وَ كَذَلِكَ قَوْلُنَا الْعَظِيمُ وَ الْكَبِيرُ وَ لَا يُشَبِّهُهُ بِهِذِهِ الْأَسْمَاءُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى قَالَ أَفَرَأَيْتَ قَوْلَهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ عَالِمٌ قُلْتُ إِنَّمَا يُسَمَّى تَبَارَكَ وَ تَعَالَى بِهِذِهِ الْأَسْمَاءُ لِأَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ ءِ مِمَّا لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ مِنْ شَيْءٍ ضَعِيفٍ أَوْ كَبِيرٍ أَوْ دَقِيقٍ أَوْ جَلِيلٍ وَ لَا نَصِفُهُ بِصِيرًا بِلِحْظِ عَيْنٍ كَالْمَخْلُوقِ وَ إِنَّمَا سَمَّيَ سَمِيعًا لِأَنَّهُ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَ لَا خَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَ لَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَ لَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا يَسْمَعُ النَّجْوَى وَ دَبِيبَ النَّمْلِ عَلَى الصِّفَا (1) وَ خَفَقَانَ الطَّيْرِ فِي الْهَوَاءِ (2) لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ وَ لَا شَيْءٌ ءِ مِمَّا أَدْرَكَتُهُ الْأَسْمَاعُ وَ الْأَبْصَارُ وَ مَا لَا تُدْرِكُهُ الْأَسْمَاعُ وَ الْأَبْصَارُ مَا جَلَّ مِنْ ذَلِكَ وَ مَا دَقَّ وَ مَا صَغَرَ وَ مَا كَبُرَ وَ لَمْ تَقُلْ سَمِيعًا بِصِيرًا كَالسَّمْعِ الْمَعْقُولِ مِنَ الْخَلْقِ وَ كَذَلِكَ إِنَّمَا سَمَّيَ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ لَا يَجْهَلُ شَيْئًا مِنَ الْأَشْيَاءِ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ فِي الْأَرْضِ وَ لَا فِي السَّمَاءِ عَلِيمٌ مَا يَكُونُ وَ مَا لَا يَكُونُ وَ مَا لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ وَ لَمْ نَصِفْ عَلَيْهِ بِمَعْنَى غَرِيبَةٍ يَعْلَمُ بِهَا كَمَا أَنَّ لِلْخَلْقِ غَرِيبَةً يَعْلَمُونَ بِهَا فَهَذَا مَا أَرَادَ مِنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِ عَزَّ مِنْ جَلَّ عَنِ الصِّفَاتِ وَ مَنْ نَزَّ نَفْسَهُ عَنِ أَفْعَالِ خَلْقِهِ فَهَذَا هُوَ الْمَعْنَى وَ لَوْ لَا ذَلِكَ مَا فَصَّلَ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ خَلْقِهِ فَسَدَّ بَحَانَهُ وَ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ قَالَ إِنَّ هَذَا لَكَمَا نَقُولُ وَ لَقَدْ عَلِمْتُ إِنَّمَا غَرَضِي أَنْ أَسْأَلَ عَنْ رَدِّ الْجَوَابِ فِيهِ عِنْدَ مُصَرِّفِ يَسَّ نَحْ عَنِّي فَأَخْبِرْنِي لَعَلِّي أَحْكَمُهُ فَيَكُونُ الْحُجَّةُ قَدِ انْتَدَرَتْ لِمُتَعَنِّتِ الْمُخَالِفِ أَوْ السَّائِلِ الْمُزْتَابِ أَوْ الطَّالِبِ الْمُزْتَادِ مَعَ مَا فِيهِ لِأَهْلِ الْمُوَافَقَةِ مِنَ الْإِزْدِيَادِ فَأَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِهِ لَطِيفٌ وَ قَدْ عَرَفْتُ أَنَّهُ لِلْفِعْلِ وَ لَكِنْ قَدْ رَجَوْتُ أَنْ تَشْرَحَ لِي ذَلِكَ بِوَصْفِكَ قُلْتُ إِنَّمَا

ص: 194

1- الصفا: الحجر الصلد الضخم.

2- خفق الطير: ضرب بجناحيه.

سَمَّيْنَاهُ لَطِيفًا لِلْخَلْقِ اللَّطِيفِ وَ لِعَلْمِهِ بِالشَّيْءِ اللَّطِيفِ مِمَّا خَلَقَ مِنَ الْبَعُوضِ وَ الدَّرَّةِ (1) وَ مِمَّا هُوَ أَصَدُّ مِنْهُمَا لَا يَكَادُ تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ الْعُقُولُ لِصِدْقِ خَلْقِهِ مِنْ عَيْنِهِ وَ سَمْعِهِ وَ صُورَتِهِ لَا يُعْرَفُ مِنْ ذَلِكَ لِصِغَرِهِ الذَّكْرِ مِنَ الْأُنثَى وَ لَا الْحَدِيثُ الْمُؤَلُّودُ مِنَ الْقَدِيمِ الْوَالِدِ (2) فَلَمَّا رَأَيْنَا لُطْفَ ذَلِكَ فِي صِغَرِهِ وَ مَوْضِعِ الْعَقْلِ فِيهِ وَ الشَّهْوَةَ لِلسَّفَادِ (3) وَ الْهَرَبَ مِنَ الْمَوْتِ وَ الْحَدَبَ عَلَى نَسْلِهِ مِنْ وُلْدِهِ وَ مَعْرِفَةَ بَعْضِهَا بَعْضًا وَ مَا كَانَ مِنْهَا فِي لُجَجِ الْبِحَارِ وَ أَعْدَانِ السَّمَاءِ وَ الْمَفَاوِزِ وَ الْقِفَارِ وَ مَا هُوَ مَعَنَا فِي مَنْزِلِنَا وَ يَفْهَمُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضًا مِنْ مَنْطِقِهِمْ وَ مَا يَفْهَمُ مِنْ أَوْلَادِهَا وَ تَقْلَهَا الطَّعَامَ إِلَيْهَا وَ الْمَاءَ عَلِمْنَا أَنَّ خَالِقَهَا لَطِيفٌ وَ أَنَّهُ لَطِيفٌ بِخَلْقِ اللَّطِيفِ (4) كَمَا سَمَّيْنَاهُ قَوِيًّا بِخَلْقِ الْقَوِيِّ قَالَ إِنَّ الَّذِي جِئْتُ بِهِ لَوَاضِحٌ فَكَيْفَ جَازَ لِلْخَلْقِ أَنْ يَتَسَمَّوْا بِاسْمِ مَا لَيْسَ لِلَّهِ تَعَالَى قُلْتُ إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ أَبَاحَ لِلنَّاسِ الْأَسْمَاءَ وَ وَهَبَهَا لَهُمْ وَ قَدْ قَالَ الْقَائِلُ مِنَ النَّاسِ لِلْوَاحِدِ وَاحِدٌ وَ يَقُولُ لِلَّهِ وَاحِدٌ وَ يَقُولُ قَوِيٌّ وَ اللَّهُ تَعَالَى قَوِيٌّ وَ يَقُولُ صَانِعٌ وَ اللَّهُ صَانِعٌ وَ يَقُولُ رَازِقٌ وَ اللَّهُ رَازِقٌ وَ يَقُولُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ وَ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ فَمَنْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ وَاحِدٌ فَهَذَا لَهُ اسْمٌ وَ لَهُ شَبِيهٌ وَ اللَّهُ وَاحِدٌ وَ هُوَ لَهُ اسْمٌ وَ لَا شَيْءَ لَهُ شَبِيهٌ وَ لَيْسَ الْمَعْنَى وَاحِدًا وَ أَمَّا الْأَسْمَاءُ فَهِيَ دَلَالَتُنَا عَلَى الْمُسَمَّى لِأَنَّهَا قَدْ نَرَى الْإِنْسَانَ وَاحِدًا وَ إِنَّمَا نُخْبِرُ وَاحِدًا إِذَا كَانَ مُفْرَدًا فَعَلِمَ أَنَّ الْإِنْسَانَ فِي نَفْسِهِ لَيْسَ بِوَاحِدٍ فِي الْمَعْنَى لِأَنَّ أَعْضَاءَهُ مُخْتَلِفَةٌ وَ أَجْزَاءَهُ لَيْسَتْ سَوَاءً وَ لَحْمُهُ غَيْرُ دَمِهِ وَ عَظْمُهُ غَيْرُ عَصَبِهِ وَ شَعْرُهُ غَيْرُ ظَفْرِهِ وَ سَوَادُهُ غَيْرُ بَيَاضِهِ وَ كَذَلِكَ سَائِرُ الْخَلْقِ وَ الْإِنْسَانُ وَاحِدٌ فِي

ص: 195

1- الذر: صغار النمل.

2- هذا تنبيه منه عليه السلام على وجود الحيوانات الحية و الميكروبات المخفية عن الانظار و العقول، قبل وجود المكبرات و اختراع الميكروسكوب و المنظار بقرون، و غير خفى أن العلم بذلك في أحد عشر قرنا قبل زماننا لم يك يحصل إلا لذوى النفوس الكاملة و الانظار الثاقبة، الذين خصهم الله من بريته بفضله، و أيدهم بحكمته، و انتجبهم لولايته من بين خلقه، و علمهم ما لا يعلم غيرهم من عبيده.

3- و فى نسخة: و الشهوة للبقاء.

4- و فى نسخة: لطيف يخلق اللطيف.

الإسْمِ وَ لَيْسَ بِوَاحِدٍ فِي الإِسْمِ وَ الْمَعْنَى وَ الْخَلْقِ فَإِذَا قِيلَ لِلَّهِ فَهُوَ الْوَاحِدُ الَّذِي لَا وَاحِدَ غَيْرُهُ لِأَنَّهُ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ وَ هُوَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى سَمِيعٌ وَ بَصِيرٌ وَ قَوِيٌّ وَ عَزِيزٌ وَ حَكِيمٌ وَ عَلِيمٌ فَتَعَالَى اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِهِ رَعُوفٌ رَحِيمٌ وَ عَنْ رِضَاهُ وَ مَحَبَّتِهِ وَ غَضَبِهِ وَ سَخَطِهِ قُلْتُ إِنَّ الرَّحْمَةَ وَ مَا يَحْدُثُ لَنَا مِنْهَا شَفَقَةٌ وَ مِنْهَا جُودٌ وَ إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ ثَوَابُهُ لِخَلْقِهِ وَ الرَّحْمَةَ مِنَ الْعِبَادِ شَيْئَانِ أَحَدُهُمَا يَحْدُثُ فِي الْقَلْبِ الرَّأْفَةُ وَ الرَّقَّةُ لِمَا يُرَى بِالْمَرْحُومِ مِنَ الضَّرِّ وَ الْحَاجَةِ وَ ضَرْبِ الْبَلَاءِ وَ الْآخَرُ مَا يَحْدُثُ مِنَّا مِنْ بَعْدِ الرَّأْفَةِ وَ اللَّطْفِ عَلَى الْمَرْحُومِ وَ الرَّحْمَةُ مِنَّا مَا نَزَلَ بِهِ وَ قَدْ يَقُولُ الْقَائِلُ أَنْظِرْ إِلَى رَحْمَةِ فَلَانٍ وَ إِنَّمَا يُرِيدُ الْفِعْلَ الَّذِي حَدَّثَ عَنِ الرَّقَّةِ الَّتِي فِي قَلْبِ فَلَانٍ وَ إِنَّمَا يُضَافُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ مِنْ فِعْلٍ مَا حَدَّثَ عَنَّا مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَ أَمَّا الْمَعْنَى الَّذِي هُوَ فِي الْقَلْبِ فَهُوَ مَنْفَعِيٌّ عَنِ اللَّهِ كَمَا وَصَفَ عَنْ نَفْسِهِ فَهُوَ رَحِيمٌ لَا رَحْمَةَ رَقَّةً وَ أَمَّا الْغَضَبُ فَهُوَ مِنَّا إِذَا غَضِبْنَا تَغَيَّرَتْ طَبَائِعُنَا وَ تَزِيدُ أَحْيَانًا مَفَاصِدَ لَنَا وَ حَالَتْ أَلْوَانُنَا ثُمَّ نَجِيءُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ بِالْعُقُوبَاتِ فَسَمِيَ غَضَبًا فَهَذَا كَلَامُ النَّاسِ الْمَعْرُوفِ وَ الْغَضَبُ شَيْئَانِ أَحَدُهُمَا فِي الْقَلْبِ وَ أَمَّا الْمَعْنَى الَّذِي هُوَ فِي الْقَلْبِ فَهُوَ مَنْفَعِيٌّ عَنِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَ كَذَلِكَ رِضَاهُ وَ سَخَطُهُ وَ رَحْمَتُهُ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ جَلَّ وَ عَزَّ لَا شَبِيهَ لَهُ وَ لَا مِثْلَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ إِزَادَتِهِ قُلْتُ إِنَّ الْإِزَادَةَ مِنَ الْعِبَادِ الضَّمِيمِ وَ مَا يَبْدُو بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْفِعْلِ وَ أَمَّا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ فَالْإِزَادَةُ لِلْفِعْلِ إِحْدَاثُهُ إِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ بِلَا تَعَبٍ وَ لَا كَيْفٍ قَالَ قَدْ بَلَغَتْ حَسْبُكَ فَهَذِهِ كَافِيَةٌ لِمَنْ عَقَلَ وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الَّذِي هَدَانَا مِنَ الضَّلَالِ وَ عَصَمَنَا مِنْ أَنْ نُشَبَّهَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ وَ أَنْ نُشْكَ فِي عَظَمَتِهِ وَ قُدْرَتِهِ وَ لَطِيفِ صُنْعِهِ وَ جَبْرُوتِهِ جَلَّ عَنِ الْأَسْبَابِ وَ الْأَصْدَادِ وَ تَكَبَّرَ عَنِ الشُّرَكَاءِ وَ الْأَنْدَادِ.

شرح: قوله عليه السلام: دفعت إليه على بناء المجهول أى دفعتك الحاجة و الضرورة إليه و فى الأساس دفع فلان إلى فلان انتهى إليه قوله عليه السلام: مغيض هو بفتح الميم و كسر الغين المعجمة موضع يجرى إليه الماء و يغيب أو يجتمع فيه و فى الثانى مصدر ميمى

قوله عليه السلام: فى الجهات الأربع أى الشمال والجنوب والصبأ والدبور وىحتمل أن يكون المراد المتغيرة بسبب الصفات الأربعة التى فسرها عليه السلام قوله عليه السلام: تلقح أجسادهم أى تنمىها مستعاراً من لقاح الشجر كما قال تعالى وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ وَفى أكثر النسخ بالفاء وهو بمعنى الإحراق فىكون كناية عن نضجها والودق المطر قوله وَقَصَّبَ بَأْ يعنى الرطبة سميت بمصدر قضبه إذا قطعه لأنها تقضب مرة بعد أخرى وَحَدَائِقَ غُلْباً أى عظاما وصفت به الحدائق لتكاثفها وكثرة أشجارها أو لأنها ذات أشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب وَأَبًا مرعى من أب إذا أم لأنه يؤم وىنتج أو من أب لكذا إذا تهيأ له لأنه متهيأ للرعى وفاكهة يابسة تؤب للشتاء وقال الجوهرى الأثاث متاع البيت قال الفراء لا واحد له وقال أبو زيد الأثاث المال أجمع الإبل والغنم والعبيد والمتاع الواحدة أثاثة انتهى وَمَتَاعاً أى شيئاً ىنتفع به إلى حينٍ إلى أن تقضوا منه أوطاركم أو إلى أن ىبلى وىفنى أو إلى أن تموتوا قوله عليه السلام: والانتفاع عطف على أصوافها أو فى أصوافها قوله عليه السلام: ومستقر اسم مكان معطوف على الأدواء قوله عليه السلام: هو الأول بلا كيف أى كان أزليا من غير اتصاف بكيفية أو من غير أن تعرف كيفية أوليته بمقارنة زمان قديم بل بلا زمان قوله عليه السلام: لا من شىء ولا كيف أى لا من مادة ولا من شبه ومثال وتصور وخیال تمثل فيه كيفية الخلق ثم خلق على مثال ذلك كما فى المخلوقين قوله عليه السلام: ثانياً ولا كيف أى ليس لخلقه وىجاده كيفية كما فى المخلوقين من حركة ومزاولة عمل فكما أنه لا كيف لذاته لا كيف لإيجاده وإذا وصف خلقه وىجاده بالكيف فهو ىرجع إلى كيفية مخلوقه فإذا قيل كيف خلق الأشياء فالمعنى الصحيح له كيف مخلوقاته لا أنه كيف كان فعله وىجاده وىليه أشار عليه السلام بقوله وإنما الكيف بكيفية المخلوق ثم علل ذلك بأن هذه صفات المحدثين وهو الأول لا بدء له ولا شبه فكيف ىتصف بها قوله عليه السلام: الذى خلق خير مبتدأ محذوف أى هو الذى وقوله عليه السلام: وتصريف الرياح عطف على الخلق العظيم وىحتمل العطف على قوله مثل الأرض قوله عليه السلام: بلوغاً ولا منتهى لعل المراد أنه لا ىبلغ الأبصار إلیهما ولا إلى منتهى نورهما أو منتهى جسمهما

قوله عليه السلام: وعظم الخلق العظيم أى السماء أو ما عليها من الملائكة قوله و لا يشبه بهذه الأسماء على بناء المجهول من باب التفعيل أى لا يصير إطلاق هذه الأسماء عليه سببا لأن يظن أنه شبيه بخلقه قوله إنما غرضى أى غرضى من السؤال أن تجيب عما يعرض لى من إشكال يصرفنى عن الحق يسبح ويظهر عنى وفى بعض النسخ عن رد الجواب فيه عند متعرف غيبى أى إنى قد آمنت وأيقنت وإنما المقصود من السؤال أن أقدر على أن أجيب عن سؤال متعرف غيبى جاهل أحقق لأهديه إلى الحق وهو أظهر والحدب العطف والشفقة و لعل المراد بما فى أعنان السماء ما يطير فى الهواء وقد مر تفسير بعض الفقرات و سيأتى تفسير بعضها. ت و سيأتى تفسير بعضها.

## باب 6 التوحيد و نفى الشرك و معنى الواحد و الأحد و الصمد و تفسير سورة التوحيد

### إشارة

الآيات؛

البقرة: «وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ» (163) (وقال تعالى): «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَتَدَاداً (1) يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ» (165) (وقال سبحانه): «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ» (255) (وقال تعالى): «لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ» (284)

آل عمران: «وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ» (62) (وقال تعالى): «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ (2) أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ» (65) (3)

ص: 198

- 1- أى من الأصنام أو الرؤساء أو الأعمم. يحبونهم أو يعظمونهم و يصفونهم كتعظيمه تعالى و الميل إلى طاعته. قوله: أشد حبا لله أى لا تنقطع محبتهم لله، بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة تزول بأدنى سبب. منه رحمه الله.
- 2- أى لا يختلف فيها الرسل و الكتب. منه رحمه الله.
- 3- أى الزمتكم الحجة فاعترفوا بأنا مسلمون دونكم، و اعترفوا بأنكم كافرون بما نطقتم به الكتب و تطابقت عليه الرسل. منه رحمه الله.

النساء: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا» (48) (وقال تعالى): «وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا\* إِنَّ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَانَا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا» (117) (وقال): «وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا» (132)

أنعام: «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ\* بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَ تَتَّسُونَ مَا تُشْرِكُونَ» (40-41) (وقال تعالى): «قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» (56)

الأعراف: «مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ» (في مواضع) (59، 65، 73)

يونس: «وَمَا يَتَّبِعِ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ» (66) (وقال تعالى): «قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَقَّأَكُمْ وَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ\* وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَ لَا تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ\* وَ لَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَ لَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ» (104-106)

هود: «أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ» (2)

يوسف: «مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ» (38) (وقال): «يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَّفَقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ\* مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» (39-40) (وقال): «وَ مَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَ هُمْ مُشْرِكُونَ» (106)

الرعد: «لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَ مَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَ مَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ\* وَ لِلَّهِ يَسُدُّ جُدُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعًا وَ كَرْهًا وَ ظَلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَ الْأَصَالِ\* قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَ لَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَ الْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَ النُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ

فَتَشَابَهَ الْخَلْقَ عَلَيْهِمْ قَوْلَ اللَّهِ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ» (14-16) (وقال): «قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ» (30) (وقال): «أَفَمَنْ هُوَ قَانِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ» (33) (وقال): «قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَابِ» (36)

إبراهيم: «وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ» (52)

النحل: «يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ\* خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ» (2-3) (وقال تعالى): «وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَازْهَبُونِ\* وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ\* وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَأَلَيْهِ تَجُرُّونَ\* ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضَّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ\* لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ\* وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيباً مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَشَسَّ نَلْنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تُفْتَرُونَ\* وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ» (51-57)

الإسراء: «لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَحْذُوماً\* وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ» (22 ، 32) (وقال تعالى): «وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً» (39) (وقال تعالى): «قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَعَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا\* سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُقُولُونَ عُلُوءًا كَبِيراً» (42-43) (وقال تعالى): «قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ رَزَعْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلاً\* أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً» (56-57)

الكهف: «فَقَالُوا رَبَّنَا رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا\* هُوَ لَاءِ قَوْمَنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْ لَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمُ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِباً» (14-15) (وقال الله تعالى): «لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ

بِرَّبِّي أَحَدًا» (38) (وقال تعالى): «وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا» (42) (وقال تعالى): «أَفَحَسِبَ (1) الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ» (102) (وقال تعالى): «قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ (2) فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» (110)

مريم: «وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا \* كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا» (81-82)

الأنبياء: «وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِبُونَ \* يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ \* أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ (3) \* لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسَدَّ بَحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ \* لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ \* أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ \* مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ» (19-25) (وقال تعالى): «وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا هَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ» (36) (وقال تعالى): «قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ \* أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِتَّا يَصِدُّونَ» (42-43) (4) (وقال تعالى): «إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ \* لَوْ كَانَ هُوَآءِ آلِهَةً مَا وَرَدُّوهَا وَكَذَّلْ فِيهَا خَالِدُونَ \* لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ \* إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِتَّا الْحُسْنَىٰ أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ» (98-101) (وقال تعالى): «قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» (108)

ص: 201

1- مفعول الثانى «لحسب» مقدر أى نافعهم أو لا اعذبهم، أو سد «أن يتخذوا» مسد المفعولين. منه رحمه الله

2- أى يأمل حسن لقائه يخاف سوء لقائه. منه رحمه الله

3- قوله: هم ينشرون أى الموتى، وهم وإن لم يقرؤوا بذلك لكن يلزم ذلك من ادعائهم كونها آلهة. منه رحمه الله.

4- أى من عذابه، وقوله: لا يستطيعون استينافى لا بطل ما اعتقدوه. ولا هم منا يصحبون أى لا يجارون من عذابنا ولا يصحبهم منا نصر. منه رحمه الله.



الحج: «حُنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ» (31) (وقال):  
«وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَ مَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ» (71)

المؤمنون: «مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَ مَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَ لَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ\* عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ» (91-92) (وقال عز و جل): «فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ\* وَ مَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ» (116-117)

الفرقان: «وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَ هُمْ يُخْلَقُونَ وَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَ لَا نَفْعًا وَ لَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَ لَا حَيَاةً وَ لَا نُشُورًا» (3)

الشعراء: «فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ» (213)

النمل: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ» (26) (وقال تعالى): «قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ سَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ\* أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَيْئًا وَ جَرَّهَا إِلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ\* (1) أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَ جَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَ جَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ (2) وَ جَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بِلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ\* أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَ يَكْشِفُ السُّوءَ وَ يَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَدَّكَّرُونَ\* أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ (3) فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ مَنْ يُرْسِلِ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ\* أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» (59-64)

القصص: «وَ يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ\* قَالَ الَّذِينَ

ص: 202

1- أى يعدلون عن الحق. منه رحمه الله.

2- أى جبالاً ثابتة. و البحران: العذب و المالح و بحرا فارس و الروم. منه رحمه الله.

3- أى بالنجوم و علامات الأرض. بين يدي رحمة أى المطر من السماء و الأرض أى بأسبابها. منه رحمه الله.

حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ (1) رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ\* (2) وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ» (62-64) (وقال تعالى): «وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُسْتَرْكِينِ\* وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» (87-88)

العنكبوت: «وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» (8) (وقال عز و جل): «مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ\* إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ\* وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ» (41-43)

الروم: «وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُسْتَرْكِينِ\* مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ (3) وَكَانُوا شِعَابًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ\* وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ\* لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ\* أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ» (31-35) (وقال تعالى): «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ دَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ» (40)

لقمان: «يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» (13) (وقال): «وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا» (15)

سبأ: «قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا

ص: 203

- 1- أى حق عليهم الوعيد بالعذاب من الجن والشياطين و الذين أغووا الخلق من الانس. ربنا هؤلاء الذين أغوينا يعنون اتباعهم. ما كانوا إيانا يعبدون أى لم يكونوا يعبدوننا، بل كانوا يعبدون الشياطين الذين زيفوا عبادتنا، أو لم يعبدونا باستحقاق. منه رحمه الله.
- 2- أى بحيلة لدفع العذاب أو إلى الحق، وقيل: «لو» للتمنى أى تمنوا أنهم كانوا مهتدين. منه رحمه الله.
- 3- أى الشياطين حيث أطاعوهم، وقيل: كانوا يتمثلون و يتخيلون أنهم الملائكة فيعبدونهم. منه رحمه الله.

فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شَيْءٍ وَ مَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ» (22) (وقال تعالى): «قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» (27) (وقال سبحانه): «وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ\* قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ» (40-41)

فاطر: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ» (3) (وقال سبحانه): «وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ (1) سَائِغٌ شَرَابُهُ وَ هَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَ مِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَ تَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَ تَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاحِرَ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ\* يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَ يُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى (2) ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ\* إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَ لَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ (3) وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَ لَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ» (12-14) (وقال تعالى): «قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ كُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَا ذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنَّ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا» (40)

يس: «وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ\* لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَ هُمْ لَهُمْ جُنُودٌ مُحْضَرُونَ» (74-75)

الصفات: «وَ الصَّافَّاتِ صَفًّا\* فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا\* فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا\* (4)

ص: 204

- 1- قيل: الفرات هو الذي ينكسر به العطش، و السائغ: الذي يسهل انحداره، و الاجاج: الذي يحرق بملوحته. و المراد بالحلية اللنالي. مواخر أى تشق الماء بجريها. منه رحمه الله.
- 2- الأجل المسمى مدة دوره أى منتهاه، أو يوم القيامة. القطمير لفافة النواة. منه رحمه الله.
- 3- أى على فرض المحال ما استجابوا لكم لعدم قدرتهم على الانفاع، أو لتبريهم منكم مما تدعون لهم. منه رحمه الله.
- 4- اقسام بالملائكة الصافين فى مقام العبودية، الزاجرين لاجرام العلوية و السفلية بالتدبير المأمور فيها، أو الناس عن المعاصى و الشياطين عن التعرض لهم، التالين آيات الله تعالى و أسراره على أنبيائه و أصفياه. أو بطوائف العلماء الصافين فى العبادات، الزاجرين عن الكفر و المعاصى، التالين آيات الله و شرائعه. او بنفوس الغزاة الصافين فى الجهاد، الزاجرين الخيل او العدو، و التالين ذكر الله لا يشغلهم عنه مجاهدة الاعداء. منه قدس سره.

إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ \* رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ» (1-5)

ص: «وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ \* رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ» (65-66)

الزمر: «ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَىٰ تُصْرَفُونَ» (6) (وقال تعالى): «وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» (8) (وقال تعالى): «قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي \* فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ» (14-15) (وقال سبحانه): «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» (29) (وقال تعالى): «قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونَنِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ \* وَ لَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ \* بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَ كُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ» (64-66)

المؤمن: «ذَلِكُمْ بَأْتَهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَ إِنْ يُشْرِكْ بِهِ تُؤْمِنُوا» (12) (وقال): «وَ اللَّهُ يَفْضِي بِالْحَقِّ وَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنْ اللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» (20) (وقال تعالى): «وَ يَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَ تَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ \* تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَ أُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَ أَتَا أَدْعَاؤَكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ» (41-42) (وقال تعالى): «ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ءِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَىٰ تُؤْفَكُونَ» (62) (إلى قوله تعالى): «هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» (65) (إلى قوله تعالى): «فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَ كَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ» (84)

السجدة: «قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَ اسْتَغْفِرُوهُ وَ وَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ» (6) (إلى قوله تعالى): «قُلْ أ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَ تَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ» (9) (وقال تعالى): «إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ» (14) (وقال تعالى): «وَ يَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ قَالُوا أَدْنَاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ \* وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَ ظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ» (47-48) (وقال تعالى): «وَ مِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَ النَّهَارُ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ لَا

تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ\* فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ» (37-38)

حمعسق: «أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (9) (وقال تعالى): «كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ» (13)

الزخرف: «وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ\* إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ» (26-27) (وقال تعالى): «وَسئَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَنْ جَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ» (45) (وقال تعالى): «وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ\* وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ» (57-58)

الجن: «وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» (10)

محمد: «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» (19)

ق: «الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ» (2)

الذاريات: «وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ» (51)

الطور: «أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ» (43)

الممتحنة: «قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» (4)

الجن: «قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا» (20)

المزمل: «رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا» (9)

التوحيد: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ\* اللَّهُ الصَّمَدُ\* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ\* وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ» (1-4)

(1)-يد، التوحيد ل، الخصال الطالقاني عن مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ يَحْيَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْهَيْثَمِ الْبَلَدِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الْمُعَاذِيِّ بْنِ عِمْرَانَ عَنْ إِسْرَائِيلَ عَنِ الْمُقَدَّمِ بْنِ شَرِيحِ بْنِ هَانِي عَنْ أَبِيهِ قَالَ: إِنَّ أَعْرَابِيًّا قَامَ يَوْمَ الْجَمَلِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَتَقُولُ إِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ قَالَ فَحَمَلَ النَّاسُ عَلَيْهِ وَقَالُوا يَا أَعْرَابِيُّ أَمَا تَرَى مَا فِيهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

مِنْ تَقْسِيمِ الْقَلْبِ (1) فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَعُوهُ فَإِنَّ الَّذِي يُرِيدُهُ الْأَعْرَابِيُّ هُوَ الَّذِي نُرِيدُهُ مِنَ الْقَوْمِ ثُمَّ قَالَ يَا أَعْرَابِيَّ إِنَّ الْقَوْلَ فِي أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ فَوَجْهَانِ مِنْهَا لَا يَجُوزُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَوَجْهَانِ يَتَّبِعَانِ فِيهِ فَأَمَّا اللَّذَانِ لَا يَجُوزَانِ عَلَيْهِ فَقَوْلُ الْقَائِلِ وَاحِدٌ يَقْصِدُ بِهِ بَابَ الْأَعْدَادِ فَهَذَا مَا لَا يَجُوزُ لِأَنَّ مَا لَا ثَانِيَّ لَهُ لَا يَدْخُلُ فِي بَابِ الْأَعْدَادِ أَمَا تَرَى أَنَّهُ كَفَرَ مَنْ قَالَ إِنَّهُ ثَالِثٌ ثَلَاثَةٌ وَقَوْلُ الْقَائِلِ هُوَ وَاحِدٌ مِنَ النَّاسِ يُرِيدُ بِهِ النَّوْعَ مِنَ الْجِنْسِ فَهَذَا مَا لَا يَجُوزُ لِأَنَّهُ تَشْبِيهُ وَجَلَّ رَبُّنَا وَتَعَالَى عَنْ ذَلِكَ وَأَمَّا الْوَجْهَانِ اللَّذَانِ يَتَّبِعَانِ فِيهِ فَقَوْلُ الْقَائِلِ هُوَ وَاحِدٌ لَيْسَ لَهُ فِي الْأَشْيَاءِ شَيْءٌ كَذَلِكَ رَبُّنَا وَقَوْلُ الْقَائِلِ إِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَحَدِيٌّ الْمَعْنَى يَعْنِي بِهِ أَنَّهُ لَا يَنْقَسِمُ فِي وُجُودٍ وَلَا عَقْلٍ وَلَا وَهْمٍ كَذَلِكَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ.

مع، معاني الأخبار، عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بن نصر بن عبد الوهاب بن عطاء بن واصل السنجرى عن أبي الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن حمزة الشعرانى العمارى من ولد عمار بن ياسر عن أبي محمد عبيد الله بن يحيى بن عبد الباقي الآذنى عن أبي المقدم بن شريح بن هانى عن أبيه مثله.

بيان: التقسم التفرق والمعنى الأول المنفى هو الوحدة العددية بمعنى أن يكون له ثان من نوعه والثانى أن يكون المراد به صنفا من نوع فإن النوع يطلق فى اللغة على الصنف وكذا الجنس على النوع فإذا قيل لرومى مثلا هذا واحد من الناس بهذا المعنى يكون المعنى أن صنف هذا صنف من أصناف الناس أو هذا من صنف من أصنافهم ويحتمل أن يكون المراد بالأول الذى له ثان فى الإلهية والثانى الواحد من نوع داخل تحت جنس فالمراد أنه يريد به أى بالناس أنه نوع لهذا الشخص ويكون ذكر الجنس لبيان أن النوع يستلزم الجنس غالبا فيلزم التركيب من الأجزاء العقلية والمعنيين المثبتان الأول منهما إشارة إلى نفى الشريك والثانى منهما إلى نفى التركيب وقوله فى وجود أى فى الخارج.

ص: 207

1- تقسم الشىء: فرقه. تقسمته الهموم أى وزعت خواطره.

(2)- يد، التوحيد مع، معانى الأخبار أبى عن مُحَمَّدِ الْعَطَّارِ عَنِ ابْنِ عَيْسَى عَنْ أَبِي هَاشِمٍ الْجَعْفَرِيِّ (1) قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرَ الثَّانِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ مَا مَعْنَى الْوَاحِدِ قَالَ الْمُجْتَمَعُ عَلَيْهِ بِجَمِيعِ الْأَلْسُنِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ.

سن، المحاسن أبى عن داود بن القاسم مثله.

(3)- ج، الإحتجاج عن أبى هَاشِمٍ الْجَعْفَرِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرَ الثَّانِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ مَا مَعْنَى الْوَاحِدِ قَالَ الْمُجْتَمَعُ عَلَيْهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ أَمَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ وَلَيْتُنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَحَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ لَهُ شَرِيكٌ وَصَاحِبَةٌ.

بيان: قوله عليه السلام: بعد ذلك استفهام على الإنكار أى كيف يكون له شريك وصاحبة بعد إجماع القول على خلافه.

(4)- يد، التوحيد ابنُ عَصَامٍ وَالدَّقَّاقُ عَنِ الْكُلَيْبِيِّ عَنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ جَمِيعاً عَنْ سَهْلِ بْنِ أَبِي هَاشِمٍ الْجَعْفَرِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرَ الثَّانِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ مَا مَعْنَى الْوَاحِدِ قَالَ الَّذِي اجْتَمَعَ الْأَلْسُنُ عَلَيْهِ بِالتَّوْحِيدِ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ وَلَيْتُنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ (2).

ص: 208

1- هو داود بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب رحمه الله، كان جليل القدر عظيم المنزلة عند الأئمة عليهم السلام، وثقه النجاشي، وقد شاهد جماعة من الأئمة، منهم الرضا، والجواد، والهادى والعسكرى، وصاحب الامر عليهم السلام، وروى عنهم، وله أخبار و مسائل، وله شعر جيد فيهم، وكان مقدما عند السلطان، وله كتاب روى عنه أحمد بن أبى عبد الله. وعده ابن طائوس «على ما حكى» فى ربيع الشيعة من سفراء الصاحب عليه السلام والأبواب المعروفين الذين لا تختلف الاثنا عشرية فيهم.

2- الظاهر من مضامين الأحاديث الثلاثة أنها متحدة، وأن أبى هاشم الجعفرى سئل مرة واحدة عن موضوع واحد، والاختلاف الذى يترأى فيها جاء من قبل الرواة بعد النقل بالمعنى ونقلها بالتفصيل والاجمال. كما أن الظاهر من الحديث الثانى الذى نقل فيها ألفاظ السائل بتماها أن المسئول عنه هو معنى الاحد الواقع فى سورة الإخلاص - بل هو صريح فى ذلك - لا المعنى الواحد كما فى الحديث الأول والثالث المنقولين بالمعنى؟ وحاصل السؤال استفهام معنى الاحد، وكانه أراد فهم الفرق بينه وبين معنى الواحد، فأجابه عليه السلام بأن الاحد هو الذى لا يرى ذوى الألسن والعقول له شريك فى وحدته، واجتمعوا باتصافه بالوحدانية دون غيره، ثم استشهد عليه السلام لكونه تعالى كذلك بالآية وأن طوائف الناس بأجمعها مذعنة باتصافه بأنه خالق السماوات والأرض وأنه إلههما دون غيره. والحاصل كل ما يراه الناس بطوائفه وأصنافه أنه واحد فى ذاته أو فى صفاته ولم يروا فى ذلك له شبيه ونظير فهو المسمى بالاحد، بخلاف الواحد فإنه يحتمله وغيره والأول يسمى بالفارسية «يكتا» والثانى «يك» والأول لا يقع فى مراتب الأعداد بخلاف الثانى.

بيان: يحتمل تلك الأخبار وجوهاً الأول أن يكون عليه السلام أحال معنى الواحد على ما هو المعروف بين الناس وأعرض عنه واستدل عليه بما جبل عليه جميع العقول من الإذعان بتوحيده.

الثاني أن يكون المراد به أن معنى الواحد هو الذى أقر به كل ذى عقل إذا صرف عنه الأغراض النفسانية.

الثالث أن يكون هذا اللفظ بحسب الشرع موضوعاً لهذا المعنى مأخوذاً فيه إجماع الألسن. (1) ثم الظاهر أن يكون الآية احتجاجاً على مشركى قريش حيث كانوا يقولون بأن الخالق لجميع المخلوقات هو الله تعالى و مع ذلك كانوا يعبدون الأصنام و يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله و يحتمل أن يكون المراد أن غرائز الخلق كلها مجبولة على الإذعان بتوحيده فإذا رجعوا إلى أنفسهم و تركوا العصبية و العناد يرون أنفسهم مذعنة بذلك و ينبه على ذلك أنهم عند اضطرارهم فى المهالك و المخاوف لا يلجئون إلا إليه كما نبه تعالى عليه فى مواضع من القرآن المجيد و الأول أظهر فإن للتوحيد ثلاثة معان الأول توحيد واجب الوجود و الثانى توحيد صانع العالم و مدبر النظام و الثالث توحيد الإله و هو المستحق للعبادة و كان مشركو القريش مخالفتين فى المعنى الثالث.

«(5) -ج، الإحتجاج عن هشام بن الحَكَم أَنَّهُ سَأَلَ الزُّنْدِيقُ الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَزَلْ مَعَهُ طِينَةٌ مُؤَدِيَةٌ فَلَمْ يَسُدَّ تَطْعِ التَّفْصِي (2) مِنْهَا إِلَّا بِأَمْتَرِاجِهِ بِهَا وَ دُخُولِهِ فِيهَا فَمِنْ تِلْكَ الطِّينَةِ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَ تَعَالَى مَا أَعْجَزَ إِلَهًا يُوصَفُ بِالْقُدْرَةِ لَا يَسْتَطِيعُ التَّفْصِي مِنَ الطِّينَةِ إِنْ كَانَتْ الطِّينَةُ حَيَّةً أَرْلِيَّةً فَكَأَنَّا إِلهِينَ قَدِيمِينَ فَاْمْتَرَجَا

ص: 209

- 1- اما المعنيان الاولان فهما بحسب الدقة واحد و هو الذى جبل عليه العقول و لا تأثير للشهرة العرفية فى هذه المعانى؛ و اما الثالث فاحتمال فاسد من اصله لا يحمل عليه الاخبار اذ لا معنى لدعوة القرآن الى الحقيقة الشرعية من غير بيان و لا إشارة إغازا و تعمية. ط.
- 2- التفصى: التخلص.



وَدَبَّرَ الْعَالَمَ مِنْ أَنْفُسِهِمَا فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَمِنْ أَيْنَ جَاءَ الْمَوْتُ وَالْفَنَاءُ وَإِنْ كَانَتِ الطَّيْنَةُ مَيْتَةً فَلَا بَقَاءَ لِلْمَيِّتِ مَعَ الْأَزَلِيِّ الْقَدِيمِ وَالْمَيِّتِ لَا يَجِيءُ مِنْهُ حَيٌّ (1) هَذِهِ مَقَالَةٌ الدِّيَّانِيَّةِ أَشَدَّ الرَّنَادِقَةِ قَوْلًا وَ أَهْمَلِيهِمْ مَثَلًا نَظَرُوا فِي كُتُبٍ قَدْ صَدَّقَتْهَا أَوَانِلُهُمْ وَ حَبَّرُوهَا (2) لَهُمْ بِالْفَاطِظِ مُرْخَرَفَةٍ مِنْ غَيْرِ أَصْلٍ ثَابِتٍ وَ لَا حُجَّةٍ تُوجِبُ إِثْبَاتَ مَا ادَّعَوْا كُلُّ ذَلِكَ خِلَافًا عَلَى اللَّهِ وَ عَلَى رَسُولِهِ وَ تَكْذِيبًا بِمَا جَاءُوا بِهِ عَنِ اللَّهِ فَأَمَّا مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْأَبْدَانَ ظُلْمَةٌ وَ الْأَرْوَاحَ نُورٌ وَ أَنَّ النُّورَ لَا يَعْمَلُ الشَّرَّ وَ الظُّلْمَةَ لَا تَعْمَلُ الْخَيْرَ فَلَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَلُومُوا أَحَدًا عَلَى مَعْصِيَةٍ وَ لَا رُكُوبِ حُرْمَةٍ وَ لَا إِيْتَانِ فَاحِشَةٍ وَ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى الظُّلْمَةِ غَيْرُ مُسْتَكْرٍ لِأَنَّ ذَلِكَ فِعْلُهَا وَ لَا لَهُ أَنْ يَدْعُو رَبًّا وَ لَا يَتَضَرَّعَ إِلَيْهِ لِأَنَّ النُّورَ رَبُّهُ وَ الرَّبُّ لَا يَتَضَرَّعُ إِلَى نَفْسِهِ وَ لَا يَسْتَعِيدُ بِغَيْرِهِ وَ لَا لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ أَنْ يَقُولَ أَحْسَنْتُ وَ أَسَأْتُ لِأَنَّ الْإِسَاءَةَ مِنْ فِعْلِ الظُّلْمَةِ وَ ذَلِكَ فِعْلُهَا وَ الْإِحْسَانُ مِنَ النُّورِ وَ لَا يَقُولُ النُّورُ لِنَفْسِهِ أَحْسَنْتُ يَا مُحْسِنٌ وَ لَيْسَ هُنَاكَ ثَالِثٌ فَكَانَتِ الظُّلْمَةُ عَلَى قِيَاسِ قَوْلِهِمْ أَحْكَمَ فِعْلًا وَ أَتَقَنَ تَدْبِيرًا وَ أَعَزَّ أَرْكَانًا مِنَ النُّورِ لِأَنَّ الْأَبْدَانَ مُحْكَمَةٌ فَمَنْ صَوَّرَ هَذَا الْخَلْقَ صُورَةً وَاحِدَةً عَلَى نُعُوتٍ مُخْتَلِفَةٍ وَ كُلُّ شَيْءٍ يُرَى ظَاهِرًا مِنَ الظُّهْرِ وَ الْأَشْجَارِ وَ الثَّمَارِ وَ الطَّيْرِ وَ الدَّوَابِّ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهَا ثُمَّ حَبَسَتْ النُّورَ فِي حَيْسِبِهَا وَ الدَّوْلَةَ لَهَا وَ مَا ادَّعَوْا بِأَنَّ الْعَاقِبَةَ سَوْفَ تَكُونُ لِلنُّورِ فَدَعَاؤِي وَ يَنْبَغِي عَلَى قِيَاسِ قَوْلِهِمْ أَنْ لَا يَكُونَ لِلنُّورِ فِعْلٌ لِأَنَّهُ أَسِيرٌ وَ لَيْسَ لَهُ سَلْطَانٌ فَلَا فِعْلَ لَهُ وَ لَا تَدْبِيرَ وَإِنْ كَانَ لَهُ مَعَ الظُّلْمَةِ تَدْبِيرٌ فَمَا هُوَ بِأَسِيرٍ بَلْ هُوَ مُطْلَقٌ عَزِيزٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ وَ كَانَ أَسِيرَ الظُّلْمَةِ فَإِنَّهُ يَطْهَرُ فِي هَذَا الْعَالَمِ إِحْسَانًا وَ خَيْرًا مَعَ فَسَادٍ وَ شَرٍّ فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الظُّلْمَةَ تُحْسِنُ الْخَيْرَ وَ تَفْعَلُهُ كَمَا تُحْسِنُ الشَّرَّ وَ تَفْعَلُهُ فَإِنْ قَالُوا مُحَالٌ ذَلِكَ فَلَا نُورٌ يُثَبَّتُ وَ لَا ظُلْمَةٌ وَ بَطَلَتْ دَعْوَاهُمْ وَ يَرْجِعُ الْأَمْرُ إِلَى أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ وَ مَا سِوَاهُ بَاطِلٌ فَهَذِهِ مَقَالَةٌ مَانِيِ الزَّنَدِيقِيِّ وَ أَصْحَابِهِ وَ أَمَّا مَنْ قَالَ النُّورُ وَ الظُّلْمَةُ بَيْنَهُمَا حَكْمٌ فَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ أَكْبَرَ الثَّلَاثَةِ

ص: 210

1- وفي نسخة: والميت لا يحيى منه حي.

2- أي زينوها و حسنوها بألفاظ أباطيل مموهة.

الْحَكْمُ لِأَنَّهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى الْحَاكِمِ إِلَّا مَعْلُوبٌ أَوْ جَاهِلٌ أَوْ مَظْلُومٌ وَ هَذِهِ مَقَالَةٌ الْمَدْفُونِيَّةُ (1) وَ الْحِكَايَةُ عَنْهُمْ تَطُولُ قَالَ فَمَا قِصَّةُ مَا نَبِي قَالَ مُتَّفَحِّصٌ أَخَذَ بَعْضَ الْمَجُوسِيَّةِ فَشَابَهَا بَعْضُ النَّصْرَانِيَّةِ (2) فَأَخْطَأَ الْمِلَّتَيْنِ وَ لَمْ يُصِبْ مَذْهَبًا وَاحِدًا مِنْهُمَا وَ زَعَمَ أَنَّ الْعَالَمَ دُبْرَ مِنَ الْهَيْنِ نُورٍ وَ ظُلْمَةٍ وَ أَنَّ الثُّورَ فِي حِصَارٍ مِنَ الظُّلْمَةِ عَلَى مَا حَكَيْنَا مِنْهُ فَكَذَّبَتْهُ النَّصَارَى وَ قَبِلَتْهُ الْمَجُوسُ الْخَبَرَ (3).

توضيح: و تحقيق اعلم أنه عليه السلام أشار في هذا الخبر إلى إبطال مذاهب ثلاث فرق من الثنوية و لنحقق أصل مذاهبهم ليتضح ما أفاده عليه السلام في الرد عليهم.

الأول مذهب الديصانية و هم أصحاب ديصان و هم أثبتوا أصلين نورا و ظلاما فالنور يفعل الخير قصدا و اختيارا و الظلام يفعل الشر طبعاً و اضطراراً فما كان من خير و نفع و طيب و حسن فمن النور و ما كان من شر و ضر و متن و قبح فمن الظلام و زعموا أن النور حى عالم قادر حساس دراك و منه تكون الحركة و الحياة و الظلام ميت جاهل عاجز جماد موات لا فعل لها و لا تمييز و زعموا أن الشر يقع منه طباعاً و زعموا أن النور جنس واحد و كذلك الظلام جنس واحد و أن إدراك النور إدراك متفق و أن سمعه و بصره هو حواسه و إنما قيل سميع بصير لاختلاف التركيب لا لأنهما في نفسهما شيئان مختلفان.

و زعموا أن اللون هو الطعم و هو الرائحة و هو المجسمة (4) و إنما وجده لونا لأن الظلمة خالطته ضرباً من المخالطة و وجده طعماً لأنها خالطته بخلاف ذلك الضرب و كذلك يقول في لون الظلمة و طعمها و رائحتها و مجستها و زعموا أن النور بياض كله و أن الظلمة سواد كلها و زعموا أن النور لم يزل يلقي الظلمة بأسفل صفيحة منه و أن الظلمة لم تزل تلقاه بأعلى صفيحة منها.

ص: 211

1- و في نسخة: و هذه مقالة المرقوبية.

2- أى زادها ببعض النصرانية.

3- قال الفيروزآبادى: مجوس كصبور رجل صغير الأذنين وضع ديناً و دعا إليه؛ معرب «ميج كوش».

4- المجس و المجسة: موضع اللمس.

و اختلفوا فى المزاج و الخلاص فزعم بعضهم أن النور دخل الظلمة و الظلمة تلقاه بخشونة و غلظ فتأذى بها و أحب أن يرققها و يلينها ثم يتخلص منها و ليس ذلك لاختلاف جسمها و لكن كما أن المشمار جنسه حديد و صفيحته لينة و أسنانه خشنة فاللين فى النور و الخشونة فى الظلمة و هما جنس واحد فيلطف النور بليته حتى يدخل فيما بين تلك الفرج فما أمكنه إلا بتلك الخشونة فلا يتصور الوصول إلى كمال و وجود إلا بلين و خشونة.

و قال بعضهم بل الظلام لما احتال حتى تشبث بالنور من أسفل صفيحته و درجه فاجتهد النور حتى يتخلص منه و يدفعها عن نفسه اعتمد عليه فلجج فيه و ذلك بمنزلة الإنسان الذى يريد الخروج من وحل وقع فيه فيعتمد على رجله ليخرج فيزداد لجوجا فيه فاحتاج النور إلى زمان ليعالج التخلص منه و التفرد بعالمه.

و قال بعضهم إن النور إنما دخل الظلام اختيارا ليصلحها و يستخرج منه أجزاء صالحة لعالمه فلما دخل تشبث به زمانا فصار يفعل الجور و القبيح اضطرارا لا اختيارا و لو انفرد فى عالمه ما كان يحصل منه إلا الخير المحض و الحسن البحت (1) و فرق بين الفعل الضرورى و بين الفعل الاختيارى.

الثانى مذهب المانوية أصحاب مانى الحكيم الذى ظهر فى زمان سابور بن أردشير و ذلك بعد عيسى عليه السلام أخذ دينا بين المجوسية و النصرانية و كان يقول بنبوة المسيح عليه السلام و لا يقول بنبوة موسى عليه السلام حكى محمد بن هارون المعروف بأبى عيسى الوراق أن الحكيم مانى زعم أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين أحدهما نور و الآخر ظلمة و أنهما أزيلان لم يزالا و لن يزالا و أنكر وجود شىء لا من الأصل قديما و زعم أنهما لم يزالا قوين حساسين سميعين بصيرين و هما مع ذلك فى النفس و الصورة و الفعل و التدبير متضادان و الخير و الشر متحاذيان تحاذى الشخص و الظل و النور جوهره حسن فاضل كريم صاف نقى طيب الريح حسن المنظر و نفسه خيرة كريمة حليلة نافعة عالمة و فعله الخير و الصلاح و النفع و السرور و الترتيب

ص: 212

و النظام و الاتفاق و جهته فوق و أكثرهم على أنه مرتفع من ناحية الشمال.

و زعم بعضهم أنه بجنب الظلمة و أجناسه خمسة أربعة منها أبدان و الخامسة روحها فالأبدان النار و الريح و النور و الماء و روحها النسيم و هي تتحرك في هذه الأبدان و صفاته حسنة خيرة طاهرة زكية.

و قال بعضهم كون النور لم يزل على مثال هذا العالم له أرض و جو و أرض النور لم تزل لطيفة على غير صورة هذه الأرض بل على صورة جرم الشمس و شعاعها كشعاع الشمس و رائحتها طيبة أطيب رائحة و ألوانها ألوان قوس قزح.

و قال بعضهم و لا شيء إلا الجسم و الأجسام على ثلاثة أنواع أرض النور و هي خمسة و هناك جسم آخر أطف منه و هو الجو و هو نفس النور و جسم آخر أطف منه و هو النسيم و هو روح النور قال و لم يزل يولد ملائكة و آلهة أولياء ليس على سبيل المناكحة بل كما يتولد الحكمة من الحكيم و النطق الطيب من الناطق و ملك ذلك العالم هو روحه و يجمع عالمه الخير و الحمد و النور.

و أما الظلمة فجوهرها قبيح ناقص لثيم كدر خبيث متن الريح قبيح المنظر و نفسها شريرة لثيمة سفيهة ضارة جاهلة و فعلها الشر و الفساد و الضرر و الغم و الشويش و الاختلاف و جهتها تحت و أكثرهم على أنها منحطة من جانب الجنوب.

و زعم بعضهم أنها بجنب النور و أجناسها خمسة أربعة منها أبدان و الخامسة روحها فالأبدان هي الحريق و الظلمة و السموم و الضباب و روحها الدخان و هو يتحرك في هذه الأبدان و أما صفاتها فهي خبيثة شريرة نجسة دنسة.

و قال بعضهم كون الظلمة لم يزل على مثال هذا العالم له أرض و جو فأرض الظلمة لم تزل كثيفة على غير صورة هذه الأرض بل هي أكثف و أصلب و رائحتها كريهة أتت الروائح و ألوانها السواد.

و قال بعضهم و لا شيء إلا الجسم و الأجسام على ثلاثة أنواع أرض الظلمة و جسم آخر أظلم منه و هو الدخان و جسم آخر أظلم منه و هو السموم و قال و لم يزل تولد الظلمة شياطين و عفاريت لا على سبيل المناكحة بل كما يتولد الحشرات من

العفونات القدرة قال و ملك ذلك العالم هو روحه و يجمع عالمه الشر و الذميمة و الظلمة.

ثم اختلفت المانوية فى المزاج و سببه و الخلاص و سببه قال بعضهم إن النور و الظلام امتزجا بالخبط و الاتفاق لا بالقصد و الاختيار و قال أكثرهم إن سبب الامتزاج أن أبدان الظلمة تشاغلت عن روحها بعض التشاغل فنظرت الروح فرأت الأبدان على ممازجة النور فأجابتها لإسراعها إلى الشر فلما رأى ذلك ملك النور وجه إليها ملكا من ملائكته فى خمسة أجزاء من أجناسها الخمسة فاختلفت الخمسة النورية بالخمس الظلامية فخالط الدخان النسيم و إنما الحياة و الروح فى هذا العالم من النسيم و الهلاك و الآفات من الدخان و خالط الحريق النار و النور الظلمة و السموم الريح و الضباب الماء فما فى العالم من منفعة و خير و بركة فمن أجناس النور و ما فيه من مضرة و شر و فساد فمن أجناس الظلمة فلما رأى ملك النور هذه الامتزاج أمر ملكا من ملائكته فخلق هذا العالم على هذه الهيئة ليخلص أجناس النور من أجناس الظلمة و إنما سارت الشمس و النجوم و القمر لاستصفاء أجزاء النور من أجزاء الظلمة هذا ما ذكر الشهرستاني من تحقيق مذهبهم مع خرافات آخر نقلها عنهم.

و قال ابن أبى الحديد قالت المانوية إن النور لا نهاية له من جهة فوق و أما من جهة تحت فله نهاية و الظلمة لا نهاية لها من جهة أسفل و أما من جهة فوق فلها نهاية و كان النور و الظلمة هكذا قبل خلق العالم و بينهما فرجة و إن بعض أجزاء النور اقتحم تلك الفرجة لينظر إلى الظلمة فأشرقت الظلمة فأقبل عالم كثير من النور فجاءت الظلمة ليستخلص المأمورين [المأسورين من تلك الأجزاء (1) و طالت الحرب و اختلط كثير من أجزاء النور بكثير من أجزاء الظلمة فاقتضى حكمة نور الأنوار و هو البارئ سبحانه عندهم أن عمل الأرض من لحوم القتلى و الجبال من عظامهم و البحار من صديدهم (2) و دمائهم و السماء من جلودهم و خلق الشمس و القمر و سيرهما لاستصفاء ما فى العالم

ص: 214

1- و فى نسخة: ليتخلص المأمورين من تلك الاجزاء.

2- الصديد: القيح المختلط بالدم.

من أجزاء النور المختلطة بأجزاء الظلمة و جعل حول العالم خندقا خارج الفلك الأعلى يطرح فيه الظلام المستصفي فهو لا يزال يزيد و يتضاعف و يكثر في ذلك الخندق و هو ظلام صرف قد استصفي نوره.

و أما النور المستخلص فيلحق بعد الاستصفاء بعالم الأنوار فلا تزال الأفلاك متحركة و العالم مستمرا إلى أن يتم استصفاء النور الممتزج و حينئذ يبقى من النور الممتزج شىء منعقد باطل لا تقدر النيران على استصفائه فعند ذلك تسقط الأجسام العالية و هى الأفلاك على الأجسام السافلة و هى الأرضون و تقور نار تضطرم فى تلك الأسافل و هى المسماة بجهنم و يكون الاضطرام مقدار ألف و أربعمائة سنة فتحلل بتلك النار تلك الأجزاء المنعقدة من النور الممتزجة بأجزاء الظلمة التى عجز الشمس و القمر عن استصفائها فيرتفع إلى عالم الأنوار و يبطل حينئذ و يعود النور كله إلى حالة الأولى قبل الامتزاج و كذلك الظلمة الثالث المرقويّة أثبتوا أصليين متضادين أحدهما النور و الثانى الظلمة و أثبتوا أصلا ثالثا هو المعدل الجامع و هو سبب المزاج فإن المتنافرين المتضادين لا يمتزجان إلا بجامع و قالوا الجامع دون النور فى الرتبة و فوق الظلمة و حصل من الاجتماع و الامتزاج هذا العالم.

و منهم من يقول الامتزاج إنما يحصل بين الظلمة و المعدل إذ هو قريب منها فامتزج به ليتطيب به و يلتذ ملاذه فبعث النور إلى العالم الممتزج روحا مسيحية و هو روح الله و ابنه تحننا على المعدل السليم الواقع فى شبكة الظلام الرجيم حتى يخلصه من حبال الشياطين فمن اتبعه فلم يلامس النساء و لم يقرب الزهومات أفلت و نجا و من خالفه خسر و هلك قالوا و إنما أثبتنا المعدل لأن النور الذى هو الله تعالى لا تجوز عليه مخالطة الشيطان فإن الضدين يتنافران طبعاً و يتمانعان ذاتا و نفساً فكيف يجوز اجتماعهما و امتزاجهما فلا بد من معدل تكون منزلته دون النور و فوق الظلام فيقع المزاج معه كذا ذكره الشهرستاني.

وقال ابن أبى الحديد قول المجوس هو أن الغرض من خلق العالم أن يتحصن

الخالق جل اسمه من العدو(1) وأن يجعل العالم شبكة له ليوقع العدو فيه و يجعله فى ربط و وثاق و العدو عندهم هو الشيطان و بعضهم يعتقد قدمه و بعضهم حدوثة.

قال قوم منهم إن البارئ عز و جل استوحش ففكر فكرة ردية فتولد منها الشيطان و قال آخرون بل شك شكاً ردياً فتولد الشيطان من شكه و قال آخرون بل تولد من عفونة ردية قديمة.

و زعموا أن الشيطان حارب البارئ سبحانه و كان فى الظلمة لم يزل بعيداً عن سلطان البارئ سبحانه فلم يزل يزحف حتى رأى النور فوثب و ثبة عظيمة فصار فى سلطان الله تعالى فى النور و أدخل معه البلايا و الشرور فبنى الله سبحانه هذه الأفلاك و الأرض و العناصر شبكة له و هو فيها محبوس لا يمكنه الرجوع إلى سلطانه الأول و الظلمة فهو أبداً يضطرب و يرمى الآفات على خلق الله سبحانه فمن أحياء الله رماه الشيطان بالموت و من أصححه رماه الشيطان بالسقم و من سره رماه الشيطان بالحزن و الكآبة فلا يزال كذلك و كل يوم ينتقص سلطانه و قوته لأن الله تعالى يحتال له كل يوم و يضعفه إلى أن تذهب قوته كلها و يخمد و يصير جماداً جامداً هوائياً و يجمع الله تعالى أهل الأديان فيعذبهم بقدر ما يطهرهم و يصفئهم من طاعة الشيطان و يغسلهم من الأذناس ثم يدخلهم الجنة و هى لا أكل فيها و لا شرب و لا تمتع و لكنها موضع لذة و سرور.

أقول: لما عرفت هذه المذاهب السخيفة المزخرفة التى يعنى تقريرها عن التعرض لإبطالها و تزييفها فلنرجع إلى توضيح الخبر.

فنقول يظهر من كلامه عليه السلام أن الديصانية قالوا بقدم الطينة أى الظلمة و بحدوث الامتزاج و يحتمل أن يكون إشارة إلى ما نسبته الشهرستانى إلى الزروانية حيث قال زعم بعضهم أنه كان لم يزل مع الله شىء ردى إما فكرة ردية و إما عفونة ردية و ذلك هو مصدر الشيطان و زعموا أن الدنيا كانت سليمة من الشرور و الآفات و كان أهلها فى خير محض و نعيم خالص فلما حدث أهر من حدثت الشرور و الآفات و الفتن (2) و كان بمعزل من السماء فاحتال حتى خرق السماء و صعد.

ص: 216

1- وفى نسخة: أن ينحصر الخالق جل اسمه من العدو.

2- وفى نسخة: والآفات والمحن.

ثم إنه استدلل عليه السلام على إبطال مذهبهم بوجهين الأول أن قولكم إنه تعالى كان لم يزل متأذيا من تلك الطينة ولم يستطع التفصى منها يستلزم عجزه تعالى و العجز نقص يحكم العقل ببراءة صانع مثل هذا النظام عنه و أيضا يوجب الاحتياج إلى من يرفع و يدفع ذلك عنه و هو ينافى وجوب الوجود الذى قام البرهان على اتصاف الصانع تعالى به.

و الثانى أنه لا يخلو إما أن تكون تلك الطينة الأزلية حية عالمة قادرة فيكون كل منهما إليها واجبا بالذات لما قد ثبت بالعقل و النقل أن الممكن لا يكون قديما فإذا حصل العالم من امتزاجها فلا يجوز على شىء من أجزاء العالم الموت و الفناء إذ انتفاء المركب إنما يكون بانتفاء أحد أجزائه و الجزءان هنا قديمان و يحتمل أن يكون هذا إلزاما عليهم حيث أثبتوا الظلمة و جعلوها ميتة جاهلة عاجزة جمادا ليسبوا إليها الموت و الفناء زعما منهم أن مثل هذه الأمور لا يصدر عن النور الحى العالم القادر و إما أن تكون ميتة أى عادمة للقدره و العلم و الإرادة و هذا محال إذ القدم يستلزم وجوب الوجود و هو يستلزم الاتصاف بالعلم و القدره و سائر الكمالات و إليه أشار عليه السلام بقوله فلا بقاء للميت مع الأزلى القديم ثم أبطل عليه السلام ذلك بوجه آخر و هو أنهم ينسبون خلق الموزيات كالحيات و العقارب و السباع إلى الظلمة و لو كانت ميتة لا يجوز نسبة خلقها إليها إذ العقل يحكم بديهته أنه يجب أن يكون الصانع أشرف من المصنوع من جميع الجهات و كيف يفيض الحياة و العلم و القدره ممن لم يكن له حظ منها.

و أما المانوية فيظهر من كلامه عليه السلام فى تقرير مذهبهم غير ما مر من نقل الناقلين لمذهبهم و لا عبرة بنقلهم فإنهم كثيرا ما ينسبون أشياء إلى جماعة من الشيعة و غيرهم مما قد نعلم خلافها مع أنه يحتمل أن يكون كلامهم مرموزا و علم عليه السلام أن مرادهم بالنور الروح و بالظلمة الجسد و النور هو الرب تعالى و يؤيده أنه كان الملعون نصرانيا و مذهب النصرارى فى المسيح عليه السلام قريب من ذلك و يحتمل أن يكون ما ذكره عليه السلام مذهباً لجماعة من قدمائهم ثم غيرهه إلى ما نقل عنهم و كون النور أسيرا



للظلمة يحتمل أن يكون كناية عن عدم استقلاله في التدبير و معارضة أهر من له في كثير مما يريد و قد استدل عليه السلام على بطلان مذهبهم بوجه الأول أن لا يكون الناس قادرين على ترك الشرور و المساوى و المعاصى لأنها من فعل الجسد الذى هو الظلمة و لا يتأتى منه الخير و لا يستحق أحد الملامة على الشر لكونه مجبوراً عليه و قد نراهم يلومون الناس على الشرور و المساوى فهذا دليل على بطلان مذهبهم.

الثانى أنهم يستحسنون التضرع إلى الرب تعالى و عبادته و الاستعانة به و أمثال تلك الأعمال فعل الروح الذى هو الرب بزعمهم فيكف يعبد نفسه و يستعين بنفسه و يتضرع إليها و إن قالوا إنه يتضرع إلى الظلمة فكيف يليق بالرب أن يستعبد بغيره.

الثالث أنه يلزم أن لا يجوز أن يقول أحد لأحد أحسنت و لا أسأت و هذا باطل اتفاقاً و بديهية و أما بيان الملازمة فلأن الحاكم بذلك إما النور أو الظلمة إذ المفروض أنه لا شىء غيرهما و كلاهما باطلان أما الأول فلأن الظاهر من هذا الكلام المغايرة بين المادح و الممدوح و المفروض اتحادهما و يحتمل أن يكون هذا منبهاً على ما يحكم به العقل بديهية من المغايرة بين الأشخاص مع أنهم يقولون بأن أرواح جميع الخلق شخص واحد هو النور و هو الرب تعالى و هذا قريب من الوحدة التى قالت به الصوفية و أما الثانى فلأن الظلمة فعلها الإساءة و تعدها حسنة فكيف تحكم بقبحها.

و يمكن تقرير الملازمة بوجه آخر بأن يقال ظاهر أن التحسين و التشجيع من فعل النور و لا يتصور منه شىء منهنما لأن المخاطب فى أسأت هو الظلمة و هو مجبور على فعل القبيح بزعمهم فلا يستحق اللوم و هو المراد بقوله و ذلك فعلها و المخاطب فى أحسنت هو النور لأن الحسن فعله فيتحد المادح و الممدوح.

الرابع أنهم يحكمون بأن النور هو الرب تعالى و يجب على هذا أن يكون أقوى و أحكم و أنقن من الظلمة التى هى مخلوقة و يلزمهم بمقتضى أقوالهم الفاسدة

عكس ذلك لأن الأبدان عندهم من فعل الظلمة ولا نحكم بقدره الرب وعلمه وحكمته إلا بما نشاهد من تلك الأبدان المختلفة و الأشجار و الثمار و الطيور و الدواب و لا نشاهد مما يقولون من الأرواح شيئا فيلزمهم على قياس ذلك أن تكون الظلمة إليها قادرا حكيما عليما فقله عليه السلام: من صور مبتدأ و قوله يجب أن يكون إليها خبره و قوله كل شئ ء معطوف على قوله هذا الخلق.

الخامس قولهم بأن النور فى حبس الظلمة ينافى القول بربوبيته لأن كونه محبوسا يستلزم عجزه و نقصه و كل منهما ينافى الربوبية كما مر و ما ادعوا من أنه فى القيامة يغلب النور عليها فمع أنه لا ينفع فى دفع الفساد فهو دعوى من غير حجة و أيضا يلزمهم أن لا يكون للنور فعل لأنه أسير و إن قالوا بأن له أيضا فعلا من الخلق و التدبير فليس بأسير لأن العقل يحكم بأن الخالق المدبر لا بد من أن يكون عزيزا منيعا قادرا قاهرا على كل من سواه فلما ثبت على قياس قولهم إنه أسير فيلزمهم بما قررنا أن يكون ما فى العالم من الإحسان و الخير أيضا من فعل الظلمة فإن حكموا باستحالة ذلك أى كون الخير من الظلمة فقد بطل أصل كلامهم و هو الحكم بتوزيع الخلق و ثبت ما قلناه من أن الرب تعالى واحد لا يشاركه و لا يضاده فى ملكه أحد.

و أما مذهب المرقوبية فقد بين عليه السلام بطلانه بأن القول بالحكم ينافى القول بربوبية النور لأن الحكم يكون قاهرا و النور مقهورا و بديهية العقل حاكمة ببطلان كون الرب مقهورا و أيضا يلزم أن يكون الحكم أعلم بالحكمة من النور الذى حكمتم أنه رب و الضرورة قاضية بأن الرب الخالق لمثل هذا الخلق المدبر لهذا النظام لا يكون جاهلا هذا جملة القول فى هذا الخبر على ما ناله فهمى القاصر و بسط القول فيه يحتاج إلى كتاب مفرد معمول لذلك و الله الموفق لكل خير.

(6) -فس، تفسير القمى ثم رد على الثنوية الذين قالوا بالهين فقال تعالى ما اتخذ الله من ولد و ما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق و لعل بعضهم على بعض قال لو كان إلهين كما زعمتم لكانا يخلقان فيخلق هَذَا و لا يخلق هَذَا و يريد هَذَا و لا يطلب كل واحد منهما الغلبة و إذا أراد أحدهما خلق إنسان و أراد الآخر

خَلَقَ بِهَيْمَةٍ فَيَكُونُ إِنْسَانًا وَبِهَيْمَةً فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ وَ هَذَا غَيْرُ مَوْجُودٍ فَلَمَّا بَطَلَ هَذَا ثَبَتَ التَّدْبِيرُ وَ الصَّنْعُ لِوَاحِدٍ وَ دَلَّ أَيْضًا التَّدْبِيرُ وَ ثَبَاتُهُ وَ قِيَامُ بَعْضِهِ بِبَعْضٍ عَلَى أَنَّ الصَّانِعَ وَاحِدٌ جَلَّ جَلَالُهُ وَ ذَلِكَ قَوْلُهُ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ الْآيَةَ ثُمَّ قَالَ أَنفَاءً سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ.

بيان: أنفاً بالتحريك أى استنكافاً و تنزهاً.

(7)- يد، التوحيد مع، معانى الأخبار أبي عن سة عد عن محمد بن عيسى عن يونس عن الربيع بن محمد قال سمعت أبا الحسن عليه السلام و سئل عن الصمد فقال الصمد الذى لا خوف له.

(8)- يد، التوحيد مع، معانى الأخبار الدقاق عن الكليني عن علان عن سة هل عن محمد بن وليد و لقبه شهاب الصيرفي عن داود بن القاسم الجعفي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام جعلت فداك ما الصمد قال السيد المصمود إليه (1) فى القليل و الكثير.

(9)- يد، التوحيد ابن الوليد عن محمد العطار عن الأشعرى عن الميثمي عن صفوان بن يحيى عن أبي أيوب عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه و آله فقالوا انسب لنا ربك فلبث ثلاثاً لا يجيبهم ثم نزلت هذه السورة إلى آخرها فقلت ما الصمد فقال الذى ليس بمجوف.

(10)- يد، التوحيد أبي عن سة عد عن محمد بن عيسى عن يونس عن الحسن بن أبي السري عن جابر بن يزيد قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن شئ من التوحيد فقال إن الله تباركت أسماؤه التى يدعى بها و تعالى فى علو كنهه واحد توحد بالتوحيد فى علو توحده (2) ثم أجزاه على خلقه فهو واحد صمد قدوس يعبد كل شئ و يصمد إليه كل شئ و وسع كل شئ و علماً.

إيضاح: واحد خبر إن و الجملة معترضتان أى تطهرت أسماؤه عن النقائص أو كثرت صفات جلاله و عظمته أو ثبت و لا يعترىها التغير و كلمة فى فى قوله فى علو كنهه تعليلية و قوله عليه السلام: توحد بالتوحيد أى لم يكن فى الأزل أحد يوحده

ص: 220

1- صمد إليه: قصده.

2- و فى نسخة: فى علو توحده.

فهو كان يوحد نفسه فكان متفردا بالوجود متوحدا بتوحيد نفسه ثم بعد الخلق عرفهم نفسه و أمرهم أن يوحدوه أو المراد أن توحد لا يشبه توحد غيره فهو متفرد بالتوحيد (1) أو كان قبل الخلق كذلك و أجرى سائر أنواع التوحيد على خلقه إذ الوحدة تساقو الوجود أو تستلزمه لكن وحداتهم مشوبة بأنواع الكثرة.

(11)- يد، التوحيد ابن الوليد عن الصفار عن ابن عيسى عن علي بن سيف بن عميرة عن محمد بن عبيد قال: دخلت على الرضا عليه السلام فقال لي قل للعباس (2) يكف عن الكلام في التوحيد وغيره و يكلم الناس بما يعرفون و يكف عما ينكرون و إذا سألك عن التوحيد فقل كما قال الله عز و جل قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد و إذا سألك عن كيفية فقل كما قال الله عز و جل ليس كمثله شيء و إذا سألك عن السمع فقل كما قال الله عز و جل هو السميع العليم كلم الناس بما يعرفون.

(12)- يد، التوحيد حدثنا أبو محمد جعفر بن علي بن أحمد الفقيه القمي ثم الإياقي رضي الله عنه قال حدثنا أبو سعيد عبدان بن الفضل قال حدثني أبو الحسن محمد بن يعقوب بن محمد بن يوسف بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بمدينة حجة قال حدثني أبو بكر محمد بن أحمد بن شجاع الفرغاني قال حدثني أبو محمد الحسن بن حماد القبري بمصر قال حدثني إسماعيل بن عبد الجليل البرقي عن أبي البختري وهب بن وهب القرشي عن أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي الباقر عليهما السلام في قول الله عز و جل قل هو الله أحد قال قل أئ أظهر ما أوحينا إليك و بتأنك به بتأليف الحروف التي قرأناها لك ليهندي بها من ألقى السمع و هو شهيد و هو اسم مشار و مكني إلى غائب فالهاء تنبيه عن معنى ثابت و الواو إشارة إلى الغائب عن الحواس كما أن قولك هذا إشارة إلى الشاهد عند الحواس و ذلك أن

ص: 221

1- وفي نسخة: فهو متفرد بالتوحيد.

2- العباسي لقب جمع كثير مشترك بين الثقة و الضعيف منهم إبراهيم بن هاشم، و هشام بن إبراهيم الراشدي الهمداني، و هشام بن إبراهيم البغدادي المشرقي وغيرهم، و الظاهر من الوحيد البهبهاني أن الواقع في الحديث هو المشرقي، و أنه ثقة

الْكُفَّارَ تَبَّهُوا عَنْ آلِهِتِهِمْ بِحَرْفِ إِشَارَةِ الشَّاهِدِ الْمُدْرِكِ فَقَالُوا هَذِهِ آلِهَتُنَا الْمَحْسُوسَةُ الْمُدْرَكَةُ بِالْأَبْصَارِ فَأَشْرُ أَنْتَ يَا مُحَمَّدٌ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي تَدْعُو إِلَيْهِ حَتَّى تَرَاهُ وَتُدْرِكَهُ وَلَا تَأَلَّهُ فِيهِ فَانزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ فَالْهَاءُ تَثْبِيتٌ لِلثَّابِتِ وَالْوَاوُ إِشَارَةٌ إِلَى الْغَائِبِ عَنْ دَرْكِ الْأَبْصَارِ وَلَمْ يَسِ الْحَوَاسُّ وَاللَّهُ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ (1) بَلْ هُوَ مُدْرِكُ الْأَبْصَارِ وَمُبْدِعُ الْحَوَاسِّ.

حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: رَأَيْتُ الْخَضِرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمَنَامِ قَبْلَ بَدْرِ بَلِيلَةً فُقُلْتُ لَهُ عَلَّمَنِي شَيْئًا أَنْصَرَ بِهِ عَلَى الْأَعْدَاءِ فَقَالَ قُلْ يَا هُوَ يَا مَنْ لَا هُوَ إِلَّا هُوَ فَلَمَّا أَصَبَ بَحْتٌ قَصَصْتُهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ لِي يَا عَلِيُّ عَلَّمْتَ الْإِسْمَ الْأَعْظَمَ وَكَانَ عَلَى لِسَانِي يَوْمَ بَدْرِ وَأَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَرَأَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (2) فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ يَا هُوَ يَا مَنْ لَا هُوَ إِلَّا هُوَ اغْفِرْ لِي وَأَنْصُرْ زُنِي عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ وَكَانَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ ذَلِكَ يَوْمَ صِفِّينَ وَهُوَ يُطَارِدُ (3) فَقَالَ لَهُ عَمَارُ بْنُ يَاسِرٍ يَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا هَذِهِ الْكِنَايَاتُ قَالَ اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ وَعِمَادُ التَّوْحِيدِ لِلَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ثُمَّ قَرَأَ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَوَّحَرَ الْحَشْرَ ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الرَّوَالِ قَالَ وَقَالَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ اللَّهُ مَعْنَاهُ الْمُعْبُودُ الَّذِي يَأَلُّهُ فِيهِ الْخَلْقُ (4) يُؤَلُّهُ إِلَيْهِ وَاللَّهُ هُوَ الْمَسْتُورُ عَنْ دَرْكِ الْأَبْصَارِ الْمُحْجُوبُ عَنِ الْأَوْهَامِ وَالْخَطَرَاتِ.

قَالَ الْبَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ اللَّهُ مَعْنَاهُ الْمُعْبُودُ الَّذِي أَلَّهُ الْخَلْقُ عَنْ دَرْكِ مَا يَتَّبِعُهُ وَالْإِحَاطَةَ بِكَيْفِيَّتِهِ وَيَقُولُ الْعَرَبُ أَلَّهُ الرَّجُلُ إِذَا تَحَيَّرَ فِي الشَّيْءِ فَلَمْ يُحِطْ بِهِ عِلْمًا وَوَلَهُ إِذَا فَرَعَ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا يَحْذَرُهُ وَيَخَافُهُ فَالْإِلَهُ هُوَ الْمَسْتُورُ عَنْ حَوَاسِّ الْخَلْقِ.

قَالَ الْبَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْأَحَدُ الْفَرْدُ الْمُتَفَرِّدُ وَالْأَحَدُ وَالْوَاحِدُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ (5) وَهُوَ

ص: 222

- 1- وفي نسخة: وأنه تعالى عن ذلك.
- 2- وفي نسخة: قرأ يوم بدر قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ
- 3- طارد الاقران: حمل بعضهم على بعض.
- 4- وفي نسخة: تأله فيه الخلق.
- 5- لعل المراد أن الاحد والواحد اللذان يتصف بهما الله تعالى معناهما واحد، لا مطلقهما حيث يستعمل. أو أن الواحد الذي يستعمل في غير باب الاعداد والاجناس مترادف مع الواحد في المعنى. كما تقدم تفصيل ذلك في الحديث الأول فتامل

الْمُتَّفَرِّدُ الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ وَ التَّوْحِيدُ الْإِفْرَادُ بِالْوَحْدَةِ وَ هُوَ الْإِنْفِرَادُ وَ الْوَاحِدُ الْمُتَّبِإِنُ الَّذِي لَا يُتَّبَعُ مِنْ شَيْءٍ ءِ وَ لَا يَتَّحِدُ بِشَيْءٍ ءِ وَ مِنْ ثَمَّ قَالُوا  
إِنَّ بِنَاءَ الْعَدَدِ مِنَ الْوَاحِدِ وَ لَيْسَ الْوَاحِدُ مِنَ الْعَدَدِ لِأَنَّ الْعَدَدَ لَا يَقَعُ عَلَى الْوَاحِدِ بَلْ يَقَعُ عَلَى الْإِثْنَيْنِ فَمَعْنَى قَوْلِهِ اللَّهُ أَحَدٌ أَيِ الْمَعْبُودِ الَّذِي  
يَأَلُّ الْخَلْقَ عَنْ إِدْرَاكِهِ وَ الْإِحَاطَةَ بِكَيْفِيَّتِهِ فَرُدُّ بِالْهَيْبَةِ مُتَعَالٍ عَنْ صِفَاتِ خَلْقِهِ.

قَالَ الْبَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ حَدَّثَنِي أَبِي زَيْنُ الْعَابِدِينَ عَنْ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: الصَّمَدُ الَّذِي لَا جُوفَ لَهُ وَ الصَّمَدُ الَّذِي  
قَدِ انْتَهَى سُودُهُ وَ الصَّمَدُ الَّذِي لَا يَأْكُلُ وَ لَا يَشْرَبُ وَ الصَّمَدُ الَّذِي لَا يَنَامُ وَ الصَّمَدُ الدَّائِمُ الَّذِي لَمْ يَزَلْ وَ لَا يَزَالُ.

قَالَ الْبَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ مُحَمَّدٌ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ الصَّمَدُ الْقَائِمُ بِنَفْسِهِ الْغَنِيُّ عَنْ غَيْرِهِ وَ قَالَ غَيْرُهُ الصَّمَدُ الْمُتَعَالَى عَنِ الْكُؤْنِ  
وَ الْفَسَادِ وَ الصَّمَدُ الَّذِي لَا يُوصَفُ بِالتَّغَايُرِ.

قَالَ الْبَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الصَّمَدُ السَّيِّدُ الْمُطَاعُ الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ أَمْرٌ وَ نَاهٍ.

قَالَ: وَ سُدَّ ثَلَاثُ عَلَيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الصَّمَدِ فَقَالَ الصَّمَدُ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ وَ لَا يُتَّوَدُّ حِفْظُ شَيْءٍ ءِ (1) وَ لَا يَعْرُوبُ  
عَنْهُ شَيْءٌ ءِ (2).

(13) - قَالَ وَهَبُ بْنُ وَهَبٍ الْقُرَشِيُّ قَالَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ الصَّمَدُ الَّذِي إِذَا أَرَادَ شَيْئًا قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَ الصَّمَدُ الَّذِي أَبَدَعَ الْأَشْيَاءَ  
فَخَلَقَهَا أَصْدَادًا وَ أَشْكَالًا وَ أَزْوَاجًا وَ تَفَرَّدَ بِالْوَحْدَةِ بِلَا صِدِّ وَ لَا شَكْلِ وَ لَا مِثْلِ وَ لَا نَدٍّ.

(14) - قَالَ وَهَبُ بْنُ وَهَبٍ الْقُرَشِيُّ وَ حَدَّثَنِي الصَّادِقُ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ الْبَاقِرِ عَنْ أَبِيهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ أَهْلَ الْبَصْرَةِ كَتَبُوا إِلَى الْحُسَيْنِ  
بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يَسْأَلُونَهُ عَنِ الصَّمَدِ فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَمَّا بَعْدُ فَلَا تُخَوِّضُوا فِي الْقُرْآنِ وَ لَا تُجَادِلُوا فِيهِ وَ لَا  
تَتَكَلَّمُوا فِيهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَقَدْ سَدَّ جَدِّي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ يَقُولُ مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ وَ إِنَّهُ سُبْحَانَهُ  
قَدْ فَسَّرَ الصَّمَدَ (3) فَقَالَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ

ص: 223

1- أي لا يضمنه ولا يثقل عليه حفظ شيء ء.

2- أي لا يغيب ولا يخفى عنه شيء ء.

3- وفي نسخة: وأن الله سبحانه قد فسر الصمد.

ثُمَّ فَسَّرَهُ فَقَالَ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ شَيْءٌ كَثِيفٌ كَالْوَلَدِ وَ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ الْكَثِيفَةِ الَّتِي تَخْرُجُ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ وَلَا شَيْءٌ لَطِيفٌ كَالنَّفْسِ وَلَا يَتَشَعَّبُ مِنْهُ الْبَدَاوَاتُ (1) كَالسَّنَةِ وَالنَّوْمِ وَالْخَطَرَةِ وَالْهَمِّ وَالْحَزْنَ وَالْبُهْجَةَ وَالصَّحْكَ وَالْبُكَاءَ وَالْخَوْفَ وَالرَّجَاءَ وَالرَّغْبَةَ وَالسَّامَةَ وَالْجُوعَ وَالسَّبْعَ تَعَالَى أَنْ يَخْرُجَ مِنْهُ شَيْءٌ وَأَنْ يَتَوَلَّدَ مِنْهُ شَيْءٌ كَثِيفٌ أَوْ لَطِيفٌ وَلَمْ يُولَدْ لَمْ يَتَوَلَّدَ مِنْ شَيْءٍ وَلَمْ يَخْرُجْ مِنْ شَيْءٍ كَمَا تَخْرُجُ الْأَشْيَاءُ الْكَثِيفَةُ مِنْ عَنَاصِرِهَا كَالشَّيْءِ مِنَ الشَّيْءِ وَالِدَابَّةِ مِنَ الدَّابَّةِ وَالنَّبَاتِ مِنَ الْأَرْضِ وَالْمَاءِ مِنَ الْيَنْبِيعِ وَالشَّمَارِ مِنَ الْأَشْجَارِ وَلَا كَمَا تَخْرُجُ الْأَشْيَاءُ اللَّطِيفَةُ مِنْ مَرَكَزِهَا كَالْبَصْرِ مِنَ الْعَيْنِ وَالسَّمْعَ مِنَ الْأُذُنِ وَالسَّمَّ مِنَ الْأَنْفِ وَالذَّوْقَ مِنَ الْفَمِ وَالْكَلَامَ مِنَ اللِّسَانِ وَالْمَعْرِفَةَ وَالتَّمْيِيزَ مِنَ الْقَلْبِ وَكَالتَّارِ مِنَ الْحَجَرِ لَا بَلْ هُوَ اللَّهُ الصَّمَدُ الَّذِي لَا مِنْ شَيْءٍ وَلَا فِي شَيْءٍ وَلَا عَلَى شَيْءٍ مُبْدِعُ الْأَشْيَاءِ وَخَالِقُهَا وَمُنْشِئُ الْأَشْيَاءِ بِقُدْرَتِهِ يَتَلَاوَسَى مَا خَلَقَ لِلْفَنَاءِ بِمَشِيئَتِهِ وَيَبْقَى مَا خَلَقَ لِلْبَقَاءِ بِعِلْمِهِ فَذَلِكُمْ اللَّهُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ

(15) - قَالَ وَهَبُ بْنُ وَهَبٍ الْقُرَشِيُّ سَمِعْتُ الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ قَدِمَ وَفَدُّ مِنْ فِلَسْطِينَ (2) عَلَى الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَسَأَلُوهُ عَنْ مَسَائِلَ فَأَجَابَهُمْ ثُمَّ سَأَلُوهُ عَنِ الصَّمَدِ فَقَالَ نَفْسُهُ فِيهِ الصَّمَدُ خَمْسَةٌ أَحْرَفٍ فَالْأَلِفُ دَلِيلٌ عَلَى إِيْتِيهِ وَهُوَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَ ذَلِكَ تَنْبِيهُ وَإِشَارَةٌ إِلَى الْغَائِبِ عَنْ ذَلِكَ الْحَوَاسِّ وَاللَّامُ دَلِيلٌ عَلَى إِيْتِيهِ بِأَنَّهُ هُوَ اللَّهُ وَالْأَلِفُ وَاللَّامُ مَدْغَمَانِ لَا يَطْهَرَانِ عَلَى اللِّسَانِ وَلَا يَقَعَانِ فِي السَّمْعِ وَيَطْهَرَانِ فِي الْكِتَابَةِ دَلِيلَانِ عَلَى أَنَّ إِيْتِيَهُ لَطِيفَةٌ خَافِيَةٌ لَا يَدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ وَلَا يَقَعُ فِي لِسَانِ وَاصِفٍ وَلَا أُذُنِ سَامِعٍ لِأَنَّ نَفْسَ بِيْرِ الْإِلَهِ هُوَ الَّذِي أَلِهَ الْخَلْقُ عَنْ ذَلِكَ مَا يَتَّبِعُهُ وَ كَيْفِيَّتِهِ بِحِسِّ أَوْ بَوَهِمٍ لَا بَلْ هُوَ مُبْدِعُ الْأَوْهَامِ وَ خَالِقُ الْحَوَاسِّ وَإِنَّمَا يَطْهَرُ ذَلِكَ عِنْدَ الْكِتَابَةِ فَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَظْهَرَ رُبُوبِيَّتَهُ فِي إِبْدَاعِ الْخَلْقِ وَ تَرْكِيبِ أَرْوَاحِهِمُ اللَّطِيفَةَ

ص: 224

1- البداوات: الآراء المختلفة. ولعله أراد به الحالات المختلفة؛ وفي بعض النسخ: البدوات.

2- الوفد بفتح الواو وسكون الفاء: قوم يجتمعون فيردون البلاد.

فِي أَجْسَادِهِمُ الْكُنْيَةَ فَإِذَا نَظَرَ عَبْدٌ إِلَى نَفْسِهِ لَمْ يَرِ رُوحَهُ كَمَا أَنَّ لَامَ الصَّمَدِ لَا تَتَّبِعُنَّ وَلَا تَدْخُلُ فِي حَاسَةِ مِنْ حَوَاسِهِ الْحَمْسِ فَإِذَا نَظَرَ إِلَى الْكِتَابَةِ ظَهَرَ لَهُ مَا خَفِيَ وَ لَطْفَ فَمَتَى تَفَكَّرَ الْعَبْدُ فِي مَانِيَةِ [مَاهِيَّةِ] الْبَارِي وَ كَيْفِيَّتِهِ أَلَهُ فِيهِ وَ تَحَيَّرَ وَ لَمْ تُحِطْ فِكْرُهُ بِشَيْءٍ يَتَصَوَّرُ لَهُ لِأَنَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ خَالِقُ الصُّورِ فَإِذَا نَظَرَ إِلَى خَلْقِهِ ثَبَتَ لَهُ أَنَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ خَالِقُهُمْ وَ مُرَكَّبُ أَرْوَاحِهِمْ فِي أَجْسَادِهِمْ وَ أَمَّا الصَّادُ فَدَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ صَادِقٌ وَ قَوْلُهُ صِدْقٌ وَ كَلَامُهُ صِدْقٌ وَ دَعَا عِبَادَهُ إِلَى اتِّبَاعِ الصِّدْقِ بِالصِّدْقِ وَ وَعَدَ بِالصِّدْقِ دَارَ الصِّدْقِ وَ أَمَّا الْمِيمُ فَدَلِيلٌ عَلَى مُلْكِهِ وَ أَنَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَمْ يَزَلْ وَ لَا يَزَالُ وَ لَا يَزُولُ مُلْكُهُ وَ أَمَّا الدَّالُّ فَدَلِيلٌ عَلَى دَوَامِ مُلْكِهِ وَ أَنَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ دَائِمٌ تَعَالَى عَنِ الْكُونِ وَ الزَّوَالِ بَلْ هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ مُكُونُ الْكَائِنَاتِ الَّتِي كَانَ يَتَكْوِينُهُ كُلُّ كَائِنٍ ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَوْ وَجَدْتُ لِعِلْمِي الَّذِي آتَانِي اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ حَمَلَةً لَنَشَرْتُ التَّوْحِيدَ وَ الْإِسْلَامَ وَ الْإِيمَانَ وَ الدِّينَ وَ الشَّرَائِعَ مِنَ الصَّمَدِ وَ كَيْفَ لِي بِذَلِكَ وَ لَمْ يَجِدْ جَدِّي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَمَلَةً لِعِلْمِهِ حَتَّى كَانَ يَتَنَفَّسُ الصُّعْدَاءَ (1) وَ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي فَإِنَّ بَيْنَ الْجَوَانِحِ مَنِيَّ عِلْمًا جَمًّا هَاهُ هَاهُ أَلَا لَا أَحَدٌ مَن يَحْمِلُهُ أَلَا وَ إِنِّي عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ الْحُجَّةَ الْبَالِغَةَ فَ لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ بَيَّسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا بَيَّسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ثُمَّ قَالَ الْبَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا وَ وَقَفْنَا لِعِبَادَتِهِ الْأَحَدِ الصَّمَدِ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ وَ جَنَّبَنَا عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ حَمْدًا سَرْمَدًا وَ شُكْرًا وَاصِبًا وَ قَوْلُهُ عَزَّ وَ جَلَّ لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ لَمْ يَلِدْ فَيَكُونُ لَهُ وَلَدٌ يَرِثُهُ مُلْكُهُ وَ لَمْ يُولَدْ فَيَكُونُ لَهُ وَالِدٌ يَشْرِكُهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَ مُلْكِهِ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ فَيَعَارِزُهُ فِي سُلْطَانِهِ (2)

بيان: روى فى معانى الأخبار ما يتعلق بتأويل الصمد من هذا الخبر بهذا الإسناد ثم اعلم أن تحقيق معنى هو بهذا الوجه غير معروف ولا يبعد أن يكون فى أصل الوضع

ص: 225

1- الصعداء: التنفس الطويل من هم أو تعب.

2- وفى نسخة: فيعاونه فى سلطانه.



كذلك وقوله ولا نأله صيغة المتكلم من أله بمعنى تحير واختلف في لفظ الجلالة فالمشهور أنه عربى مشتق إما من أله بمعنى عبد أو من أله إذا تحير إذ العقول تتحير في معرفته أو من ألهت إلى فلان أى سكنت إليه لأن القلوب تطمئن بذكره والأرواح تسكن إلى معرفته أو من أله إذا فزع من أمر نزل عليه وألهه غيره أجاره إذ العابد يفرغ إليه وهو يجيره أو من أله الفصيل إذا ولع بأمه إذ العباد يولعون بالتضرع إليه فى الشدائد أو من وله إذا تحير وتخبط عقله وكان أصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها أو من لاه مصدر لاه يليه ليها ولاها إذا احتجب وارتفع لأنه تعالى محجوب عن إدراك الأبصار ومرتفع على كل شىء و عما لا يليق به وقيل إنه غير مشتق وهو علم للذات المخصوصة وضع لها ابتداء وقيل أصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الألف الأخيرة وإدخال اللام عليه.

وقال الرازى ذكروا فى الفرق بين الواحد والأحد وجوها أحدها أن الواحد يدخل فى العدد والأحد لا يدخل فيه وثانيها أنك إذا قلت فلان لا يقاومه واحد جاز أن يقال لكنه يقاومه اثنان بخلاف الأحد وثالثها أن الواحد يستعمل فى الإثبات والأحد فى النفي انتهى.

وقوله عليه السلام: ومن ثم لبيان أن الواحد الحقيقى هو الذى لا يكون فيه شىء من أنحاء التعدد لأن الوحدة تقابل العدد.

ثم اعلم أنهم اختلفوا فى معنى الصمد فقيل إنه فعل بمعنى المفعول من صمد إليه إذا قصده وهو السيد المقصود إليه فى الحوائج

وَرَوَتْ الْعَامَّةُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ الْقَوْلِ مَا الصَّمَدُ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هُوَ السَّيِّدُ الَّذِي يُصَمَدُ إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِجِ.

وقيل إن الصمد هو الذى لا جوف له وقال ابن قتيبة الدال فيه مبدلة من التاء وهو الصمت (1) وقال بعض اللغويين الصَّمَدُ هو الأملس من الحجر لا يقبل الغبار ولا يدخله ولا يخرج منه شىء.

ص: 226

1- قال الشيخ قدس سره فى كتابه التبيان: ومن قال: الصمد بمعنى المصمت فقد جهل الله، لان المصمت هو المتضاغط الاجزاء، وهذا تشبيه وكفر بالله تعالى.

فعلى الأول عبارة عن وجوب الوجود والاستغناء المطلق واحتياج كل شىء فى جميع أموره إليه أى الذى يكون عنده ما يحتاج إليه كل شىء و يكون رفع حاجة الكل إليه و لم يفقد فى ذاته شيئا مما يحتاج إليه الكل و إليه يتوجه كل شىء بالعبادة والخضوع و هو المستحق لذلك و إليه يومئ خبر الجعفرى.

و أما على الثانى فهو مجاز عن أنه تعالى أحدى الذات أحدى المعنى ليست له أجزاء ليكون بين الأجزاء جوف و لا صفات زائدة فيكون بينها وبين الذات جوف أو عن أنه الكامل بالذات ليس فيه جهة استعداد و إمكان و لا خلوه عما يليق به فلا يكون له جوف يصلح أن يدخله ما ليس له فى ذاته فيستكمل به فالجوف كناية عن الخلو عما لا يصح اتصافه به.

و أما على الثالث فيكون كناية عن عدم الانفعال و التأثر عن الغير و كونه محلا للحوادث كما سيأتى فى جواب من

سَأَلَ الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ رِضَا اللَّهِ وَ سَخَطِهِ فَقَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ عَلَى مَا يُوجَدُ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ وَ ذَلِكَ أَنَّ الرِّضَا دَخَالَ يَدْخُلُ عَلَيْهِ فَيَنْقَلُهُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ لِأَنَّ الْمَخْلُوقَ أَجُوفٌ مُعْتَمِلٌ مُرَكَّبٌ لِلَّهِ يَأْتِيهِ مَدْخَلٌ وَ خَالِقُنَا لَا مَدْخَلَ لِلَّهِ يَأْتِيهِ لِأَنَّهُ وَاحِدٌ وَ أَحَدِيُّ الذَّاتِ وَ أَحَدِيُّ الْمَعْنَى.

و هذا الخبر يؤيد بعض المعانى السابقة أيضا.

و قد نقل بعض المفسرين عن الصحابة و التابعين و الأئمة و اللغويين قريبا من عشرين معنى (1) و يمكن إدخال جميعها فيما ذكرنا من المعنى الأول لأنه لا شتماله على

ص: 227

1- تقدمت جملة من المعانى المروية عن الأئمة عليهم السلام فى الخبر 13 و 14. و أمّا ما نقل من المعنى عن غيرهم فقد نقل عن سعيد بن جبیر أن المعنى: هو الكامل فى جميع صفاته و أفعاله. و عن قتادة: هو الباقي بعد فناء خلقه. و عن ربيع: هو الذى لا يعتريه الآفات. و عن مقاتل بن حيان: هو الذى لا عيب فيه. و عن الأصم: هو الخالق للأشياء. و عن السدى: هو المقصود فى الرغائب، المستغاث به عند المصائب. و عن الحسين بن الفضل البجلي: هو الذى يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد، لا معقب لحكمه و لا راد لقضائه. و عن أبى بن كعب: هو الذى لا يموت و لا يورث و له ميراث السماوات و الأرض و عن يمان و أبى مالك: هو الذى لا ينام و لا يسهو. و عن ابن كيسان: هو الذى لا يوصف بصفة أحد. و عن أبى بكر الوراق: انه الذى آيس الخلائق من الاطلاع على كفيته. و عن غيرهم: انه السيد المعظم، و انه العالم بجميع المعلومات، و انه الحلیم، و انه الفرد الماجد لا يقضى فى امر دونه، و انه الذى لا تدركه الابصار، و انه المنزه عن قبول النقائصات و الزيادات، و عن أن يكون موردا للتغيرات و التبدلات، و عن احاطة الأزمنة و الامكنة و الآنات و الجهات. و سيأتى فى الحديث 20 و 21 معنى آخر.

الوجوب الذاتى يدل على جميع السلوب و لدلالته على كونه مبدأ لكل يدل على اتصافه بجميع الصفات الكمالية و بهذا الوجه يمكن الجمع بين الأخبار المختلفة الواردة فى هذا المعنى.

وقوله عليه السلام: لا يوصف بالتغاير أى بالصفات الموجودة المغايرة للذات و يحتمل على بعد أن يكون مأخوذاً من الغيرة كناية عن أنه ليس له ضد و لا ند و فيما رواه الطبرسى رحمه الله لا يوصف بالنظائر و البدوات بالفتحات ما يبدو و يسبح و يظهر من الحوادث و الحالات المتغيرة و الآراء المتبدلة يقال بدا أى ظهر و بدا له فى الأمر نشأ له فيه رأى و هو ذو بدوات و الإنية التحقق و الوجود و الصعداء بضم الصاد و فتح العين تنفس طويل و الجوانح الضلوع تحت الترائب مما يلى الصدر و الواصب الدائم و الثابت و المعازة المغالبة.

«16»-يد، التوحيد ابن إدريس عن أبيه عن ابن هاشم عن ابن بزيع عن يونس عن الحسن بن السرى عن جابر قال قال أبو جعفر عليه السلام إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَبَارَكَتْ أَسْمَاؤُهُ وَتَعَالَى فِي عُلُوِّ كُنْهِهِ أَحَدٌ تَوَحَّدَ بِالتَّوْحِيدِ فِي تَوْحِيدِهِ ثُمَّ أَجْرَاهُ عَلَى خَلْقِهِ فَهُوَ أَحَدٌ صَمَدٌ مَلِكٌ قُدُّوسٌ يَعْبُدُهُ كُلُّ شَيْءٍ وَ يَصْمِدُ إِلَيْهِ وَ فَوْقَ الَّذِي عَسَيْنَا أَنْ نَبْلُغَ رَبَّنَا وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا

سن، المحاسن اليقطينى عن يونس عن الحسن بن السرى مثله.

«17»-يد، التوحيد أبى عن سعد عن ابن عيسى عن ابن فضال عن الحلبي و زرارة عن أبى عبد الله عليه السلام قال: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَحَدٌ صَمَدٌ لَيْسَ لَهُ جَوْفٌ وَ إِنَّمَا الرُّوحُ خَلِقٌ مِنْ خَلْقِهِ نَصْرٌ وَ تَأْيِيدٌ وَ قُوَّةٌ يَجْعَلُهُ اللَّهُ فِي قُلُوبِ الرُّسُلِ وَ الْمُؤْمِنِينَ.

«18»-يد، التوحيد ابن عبدوس عن ابن قتيبة عن الفضل بن شداذان قال: سَأَلَ رَجُلٌ مِنَ الثَّوَيَّةِ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى الرِّضَا عَلَيْهِمَا السَّلَامَ وَ أَنَا حَاضِرٌ فَقَالَ لَهُ إِنِّي أَقُولُ إِنَّ صَانِعَ الْعَالَمِ اثْنَانِ فَمَا الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ فَقَالَ قَوْلُكَ إِنَّهُ اثْنَانِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ لِأَنَّكَ لَمْ تَدَّعِ الثَّانِيَّ إِلَّا بَعْدَ اثْبَاتِكَ الْوَاحِدِ فَالْوَاحِدُ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ وَ أَكْثَرُ مِنْ وَاحِدٍ مُخْتَلَفٌ فِيهِ.

قال الصدوق رحمه الله: الدليل على أن الصانع واحد لا أكثر من ذلك أنهما لو كانا اثنين لم يخل الأمر فيهما من أن يكون كل واحد منهما قادرا على منع صاحبه مما يريد أو غير قادر فإن كانا كذلك فقد جاز عليهما المنع و من جاز عليه ذلك فمحدث كما أن المصنوع محدث و إن لم يكونا قادرين لزمهما العجز و النقص و هما من دلالات الحدث فصح أن القديم واحد.

و دليل آخر و هو أن كل واحد منهما لا يخلو من أن يكون قادرا على أن يكتم الآخر شيئا فإن كان كذلك فالذى جاز الكتمان عليه حادث و إن لم يكن قادرا فهو عاجز و العاجز حادث بما بيناه (1) و هذا الكلام يحتج به فى إبطال قديمين صفة كل واحد منهما صفة القديم الذى أثبتناه فأما ما ذهب إليه مانى و ابن ديصان من خرافاتهما فى الامتزاج و دانت به المجوس من حماقاتها فى أهر من ففاسد بما به يفسد قدم الأجسام و لدخولهما فى تلك الجملة اقتضرت على الكلام فيهما و لم أفرد كلا منهما بما يسأل عنه منه.

«(19)- يد، التوحيد ابن الوليد عن الصفار عن ابن عيسى عن ابن أبي عمير عن هشام بن الحكم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام ما الدليل على أن الله واحد قال اتصال التدبير و تمام الصنع كما قال عز و جل لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا.

بيان: إما إشارة إلى برهان التمانع أو إلى التلازم و سيأتى بعض تقريراتهما.

«(20)- ف، تحف العقول عن داود بن القاسم قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الصمد فقال الذى لا سرّة له قلت فإنهم يقولون إنه الذى لا جوف له فقال كل ذى جوف له سرّة.

بيان: الغرض أنه ليس فيه تعالى صفات البشر و سائر الحيوانات و هو أحد أجزاء معنى الصمد كما عرفت و هو لا يستلزم كونه تعالى جسما مصمما.

ص: 229

1- الحجتان مدخولتان لأن عموم القدرة فى الواجب لا يستلزم تعلقها بكل امر؛ فمن الجائز أن يكون المنع المفروض و الكتمان المفروض محالين لا تتعلق بهما القدرة؛ فلا يلزمه نقص الواجب و حدوثه. ط.

«21»- جمع الأخبار سئل ابن الحنفية عن الصمد فقال قال علي عليه السلام تأويل الصمد لا اسم ولا جسم ولا مثل ولا شبهة ولا صورة ولا نمثال ولا حد ولا حدود ولا موضع ولا مكان ولا كيف ولا أين ولا هنا ولا ثمة ولا ملاً ولا خلاً ولا قيام ولا فعود ولا سكون ولا حركة ولا ظلماني ولا نوراني ولا روحاني ولا نفساني ولا يخلو منه موضع ولا يسعه موضع ولا على لؤن ولا على خطر قلب ولا على شم رائحة منفي عنه هذه الأشياء.

«22»- ج، الاحتجاج عن هشام بن الحكم أنه قال: من سؤال الزنديق عن الصادق عليه السلام أن قال لم لا يجوز أن يكون صانع العالم أكثر من واحد قال أبو عبد الله عليه السلام لا يخلو قولك إلهما اثنان من أن يكونا قديمين قوين أو يكونا صديقين أو يكون أحدهما قوياً والآخر صديقا فإن كانا قوين فلم لا يدفع كل واحد منهما صاحبه ويتفرّد بالرؤوبية (1) وإن زعمت أن أحدهما قوي والآخر صديقا ثبت أنه واحد كما نقول للعجز الظاهر في الثاني وإن قلت إلهما اثنان لم يخل من أن يكونا متفقين من كل جهة أو متفرقين من كل جهة فلما رأينا الخلق منتظماً والفلك جارياً (2) واختلاف الليل والنهار والشمس والقمر دل صحتها الأمر والتدبير واتلاف الأمر على أن المبدب واحد.

يد، التوحيد الدقاق عن أبي القاسم العلوي عن البرمكي عن الحسين بن الحسن عن إبراهيم بن هاشم القمي عن العباس بن عمرو الفقيمي عن هشام بن الحكم مثله وزاد فيه ثم يلزمك إن ادعيت اثنين فلا بد من فرجة بينهما حتى يكونا اثنين فصارت الفرجة ثالثاً بينهما قديماً معهما فيلزمك ثلاثة وإن ادعيت ثلاثة لزمك ما قلنا في الاثنين حتى يكون بينهم فرجتان فيكونوا خمسة ثم يتناهى في العدد إلى ما لا نهاية له في الكثرة.

- ك، الكافي على عن أبيه مثله بيان ونشر هاهنا إلى بعض براهين التوحيد على وجه الاختصار ثم لنذكر ما يمكن أن يقال في حل هذا الخبر الذي هو من غوامض الأخبار.

ص: 230

1- وفي نسخة: ويتفرّد بالتدبير.

2- وفي نسخة بعد قوله: والفلك جارياً: والتدبير واحداً.

## فالأول

أنه لما ثبت كون الوجود عين حقيقة الواجب فلو تعدد لكان امتياز كل منهما عن الآخر بأمر خارج عن الذات فيكونان محتاجين في تشخيصهما إلى أمر خارج و كل محتاج ممكن.

## و الثاني

أنه لو تعدد الواجب لذاته فإما أن يكون امتياز كل منهما عن الآخر بذاته فيكون مفهوم واجب الوجود محمولاً عليهما بالحمل العرضي و العارض معلول للمعروض فيرجع إلى كون كل منهما علة لوجوب وجوده و قد ثبت بطلانه و إما أن يكون ذلك الامتياز بالأمر الزائد على ذاتهما و هو أفحش فإنه إما أن يكون معلولاً - لماهيتهما أو لغيرهما و على الأول إن اتحد ماهيتهما كان التعيين مشتركاً و هذا خلف و إن تعددت الماهية كان كل منهما شيئاً عرض له و جوب الوجود أعنى الوجود المتأكد للواجب و قد تبين بدلائل عينية الوجود بطلانه و على الثاني يلزم الاحتياج إلى الغير و الإمكان و بالجملة لو كان الواجب متعدداً لكان نسبة الوجوب إليهما نسبة العوارض فكان ممكناً لا واجباً.

## الثالث

أنه لو كان لله سبحانه شريك لكان لمجموع الواجبيين وجود غير وجود الآحاد سواء كان ذلك الوجود عين مجموع الوجودين أو أمراً زائداً عليه و لكان هذا الوجود محتاجاً إلى وجود الأجزاء و المحتاج إلى الغير ممكن محتاج إلى مؤثر و المؤثر في الشئ ء يجب أن يكون مؤثراً في واحد من أجزائه و إلا لم يكن مؤثراً في ذلك الشئ ء و قد ادعوا الضرورة فيه و لا يمكن التأثير فيما نحن فيه في شئ ء من الأجزاء لكون كل من الجزئين واجباً فالشريك يستلزم التأثير فيما لا يمكن التأثير فيه أو إمكان ما فرض وجوبه إلى غير ذلك من المفاسد.

## الرابع برهان التمانع

و أظهر تقريراته أن وجوب الوجود يستلزم القدرة و القوة على جميع الممكنات قوة كاملة بحيث يقدر على إيجادها و دفع ما يضاده مطلقاً و عدم القدرة على هذا الوجه نقص و النقص عليه تعالى محال ضرورة بدليل إجماع العقلاء عليه و من المحال عادة إجماعهم على نظري و لئن لم يكن ضرورياً فنظري ظاهر متسق الطريق واضح الدليل و استحالة إجماعهم على نظري لا يكون كذلك أظهر فنقول

حينئذ لو كان فى الوجود واجبان لكائنا قويين وقوتهما يستلزم عدم قوتهما لأن قوة كل منهما على هذا الوجه يستلزم قوته على دفع الآخر عن إرادة ضد ما يريده نفسه من الممكنات والمدفوع غير قوى بهذا المعنى الذى زعمنا أنه لازم لسلب النقص.

فإن قلت هذا إنما يتم لو كان إرادة كل منهما للممكن بشرط إرادة الآخر لضده ممكنا وبالعكس وليس كذلك بل إرادة كل منهما له بشرط إرادة الآخر لضده ممتنع ونظير ذلك أن إرادة الواجب للممكن بشرط وجود ضده محال ولا يلزم منه نقص قلت امتناع الإرادة بشرط إرادة الآخر هو الامتناع بالغير وامتناعه بالغير تحقق النقص والعجز تعالى عن ذلك وأما امتناع إرادة الشئ بشرط وجود ضده فمن باب امتناع إرادة المحال الذاتى وإن كان امتناع الإرادة امتناعا بالغير ومثله غير ملزوم للنقص بخلاف ما نحن فيه فإن المراد ممتنع بالغير.

فإن قلت وجود الشئ كما يمتنع بشرط ضده ونقيضه كذلك يمتنع بشرط ملزوم ضده ونقيضه والأول امتناع بالذات والثانى امتناع بالغير وكما أن إرادة الأول منه تعالى محال ولا نقص فيه كذلك إرادة الثانى وظاهر أن إرادة إيجاد الممكن بشرط إرادة الآخر له من قبل الثانى فينبغى أن لا يكون فيه نقص قلت فرق بين الأمرين فإن وجود الممكن إذا قيد واشترط بملزوم نقيضه كان ممتنعا ولو بالغير ولم يتعلق به إرادة ضرورة وأما إذا لم يقيد الوجود به بل أطلق فغير ممتنع فيمكن تعلق الإرادة به ولو فى زمان وجود ملزوم النقيض بأن يدفع الملزوم وإن لم يندفع هو من قبل نفسه أو من دافع آخر بخلاف إرادة الآخر فإنه لو لم يندفع من قبل نفسه ولم يدفعه دافع آخر لم يتعلق به الإرادة ضرورة فهو مدفوع وإلا فالآخر مدفوع فصار حاصل الفرق حينئذ أن الصانع تعالى قادر على إيجاد أحد الضدين فى زمان الضد الآخر بدون حاجة إلى واسطة غير مستندة إليه تعالى وهو أى الحاجة إلى الواسطة المستندة إلى الفاعل لا ينافى الاستقلال والقدرة كما لا ينافى الاحتياج إلى الواسطة المستندة إلى الذات الوجوب الذاتى بخلاف ما نحن فيه فإنه احتياج إلى واسطة غير مستندة إلى الذات.

لا يقال لعل انتفاء إرادة الآخر واجب بنفسه و لا نسلم منافاة توسط الواجب بالذات بين الفاعل و فعله لاستقلاله و استلزامه النقص لأننا نقول الأول بين البطلان فإن تحقق إرادة الآخر و انتفاعها ممكن في نفسه لكنه ينتفى فيما نحن فيه من قبل ذى الإرادة لو انتفى فيكون واسطة ممكنة غير صادرة عن الفاعل و لا مستندة إليه و أما الثانى فربما تدعى البدهاة في استلزامه النقص و هو غير بعيد و بهذا التقرير يندفع كثير من الشكوك و الشبه.

### الخامس تقرير آخر لبرهان التمانع ذكره المحقق الدوانى

و هو أنه لا يخلو أن يكون قدرة كل واحد منهما و إرادته كافية في وجود العالم أو لا شىء منهما كاف أو أحدهما كاف فقط و على الأول يلزم اجتماع المؤثرين التامين على معلول واحد و على الثانى يلزم عجزهما لأنهما لا يمكن لهما التأثير إلا باشتراك الآخر و على الثالث لا يكون الآخر خالقا فلا يكون إليها أفمن يخلق كمن لا يخلق.

لا- يقال إنما يلزم العجز إذا انتفت القدرة على الإيجاد بالاستقلال أما إذا كان كل منهما قادرا على الإيجاد بالاستقلال و لكن انتقا على الإيجاد باشتراك فلا يلزم العجز كما أن القادرين على حمل خشبة بالانفراد قد يشتركان في حملها و ذلك لا يستلزم عجزهما لأن إرادتهما تعلقت بالاشتراك و إنما يلزم العجز لو أرادا الاستقلال و لم يحصل لأننا نقول تعلق إرادة كل منهما إن كان كافيا لزم المحذور الأول و إن لم يكن كافيا لزم المحذور الثانى و الملازمتان بينتان لا تقبلان المنع و ما أوردتم من المثال في سند المنع لا يصلح للسندية إذ في هذه الصورة ينقص ميل كل واحد منهما من الميل الذى يستقل في الحمل قدر ما يتم الميل الصادر من الآخر حتى تنقل الخشبة بمجموع الميلين و ليس كل واحد منهما بهذا القدر من الميل فاعلا مستقلا و في مبحثنا هذا ليس المؤثر إلا تعلق القدرة و الإرادة و لا يتصور الزيادة و النقصان في شىء منهما.

### السادس

أن كل من جاء من الأنبياء و أصحاب الكتب المنزلة إنما ادعى الاستناد إلى واحد أسند إليه الآخر و لو كان في الوجود واجبان لكان يخبر مخبر من قبله بوجوده و حكمه و احتمال أن يكون في الوجود واجب لا يرسل إلى هذا العالم أو لا يؤثر و لا



يدبر أيضا فيه مع تدبيره ووجود خبره في عالم آخر أو عدمه مما لا يذهب إليه وهم واهم فإن الوجوب يقتضى العلم والقدرة وغيرهما من الصفات و مع هذه الصفات الكمالية يمتنع عدم الإعلام ونشر الآثار بحيث يبلغ إلينا وجوده وأما ما زعمت الثنوية من الإله الثانى فليس بهذه المثابة و مما يرسل و يحكم فيهم و إن قالوا بوجود الواجب الآخر فقد نفوا لازمه فهو باطل بحكم العقل.

وقد أثبتنا فى كتاب الروضة فيما أوصى به أمير المؤمنين ابنه الحسن صلوات الله عليهما ما يومئ إلى هذا الدليل حيث

قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاعْلَمَ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لَأَتَتْكَ رُسُلُهُ وَ لَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وَ سُلْطَانِهِ وَ لَعَرَفْتَ صِفَتَهُ وَ فِعَالَهُ وَ لَكِنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ لَا يُضَادُّهُ فِي ذَلِكَ أَحَدٌ وَ لَا يُحَاجُّهُ وَ أَنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۝

## السابع الأدلة السمعية

من الكتاب و السنة و هى أكثر من أن تحصى و قد مر بعضها و لا محذور فى التمسك بالأدلة السمعية فى باب التوحيد و هذه هى المعتمد عليها عندى و بسط الكلام فى تلك الأدلة و ما سواها مما لم نشر إليها موكول إلى مظانها.

## و نرجع إلى حل الخبر و شرحه و قد قيل فيه وجوه

### الأول

أن المراد بالقوى القوى على فعل الكل بالإرادة مع إرادة استبداده به و المراد بالضعيف الذى لا يقوى على فعل الكل و لا يستبد به و لا يقاوم القوى فإن كانا قويين فلم لا يدفع كل منهما صاحبه و يتفرد به أى يلزم من قوتهما انفراد كل بالتدبير و يلزم منه عدم وقوع الفعل و إن زعمت أن أحدهما قوى و الآخر ضعيف ثبت أنه واحد أى المبدأ للعالم واحد لعجز الضعيف عن المقاومة و التأثير و ثبت احتياج الضعيف إلى العلة الموجدة لأن القوى أقوى وجودا من الضعيف و ضعف الوجود لا يتصور إلا بجواز خلو الماهية عن الوجود و يلزم منه الاحتياج إلى المبدأ المبين الموجد له.

و إن قلت إنهما اثنان أى المبدأ اثنان و هذا هو الشق الثانى أى كونهما ضعيفين بأن يقدر و يقوى كل منهما على بعض أو يفعل بعضا دون بعض بالإرادة و إن كان يقدر على الكل و فى هذا الشق لا يخلو من أن يكونا متفقين أى فى الحقيقة من كل جهة و يلزم من هذا عدم الامتياز بالتعين للزوم المغايرة بين الحقيقة و التعيين المختلفين و استحالة

استنادهما إلى الحقيقة و استحالة استنادهما إلى الغير فيكون لهما مبدأ أو مختلفين مفترقين من كل جهة و ذلك معلوم الانتفاء فإنا لما رأينا الخلق منتظما و الفلك جاريا و التدبير واحدا و الليل و النهار و الشمس و القمر دل صحة الأمر و التدبير و انتلاف الأمر على أن المدبر واحد لا اثنان مختلفان من كل جهة ثم ذلك المدبر الواحد لا يجوز أن يكون واحدا بجهة من حيث الحقيقة مختلفا بجهة أخرى فيكون المدبر اثنين و يلزمك إن ادعيت اثنين فرجة ما بينهما لأن لهما وحدة فلا يتميزان إلا بمميز فاصل بينهما حتى يكونا اثنين لا متناع الاثنينية بلا مميز بينهما و عبر عن الفاصل المميز بالفرجة حيث إن الفاصل بين الأجسام يعبر عنه بالفرجة و أولئك الزنادقة لم يكونوا يدركون غير المحسوسات تنبيها على أنكم لا تستحقون أن تخاطبوا إلا بما يليق استعماله في المحسوسات و ذلك المميز لا بد أن يكون وجوديا داخلا في حقيقة أحدهما إذ لا يجوز التعدد مع الاتفاق في تمام الحقيقة كما ذكرنا و لا يجوز أن يكون ذلك المميز ذا حقيقة يصح انفكاكها عن الوجود و خلوها عنه و لو عقلا- و إلا- لكان معلولا محتاجا إلى المبدأ فلا يكون مبدأ و لا داخلا فيه فيكون المميز الفاصل بينهما قديما موجودا بذاته كالمتفق فيه فيكون الواحد المشتمل على المميز الوجودى اثنين لا واحدا و يكون الاثنان اللذان ادعيتهما ثلاثة فإن قلت به و ادعيت ثلاثة لزمك ما قلت في الاثنين من تحقق المميز بين الثلاثة و لا بد من مميزين وجوديين حتى تكون بين الثلاثة فرجتان و لا بد من كونهما قديمين كما مر فيكونوا خمسة وهكذا ثم يتناهى في العدد إلى ما لا نهاية له في الكثرة أى يتناهى الكلام في التعدد إلى القول بما لا نهاية له في الكثرة أو يبلغ عدده إلى كثرة غير متناهية أو المراد أنه يلزمك أن يتناهى المعدود المنتهى ضرورة بمعروض ما ينتهى إليه العدد أى الواحد إلى كثير لا نهاية له في الكثرة فيكون عددا بلا واحد و كثرة بلا وحدة و على هذا يكون الكلام برهانيا لا يحتاج إلى ضميمة و على الأولين يصير بضم ما ذكرناه من ثالث الاحتمالات برهانيا.

## الثانى

أن يكون إشارة إلى ثلاثة براهين و تقرير الأول بعد ما نقرر أن ما لا يكون قويا على إيجاد أى ممكن كان لا يكون واجبا بالذات أن يقال لا يصح أن يكون الواجب بالذات اثنين و إلا كان كل منهما قويا على إيجاد أى ممكن كان

و كل ممكن بحيث يكون استناده إلى أى منهما كافيًا في تصحيح خروجه من القوة إلى الفعل و حينئذ لم يكن محييص إما من لزوم استناد كل معلول شخصى إلى علتين مستبدتين بالإفاضة و ذلك محال أو من لزوم الترجيح بلا مرجح و هو فطرى الاستحالة أو من كون أحدهما غير واجب بالذات و هو خلاف المفروض و هذا البرهان يتم عند قوله عليه السلام: للعجز الظاهر فى الثانى.

و قوله عليه السلام: وإن قلت إلى قوله على أن المدبر واحد إشارة إلى برهان ثان و هو أحد الوجوه البرهانية فى قوله تعالى: لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا و تلخيص تقريره أن التلازم بين أجزاء النظام الجملى المنتظم المتسق كما بين السماء و الأرض مثلا على ما قد أحقته القوانين الحكمية لا يستتب إلا بالاستناد إلى فاعل واحد يصنع الجميع بحكمته و قدرته إذ التلازم بين شيئين لا يتصحح إلا بعلة أحدهما للآخر أو بمعلوليهما لعلة واحدة موجبة فلو تعدد اختل الأمر و فسد النظام.

و تقرير الثالث هو أنك لو ادعيت اثنين كان لا محالة بينهما انفصال فى الوجود و افتراق فى الهوية و يكون هناك موجود ثالث هو المركب من مجموع الاثنين و هو المراد بالفرجة لأنه منفصل الذات و الهوية و هذا المركب لتركبه عن الواجبات بالذات المستغنيات عن الجاعل موجود لا من تلقاء الصانع إذ افتقار المركب إلى الجاعل بحسب افتقار أجزائه فإذا لم تقتقر أجزاؤه لم يفتقر هو بالضرورة فإذا لم يفتقر هو بالضرورة فإذن قد لزمك أن يكون هذا الموجود الثالث أيضا قديما فيلزمك ثلاثة و قد ادعيت اثنين و هكذا و يرد عليه مع بعد إطلاق الفرجة بهذا المعنى أنه يلزم فى الفرض الثانى سبعة لا خمسة.

### الثالث

أن يكون إشارة إلى حجتي أحدهما عامية مشهورية و الأخرى خاصة برهانية أما الأولى فقولها لا يخلو قولك إلى قوله فى الثانى و معناه أنه لو فرض قديمان فلا يخلو أن يكون كلاهما قويين أو كلاهما ضعيفين أو أحدهما قويا و الآخر ضعيفا و الثلاثة بأسرها باطلة أما الأول فلأنه إذا كانا قويين و كل منهما فى غاية القوة من غير ضعف و عجز كما هو المفروض و القوة يقتضى الغلبة و القهر على كل شىء سواه فما السبب المانع لأن يدفع كل واحد منهما صاحبه حتى يتفرد بالتدبير و القهر على

غيره إذ اقتضاء الغلبة والاستعلاء مركوزة في كل ذى قوة على قدر قوته والمفروض أن كلا منهما في غاية القوة و أما فساد الشق الثاني فهو ظاهر عند جمهور الناس لما حكموا بالفطرة من أن الضعف ينافى الإلهية ولظهوره لم يذكره عليه السلام و أيضا يعلم فساده بفساد الشق الثالث و هو قوله و إن زعمت أن أحدهما قوى و الآخر ضعيف ثبت أنه أى الإله واحد كما نحن نقول للعجز الظاهر فى المفروض ثانيا لأن الضعف منشأ العجز و العاجز لا يكون إله بل مخلوقا محتاجا لأنه محتاج إلى من يعطيه القوة و الكمال و الخيرية و أما الحجة البرهانية فأشار إليها بقوله و إن قلت إنهما اثنان و بيانه أنه لو فرض موجودان قديمان فإما أن يتفقا من كل جهة أو يختلفا من كل جهة أو يتفقا بجهة و يختلفا بأخرى و الكل محال أما بطلان الأول فلأن الاثنينية لا تتحقق إلا بامتياز أحد الاثنين عن صاحبه و لو بوجه من الوجوه و أما بطلان الثانى فلما نبه عليه بقوله فلما رأينا الخلق منتظما و تقريره أن العالم كله كشخص واحد كثير الأجزاء و الأعضاء مثل الإنسان فإننا نجد أجزاء العالم مع اختلاف طبائعها الخاصة و تباين صفاتها و أفعالها المخصوصة يرتبط بعضها ببعض و يفتقر بعضها إلى بعض و كل منها يعين بطبعه صاحبه و هكذا نشاهد الأجرام العالية و ما ارتكز فيها من الكواكب النيرة فى حركاتها الدورية و أضوائها الواقعة منها نافعة للسفليات محصلة لأمزجة المركبات التى يتوقف عليها صور الأنواع و نفوسها و حياة الكائنات و نشوء الحيوان و النبات فإذا تحقق ما ذكرنا من وحدة العالم لوحدة النظام و اتصال التدبير دل على أن إلهه واحد و إليه أشار بقوله دل صحة الأمر و التدبير و اتئلاف الأمر على أن المدبر واحد.

و أما بطلان الشق الثالث و هو أنهما متفقان من وجه و مختلفان من وجه آخر فبأن يقال كما أشار إليه عليه السلام بقوله ثم يلزمك أنه لا بد فيهما من شىء يمتاز به أحدهما عن صاحبه و صاحبه عنه و ذلك الشىء يجب أن يكون أمرا وجوديا يوجد فى أحدهما و لم يوجد فى الآخر أو أمران وجوديان يختص كل منهما بواحد فقط و أما كون الفارق المميز لكل منهما عن صاحبه أمرا عدميا فهو ممتنع بالضرورة إذ الأعدام

بما هي أعدام لا تمايز بينها ولا تمييز بها فإذا فرض قديمان فلا أقل من وجود أمر ثالث يوجد لأحدهما ويسلب عن الآخر وهو المراد بالفرجة إذ به يحصل الانفراج أى الافتراق بينهما لوجوده فى أحدهما وعدمه فى الآخر وهو أيضا لا محالة قديم موجود معهما وإلا لم يكونا اثنين قديمين فيلزم أن يكون القدماء ثلاثة وقد فرض اثنين وهذا خلف ثم يلزم من فرض كونهم ثلاثة أن يكونوا خمسة وهكذا إلى أن يبلغ عددهم إلى ما لا نهاية له وهو محال.

أقول: الأظهر على هذا التقرير أن تحمل الوحدة فى قوله عليه السلام: على أن المدبر واحد على الأعم من الوحدة النوعية والشخصية ولو حملت على الشخصية يمكن أن يستخرج منه ثلاث حجج بهذا التقرير ولا يخفى توجيهها.

## الرابع

أن يكون إشارة إلى ثلاث حجج لكن على وجه آخر وتقرير الأول أنه لو كان اثنين فإما أن يكونا قويين أى مستقلين بالقدرة على كل ممكن فى نفسه سواء كان موافقا للمصلحة أو مخالفا وهو إنما يتصور بكونهما قديمين وإما أن يكونا ضعيفين أى غير مستقلين بالقدرة على ممكن ما فى نفسه وإما أن يكون أحدهما قويا والآخر ضعيفا والأول محال لاشتماله على التناقض لأن كون كل منهما قويا بهذا المعنى يستلزم أن يكون قويا على دفع الآخر عن أن يصدر عنه مراد الأول بعينه أو مثله أو ضده فى محله لأن عدم المنافى شرط فى صدور كل ممكن وعدم القوة على الشرط ينافى القوة على المشروط ولا شك أن المدفوع كذلك ضعيف مسخر فقوة كل منهما فى فعل صدر عنه يستلزم دفعه الآخر فيه وضعف ذلك الآخر وفى فعل تركه حتى فعل الآخر ضده يستلزم تمكينه الآخر فى فعله وهذا تفرد بالتدبير فالاستفهام فى لم لا يدفع إنكارى أى معلوم ضرورة أنه يدفع كل منهما الآخر ويتفرد بالتدبير وبتلان الشق الثالث لكونه مستلزما لعجز أحدهما أى ضعفه وعدم كونه ممن ينتهى إليه شىء من تدبير العالم يستلزم بتلان الشق الثانى بطريق أولى وتقرير الثانى هو أنه لو كان المدبر اثنين فنسبة معلول معلول إليهما إما متساوية من جميع الوجوه بأن لا يكون فى واحد منهما ولا فى كل منهما ما يختص به ويرجح صدوره عنه على صدوره عن الآخر من الداعى والمصلحة

و نحوهما و إما غير متساوية من جميع الوجوه و كلاهما باطل.

أما الأول فلأنه إما أن يكون ترك كل منهما لذلك المعلول مستلزما لفعل الآخر إياه لحكمة كل منهما أم لا فعلى الأول إحداث أحدهما ذلك المعلول يستلزم الترجيح بلا مرجح لأن إحداث كل منهما ذلك المعلول ليس أولى بوجه من تركه إياه و إحداث الآخر إياه و على الثاني إما أن يكون ترك التارك له مع تجويزه الترك على الآخر قبيحا و خلاف الحكمة أم لا و الأول يستلزم النقص و الثاني يستلزم عدم إمكان رعاية المصالح التي لا تحصى فى خلق العالم لأنه اتفانى حينئذ و معلوم بديهية أن الاتفانى لا يكون منتظما فى أمر سهل كصدور مثل قسيمة من قصائد البلغاء المشهورين عمن لم يمارس البلاغة و إن كان يمكن أن يصدر عنه اتفاقا مصراع بليغ أو مصراعان فضلا عما نحن فيه.

و أما بطلان الثاني فلأنه يستلزم أن يكون مختلفة من جميع الوجوه بأن لا يكون أحدهما قادرا عليه أصلا لأن اختلاف نسبة قادرين إلى معلول واحد شخصى إنما يتصور فيما يمكن أن يكون صدوره عن أحدهما أصلح و أنفع من صدوره عن الآخر و هذا إنما يتصور فيما كان نفع فعله راجعا إليه كالعباد و أما إذا كان القادران بريئين من الانتفاع كما فيما نحن فيه فلا يتصور ذلك فيه بديهية و ينبه عليه أن الغنى المطلق إنما يفعل ما هو الخير فى نفسه من غير أن يكون له فيه نفع سواء كان لغيره فيه نفع كما فى ثواب المطيع أو لم يكن و مثاله عقاب الكافر إن لم يكن للمطيعين فيه نفع.

و تقرير الثالث أنه إن كان المدبر اثنين فنسبة معلول معلول إليهما إما متساوية من جميع الوجوه أو لا و كلاهما باطل أما الأول فلان صدور بعض المعلولات عن أحدهما و بعض آخر منها عن الآخر منهما حينئذ يحتاج إلى ثالث هو الفرجة بينهما أى ما يميز و يعين كل معلول معلول لواحد معين منهما حتى يكون المدبران اثنين لا متناع الترجيح من جهة الفاعلين بلا مرجح أى بلا داع أصلا كما هو المفروض فيلزم خلاف الفرض و هو أن يكون المدبر ثلاثة ثم نقل الكلام إلى الثلاثة و هكذا إلى ما لا نهاية له فى الكثرة و يلزم التسلسل و إنما لم يكتف عليه السلام بعد نقل الكلام إلى الثلاثة بالاحتياج إلى فرجة

واحدة للتمييز حتى يكون المجموع أربعة لا خمسة وإن كان المطلوب و هو لزوم التسلسل حاصلًا به أيضا لأن هناك ثلاثة تميزات و تخصيص واحد منهما بمميز كما هو المفروض و اشتراك اثنين منهما بواحد مع اتحاد النسبة تحكّم و أما بطلان الثاني فلما مر في بيان بطلان الشق الثاني من الدليل الثاني.

أقول: لا يخفى بعد هذا التقرير عن الأفهام و احتياجه إلى تقدير كثير من المقدمات في الكلام.

## الخامس

أن يكون الأول إشارة إلى برهان التمانع بأحد تقريراته المشهورة و الثاني إلى التلازم كما مر و الثالث يكون إلزاما على المجسمة المشتركة القائلين بالهين مجسمين متباعدين في المكان كما هو الظاهر من كلام المجوس لعنهم الله و يكون الفرجة محمولة على معناها المتبادر من جسم يملأ البعد بينهما لبطلان الخلا أو سطح فاصل بينهما لتحقيق الاثنية هذا ما قيل أو يمكن أن يقال في حل هذا الخبر الذي تحيرت فيه الأفهام و الفكر و لم نتعرض لبسط الكلام في كل وجه و لا لإيراد ما يرد على كل منها من الإشكالات و الاعتراضات احترازا عن الإسهاب و الإطناب و الله الموفق للصواب.

«23»- يد، التوحيد ابْنُ الْوَلِيدِ عَنِ الصَّفَّارِ عَنْ عَبْدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ سَعْدِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ التَّوْحِيدِ فَقَالَ هُوَ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ.

«24»- يد، التوحيد أَبِي عَنْ سَعْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَاشِمٍ وَ يَعْقُوبَ بْنِ يَزِيدَ عَنِ ابْنِ فَضَالٍ عَنِ ابْنِ بُكَيْرٍ عَنْ زُرَّارَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: سَمِعْتُهُ وَ هُوَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعًا وَ كَرْهًا قَالَ هُوَ تَوْحِيدُهُمْ لِلَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ.

«25»- يد، التوحيد الْأَشْهُدَانِيُّ عَنِ ابْنِ مَهْرَوَيْهِ عَنِ الْفَرَّاءِ عَنِ الرِّضَا عَنِ أَبِيهِ عَنْ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ التَّوْحِيدُ نِصْفُ الدِّينِ وَ اسْتَنْزَلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ.

قال الصدوق في كتاب التوحيد بعد نقل خبر أعرابي سمعت من أثق بدينه و معرفته باللغة و الكلام يقول إن قول القائل واحد و اثنان و ثلاثة إلى آخره إنما وضع في أصل اللغة للإبانة عن كمية ما يقال عليه لا لأن له مسمى يتسمى به بعينه أو لأن

له معنى سوى ما يتعلمه الإنسان لمعرفة الحساب و يدور عليه عقد الأصابع عند ضبط الآحاد والعشرات والمئات والألوف ولذلك متى أراد مرید أن يخبر غيره عن كمية شىء بعينه سمّاه باسمه الأخصّ ثم قرن لفظة الواحد به و علّقه عليه يدلّ به على كمية لا على ما عدا ذلك من أوصافه و من أجله يقول القائل درهم واحد وإنما يعنى به أنه درهم فقط وقد يكون الدرهم درهما بالوزن و درهما بالضرب فإذا أراد المخبر أن يخبر عن وزنه قال درهم واحد بالوزن و إذا أراد أن يخبر عن عدده أو ضربه قال درهم واحد بالعدد و درهم واحد بالضرب و على هذا الأصل يقول القائل هو رجل واحد و قد يكون الرجل واحدا بمعنى أنه إنسان و ليس بإنسانين و رجل ليس برجلين و شخص ليس بشخصين و يكون واحدا فى الفضل واحدا فى العلم واحدا فى السخاء واحدا فى الشجاعة فإذا أراد القائل أن يخبر عن كميته قال هو رجل واحد فدل ذلك من قوله على أنه رجل و ليس هو برجلين و إذا أراد أن يخبر عن فضله قال هذا واحد عصره فدل ذلك على أنه لا ثانى له فى الفضل و إذا أراد أن يدل على علمه قال إنه واحد فى علمه فلو دلّ قوله واحد بمجرد على الفضل و العلم كما دل بمجرد على الكمية لكان كل من أطلق عليه لفظة واحد أراد فاضلا لا ثانى له فى فضله و عالما لا ثانى له فى علمه و جوادا لا ثانى له فى جوده فلما لم يكن كذلك صح (1) أنه بمجرد لا يدل إلا على كمية الشىء دون غيره و إلا لم يكن لما أضيف إليه من قول القائل واحد عصره و دهره فائدة و لا كان لتقييده بالعلم و الشجاعة معنى لأنه كان يدل بغير تلك الزيادة و بغير ذلك التقييد على غاية الفضل و غاية العلم و الشجاعة فلما احتيج معه إلى زيادة لفظ و احتيج إلى التقييد بشىء صح ما قلناه فقد تقرر أن لفظة القائل واحد إذا قيل على الشىء دل بمجرد على كمية فى اسمه الأخص و يدل بما يقترن به على فضل المقول عليه و على كماله و على توحيده بفضله و علمه و جوده و تبين أن الدرهم الواحد قد يكون درهما واحدا بالوزن و درهما واحدا بالعدد و درهما واحدا بالضرب و قد يكون بالوزن درهمين و بالضرب درهما واحدا و يكون بالدوانيق ستة دوانيق و بالفلوس

ص: 241

1- فى نسخة: فلما لم يكن كذلك وضح.



ستين فلسا و يكون بالأجزاء كثيرا و كذلك يكون العبد عبدا واحدا و لا يكون عبدين بوجه و يكون شخصا واحدا و لا يكون شخصين بوجه و يكون أجزاء كثيرة و أبعاضا كثيرة و كل بعض من أبعاضه يكون جواهر كثيرة متحدة اتحد بعضها ببعض و تركب بعضها مع بعض و لا يكون العبد واحدا و إن كان كل واحد منه فى نفسه إنما هو عبد واحد و إنما لم يكن العبد واحدا لأنه ما من عبد إلا و له مثل فى الوجود أو فى المقدور و إنما صح أن يكون للعبد مثل لأنه لم يتوحد بأوصافه التى من أجلها صار عبدا مملوكا و وجب لذلك أن يكون الله عز و جل متوحدا بأوصافه العلى و أسمائه الحسنى ليكون إلها واحدا فلا يكون له مثل و يكون واحدا لا شريك له و لا إله غيره فالله تبارك و تعالى إله واحد لا إله إلا هو و قديم واحد لا قديم إلا هو و موجود واحد ليس بحال و لا محل و لا موجود كذلك إلا هو و شىء واحد لا يجانسه و لا يشاكله شىء و لا يشبهه شىء و لا شىء كذلك إلا هو فهو كذلك موجود غير منقسم فى الوجود و لا فى الوهم و شىء لا يشبهه شىء بوجه و إله لا إله غيره بوجه و صار قولنا يا واحد يا أحد فى الشريعة اسما خاصا له دون غيره لا يسمى به إلا هو عز و جل كما أن قولنا الله اسم لا يسمى به غيره.

و فصل آخر فى ذلك و هو أن الشىء قد يعد مع ما جانسه و شاكله و ماثله يقال هذا رجل و هذان رجلان و ثلاثة رجال و هذا سواد و هذان عبدان و هذان سوادان و لا يجوز على هذا الأصل أن يقال هذان إلهان إذ لا إله إلا إله واحد فالله لا يعد على هذا الوجه و لا يدخل فى العدد من هذا الوجه بوجه و قد يعد الشىء مع ما لا يجانسه و لا يشاكله يقال هذا بياض و هذان بياض و سواد و هذا محدث و هذان محدثان و هذان ليسا بمحدثين و لا بمخلوقين بل أحدهما قديم و الآخر محدث و أحدهما رب و الآخر مربوب فعلى هذا الوجه يصح دخوله فى العدد و على هذا النحو قال الله تبارك و تعالى: مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا الآية (1) و كما أن قولنا فلان إنما هو رجل واحد لا يدل على فضله بمجرد ذلك قولنا فلان ثانى فلان لا يدل بمجرد ذلك إلا على كونه و إنما يدل على فضله متى قيل إنه ثانية فى الفضل أو فى الكمال أو العلم.

ص: 242

1- المجادلة: 7.

فأما توحيد الله تعالى ذكره فهو توحيد بصفاته العلى (1) وأسمائه الحسنى ولذلك كان إلهها واحدا لا شريك له ولا شبيهه والموحد هو من أقر به على ما هو عليه عز وجل من أوصافه العلى وأسمائه الحسنى على بصيرة منه ومعرفة وإيقان وإخلاص وإذا كان ذلك كذلك فمن لم يعرف الله عز وجل متوحدا بأوصافه العلى وأسمائه الحسنى ولم يقر بتوحيده بأوصافه العلى فهو غير موحد وربما قال جاهل من الناس إن من وحد الله وأقر أنه واحد فهو موحد وإن لم يصفه بصفاته التى توحد بها لأن من وحد الشىء فهو موحد فى أصل اللغة فيقال له أنكرونا ذلك لأن من زعم أن ربه إله واحد وشىء واحد ثم أثبت معه موصوفا آخر بصفاته التى توحد بها فهو عند جميع الأمة وسائر أهل الملل ثنوى غير موحد ومشارك مشبه غير مسلم وإن زعم أن ربه إله واحد وشىء واحد وموجود واحد وإذا كان كذلك وجب أن يكون الله تبارك وتعالى متوحدا بصفاته التى تفرد بالإلهية من أجلها وتوحد بالوحدانية لتوحده بها ليستحيل أن يكون إله آخر ويكون الله واحدا والإله واحدا لا شريك له ولا شبيهه لأنه إن لم يتوحد بها كان له شريك وشبيه كما أن العبد لما لم يتوحد بأوصافه التى من أجلها كان عبدا كان له شبيه ولم يكن العبد واحدا وإن كان كل واحد منا عبدا واحدا وإذا كان كذلك فمن عرفه متوحدا بصفاته وأقر بما عرفه واعتقد ذلك كان موحدا وتوحيد ربه عارفا والأوصاف التى توحد الله تعالى بها وتوحد بربوبيته لتفرد بها فى الأوصاف التى يقتضى كل واحد منها أن لا يكون الموصوف بها إلا واحدا لا يشاركه فيه غيره ولا يوصف به إلا هو وتلك الأوصاف هى كوصفنا له بأنه موجود واحد لا يصح أن يكون حالا فى شىء ولا يجوز أن يحله شىء ولا يجوز عليه العدم والفناء والزوال مستحق للوصف بذلك بأنه أول الأولين وآخر الآخرين قادر يفعل ما يشاء لا يجوز عليه ضعف ولا عجز مستحق للوصف بذلك لأنه أقدر القادرين وأقهر القاهرين عالم لا يخفى عليه شىء ولا يعزب عنه شىء لا يجوز عليه جهل ولا سهو ولا شك ولا نسيان مستحق للوصف بذلك بأنه أعلم العالمين حى لا يجوز عليه موت ولا نوم

ص: 243

---

1- فى نسخة: فهو توحده بصفاته العلى.

ولا ترجع إليه منفعة ولا تناله مضرة مستحق للوصف بذلك بأنه أبقى الباقيين وأكمل الكاملين فاعل لا يشغله شىء عن شىء ولا يعجزه شىء ولا يفوته شىء مستحق للوصف بذلك بأنه إله الأولين والآخريين وأحسن الخالقين وأسرع الحاسبين غنى لا يكون له قلة مستغن لا يكون له حاجة عدل لا تلحقه مذمة ولا ترجع إليه منقصة حكيم لا يقع منه سفاهة رحيم لا يكون له رقة ويكون في رحمته سعة حلیم لا يلحقه موجدة (1) ولا يقع منه عجلة مستحق للوصف بذلك بأنه أعدل العادلين وأحكم الحاكمين وأسرع الحاسبين وذلك لأن أول الأولين لا يكون إلا واحدا وكذلك أقدر القادرين وأعلم العالمين وأحكم الحاكمين وأحسن الخالقين وكل ما جاء على هذا الوزن فصح بذلك ما قلناه وبالله التوفيق ومنه العصمة والتسديد.

## باب 7 عبادة الأصنام والكواكب والأشجار والنيرين وعلّة حدوثها وعقاب من عبدها أو قرب إليها قربانا

الآيات؛

الأنعام: «قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا» (71)

الأعراف: «أَيُّدٍ رُكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلِقُونَ\* وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصراً وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ\* وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدْعَاؤُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ\* إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالِكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسِّرْ تَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ\* أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْتَاطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونَ\* إِنَّ وَلِيَّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ\* وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ\* وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ» (191-198)

يونس: «وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هُوَ إِلَهُنا فَادْعُوا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُبْتُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ» (18)

ص: 244

1- الموجدة بفتح الميم وسكون الواو: الغضب.

(وقال تعالى): «قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنْتَى تُؤْفَكُونَ\* قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِي فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» (34-35)

هود: «فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمَوْفُونَ بِمَا نَصَبْنَاهُمْ مِنْ قَبْلُ مِنْ قَبْلُ» (109)

النحل: «أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَا لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ» (17) (وقال تعالى): «وَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ\* شَيْئاً وَ هُمْ يُخْلَقُونَ أَمْواتٌ غَيْرِ أَحْيَاءٍ وَ مَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ\* إلهِكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَ هُمْ مُسْتَكْبِرُونَ» (20-22) (وقال تعالى): «وَ اللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ الْفُضِّلُوا بِرَادَى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ» (71) (وقال تعالى): «وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِنَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ شَيْئاً وَ لَا يَسْتَطِيعُونَ\* فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ\* ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَ مَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْ رِزْقِنَا حَسَناً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَ جَهراً هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ\* وَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَ هُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَ مَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ هُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» (73-76)

مريم: «يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَ لَا يُبْصِرُ وَ لَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً» (42)

الحج: «يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ\* يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَى وَ لَيْسَ الْعَشِيرُ» (12-13) (وقال): «يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَ لو اجْتَمَعُوا لَهُ وَ إِنْ يَسْأَلُهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْفِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَ الْمَطْلُوبِ\* مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ» (73-74)

الفرقان: «وَ إِذَا رَأَوْكَ أَنْ يَنْخُدُوكَ إِلَّا هُزُوا أ هَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً\* إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْ لَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَ سَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرُونَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً\*»

أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا» (41-43) (وقال الله تعالى): «وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا» (55)

الشعراء: «وَآتَلَ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ \* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ \* قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُّ لَهَا عَاكِفِينَ \* قَالَ هَلْ يَسِّرُ مَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ \* أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ \* قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ \* قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ \* أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَامُونَ \* فإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ \* (إلى قوله تعالى) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ \* وَقِيلَ لَهُمْ آيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ \* مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ \* فَكُذِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ \* وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ \* قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ \* تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ \* إِذْ نُسَوِّبُكُمْ رَبَّ الْعَالَمِينَ \* وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ \* فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ \* وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ \* فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» (69-102)

النمل: «وَجَدْتُمَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ \* أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَ مَا تُعْلِنُونَ \* اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ» (24-26)

العنكبوت: «إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَ تَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَ اعْبُدُوهُ وَ اشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» (17) (إلى قوله تعالى): «وَ قَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَ يَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَ مَاوَاكُمُ النَّارُ وَ مَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ» (17-25)

الروم: «وَ يَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ \* وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَ كَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ (إلى قوله تعالى): ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» (12-28)

يس: «أَاتَّخَذَ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنْهُ شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَ لَا يُنْقِذُونِ \* إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ» (23-24)

الصفات: «إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ\* وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَيْتَنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ» (35-36) (وقال تعالى): «أَإِنكُمُ  
إِلَهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ\* فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (إلى قوله): «أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ\* وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ» (86-96) (وقال تعالى):  
«أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ\* اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ» (125-126)

ص: «أَجَعَلَ الْإِلَهَةَ الْإِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ\* وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ\* مَا سَمِعْنَا  
بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ» (5-7)

الزمر: «فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ\* أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ  
بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» (2-3) (وقال عز وجل): «وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ  
دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ» (38)  
(وقال تعالى): «أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْ لَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ\* قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ  
الْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ\* وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْتَدَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ» (43-44)

(45)

المؤمن: «قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» (66) (إلى قوله  
تعالى): «إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسَبِّحُونَ\* فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسَبِّحُونَ\* ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ\* مِنْ دُونِ اللَّهِ  
قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ» (71-74)

السجدة: «لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ» (37)

حمعسق: «وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ» (6)

الزخرف: «وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ

ص: 247

يَعْلَمُونَ\* وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَانَّى يُؤْفَكُونَ» (86-87)

الجاثية: «أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ» (23)

الأحقاف: «قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ اثْنُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ\* وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ\* وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ» (4-6) (وقال تعالى): «أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ\* قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (إلى قوله تعالى): «فَلَوْ لَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ» (21-28)

النجم: «أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ\* وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ\* أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ\* تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ\* إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ» (19-23)

الجحد: «قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ\* لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (إلى آخر السورة).

أقول: سيأتي الآيات الكثيرة في ذلك في كتاب النبوة وكتاب الاحتجاج وكتاب المعاد.

(1)-فس، تفسير القمي قوله: وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا قَالَ كَانَ قَوْمٌ مُؤْمِنُونَ قَبْلَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَمَاتُوا فَحَزِنَ عَلَيْهِمُ النَّاسُ فَجَاءَ إِبْلِيسُ فَاتَّخَذَ لَهُمْ صُورَهُمْ لِيَأْتِسُوا بِهَا فَيَأْتِسُوا بِهَا فَلَمَّا جَاءَهُمُ الشِّتَاءُ أَدْخَلُوهُمْ الْبُيُوتَ فَمَضَىٰ ذَلِكَ الْقَرْنَ وَجَاءَ الْقَرْنُ الْآخَرَ فَجَاءَهُمْ إِبْلِيسُ فَقَالَ لَهُمْ إِنَّ هَؤُلَاءِ آلِهَةٌ كَانُوا آبَاؤُكُمْ يَعْبُدُونَهَا فَعَبَدُوهُمْ وَصَلَّ مِنْهُمْ بَشَرٌ كَثِيرٌ فَدَعَا عَلَيْهِمْ نُوحٌ فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ.

(2)-فس، تفسير القمي وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا قَالَ كَانَ قَوْمٌ مُؤْمِنُونَ قَبْلَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَمَاتُوا فَحَزِنَ عَلَيْهِمُ النَّاسُ فَجَاءَ إِبْلِيسُ فَاتَّخَذَ لَهُمْ صُورَهُمْ لِيَأْتِسُوا بِهَا فَيَأْتِسُوا بِهَا فَلَمَّا جَاءَهُمُ الشِّتَاءُ أَدْخَلُوهُمْ الْبُيُوتَ فَمَضَىٰ ذَلِكَ الْقَرْنَ وَجَاءَ الْقَرْنُ الْآخَرَ فَجَاءَهُمْ إِبْلِيسُ فَقَالَ لَهُمْ إِنَّ هَؤُلَاءِ آلِهَةٌ كَانُوا آبَاؤُكُمْ يَعْبُدُونَهَا فَعَبَدُوهُمْ وَصَلَّ مِنْهُمْ بَشَرٌ كَثِيرٌ فَدَعَا عَلَيْهِمْ نُوحٌ فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ.

ص: 248

1- بدومة الجندل.

2- كانت لهم برهاط من أرض ينبع- وينبع عرض من أعراض المدينة- وكان سدنتها بنو لحيان.

3- ثم لبني غطيف بالجرف عند سبا.

(3) -ب، قرب الإسناد هارون عن ابن صدقة عن جعفر عن أبيه أن علياً صلوات الله عليه سئل عن أسافٍ و نائلة و عبادة قرئش لهما فقال نعم كانا شائين صبيحين و كان بأحدهما تأنيث و كانا يطوفان بالبيت فصادفاً من البيت خلوة فأراد أحدهما صاحبه ففعل فمس خهما الله حجرين فقالت قرئش لو لا أن الله تبارك و تعالى رضى أن يعبدا معه ما حولهما عن حالهما (2).

(4) -ع، علل الشرائع في أسئلة الشامى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه سئل عن أول من كفر و أنشأ الكفر فقال عليه السلام إبليس لعنه الله.

(5) -ع، علل الشرائع أبي عن سعد عن ابن أبي الخطاب و ابن عيسى عن محمد بن سنان عن إسماعيل بن جابر و كرام بن عمرو عن عبد الحميد بن أبي الديلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن قاييل لما رأى النار قد قبلت فربان هايل قال له إبليس إن هايل كان يعبد تلك النار فقال قاييل لا أعبد النار التي عبدها هايل و لكن أعبد ناراً أخرى و أقرب قرباناً لها فتقبل قرباني فبني بيوت النار فقرب و لم يكن له علم بربه عز و جل و لم يرث منه ولده إلا عبادة النيران.

ص، قصص الأنبياء عليهم السلام بالإسناد إلى الصدوق عن ابن الوليد عن الصفار عن ابن أبي الخطاب عن ابن سنان مثله.

(6) -ع، علل الشرائع أبي عن سعد عن ابن عيسى عن ابن محبوب عن ابن التعمان عن برید العجلي قال قال أبو جعفر عليه السلام إنما سمي العود خلافاً لأن إبليس عمل صورة سواع على خلاف صورة و د فسمى العود خلافاً.

و هذا في حديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة بيان إنما سمي العود أى الشجرة المعهودة خلافاً لأن إبليس عمل سواعا منها على خلاف و د فلذلك سميت بها.

ص: 249

1- كذا في النسخ و لكن الصحيح «لحمير» عبده بأرض يقال لها: بلخع، و كان لحمير أيضاً بيت بصنعاء يقال له: رثام، يعظمونه و يتقربون عنده بالذبايح. و فى القاموس النسرة: صنم كان لدى الكلاخ بأرض حمير.

2- الحديث موضوع و هو قصة تاريخية خرافية ط.



(7) -ع، علل الشرائع أبي عن سعد بن ابن عيسى عن محمد البرقي عن حماد بن عيسى عن حريز (1) عن جعفر بن محمد عليهما السلام في قول الله عز وجل وقالوا لا تدزن آلهتكم ولا تدزن ودا ولا سوعا ولا يعوث ويعوق ونسرا قال كانوا يعبدون الله عز وجل فماتوا فصاح قومهم وشق ذلك عليهم فجاءهم إبليس لعنه الله فقال لهم اتخذ لكم أصناما على صورهم فتنتظرون إليهم وتانسون بهم وتعبدون الله فأعد لهم أصناما على مثالهم فكانوا يعبدون الله عز وجل وينظرون إلى تلك الأصنام فلما جاءهم الشتاء والأمطار أدخلوا الأصنام البيوت فلم يزالوا يعبدون الله عز وجل حتى هلك ذلك القرن ونشأ أولادهم فقالوا إن آباءنا كانوا يعبدون هؤلاء فعبدوهم من دون الله عز وجل فذلك قول الله تبارك وتعالى ولا تدزن ودا ولا سوعا الآية.

(8) -ص، قصص الأنبياء عليهم السلام بالإسناد عن الصدوق رحمه الله عن ابن المتوكل عن الحميري عن ابن عيسى عن ابن محبوب عن الأحول عن بريد بن معاوية قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في مسجد النبي صلى الله عليه وآله إن إبليس اللعين هو أول من صور صورة على مثال آدم عليه السلام ليقتن به الناس ويضلمهم عن عبادة الله تعالى وكان ودا في ولد قاييل وكان خليفة قاييل على ولده وعلى من يحضرتهم في سفح الجبل يعظمونه ويسودونه فلما أن مات ودا جزع عليه إخوته وخلف عليهم ابنا يقال له سواع فلم يغن غناء أبيه منهم فاتاهم إبليس في صورة شيخ فقال قد بلغني ما أصببتم به من موت ودا عظيمكم فهل لكم في أن أصور لكم على مثال ودا صورة تستريحون إليها وتانسون بها قالوا أفعل فعمد الخبيث إلى الأنك (2) فأذابه حتى صار مثل الماء ثم صور لهم صورة مثال ودا في بيته فدافعوا على الصورة يلثمونها ويصمون خدودهم عليها ويسجدون لها وأحب سواع أن يكون التعظيم والسجود له فوثب على صورة ودا فحكها حتى لم يدع منها

ص: 250

- 1- لا يخلو الحديث عن احتمال ارسال، لان الكشي روى عن ابن مسعود، عن محمد بن نصير، عن محمد بن قيس، عن يونس قال: لم يسمع حريز بن عبد الله من أبي عبد الله عليه السلام إلا حديثا أو حديثين. انتهى. مع أنا نرى عنه أحاديث كثيرة.
- 2- الأنك بالمد وضم النون: الاسرب أو أبيضه أو أسوده أو خالصه.

شَيْئاً وَ هُمُوا بِقَتْلِ سُوعِ فَوَعظَهُمْ وَقَالَ أَنَا أَقَوْمُ لَكُمْ بِمَا كَانَ يَقَوْمُ بِهِ وَدَّ وَأَنَا ابْنُهُ فَإِنْ قَتَلْتُمُونِي لَمْ يَكُنْ لَكُمْ رَيْسٌ فَمَالُوا إِلَى السُّوعِ بِالطَّاعَةِ وَ  
التَّعْظِيمِ فَلَمْ يَلْبَثْ سُوعٌ أَنْ مَاتَ وَ خَلَفَ ابْنًا يُقَالُ لَهُ يَعُوقُ فَجَزَعُوا عَلَى سُوعِ فَأَتَاهُمْ إِبْلِيسُ وَقَالَ أَنَا الَّذِي صَوَّرْتُ لَكُمْ صُورَةَ وَدَّ فَهَلْ لَكُمْ  
أَنْ أَجْعَلَ لَكُمْ مِثَالَ سُوعِ عَلَى وَجْهِ لَا يَسْتِطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُغَيِّرَهُ قَالُوا فَاذْعَلْ فَعَمَدًا إِلَى عُودٍ فَجَرَّهُ وَ نَصَبَهُ لَهُمْ فِي مَنْزِلِ سُوعِ وَ إِنَّمَا سُمِّيَ ذَلِكَ  
العُودُ خِلَافًا لِأَنَّ إِبْلِيسَ عَمِلَ صُورَةَ سُوعِ عَلَى خِلَافِ صُورَةِ وَدَّ قَالَ فَسَدَّ جُدُودَهُ وَ عَظَّمُوهُ وَ قَالُوا لِيَعُوقُ مَا نَأْمُنُكَ عَلَى هَذَا الصَّنَمِ أَنْ تَكِيدَهُ  
كَمَا كَادَ أَبُوكَ مِثَالَ وَدَّ فَوَضَعُوا عَلَى الْبَيْتِ حُرَّاسًا وَ حُجَابًا ثُمَّ كَانُوا يَأْتُونَ الصَّنَمَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ وَ يُعَظَّمُونَهُ أَشَدَّ مَا كَانُوا يُعَظَّمُونَ سُوعًا فَلَمَّا  
رَأَى ذَلِكَ يَعُوقُ قَتَلَ الْحَرَسَةَ وَ الْحُجَابَ لَيْلًا وَ جَعَلَ الصَّنَمَ رَمِيمًا فَلَمَّا بَلَغَهُمْ ذَلِكَ أَقْبَلُوا لِيَقْتُلُوهُ فَتَوَارَى مِنْهُمْ إِلَى أَنْ طَلَبُوهُ وَ رَأْسُوهُ وَ  
عَظْمُوهُ ثُمَّ مَاتَ وَ خَلَفَ ابْنًا يُقَالُ لَهُ يَعُوقُ فَأَتَاهُمْ إِبْلِيسُ فَقَالَ قَدْ بَلَغَنِي مَوْتُ يَعُوقُ وَ أَنَا جَاعِلٌ لَكُمْ مِثَالَهُ فِي شَيْءٍ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُغَيِّرَهُ  
قَالُوا فَاذْعَلْ فَعَمَدًا الْخَبِيثَ إِلَى حَجَرٍ أبيضَ فَفَرَّهُ بِالْحَدِيدِ حَتَّى صَوَّرَ لَهُمْ مِثَالَ يَعُوقِ فَعَظَّمُوهُ أَشَدَّ مِمَّا مَضَى وَ بَنَوْا عَلَيْهِ بَيْتًا مِنْ حَجَرٍ وَ  
تَبَاعَعُوا أَنْ لَا يَفْتَحُوا بَابَ ذَلِكَ الْبَيْتِ إِلَّا فِي رَأْسِ كُلِّ سَنَةٍ وَ سَمَّيَتِ الْبَيْعَةَ يَوْمئِذٍ لِأَنَّهُمْ تَبَاعَعُوا وَ تَعَاقدُوا عَلَيْهِ فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى يَعُوقِ فَعَمَدًا  
إِلَى رِيظَةٍ وَ خَلَقَ فَالْقَاهَا فِي الْحَائِرِ ثُمَّ رَمَاهَا بِالنَّارِ لَيْلًا فَأَصَبَتْ بِحِ الْقَوْمِ وَ قَدِ احْتَرَقَ الْبَيْتُ وَ الصَّنَمُ وَ الْحَرَسُ وَ ارْفَضَ الصَّنَمَ مُلْقَى فَجَزَعُوا وَ  
هَمُّوا بِقَتْلِ يَعُوقِ فَقَالَ لَهُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ رَيْسَكُمْ فَسَدَّتْ أُمُورُكُمْ فَكَفُّوا فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ يَعُوقُ وَ خَلَفَ ابْنًا يُقَالُ لَهُ نَسْرٌ فَأَتَاهُمْ إِبْلِيسُ فَقَالَ بَلَغَنِي  
مَوْتُ عَظِيمِكُمْ فَأَنَا جَاعِلٌ لَكُمْ مِثَالَ يَعُوقِ فِي شَيْءٍ لَا يَبْلَى فَقَالُوا أَفْعَلْ فَعَمَدًا إِلَى الذَّهَبِ وَ أَوْقَدَ عَلَيْهِ النَّارَ حَتَّى صَارَ كَالْمَاءِ وَ عَمِلَ مِثَالًا  
مِنَ الطِّينِ عَلَى صُورَةِ يَعُوقِ ثُمَّ أَفْرَغَ الذَّهَبَ فِيهِ ثُمَّ نَصَبَهُ لَهُمْ فِي دَيْرِهِمْ وَ اشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى نَسْرِ وَ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى دُخُولِ تِلْكَ الدَّيْرِ فَانْحَارَ عَنْهُمْ  
فِي فِرْقَةٍ قَلِيلَةٍ مِنْ إِخْوَتِهِ يَعْبُدُونَ نَسْرًا وَ الْآخَرُونَ يَعْبُدُونَ الصَّنَمَ حَتَّى مَاتَ نَسْرٌ وَ ظَهَرَتْ نُبُوَّةُ إِدْرِيسَ فَبَلَغَهُ حَالُ الْقَوْمِ وَ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ جِسْمًا  
عَلَى مِثَالِ يَعُوقِ وَ أَنَّ نَسْرًا كَانَ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَسَارَ إِلَيْهِمْ بِمَنْ مَعَهُ حَتَّى نَزَلَ مَدِينَةَ

نَسْرٍ وَهُمْ فِيهَا فَهَزَمَهُمْ (1) وَقُتِلَ مَنْ قُتِلَ وَهَرَبَ مَنْ هَرَبَ فَتَفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ وَأَمَرَ بِالصَّنَمِ فَحُمِلَ وَالْقَيْ فِي الْبَحْرِ فَاتَّخَذَتْ كُلُّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ صَنَمًا وَسَمَّوْهَا بِأَسْمَائِهَا فَلَمْ يَزَالُوا بَعْدَ ذَلِكَ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ لَا يَعْرِفُونَ إِلَّا تِلْكَ الْأَسْمَاءَ ثُمَّ ظَهَرَتْ بُيُوتُ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ (2) فَدَعَاَهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحَدَّهَ وَتَرَكَ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنَ الْأَصْنَامِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَئُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا

بيان: ارفضاض الشىء تفرقه وترفض تكسر وانحاز عنه عدل.

(9)-ثو، ثواب الأعمال أَبِي عَنْ سَعِيدٍ عَنِ الْبَرَقِيِّ عَنْ أَبِي الْجَوْزَاءِ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ مُنْذِرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: ذَكَرَ أَنَّ سَلْمَانَ قَالَ إِنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْجَنَّةَ فِي ذُبَابٍ وَآخَرَ دَخَلَ النَّارَ فِي ذُبَابٍ فَقِيلَ لَهُ وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ قَالَ مَرَّ عَلَيَّ قَوْمٌ فِي عَيْدٍ لَهُمْ وَقَدْ وَصَدُوا أَسْمًا نَامًا لَهُمْ لَا يَجُوزُ بِهِمْ أَحَدٌ حَتَّى يُقَرَّبَ إِلَى أَسْمٍ نَامِيهِمْ قُرْبَانًا قَلَّ أَمْ كَثُرَ فَقَالُوا لَهُمَا لَا تَجُوزَا حَتَّى تَقْرَبَا كَمَا يُقَرَّبُ كُلُّ مَنْ مَرَّ فَقَالَ أَحَدُهُمَا مَا مَعِيَ شَيْءٌ أَقْرَبِيهِ وَأَخَذَ أَحَدُهُمَا ذُبَابًا فَقَرَّبَهُ وَلَمْ يُقَرَّبِ الْآخَرَ فَقَالَ لَا أَقْرَبُ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ شَيْئًا فَقَتَلُوهُ فَدَخَلَ الْجَنَّةَ وَدَخَلَ الْآخَرُ النَّارَ.

(10)-شى، تفسير العياشى عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَتَى رَجُلٌ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَلَمْ يُجِبْهُ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ فَإِنْ كُنْتُ ابْنَ أَبِيكَ فَإِنَّكَ مِنْ أَبْنَاءِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ فَقَالَ لَهُ كَذَبْتَ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ يُنْزِلَ إِسْمَاعِيلَ بِمَكَّةَ فَفَعَلَ فَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ فَلَمْ يَعْبُدْ أَحَدًا مِنْ وُلْدِ إِسْمَاعِيلَ صَدًّا نَمًا قَطُّ وَ لَكِنَّ الْعَرَبَ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ وَقَالَتْ بَنُو إِسْمَاعِيلَ هُوَ لَا شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ فَكَفَرَتْ وَ لَمْ تَعْبُدِ الْأَصْنَامَ.

بيان: لعل المراد أنهم أقروا بوحداية الصانع وإن أشركوا من جهة العبادة والسجود لها فنفي عليه السلام عنهم أعظم أنواع الشرك وهو الشرك فى الربوبية وقد مرت الإشارة إلى الفرق بينهما فى الباب السابق (3).

ص: 252

1- وفى نسخة: فهزم موهم.

2- وفى نسخة: فظهرت نبوة نوح عليه السلام.

3- و الرواية مع ذلك لا تخلو عن شىء؛ فان توحيد الصانع بهذا المعنى أساس الثنوية؛ واتخاذ الأصنام آلهة وعبادتها ليس الا القول بكونهم شفعاء. ط.

«11»-ك، الكافي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَامِرٍ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ رِزْقِ الْغُمَّشَانِيِّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَشَلِّ بِيَاغِ الْأَنْمَاطِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: كَانَتْ فُرَيْشٌ تُطَلِّحُ الْأَصَدَّ نَامَ الَّتِي كَانَتْ حَوْلَ الْكَعْبَةِ بِالْمِسْكِ وَالْعُنْبَرِ وَكَانَ يَعُوثُ قُبَالَةَ الْبَابِ وَكَانَ يَعُوقُ عَنْ يَمِينِ الْكَعْبَةِ وَكَانَ نَسْرُ عَنْ يَسَارِهَا وَكَانُوا إِذَا دَخَلُوا خَرُّوا سُجْدًا لِيَعُوثَ وَلَا يَنْحَنُونَ (1) ثُمَّ يَسْتَدِيرُونَ بِحِيَالِهِمْ إِلَى يَعُوقَ ثُمَّ يَسْتَدِيرُونَ بِحِيَالِهِمْ إِلَى نَسْرٍ ثُمَّ يَلْبَثُونَ فَيَقُولُونَ لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ إِلَّا شَرِيكَ هُوَ لَكَ تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ قَالَ فَبَعَثَ اللَّهُ ذُبَابًا أَخْضَرَ لَهُ أَرْبَعَةٌ أَجْنِحَةٌ فَلَمَّ يَتَّقُ مِنْ ذَلِكَ الْمِسْكِ وَالْعُنْبَرِ شَيْئًا إِلَّا أَكَلَهُ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرِبْ مِثْلَ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ

«12»-فس، تفسير القمي قَالَ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ فِي قَوْلِهِ أَفْرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ قَالَ نَزَلَتْ فِي فُرَيْشٍ وَذَلِكَ أَنَّهُ صَاقَ عَلَيْهِمُ الْمَعَاشَ فَخَرَجُوا مِنْ مَكَّةَ وَتَفَرَّقُوا وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا رَأَى شَجْرَةً حَسَنَةً أَوْ حَجْرًا حَسَنًا هَوَاهُ فَعَبَدَهُ وَكَانُوا يَنْحَرُونَ لَهَا النَّعْمَ وَيُلَطِّخُونَهَا بِالْدَمِ وَيَسْمُونَهَا سَعْدَ صَخْرَةٍ وَكَانَ إِذَا أَصَابَهُمْ دَاءٌ فِي إِبِلِهِمْ وَأَعْنَامِهِمْ جَاءُوا إِلَى الصَّخْرَةِ فَيَتَمَسَّحُونَ بِهَا الْعَنَمَ وَالْإِبِلَ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ بِإِبِلٍ لَهُ يُرِيدُ أَنْ يَتَمَسَّحَ بِالصَّخْرَةِ إِبِلُهُ وَيُبَارِكَ عَلَيْهَا فَتَفَرَّتْ إِبِلُهُ وَتَفَرَّقَتْ فَقَالَ الرَّجُلُ شِعْرًا

أَتَيْتُ إِلَى سَعْدٍ لِيَجْمَعَ شَمْلَنَا\*\*\*فَشَتَّنَا سَعْدٌ فَمَا نَحْنُ مِنْ سَعْدٍ

وَمَا سَعْدٌ إِلَّا صَخْرَةٌ مُسَوَّدَةٌ\*\*\*مِنَ الْأَرْضِ لَا تَهْدِي لِعِغْيٍ وَلَا رُشْدٍ

وَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ وَالْتَعَلَبُ يَبُولُ عَلَيْهِ فَقَالَ شِعْرًا:

أَرَبُّ يَبُولِ الثُّعْلَبَانِ بِرَأْسِهِ\*\*\*لَقَدْ ذَلَّ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثُّعَالِبُ

ص: 253

الآيات؛

النساء: «يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكياً\* لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون» (171-172)

المائدة: «لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً والله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير\* وقالت اليهود ونحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير» (17-18)

أقول: سيأتي كثير من الآيات المتعلقة بعيسى عليه السلام في كتاب النبوة وكثير منها في أبواب الاحتجاجات.

التوبة: «وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون\* اتخذوا أخبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون» (30-31)

يونس: «قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغيب له ما في السموات وما في الأرض إن عددكم من سبطان بهذا أ تقولون على الله ما لا تعلمون» (68)

الإسراء: «أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً إنكم لتقولون قولاً عظيماً» (40)

الكهف: «ويُنذِر الذين قالوا اتخذ الله ولداً\* ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً» (4-5)

مریم: «ما كان لله أن يتخذ من ولدٍ سدِّ بحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كُنْ فيكون» (35) (وقال تعالى): «وقالوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا\* لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا\* تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا\* أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا\* وَ مَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا\* إِنْ كُنَّ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا\* لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا» (88-94)

الأنبياء: «وقالوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُدِّ بحانه بل عبادٌ مُكْرَمُونَ\* لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون\* يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون\* ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين» (26-29)

الصفات: «فأسدَّتْهم أربكُ النباتِ ولهمُ البنونُ\* أم خلقتُ الملائكةَ إناثاً وهم شاهِدُونَ\* ألا إنهم من إفيكهم ليقولون\* ولأد الله وإنهم لكاذبون\* أصطفى النباتِ على البينين\* ما لكم كيف تحكمون\* أفلا تذكرون\* أم لكم سلطانٌ مبين\* فاتوا بكتابكم إن كنتم صادقين\* وجعلوا بينه وبين الجنة سباً ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون\* سبحان الله عما يصفون\* إلا عباد الله المخلصين\* فاتكم وما تعبدون\* ما أنتم عليه بفاتنين\* إلا من هو صالٍ الجحيم\* وما منا إلا له مقامٌ معلوم\* وإنا لنحن الصافون\* وإنا لنحن المسبحون» (149-166)

الزمر: «لو أراد الله أن يتخذ ولداً لأصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار» (4)

الزخرف: «وجعلوا له من عباده جزءاً إن الإنسان لكفورٌ مبين\* أم اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بِنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ\* وإذا بشر أحدكم بما صدَّ ربَّ للرحمن مثلاً ظلَّ وجهه مسوداً وهو كظيم\* أو من يشؤا في الحلية وهو في الخصام غير مبين\* وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويُسئلون\* وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون\* أم آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون\* بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمةٍ وإنا على آثارهم مهتدون» (15-22)

(وقال تعالى): «قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ\* سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ» (81-82)

الطور: «أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبُنُونَ» (39)

النجم: «أَلَكُمْ الذَّكْرُ وَ لَهُ الْأُنثَى\* تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى» (21-22) (وقال تعالى): «إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيْسَ مَوْنِ الْمَلَائِكَةِ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى\* وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا» (27-28)

الجن: «وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا» (3)

(1)-فس، تفسير القمي جعفر بن أحمد عن عبيد الله بن موسى عن الحسن بن علي بن أبي حمزة عن أبيه عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قُلْتُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا قَالَ هَذَا حَيْثُ قَالَتْ قُرَيْشٌ إِنَّ لِلَّهِ وَلَدًا وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ إِنَاثٌ فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى رَدًّا عَلَيْهِمْ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا أَى عَظِيمًا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ مِمَّا قَالُوا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَ كُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا وَاحِدًا وَاحِدًا.

(2)-يد، التوحيد ماجيلويه عن عمه عن البرقي عن اليقطيني عن سليمان بن رشيد عن أبيه عن المفضل قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول الحمد لله الذي لم يلد فيورث ولم يولد فيشارك.

(3)-فس، تفسير القمي قوله قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ يَعْنِي أَوَّلَ الْإِنْفِينَ لَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ (1).

بيان: هذا أحد الوجوه في تأويل هذه الآية قال الجوهري قال أبو زيد العبد بالتحريك الغضب والأنف و الاسم العبدة مثل الأنفة و قد عبد أى أنف و قال أبو عمرو قوله تعالى فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ مِنَ الْأَنْفِ وَالْغَضَبِ انْتَهَى وَ ثَانِيهَا أَنْ يَكُونَ مِنْ قَبِيلِ

ص: 256

1- أنف من العار: ترفع و تنزه عنه. كرهه. و فى الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام: أنا أول العابدين أى الجاحدين

تعليق المحال بالمحال أى ليس له ولد إذ لو كان له ولد لكنت أول العابدين له فإن النبي يكون أعلم بالله وبما يصح له و ما لا يصح وأولى بتعظيم ما يجب تعظيمه و من حق تعظيم الوالد تعظيم ولده و ثالثها أن المعنى إن كان له ولد فى زعمكم فأنا أول العابدين لله الموحدين له المنكرين لقولكم و رابعها أن إن بمعنى ما للنفى و المعنى ما كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين لله المقرين بذلك.

أقول: سياى ما يتضمن نفى الصاحبة و الولد فى باب جوامع التوحيد و سنذكر احتجاج النبي صلى الله عليه و آله على القائلين بالولد فى المجلد الرابع.

## باب 9 النهى عن التفكير فى ذات الله تعالى و الخوض فى مسائل التوحيد و إطلاق القول بأنه شىء

الآيات؛

الزمر: «و ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ» (67)

(1)- شىء، تفسير العياشى عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عن أبيه أن رجلاً قال لأمير المؤمنين عليه السلام هل تصيف ربنا نرداد له حُباً و به معرفة فعضب و خطب الناس فقال فيما قال عليك يا عبد الله بما ذلك عليه القرآن من صفة و تقدسك فيه الرسول من معرفته فأنتم به و استصدي بنور هدايته فأنما هى نعمة و حكمة أوتيتها فخذ ما أوتيت و كن من الشاكرين و ما كلفك الشيطان علمه مما ليس عليك فى الكتاب فرضه و لا فى سنة الرسول و أئمة الهداة أثره فكل علمه إلى الله و لا تقدّر عليه عظمة الله (1) و أعلم يا عبد الله أن الراسخين فى العلم هم الذين أغناهم الله عن الافتحام على السدد المضروبة دون الغيوب إقراراً بجهل ما جهلوا نفس بيده من الغيب المحجوب فقالوا آمنا به كل من عند ربنا و قد مدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً و سمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رُسوخاً.

ص: 257

1- و فى نسخة: و لا تقدر عظمة الله على قدر عقلك فتكون من الهالكين.



بيان: الاقتحام الهجوم و الدخول مغالبة و السدد جمع السدة و هى الباب المغلق و فيه إشكال لدلالته على أن الراسخين فى العلم فى الآية غير معطوف على المستثنى كما دلت عليه الأخبار الكثيرة و سيأتى القول فيه فى كتاب الإمامة (1) إلا أن يقال إن هذا إلزام على من يفسر الآية كذلك أو يقال بالجمع بين التفسيرين على وجهين مختلفين و سيأتى تمام القول فى ذلك فى محله إن شاء الله تعالى.

(2)-ج، الإحتجاج روى عن هشام أنه سأل الرزديقي عن الصادق عليه السلام أن الله تعالى ما هو فقال عليه السلام هو شئىء بخلاف الأشياء (2) أزعج بقولى شئىء إلى شئىء بحقيقة الشئىة غير أنه لا جسم ولا صورة ولا يحس ولا يحس (3) ولا يدرك بالحواس الخمس لا تدركه الأوهام ولا تنقصه الدهور ولا تغيره الأزمان الخبر.

بيان: اعلم أن الشئىء مساو للموجود إذا أخذ الوجود أعم من ذهنى و الخارجى و المخلوط بالوجود من حيث الخلط شئىء و شئىة كونه ماهية قابلة له و قيل إن الوجود عين الشئىة فإذا عرفت هذا فالمراد بقوله بحقيقة الشئىة أى بالشئىة الحقة الثابتة له فى حد ذاته لأنه تعالى هو الذى يحق أن يقال له شئىء أو موجود لكون وجوده بذاته ممتنع الانفكاك عنه و غيره تعالى فى معرض العدم و الفناء و ليس وجودهم إلا من غيرهم أو المراد أنه يجب معرفته بمحض أنه شئىء لا أن يثبت له حقيقة معلومة مفهومة يتصدى لمعرفتها فإنه يمتنع معرفة كنه ذاته و صفاته و قيل إنه إشارة إلى أن الوجود عين ذاته تعالى.

ص: 258

- 1- قد بينا فى تفسير «الميزان» انه هو المتيقن فى الآية، و تكلمنا فى الاخبار الكثيرة التى يشير إليها. ط.
- 2- أى هو موجود يخالف سائر الموجودات، فان سائر الموجودات لها وجود و ماهية زائدة على وجودها، و لكن الله تعالى حقيقته صرف الوجود، و عين الوجود، و له حقيقة الشئىة و هى الوجود. ثم بين عليه السلام وجه اختلافه تعالى مع سائر الأشياء بقوله: غير أنه لا جسم إلخ. و لعله عليه السلام أشار بقوله: هو شئىء بخلاف الأشياء إلى أنه لا يعرف أحد حقيقة ذاته و صفاته، وإنما يعرف بمفهوم سلبى و هو أنه موجود مغاير لخلقه فى الذات و الصفات، مثل المكان و الحدوث و الجسمية و غيرها.
- 3- بالجيم إمّا من جسده بيده أى مسه بيده ليتعرفه، أو بعينه أى أحد النظر إليه ليتبينه، و إمّا من جس الاخبار و الأمور أى بحث و تفحص عنها

(3)-لى، الأمالى للصدوق أبى عن الحَمِيرى عن ابن عيسى عن أبيه عن ابن أبي عمير عن مُحَمَّد بن حُمَران عن أبى عبيدة الحذاء قال قال أبو جعفر عليه السلام يا زياد إياك و الحُصومات فإنها تُورث الشكَّ و تُحبطُ العملَ و تُردى صاحبها و عسى أن يتكلم الرجلُ بالشئِ ء لا يُغفرُ له يا زياد إنَّه كانَ فيما مضى قومٌ تركوا علمَ ما وُكِّلوا به (1) و طلبوا علمَ ما كُفِّوه (2) حتَّى انتهَى بهمُ الكلامُ إلى الله عزَّ و جلَّ فتَحَيَّرُوا فإنَّ كانَ الرَّجُلُ ليدعى من بين يديه فيُحِبُّ من خلفه أو يدعى من خلفه فيُحِبُّ من بين يديه.

سن، المحاسن أبى عن ابن أبى عمير مثله.

(4)-لى، الأمالى للصدوق ابن الوليد عن الصَّفَّار عن البرقي عن أبيه عن صفوان بن يحيى عن أبى اليسع (3) عن سليمان بن خالد قال قال أبو عبد الله عليه السلام إياكم و التَّفَكُّر فى الله فإن التَّفَكُّر فى الله لا يزيدُ إلا تَبَهًا (4) إنَّ الله عزَّ و جلَّ لا تُدرِكُه الأبصارُ و لا يُوصَفُ بِمِقْدَارٍ.

(5)-ن، عيون أخبار الرضا عليه السلام ابن إدريس عن أبيه عن ابن بُندار عن مُحَمَّد بن عليِّ الكوفيِّ عن مُحَمَّد بن عبد الله الخراسانيِّ خادم الرضا عليه السلام قال: قال بعضُ الرنادقة لأبى الحسن عليه السلام هل يُقالُ لله إنَّه شئٌ ء فقال نعم و قد سمى نفسه بذلك فى كتابه فقال قل أى شئ ء أكبرُ شهادةً قل اللهُ شهيدٌ بينى و بينكم فهو شئٌ ء ليسَ كمثلِه شئٌ ء.

(6)-فس، تفسير القمى قوله و أن إلى ربك المُنتهى حدَّثنى أبى عن ابن أبى عمير عن جميلٍ عن أبى عبد الله عليه السلام قال إذا انتهَى الكلامُ إلى الله فأمسكوا و تكلموا فيما دون العرشِ و لا تكلموا فيما فوق العرشِ فإن قوماً تكلموا فيما فوق العرشِ فتاهت عقولُهُم حتَّى

ص: 259

1- أى علم ما كلفوا به، و هو العلم بما أمر الله به و نهاه عنه، و العلم بمحجوباته و مبعوضاته.

2- أى علم ما كفاهم الله مؤنته- ان كان من الكفاية- أو علم ما صرفه الله عنهم- ان كان من الكف و المراد التفحص عما كانت أفهام البشر عن دركه قاصرة، كالكلام فى العرش و ما فوقه، و الكلام فى كنه الذات و الصفات.

3- الظاهر هو عيسى بن السرى أبو اليسع الكرخى البغداديّ، وثقه ثقة النجاشي و غيره، روى عن أبى عبد الله عليه السلام، له كتاب.

4- أى تحيرا و ضلالا.

كَانَ الرَّجُلُ يُنَادِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ فَيَجِيبُ مِنْ خَلْفِهِ وَ يُنَادِي مِنْ خَلْفِهِ فَيَجِيبُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ.

بيان: التكلم فيما فوق العرش كناية عن التفكير في كنه ذاته وصفاته تعالى فالمراد إما الفوقية المعنوية أو بناء على زعمهم حيث قالوا بالجسم والصورة ويحتمل على بعد أن يكون المراد التفكير في الخلا البحت بعد انتهاء الأبعاد.

(7)-«شى، تفسير العياشى عَنْ رَبِيعٍ عَمَّنْ ذَكَرَهُ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِ اللَّهِ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا قَالَ الْكَلَامُ فِي اللَّهِ وَالْجِدَالُ فِي الْقُرْآنِ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ قَالَ مِنْهُمْ الْقَصَاصُ.

بيان: القصاص علماء المخالفين فإنهم كرواة القصص والأكاذيب فيما يبنون عليه علومهم وهم يخوضون في تفاسير الآيات وتحقيق صفات الذات بالظنون والأوهام لانحرافهم عن أهل البيت عليهم السلام.

(8)-«يد، التوحيد مع، معانى الأخبار أَبِي عَنْ عَلِيٍّ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَمْرٍو الْفُقَيْمِيِّ (1) عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ لِلزُّنْدِيقِ حِينَ سَأَلَهُ عَنِ اللَّهِ مَا هُوَ قَالَ هُوَ شَيْءٌ بِخِلَافِ الْأَشْيَاءِ أُرْجِعْ بِقَوْلِي شَيْءٌ إِلَى إِبْطَاتِ مَعْنَى وَأَنَّهُ شَيْءٌ بِحَقِيقَةِ الشَّيْئَةِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا جِسْمٌ وَلَا صُورَةٌ.

(9)-«يد، التوحيد مع، معانى الأخبار أَبِي عَنْ سَعْدِ بْنِ الْبَرْقِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَيْسَى عَمَّنْ ذَكَرَهُ رَفَعَهُ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ سَدَّ ثَلَاثَ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ شَيْءٌ قَالَ نَعَمْ تُخْرِجُهُ مِنَ الْحَدِيثِ حَدَّ التَّعْطِيلِ وَ حَدَّ التَّشْبِيهِ.

ج، الإحتجاج مرسلا مثله بيان حد التعطيل هو عدم إثبات الوجود والصفات الكمالية والفعلية والإضافية له تعالى و حد التشبيه الحكم بالاشتراك مع الممكنات فى حقيقة الصفات وعوارض الممكنات.

(10)-«يد، التوحيد الْعَطَّارُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَهْلِ قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَنَةَ خَمْسٍ

ص: 260

1- نسبة إلى فقيم- وزان هذيل- بطن من دارم وهم بنو فقيم بن جرير بن دارم، وأما النسبة إلى فقيم كنانة «فقمى» كعربى، نص على ذلك فى القاموس وغيره.

وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ قَدِ اخْتَلَفَ يَا سَدِيدِي أَصْحَابُنَا فِي التَّوْحِيدِ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ هُوَ جِسْمٌ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ هُوَ صُورَةٌ فَإِنْ رَأَيْتَ يَا سَدِيدِي أَنْ تُعَلِّمَنِي مِنْ ذَلِكَ مَا أَقْبُ عَلَيْهِ وَ لَا أَجُورُهُ فَعَلَّتْ مُتَطَوِّلًا عَلَى عَبْدِكَ فَوْقَ بِحْطِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَأَلَتْ عَنِ التَّوْحِيدِ وَ هَذَا عَنْكُمْ مَعْرُوفُ اللَّهِ تَعَالَى وَاحِدٌ أَحَدٌ صَدِّقٌ لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ خَالِقٌ وَ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ يَخْلُقُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى مَا يَشَاءُ مِنَ الْأَجْسَامِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ وَ يُصَوِّرُ مَا يَشَاءُ وَ لَيْسَ بِمُصَوَّرٍ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ وَ تَعَالَى عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ شِبْهُهُ هُوَ لَا غَيْرُهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ.

بيان: و هذا عنكم معزول أى لا يجب عليكم التفكير فى الذات و الصفات بل عليكم التصديق بما وصف تعالى به نفسه.

(11) -سر، السرائر السيارى (1) قَالَ سَمِعْتُ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ لَيْسَ الْعِبَادَةُ كَثْرَةُ الصَّوْمِ وَ الصَّلَاةِ إِنَّمَا الْعِبَادَةُ فِي التَّفَكُّرِ فِي اللَّهِ.

بيان: أى التفكير فى قدرته و عظمته بالتفكر فى عظمة خلقه كما فسر به فى الأخبار الأخر أو بالتفكر فيما جاء عن الله و حججه عليهم السلام فى ذلك.

(12) -يد، التوحيد ابن الوليد عن الصفار عن ابن معروف عن ابن أبي نجران عن حماد بن عثمان عن عبد الرّحيم القصير قال: كَتَبْتُ عَلَى يَدَيْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَعِينٍ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَسَائِلَ فِيهَا أَخْبَرَنِي عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ هَلْ يُوصَفُ بِالصُّورَةِ وَ بِالتَّحْطِيطِ فَإِنْ رَأَيْتَ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ أَنْ تَكْتُبَ إِلَيَّ بِالْمَذْهَبِ الصَّحِيحِ مِنَ التَّوْحِيدِ فَكَتَبَ صَدَّقَنِي اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَى يَدَيْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَعِينٍ سَأَلْتُ رَحِمَكَ اللَّهُ عَنِ التَّوْحِيدِ وَ مَا ذَهَبَ فِيهِ مِنْ قِبَلِكَ فَتَعَالَى اللَّهُ الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُصِفُهُ الْوَاصِدُ فَمُونَ الْمُشَبِّهُونَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى بِخَلْقِهِ الْمُفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ وَ اعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ الْمَذْهَبَ الصَّحِيحَ فِي التَّوْحِيدِ مَا نَزَلَ بِهِ الْقُرْآنُ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ فَانْفِ

ص: 261

1- هو أحمد بن محمد بن سيار أبو عبد الله الكاتب، بصرى، كان من كتاب آل طاهر فى زمن أبى عبد الله عليه السلام، ضعيف الحديث، فاسد المذهب، نص على ذلك النجاشى.

عَنِ اللَّهِ الْبُطْلَانَ وَالتَّشْبِيهِ فَلَا نَفَى وَلَا تَشْبِيهِ هُوَ اللَّهُ الثَّابِتُ الْمُجُودُ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَصِفُهُ الْوَاصِفُونَ وَلَا تَعُدُّ الْقُرْآنَ فَتَضِلَّ بَعْدَ الْبَيَانِ.

بيان: على يدى عبد الملك أى كان هو الرسول و الحامل للكتاب و الجواب.

«(13)- ضا، فقه الرضا عليه السلام إِيَّاكَ وَ الْخُصُومَةَ فَإِنَّهَا تُورِثُ الشَّكَّ وَ تُحِبُّ الْعَمَلَ وَ تُرِيدُ صَاحِبَهَا(1) وَ عَسَى أَنْ يَتَكَلَّمَ بِشَيْءٍ لَا يُغْفَرُ لَهُ(2).»

«(14)- وَ نَرَوِي أَنَّهُ كَانَ فِيمَا مَضَى قَوْمٌ انْتَهَى بِهِمُ الْكَلَامُ إِلَى اللَّهِ جَلَّ وَ عَزَّ فَتَحَيَّرُوا فَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لِيَدْعَى مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ فَيَجِيبُ مِنْ خَلْفِهِ(3).»

«(15)- وَ أَرَوِي تَكَلَّمُوا فِيمَا دُونَ الْعَرْشِ فَإِنَّ قَوْمًا تَكَلَّمُوا فِي اللَّهِ جَلَّ وَ عَزَّ فَتَاهُوا.»

«(16)- وَ أَرَوِي عَنِ الْعَالِمِ عَلَيْهِ السَّلَامِ وَ سَأَلْتُهُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الصِّفَاتِ فَقَالَ لَا تَتَجَاوَزُ مِمَّا فِي الْقُرْآنِ.»

«(17)- وَ أَرَوِي أَنَّهُ قُرِيَ بَيْنَ يَدَيْ الْعَالِمِ عَلَيْهِ السَّلَامِ قَوْلُهُ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ فَقَالَ إِنَّمَا عَنَى أَبْصَارَ الْقُلُوبِ وَ هِيَ الْأَوْهَامُ فَقَالَ لَا تُدْرِكُ الْأَوْهَامُ كَيْفِيَّتَهُ وَ هُوَ يُدْرِكُ كُلَّ وَهْمٍ وَ أَمَّا عِيُونُ الْبَشَرِ فَلَا تَلْحَقُهُ لِأَنَّهُ لَا يُحَدُّ فَلَا يُوصَفُ هَذَا مَا نَحْنُ عَلَيْهِ كُلَّنَا.»

«(18)- يد، التوحيد الدَّقَاقُ عَنِ الْأَسَدِيِّ عَنِ الْبُرْمَكِيِّ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحَسَنِ عَنِ بَكْرِ بْنِ صَالِحٍ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ قَالَ: سُئِلَ أَبُو جَعْفَرٍ الثَّانِي عَلَيْهِ السَّلَامُ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ لِلَّهِ إِنَّهُ شَيْءٌ فَقَالَ نَعَمْ تُخْرِجُهُ مِنَ الْحَدِيثِ حَدَّ التَّعْطِيلِ وَ حَدَّ التَّشْبِيهِ(4).»

«(19)- يد، التوحيد ابنُ مَسْرُورٍ عَنِ ابْنِ بَطَّةَ عَنِ عِدَّةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَنِ الْيَقْتِينِيِّ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا تَقُولُ إِذَا قِيلَ لَكَ أَخْبِرْنِي عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ أَشَيْءٌ هُوَ أَمْ لَا شَيْءٌ هُوَ قَالَ فَقُلْتُ لَهُ قَدْ أَثْبَتَ عَزَّ وَ جَلَّ نَفْسَهُ شَيْئًا حَيْثُ يَقُولُ قُلْ أَيْ شَيْءٌ أَكْبَرُ»

ص: 262

1- أى تهلك صاحبها و تضلها.

2- تقدم الحديث مسندا تحت رقم 3.

3- الظاهر أنه قطعة من الحديث السادس.

4- الظاهر اتّحاده مع ما تقدم تحت رقم 9.

شَهَادَةٌ قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ فَاقُولُ إِنَّهُ شَيْءٌ لَا كَالْأَشْيَاءِ إِذْ فِي نَفْسِي الشَّيْئِيَّةِ عَنْهُ إِنْطَالُهُ وَنَفِيهِ قَالَ لِي صَدَقْتَ وَأَصَبْتَ ثُمَّ قَالَ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلنَّاسِ فِي التَّوْحِيدِ ثَلَاثَةٌ مَذَاهِبٌ نَفْيٌ وَتَشْبِيهٌُ وَإِثْبَاتٌ بِغَيْرِ تَشْبِيهٍِ فَمَذْهَبُ النَّفْيِ لَا يَجُوزُ وَمَذْهَبُ التَّشْبِيهِِ لَا يَجُوزُ لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يُشَبَّهُهُ شَيْءٌ وَالسَّبِيلُ فِي الطَّرِيقَةِ الثَّلَاثَةِ إِثْبَاتٌ بِلَا تَشْبِيهٍِ.

شىء، تفسير العياشى عن هِشَامِ الْمَشْرِقِيِّ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِثْلُهُ وَزَادَ فِي آخِرِهِ وَهُوَ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ أَحَدٌ صَمَدٌ نُورٌ

20- يد، التوحيد ابنُ الْوَلِيدِ عَنِ الصَّفَّارِ عَنِ الْبَرْقِيِّ عَنِ أَبِيهِ عَنِ النَّضْرِ عَنِ يَحْيَى الْحَلَبِيِّ عَنِ ابْنِ مُسَدَّكَانَ عَنِ زُرَّارَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلُوٌّ مِنْ خَلْقِهِ وَخَلَقَهُ خَلُوًّا مِنْهُ وَكُلُّ مَا وَقَعَ عَلَيْهِ اسْمٌ شَيْءٌ مَا خَلَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَهُوَ مَخْلُوقٌ وَاللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ تَبَارَكَ الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ

يد، التوحيد حَمْرَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ الْعَلَوِيُّ عَنِ عَلِيِّ عَنِ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنِ عَلِيِّ بْنِ عَطِيَّةَ عَنِ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِثْلُهُ إِلَى قَوْلِهِ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ

يد، التوحيد مَا جِيلَوِيهِ عَنِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَيْسَى عَنِ يُونُسَ عَنِ أَبِي الْمِعْزَى رَفَعَهُ عَنِ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِثْلُهُ إِلَى قَوْلِهِ فَهُوَ مَخْلُوقٌ مَا خَلَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ.

إيضاح: الخلو بكسر الخاء و سكون اللام الخالى وقوله عليه السلام: خلو من خلقه أى من صفات خلقه أو من مخلوقاته فيدل على نفى الصفات الموجودة الزائدة لأنها لا بد أن تكون مخلوقة لله تعالى بانضمام المقدمتين الأخيرتين المبنيتين على التوحيد و اتصافه بمخلوقه مستحيل لما تقرر من أن الشىء لا يكون فاعلا و قابلا لشىء واحد و يدل أيضا على بطلان ما ذهب إليه جماعة من كونه تعالى معروضا لماهيات الممكنات وقوله عليه السلام: و خلقه خلو منه أى من صفاته أو المراد أنه لا يحل فى شىء بوجه من الوجوه فينفى كونه عارضا لشىء أو حالا فيه أو متمكنا فيه إذ ما من شىء إلا و هو مخلوق له بحكم المقدمتين الأخيرتين.

(21)- يد، التوحيد ابنُ الْوَلِيدِ عَنِ الصَّفَّارِ عَنِ ابْنِ عَيْسَى عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنِ

النَّضْرَ عَنْ ابْنِ حُمَيْدٍ رَفَعَهُ قَالَ: سَأَلَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عَنِ التَّوْحِيدِ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلِيمٌ أَنَّهُ يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أَقْوَامٌ مُتَعَمِّقُونَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ وَالْآيَاتِ مِنْ سُورَةِ الْحَدِيدِ إِلَى قَوْلِهِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ فَمَنْ رَأَى مَا وَرَاءَ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ.

بيان: ظاهره المنع عن التفكر والخوض في مسائل التوحيد والوقوف مع النصوص وقيل المراد أنه تعالى بين لهم صفاته ليتفكروا فيها ولا يخفى بعده.

(22)-سن، المحاسن أبي عن صفوان و ابن أبي عمير معاً عن عبد الرحمن بن الحجاج عن سليمان بن خالد قال قال أبو عبد الله عليه السلام يا سليمان إن الله يقول وأن إلى ربك المنتهى فإذا انتهى الكلام إلى الله فأمسكوا.

(23)-سن، المحاسن أبي عن ابن أبي عمير عن محمد بن يحيى عن عبد الرحيم القصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن شيء من الصفات فقال فرغ يديه إلى السماء ثم قال تعالى الله الجبار إنه من تعاطى ما ثم هلك يقولها مرتين.

بيان: تعالى الله الجبار أي عن أن يكون له جسم أو صورة أو يوصف بصفة زائدة على ذاته وأن يكون لصفاته الحقيقية بيان حقيقي من تعاطى أي تناول بيان ما ثم من صفاته الحقيقية هلك و ضلّ ضالاً بعيداً

(24)-سن، المحاسن بعض أصحابنا عن حسين بن مياح (1) عن أبيه قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول من نظر في الله كيف هو هلك.

(25)-سن، المحاسن أبي عن ابن أبي عمير عن أبي أيوب الخزاز عن محمد بن مسلم قال قال أبو جعفر عليه السلام يا محمد إن الناس لا يزال لهم المنطق حتى يتكلموا في الله فإذا سمعتم ذلك فقولوا لا إله إلا الله الواحد الذي ليس كمثله شيء

ص: 264

1- قال العلامة في القسم الثاني من الخلاصة: الحسين بن مياح- بالياء المنقطة تحتها نقطتين المشددة بعد الميم، و الحاء غير المعجمة بعد الالف- المدائني، روى عن أبيه، قال ابن الغضائري: إنه ضعيف غال. انتهى. وقال النجاشي في ترجمة أبيه: مياح المدائني ضعيف جدا له كتاب يعرف برسالة مياح، و طريقها أضعف منها و هو محمد بن سنان.

بيان: أى إذا سمعتم الكلام فى الله فاقصروا على التوحيد و نفى الشريك منها على أنه لا يجوز الكلام فيه و تبين معرفته إلا بسلب التشابه و التشارك بينه و بين غيره أو إذا أجروا الكلام فى الجسم و الصورة فقولوا ذلك تنزيها له عما يقولون.

«(26)-سن، المحاسن ابن فضال عن ثعلبة عن الحسن الصبيح عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: تكلموا فيما دون العرش ولا تكلموا فيما فوق العرش فإن قوماً تكلموا فى الله فتأهوا حتى كان الرجل ينادى من بين يديه فيجيب من خلفه.

«(27)-سن، المحاسن أبي عن ابن أبي عمير عن حفص أخى مرام عن الفضل بن يحيى قال: سأل أبى الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام عن شئ من الصفة فقال لا تجاوز عما فى القرآن.

«(28)-سن، المحاسن أبو أيوب المدنى عن ابن أبي عمير عن ابن بكير عن ذكره عن أبى عبد الله عليه السلام قال: إن ملكاً كان فى مجلسه فتناول الرب تبارك و تعالى فقصد فما يدرى أين هو.

بيان: أى فقد من مكانه سخطاً من الله عليه أو تحير و سار فى الأرض فلم يعرف له خبر و قيل هو على المعلوم أى فقد ما كان يعرف و كان لا يدرى فى أى مكان هو من الحيرة و لا يخفى ما فيه.

«(29)-سن، المحاسن محمد بن عيسى عن ذكره رفعه قال: سئل أبو جعفر عليه السلام أى يجوز أن يقال لله إنه موجود قال نعم تخرجه من الحدين حد الإبطال و حد التشبيه.

«(30)-م، تفسير الإمام عليه السلام لقد مر أمير المؤمنين عليه السلام على قوم من أخلاط المسلمين ليس فىهم مهاجرى و لا أنصارى و هم قعود فى بعض المساجد فى أول يوم من شعبان و إذا هم يحوضون فى أمر القدر و غيره مما اختلف الناس فيه قد ارتفعت أصواتهم و شدت فيه جدالهم فوقف عليهم و سلم فردوا عليه و سعوا له و قاموا إليه يسألونه القعود إليهم فلم يحفل بهم (1) ثم قال لهم و ناداهم يا معاشر المتكلمين أ لم تعلموا أن لله عبداً قد أسكتتهم خشيته من غير عى و لا بكم و أنهم هم الفصحاء البلغاء الألباء (2) العالمون بالله و أيامه

ص: 265

1- أى فلم يبال بهم و لم يهتم لهم.

2- الالباء جمع اللبيب: العاقل.



وَ لَكِنَّهُمْ إِذَا ذَكَرُوا عَظَمَةَ اللَّهِ انْكَسَرَتْ أَلْسِنَتُهُمْ وَ انْقَطَعَتْ أَفْئِدَتُهُمْ وَ طَاشَتْ عُقُولُهُمْ وَ تَاهَتْ حُلُومُهُمْ إِعْزَازاً لِلَّهِ وَ إِعْظَاماً وَ إِجْلَالاً فَإِذَا أَفَاقُوا مِنْ ذَلِكَ اسْتَبَقُوا إِلَى اللَّهِ بِالْأَعْمَالِ الرَّكَيبَةِ يَعْتَدُونَ أَنْفُسَهُمْ مَعَ الظَّالِمِينَ وَ الْخَاطِئِينَ وَ أَنَّهُمْ بُرَاءٌ مِنَ الْمُقْصِرِينَ وَ الْمُفْرِطِينَ أَلَا إِنَّهُمْ لَا يَرْضُونَ اللَّهَ بِالْقَلِيلِ وَ لَا يَسْتَكْتَرُونَ لِلَّهِ الْكَثِيرَ وَ لَا يَدُلُّونَ عَلَيْهِ بِالْأَعْمَالِ فَهُمْ إِذَا رَأَيْتَهُمْ مُهَيَّمُونَ مُرْوَعُونَ خَائِفُونَ مُسَدِّفُونَ وَ جِلُونَ فَإِنَّ أَنْتُمْ مِنْهُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُتَّبِعِينَ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَعْلَمَ النَّاسِ بِالضَّرْرِ أَسْكَنُهُمْ عَنْهُ وَ أَنَّ أَجْهَلَ النَّاسِ بِالضَّرْرِ أَنْطَفُهُمْ فِيهِ.

بيان: لا يدلون من قولهم أدل عليه أى أوثق بمحبته فأفرط عليه و الهيام الجنون من العشق.

(31) - كَش، رجال الكشي على بن مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدٍ بْنِ مُوسَى الهمداني عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُوسَى الْحَشَابِ عَنْ غَيْرِهِ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَكِيمِ الْخَثْعَمِيِّ قَالَ: اجْتَمَعَ ابْنُ سَالِمٍ وَ هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ وَ جَمِيلُ بْنُ دَرَّاجٍ وَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَجَّاجِ وَ مُحَمَّدُ بْنُ حُمْرَانَ وَ سَعِيدُ بْنُ غَزْوَانَ وَ نَحْوُ مِنْ خَمْسَةِ عَشَرَ مِنْ أَصْحَابِنَا فَسَأَلُوا هِشَامَ بْنَ الْحَكَمِ أَنْ يُنَاطِرَ هِشَامَ بْنَ سَالِمٍ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَ صِفَةِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ عَنْ غَيْرِ ذَلِكَ لِيَنْظُرُوا أَيُّهُمْ أَقْوَى حُجَّةً فَرَضَى هِشَامُ بْنُ سَالِمٍ أَنْ يَتَكَلَّمَ عِنْدَ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَمِيرٍ وَ رَضِيَ هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ أَنْ يَتَكَلَّمَ عِنْدَ مُحَمَّدِ بْنِ هِشَامٍ فَتَكَالَمَا وَ سَافَا مَا جَرَى بَيْنَهُمَا وَقَالَ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَجَّاجٍ لِهِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ كَفَرْتَ وَ اللَّهُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَ أَلْحَدْتَ فِيهِ وَ يَحْكُ مَا قَدَرْتَ أَنْ تُشَبِّهَ بِكَلَامِ رَبِّكَ إِلَّا الْعُودَ يُضْرَبُ بِهِ قَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَكِيمٍ فَكَتَبَ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَحْكِي لَهُ مُخَاطَبَتَهُمْ وَ كَلَامَهُمْ وَ يَسْأَلُهُ أَنْ يُعَلِّمَهُمْ مَا الْقَوْلُ الَّذِي يُنْبَغِي أَنْ يَدِينَنَّ اللَّهُ بِهِ مِنْ صِدْقَةِ الْجَبَّارِ فَأَجَابَهُ فِي عَرْضِ كِتَابِهِ فَهَمَّتْ رَحِمَكَ اللَّهُ وَ أَعْلَمَ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ اللَّهَ أَجَلُّ وَ أَعْلَى وَ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُبْلَغَ كُنْهُ صِفَتِهِ فَصِفُوهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَ كُفُّوا عَمَّا سِوَى ذَلِكَ.

(32) - يد، التوحيد ابن الوليد عن الصفار عن اليقطيني عن ابن أبي نجران قال: سألت أبا جعفر الثاني عليه السلام عن التوحيد فقلت أتوهم شيئاً فقال نعم غير معقول ولا محدود فما وقع وهمك عليه من شيء فهو خلافه لا يشبهه شيء ولا تدركه الأوهام كيف تدركه الأوهام وهو خلاف ما يعقل وخلاف ما يتصور في الأوهام إنما يتوهم شيء غير معقول ولا محدود.

بيان: اعلم أن من المفهومات مفهومات عامة شاملة لا يخرج منها شىء من الأشياء لا ذهنًا ولا عينا كمفهوم الشىء و الموجود و المخبر عنه و هذه معان اعتبارية يعتبرها العقل لكل شىء إذا تقرر هذا فاعلم أن جماعة من المتكلمين ذهبوا إلى مجرد التعطيل و منعوا من إطلاق الشىء و الموجود و أشباههما عليه محتجين بأنه لو كان شينا شارك الأشياء فى مفهوم الشيئية و كذا الموجود و غيره و ذهب إلى مثل هذا بعض معاصرنا فحكم بعدم اشتراك مفهوم من المفهومات بين الواجب و الممكن و بأنه لا يمكن تعقل ذاته و صفاته تعالى بوجه من الوجوه و بكذب جميع الأحكام الإيجابية عليه تعالى و يرد قولهم الأخبار السالفة و بناء غلطهم على عدم الفرق بين مفهوم الأمر و ما صدق عليه و بين الحمل الذاتى و الحمل العرضى و بين المفهومات الاعتبارية و الحقائق الموجودة.

فأجاب عليه السلام بأن ذاته تعالى و إن لم يكن معقولا لغيره و لا محدودا بحد إلا أنه مما يصدق عليه مفهوم شىء لكن كل ما يتصور من الأشياء فهو بخلافه لأن كل ما يقع فى الأوهام و العقول فصورها الإدراكية كصفات نفسانية و أعراض قائمة بالذهن و معانيها مهيأت كلية قابلة للاشتراك و الانقسام فهو بخلاف الأشياء(1)

## باب 10 أدنى ما يجزى من المعرفة فى التوحيد و أنه لا يعرف الله إلا به

### إشارة

(1) -يد، التوحيد ن، عيون أخبار الرضا عليه السلام مَا جِيلَوِيهِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُخْتَارِ الْهَمْدَانِيِّ عَنِ الْفَتْحِ بْنِ يَزِيدَ الْجُرْجَانِيِّ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ أَدْنَى الْمَعْرِفَةِ فَقَالَ الْإِقْرَارُ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَلَا شِبْهَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ لَهُ وَأَنَّهُ قَدِيمٌ مُثَبَّتٌ مَوْجُودٌ غَيْرُ فَقِيدٍ وَأَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.

ص: 267

1- اعلم أن هذا الخبر و ما يساوقه فى البيان من اخبار التوحيد من غرر الاخبار الواردة عن معادن العلم و الحكمة- عليهم السلام- و ما ذكره المصنّف فى هذا البيان و ما يشابهه من البيانات متألفة من مقدمات كلامية أو فلسفية عامية غير وافية لإيضاح تمام المراد منها و إن لم تكن أجنبية عنها بالكلية، و لبيان لب المراد منها مقام آخر. ط.

بيان: قوله عليه السلام: موجود إما من الوجود أو من الوجدان أى معلوم وكذا قوله غير فقيده أى غير مفقود زائل الوجود أو لا يفقده الطالب و قيل أى غير مطلوب عند الغيبة حيث لا غيبة له.

(2)-يد، التوحيد ن، عيون أخبار الرضا عليه السلام الدقاق عَنْ مُحَمَّدِ الْأَسَدِيِّ عَنِ الْبَزْمَكِيِّ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ عَنْ بَكْرِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْمُهْتَدِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ التَّوْحِيدِ فَقَالَ كُلُّ مَنْ قَرَأَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَآمَنَ بِهَا فَقَدْ عَرَفَ التَّوْحِيدَ قُلْتُ كَيْفَ يَقْرؤها قَالَ كَمَا يَقْرؤها النَّاسُ وَزَادَ فِيهِ كَذَلِكَ اللَّهُ رَبِّي كَذَلِكَ اللَّهُ رَبِّي كَذَلِكَ اللَّهُ رَبِّي.

(3)-يد، التوحيد الدقاق وَ الْوَرَأَقُ مَعَا عَنِ الصُّوفِيِّ عَنِ الرَّوْيَانِيِّ عَنِ عَبْدِ الْعَظِيمِ الْحَسَنِ بْنِ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى سَيِّدِي عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَلَمَّا بَصَّرَ رَبِّي قَالَ لِي مَرَحَبًا بِكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ أَنْتَ وَبَيْنَا حَقًّا قَالَ فَقُلْتُ لَهُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكَ دِينِي فَإِنْ كَانَ مَرْضِيًّا ثَبَتَ [ثَبَتَ عَلَيْهِ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ هَاتِيهَا أَبَا الْقَاسِمِ فَقُلْتُ إِنِّي أَقُولُ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَاحِدٌ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ خَارِجٌ مِنَ الْحَدِيثِ حَدِّ الْإِنْطَالِ وَحَدِّ التَّشْبِيهِ وَإِنَّهُ لَيْسَ بِجِسْمٍ وَلَا صُورَةٍ وَلَا عَرَضٍ وَلَا جَوْهَرٍ بَلْ هُوَ مُجَسَّمُ الْأَجْسَامِ وَ مُصَوَّرُ الصُّوَرِ وَ خَالِقُ الْأَعْرَاضِ وَ الْجَوَاهِرِ وَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَ مَالِكُهُ وَ جَاعِلُهُ وَ مُحَدِّثُهُ وَ إِنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ فَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَ أَقُولُ إِنَّ الْإِمَامَ وَ الْخَلِيفَةَ وَ وَلِيَّ الْأَمْرِ بَعْدَهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ثُمَّ الْحَسَنُ ثُمَّ الْحُسَيْنُ ثُمَّ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ثُمَّ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ ثُمَّ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ثُمَّ مُوسَى بْنُ عَلِيٍّ ثُمَّ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى ثُمَّ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ ثُمَّ أَنْتَ يَا مَوْلَايَ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ مِنْ بَعْدِي الْحَسَنُ ابْنِي فَكَيْفَ لِلنَّاسِ بِالْخَلْفِ مِنْ بَعْدِهِ قَالَ فَقُلْتُ وَ كَيْفَ ذَلِكَ يَا مَوْلَايَ قَالَ لِأَنَّهُ لَا يُرَى شَيْءٌ حُصَّهُ وَ لَا يَحُلُّ ذِكْرُهُ بِاسْمِهِ حَتَّى يَخْرُجَ فَيَمْلَأَ الْأَرْضَ قِسْمًا وَ عَدْلًا كَمَا مَلَأَتْ ظُلْمًا وَ جَوْرًا قَالَ فَقُلْتُ أَقْرَبْتُ وَ أَقُولُ إِنَّ وَلِيَّهُمْ وَلِيُّ اللَّهِ وَ عَدُوَّهُمْ عَدُوُّ اللَّهِ وَ طَاعَتُهُمْ طَاعَةُ اللَّهِ وَ مَعْصِيَتُهُمْ مَعْصِيَةُ اللَّهِ وَ أَقُولُ إِنَّ الْمِعْرَاجَ حَقٌّ وَ الْمُسَاءَلَةَ فِي الْقَبْرِ حَقٌّ وَ إِنَّ

الْجَنَّةَ حَقًّا وَ النَّارَ حَقًّا وَ الصِّرَاطَ حَقًّا وَ الْمِيزَانَ حَقًّا وَ أَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَ أَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ وَ أَقُولُ إِنَّ الْفَرَائِضَ الْوَاجِبَةَ بَعْدَ الْوَلَايَةِ الصَّلَاةَ وَ الزَّكَاةَ وَ الصَّوْمَ وَ الْحَجَّ وَ الْجِهَادَ وَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يَا أَبَا الْقَاسِمِ هَذَا وَ اللَّهُ دِينُ الَّذِي ارْتَضَاهُ لِعِبَادِهِ فَانْتَبُتْ عَلَيْهِ تَبَتُّكَ اللَّهُ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ.

(4)- يد، التوحيد مَا جِئُوا بِهِ عَنْ عَمِّهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْقُرَشِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَعْلَى الْكُوفِيِّ عَنْ جُوَيْرٍ عَنِ الضَّحَّاكِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: جَاءَ أُعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَّمَنِي مِنْ غَرَائِبِ الْعِلْمِ قَالَ مَا صَنَعْتَ فِي رَأْسِ الْعِلْمِ حَتَّى تَسْأَلَ عَنْ غَرَائِبِهِ قَالَ الرَّجُلُ مَا رَأْسُ الْعِلْمِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ قَالَ الْأَعْرَابِيُّ وَ مَا مَعْرِفَةُ اللَّهِ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ قَالَ تَعْرِفُهُ بِلَا مِثْلٍ وَ لَا شَبْهِهِ وَ لَا نِدَّ وَ أَنَّهُ وَاحِدٌ أَحَدٌ ظَاهِرٌ بَاطِنٌ أَوَّلٌ آخِرٌ لَا كُفُوَ لَهُ وَ لَا نَظِيرَ فَذَلِكَ حَقُّ مَعْرِفَتِهِ.

بيان: الند بالكسر المثل.

(5)- يد، التوحيد أَبِي وَ ابْنُ الْوَلِيدِ مَعَاً عَنْ مُحَمَّدِ الْعَطَّارِ وَ أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ مَعَاً عَنِ الْأَشْجَعِيِّ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الطَّاحِنِ [الطَّاحِي] عَنْ طَاهِرِ بْنِ حَاتِمِ بْنِ مَاهُوِيَةَ قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى الطَّيِّبِ يَعْنِي أَبَا الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا الَّذِي لَا يُجْتَرَأُ فِي مَعْرِفَةِ الْخَالِقِ جَلَّ جَلَالُهُ بِدُونِهِ فَكَتَبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ لَمْ يَزَلْ سَمِيعاً وَ عَلِيماً وَ بَصِيراً وَ هُوَ الْفَعَالُ لِمَا يُرِيدُ (1).

ص: 269

1- رواه الكليني في الكافي في باب أدنى المعرفة عن علي بن محمد، عن سهل بن زياد، عن طاهر بن حاتم في حال استقامته. قول: قوله: في حال استقامته إشارة إلى تغير حاله، لأنه كان مستقيماً ثم تغير وأظهر القول بالغللو، نص على ذلك الشيخ في الفهرست حيث قال: طاهر بن حاتم بن ماهويه كان مستقيماً ثم تغير وأظهر القول بالغللو، وله روايات، أخبرنا برواياته حال استقامته جماعة عن محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه، و محمد بن الحسن، عن عبد الله بن جعفر الحميري، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن طاهر بن حاتم في حال استقامته. انتهى. وقال النجاشي: طاهر بن حاتم بن ماهويه القزويني أخو فارس بن حاتم كان صحيحاً ثم خلط عليه الخ.

بيان: المشهور أن الكاف زائدة وقيل أى ليس مثل مثله شىء فيدل على نفي مثله بالكناية التى هى أبلغ لأنه مع وجود المثل يكون هو مثل مثله أو المعنى أنه ليس ما يشبه أن يكون مثلاً له فكيف مثله حقيقة.

(6)- يد، التوحيد الدقاق عن الكليني عن محمد بن إسماعيل عن الفضل بن شاذان عن صفوان بن يحيى عن منصور بن حازم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام إني ناظرت قوماً فقلت لهم إن الله أكرم وأجل من أن يعرف بحلقه بل العباد يعرفون بالله (1) فقال رحمتك الله.

(7)- يد، التوحيد أبي عن سعد عن ابن عيسى عن ابن أبي عمير عن محمد بن حمران عن الفضل بن السكن عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال أمير المؤمنين عليه السلام اعرفوا الله بالله والرسل بالرسالة وأولى الأمر بالمعروف والعديل والإحسان (2).

(8)- يد، التوحيد ابن الوليد عن الصفار عن البرقي عن بعض أصحابنا عن علي بن عتبة رفعه قال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام بم عرفت ربك فقال بما عرفني نفسه قيل

ص: 270

1- على صيغة المعلوم أى العباد يعرفون الله بالله، أى يعرفون الله بتوفيقه وهدايته، أو بما وصف نفسه وعرفهم من الصفات اللاتقة بجماله وجلاله، أو يكون الإشارة إلى البرهان المسمى ببرهان الصديقين الذى هو أشرف البراهين وأسدها، وهو الاستدلال به تعالى عليه، والاستشهاد بذاته تعالى على صفاته، وبصفاته على أفعاله «أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد». ولعله إليه أشار الامام زين العابدين عليه السلام بقوله: بك عرفتك وأنت دللتني عليك، ودعوتني إليك، ولو لا أنت لم أدر ما أنت. وقوله: يا غفار بنورك اهتدينا. وتأتى هذه الاحتمالات فى قوله: اعرفوا الله بالله. أو على صيغة المجهول ويكون المراد- على ما قيل- أنه تعالى لا يعرف حق المعرفة إلى خلقه والاستدلال بهم عليه، بل الخلق يعرفون بنور ربهم، كما تعرف الذرات بنور الشمس دون العكس، وليس نور الله فى آفاق النفوس بأقل من نور الشمس فى آفاق السماء، قال عز من قائل: «وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا» فضوؤه قاطع لرين أرباب الضمائر، ونوره ساطع فى أبصار أصحاب البصائر.

2- رواه الكليني فى الكافي- فى باب أنه لا يعرف إلا به- عن علي بن محمد، عن ذكره، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن حمران، عن الفضل بن السكن، عن أبي عبد الله عليه السلام. وقال فى ذيله: يعنى ان الله خلق الاشخاص والأنوار والجواهر والأعيان. إلى آخر ما يأتى ذيل الخبر الآتى من الصدوق، وظاهره أن المعنى من الكليني لا من الإمام عليه السلام.

وَ كَيْفَ عَرَفَكَ نَفْسَهُ فَقَالَ لَا تُشْبِهُهُ صُورَةٌ (1) وَلَا يُحَسُّ بِالْحَوَاسِّ وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ قَرِيبٌ فِي بُعْدِهِ بَعِيدٌ فِي قُرْبِهِ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ ءِ وَلَا يُقَالُ شَيْءٌ ءِ فَوْقَهُ أَمَامَ كُلِّ شَيْءٍ ءِ وَلَا يُقَالُ لَهُ أَمَامٌ دَاخِلٌ فِي الْأَشْيَاءِ لَا كَشَيْءٍ ءِ فِي شَيْءٍ دَاخِلٍ وَ خَارِجٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ لَا كَشَيْءٍ ءِ مِنْ شَيْءٍ ءِ خَارِجٍ سُبْحَانَ مَنْ هُوَ هَكَذَا وَلَا هَكَذَا غَيْرُهُ وَ لِكُلِّ شَيْءٍ ءِ مَبْدَأٌ (2).

سن، المحاسن بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْ صَالِحِ بْنِ عُقْبَةَ عَنْ قَيْسِ بْنِ سَمْعَانَ عَنْ أَبِي رُبَيْحَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله (3) رَفَعَهُ قَالَ: سُئِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ ذَكَرَ مِثْلَهُ.

بيان: قريب من حيث إحاطة علمه و قدرته بالكل في بعده أى مع بعده عن الكل من حيث المباينة في الذات و الصفات فظهر أن قربه ليس بالمكان بعيد عن إحاطة العقول و الأوهام و الأفهام به مع قربه حفظا و تربية و لطفًا و رحمة و قد مرّ أنه يحتمل أن يكون إشارة إلى أن جهة قربه أى بالعلية و احتياج الكل إليه هى جهة بعده عن مشابهة مخلوقاته إذ الخالق لا يشابه المخلوق و كذا العكس فوق كل شىء ء أى بالقدرة و القهر و الغلبة و بالكمال و الاتصاف بالصفات الحسنة و لا يقال شىء ء فوقه فى الأمرين و فيه إشعار بأنه ليس المراد به الفوقية بحسب المكان و إلا لأمكن أن يكون شىء ء فوقه أمام كل شىء ء أى علة كل شىء ء و مقدم عليها و يحتاج إليه كل موجود و يتضرع إليه و يعبده كل مكلف أو كل شىء ء متوجه نحوه فى الاستكمال و التشبه به فى صفاته الكمالية و

ص: 271

1- وفى نسخة: لا يشبه صورة.

2- وفى نسخة: و لكل شىء ء مبتدأ.

3- هكذا فى البحار و المحاسن المطبوعين. و الصحيح- كما فى الكافى-: على بن عقبة بن قيس بن سمعان بن أبى ربيحة مولى رسول الله صلى الله عليه و آله. فالسند مصحف بتبديل «ابن» «بعن» فى موضعين و تبديل «على» «بصالح». و ضبط عقبة بضم العين المهملة، و سكون القاف، و فتح الباء ثم الهاء. و اختلف فى ضبط ربيحة. قال الفاضل المامقانى فى رجاله: ربيحة بالراء المهملة المضمومة، و الباء الموحدة المفتوحة، و المثناة الساكنة، و الحاء المهملة المفتوحة، و الهاء. و فى بعض النسخ: زنحة بالزاي و النون و الحاء المهملة، و عن بعض كتب الرجال: بريحة بالباء الموحدة ثم الراء المهملة، و قيل: إن نسخ الكافى فى كتاب التوحيد: أبو بريحة بالباء الموحدة المضمومة، و الراء المفتوحة و الياء المثناة من تحت بعدها حاء مهملة، و كذا ضبطه فى الإيضاح و قال: كذا وجدناها معربة فى كتاب البرقى. انتهى.

الكلام فى قوله و لا يقال له أمام كما مر داخل فى الأشياء أى لا يخلو شىء من الأشياء و لا جزء من الأجزاء عن تصرفه و حضوره العلمى و إفاضة فيضه و جوده عليه لا كدخول الجزء فى الكل و لا كدخول العارض فى المعروض و لا كدخول المتمكن فى المكان خارج من الأشياء بتعالى ذاته عن ملابستها و مقارنتها و الاتصاف بصفتها و الايتلاف منها لا كخروج شىء من شىء بالبعد المكانى أو المحلى و قوله و لكل شىء مبدءاً أى علة فى ذواتها و صفاتها كالتعليل لما سبق.

«(9) -يد، التوحيد مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْحَاقَ الْفَارِسِيِّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ النَّسَوِيِّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الصُّغَدِيِّ بِمَرَوْ (1) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَعْقُوبَ الْحَكَمِ الْعَسَّكَرِيِّ وَأَخِيهِ مُعَاذِ بْنِ يَعْقُوبَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانِ الْحَنْظَلِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَاصِمٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ ابْنِ هَاشِمِ الرُّمَانِيِّ عَنْ زَادَانَ (2) عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي حَدِيثِ طَوِيلٍ يَذْكُرُ فِيهِ قُدُومَ الْجَائِلِيْقِ الْمَدِينَةَ مَعَ مَائَةِ مِنَ النَّصَارَى وَ مَا سَأَلَ عَنْهُ أَبَا بَكْرٍ فَلَمْ يُجِبْهُ ثُمَّ أُشِيدَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَسَأَلَهُ عَنْ مَسَائِلَ فَأَجَابَهُ عَنْهَا وَ كَانَ فِيهَا سَأَلَهُ أَنْ قَالَ لَهُ أَخْبِرْنِي عَرَفْتَ اللَّهَ بِمُحَمَّدٍ أَمْ عَرَفْتَ مُحَمَّدًا بِاللَّهِ فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مَا عَرَفْتُ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ لَكِنْ عَرَفْتُ مُحَمَّدًا بِاللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ حِينَ خَلَقَهُ وَ أَحَدَثَ فِيهِ الْحُدُودَ مِنْ طُولٍ وَ عَرْضٍ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ مُدَبَّرٌ مَصْنُوعٌ بِاسْتِدْلَالٍ وَ إِيْهَامٍ مِنْهُ وَ إِرَادَةِ كَمَا أَلْهَمَ الْمَلَائِكَةَ طَاعَتَهُ وَ عَرَفْتُهُمْ نَفْسَهُ بِلَا شُبْهِهِ وَ لَا كَيْفٍ.

و الحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة و حدثنا على بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رحمه الله قال سمعت محمد بن يعقوب يقول معنى قوله اعرفوا الله بالله يعنى أن الله عز و جل خلق الأشخاص و الألوان و الجواهر و الأعيان فالأعيان الأبدان و الجواهر الأرواح و هو جل و عز لا يشبهه

ص: 272

1- قال الفيروز آبادى: صغد بالضم: موضع بسمرقند، و موضع ببخارا.

2- بالزاي المعجمة و الالف و الذال المعجمة و الالف و النون، عده الشيخ من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام و قال: يكنى أبا عمرة الفارسيّ. و عده العلامة فى خاتمة القسم الأول من الخلاصة من خواص أمير المؤمنين عليه السلام من مضر، و لكن كناه بأبى عمرو الفارسيّ.

جسما و لا روحا و ليس لأحد فى خلق الروح الحساس الدراك أثر و لا سبب هو المتفرد بخلق الأرواح و الأجسام فمن نفى عنه الشبهين شبه الأبدان و شبه الأرواح فقد عرف الله بالله و من شبهه بالروح أو البدن أو النور فلم يعرف الله بالله.

أقول: قال الصدوق رحمه الله فى كتاب التوحيد القول الصواب فى هذا الباب هو أن يقال عرفنا الله بالله (1) لأننا إن عرفناه بعقولنا فهو عز و جل واهبها و إن عرفناه عز و جل بأنبيائه و رسله و حججه عليهم السلام فهو عز و جل باعتهم و مرسلهم و متخذهم حججا و إن عرفناه بأنفسنا فهو عز و جل محدثنا فبه عرفناه

وَ قَدْ قَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَوْ لَا اللَّهُ مَا عَرَفْنَاهُ وَ لَوْ لَا نَحْنُ مَا عُرِفَ اللَّهُ.

و معناه لو لا الحجج ما عرف الله حق معرفته و لو لا الله ما عرف الحجج و قد سمعت بعض أهل الكلام يقول لو أن رجلا ولد فى فلاة من الأرض و لم ير أحدا يهديه و يرشده حتى كبر و عقل و نظر إلى السماء و الأرض لدله ذلك على أن لهما صناعا و محدثا فقلت إن هذا شىء لم يكن و هو إخبار بما لم يكن أن لو كان كيف كان يكون و لو كان ذلك لكان لا يكون ذلك الرجل إلا حجة الله تعالى ذكره على نفسه كما فى الأنبياء عليهم السلام منهم من بعث إلى نفسه و منهم من بعث إلى أهله و ولده و منهم من بعث إلى أهل محلته و منهم من بعث إلى أهل بلده و منهم من بعث إلى الناس كافة.

و أما استدلال إبراهيم الخليل عليه السلام بنظره إلى الزهرة ثم إلى القمر ثم إلى الشمس و قوله فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ فإنه عليه السلام كان نبيا ملهما مبعوثا مرسلا و كان جميع قوله إلى آخره بالهام الله عز و جل إياه و ذلك قوله عز و جل وَ تِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ و ليس كل أحد كإبراهيم عليه السلام و لو استغنى فى معرفة التوحيد بالنظر عن تعليم الله عز و جل و تعريفه لما أنزل الله عز و جل ما أنزل من قوله فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ و من قوله قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ إلى آخره و من قوله بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَ لَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً إلى قوله وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ و آخر الحشر و غيرها من آيات التوحيد.

ص: 273

1- سيجىء حق معنى معرفة الله بالله فى رواية عبد الأعلى على نحو الإشارة، و أمّا ما ذكره رحمه الله زعما منه أن المعرفة مستندة إلى الله و ليست بمكتسبة فبمعزل عن مراد الرواية. ط.



## إشارة

اعلم أن هذه الأخبار لا سيما خبر ابن السكن تحتتمل وجوها:

## الأول

أن يكون المراد بالمعرف به ما يعرف الشئ به بأنه هو هو فمعنى اعرفوا الله بالله اعرفوه بأنه هو الله مسلوبا عنه جميع ما يعرف به الخلق من الجواهر والأعراض ومشابهته شئ منها وهذا هو الذى ذكره الكليني رحمه الله وعلى هذا فمعنى قوله والرسول بالرسالة معرفة الرسول بأنه أرسل بهذه الشريعة وهذه الأحكام وهذا الدين وهذا الكتاب ومعرفة كل من أولى الأمر بأنه الأمر بالمعروف والعالم العامل به وبالعدل أى لزوم الطريقة الوسطى فى كل شئ ء والإحسان أى الشفقة على خلق الله والتفضل عليهم ودفع الظلم عنهم أو المعنى اعرفوا الله بالله أى بما يناسب ألوهيته من التنزيه والتقديس والرسول بما يناسب رسالته من العصمة والفضل والكمال وأولى الأمر بما يناسب درجتهم العالية التى هى الرئاسة العامة للدنيا والدين وبما يحكم العقل به من اتصاف صاحب تلك الدرجة القصى به من العلم والعصمة والفضل والمزية على من سواه ويحتمل أن يكون الغرض عدم الخوض فى معرفته تعالى ورسوله وحججه بالعقول الناقصة فينتهى إلى نسبة ما لا يليق به تعالى إليه وإلى الغلو فى أمر الرسول والأئمة صلوات الله عليهم.

وعلى هذا يحتمل وجهين الأول أن يكون المراد اعرفوا الله بعقولكم بمحض أنه خالق إله والرسول بأنه رسول أرسله الله إلى الخلق وأولى الأمر بأنه المحتاج إليه لإقامة المعروف والعدل والإحسان ثم عولوا فى صفاته تعالى وصفاته حججه عليهم السلام على ما بينوا ووصفوا لكم من ذلك ولا تخوضوا فيها بعقولكم والثانى أن يكون المعنى اعرفوا الله بما وصف لكم فى كتابه وعلى لسان نبيه والرسول بما أوضح لكم من وصفه فى رسالته إليكم والإمام بما بين لكم من المعروف والعدل والإحسان كيف اتصف بتلك الأوصاف والأخلاق الحسنة ويحتمل الأخيرين [الأخيران وجها ثالثا وهو أن يكون المراد لا تعرفوا الرسول بما يخرج به عن الرسالة إلى درجة الألوهية وكذا الإمام.

## الثانى

أن يكون المراد بما يعرف به ما يعرف باستعانتة من قوى النفس العاقلة والمدركة وما يكون بمنزلتها ويقوم مقامها فمعنى اعرفوا الله بالله اعرفوه بنور الله المشرق ب

على القلوب بالتوسل إليه و التقرب به فإن العقول لا تهتدى إليه إلا بأنوار فيضه تعالى و اعرفوا الرسول بتكميله إياكم برسالته و بمتابعته فيما يؤدي إليكم من طاعة ربكم فإنها توجب الروابط المعنوية بينكم و بينه و على قدر ذلك يتيسر لكم من معرفته و كذا معرفة أولى الأمر إنما تحصل بمتابعتهم فى المعروف و العدل و الإحسان و باستكمال العقل بها.

### الثالث

أن يكون المراد ما يعرف بها من الأدلة و الحجج فمعنى اعرفوا الله بالله أنه إنما تتأتى معرفته لكم بالتفكر فيما أظهر لكم من آثار صنعه و قدرته و حكمته بتوقيفه و هدايته لا بما أرسل به الرسول من الآيات و المعجزات فإن معرفتها إنما تحصل بعد معرفته تعالى و اعرفوا الرسول بالرسالة أى بما أرسل به من المعجزات و الدلائل أو بالشرعية المستقيمة التى بعث بها فإنها لانطباقها على قانون العدل و الحكمة يحكم العقل بحقية من أرسل بها و اعرفوا أولى الأمر بعلمهم بالمعروف و إقامة العدل و الإحسان و إتيانهم بها على وجهها و هذا أقرب الوجوه و يؤيده خبر سلمان و كذا خبر ابن حازم إذ الظاهر أن المراد به أن وجوده تعالى أظهر الأشياء و به ظهر كل شىء و قد أظهر الآيات للخلق على وجوده و علمه و قدرته و أظهر المعجزات حتى علم بذلك حقية حججه عليهم السلام فالعباد معروفون به و لا- يحتاج فى معرفة وجوده إلى بيان أحد من خلقه و يمكن أن يقرأ يعرفون على بناء المعلوم أيضا.

و أما ما ذكره الصدوق رحمه الله فيرجع إلى أن المعنى أن جميع ما يعرف الله به ينتهى إليه سبحانه و يرد عليه أنه على هذا تكون معرفة الرسول و أولى الأمر أيضا بالله فما الفرق بينهما و بين معرفة الله فى ذلك و أيضا لا يلائمه قوله اعرفوا الله بالله إلا أن يقال الفرق باعتبار أصناف المعرفة فالمعرفة بالرسالة صنف من المعرفة بالله و المعرفة بالمعروف صنف آخر منها و معرفة الله فيها أصناف لا اختصاص لها بصنف و المراد باعرفوا الله بالله حصلوا معرفة الله التى تحصل بالله هكذا حققه بعض الأفاضل ثم إن فى كلامه تشويشا و تناقضا و لعل مراده أخيرا نفى معرفة صفاته الكمالية حق معرفتها بدون إرسال الرسل و نصب الحجج إلا أن التصديق بوجوده تعالى يتوقف على ذلك و إن كان بعض كلماته يدل عليه.

الآيات؛

البقرة: «صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ» (138)

الروم: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ» (30)

(1)- مع، معانى الأخبار أبى عن عليّ عن أبيه عن ابن أبي عمير عن ابن أذينة عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ و جلّ حنفاء لله غير مشركين به فقلت ما الحنيفية قال هي الفطرة (1).

بيان: أى الملة الحنيفية هى التوحيد الذى فطر الله الخلق عليه و يومئ إليه قوله تعالى فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبدال لخلق الله ذلك الدين القيم و اختلف فى معنى ذلك الفطرة فقيل المعنى أنه خلقهم على نوع من الجبله و الطبع المتهاياً لقبول الدين فلو ترك عليها لاستمر على لزومها و لم يفارقها إلى غيرها و إنما يعدل عنه من يعدل لآفة من الآفات و تقليد الآباء و الأمهات و قيل كلهم مفطورون على معرفة الله و الإقرار به فلا تجد أحدا إلا و هو يقر بأن الله تعالى صانع له و إن سماه بغير اسمه أو عبد معه غيره و قيل المعنى أنه خلقهم لها لأنه خلق كل الخلق لأن يوحده و يعبدوه قال الجزرى فيه خلقت عبادى حنفاء أى طاهرى الأعضاء من المعاصى لا- أنه خلقهم كلهم مسلمين لقوله تعالى هو الذى خلقكم فمنكم كافر و منكم مؤمن و قيل أراد خلقهم حنفاء مؤمنين لما أخذ عليهم الميثاق ألسنت بربكم قالوا بلى فلا يوجد أحد إلا و هو مقر بأن له رباً و إن أشرك به و الحنفاء جمع

ص: 276

حنيف وهو المائل إلى الإسلام الثابت عليه و الحنيف عند العرب من كان على دين إبراهيم و أصل الحنف الميل انتهى.

أقول: الذى يظهر من الأخبار هو أن الله تعالى قرر عقول الخلق على التوحيد و الإقرار بالصانع فى بدء الخلق عند الميثاق فقلوب جميع الخلق مدعنة بذلك و إن جحدوه معاندة و سيأتى تمام الكلام فى ذلك فى كتاب العدل إن شاء الله تعالى.

(2)-فس، تفسير القمى الحسنى بن محمد بن محمد بن علي بن محمد بن جعفر بن بشير عن علي بن أبي حمزة عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام فى قوله فأقيم وجهك للدين حنيفاً قال الولايه.

(3)-فس، تفسير القمى الحسن بن علي بن زكريا عن الهيثم بن عبد الله الرماني عن علي بن موسى الرضا صلوات الله عليه عن أبيه عن جدّه محمد بن علي بن الحسين عليهما السلام فى قوله فطرت الله التي فطر الناس عليها قال هو لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه و آله علي أمير المؤمنين عليه السلام إلى هاهنا التوحيد.

(4)-يد، التوحيد أبي عن سعد بن ابن عيسى عن محمد بن سنان عن علاء بن الفضيل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّ و جلّ فطرت الله التي فطر الناس عليها قال التوحيد.

(5)- يد، التوحيد ابن الوليد عن الصفار عن ابن هاشم عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت فطرت الله التي فطر الناس عليها قال التوحيد.

(6)-يد، التوحيد بالإسناد عن ابن هاشم و ابن يزيد معاً عن ابن فضال عن ابن بكير (1) عن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام فى قول الله عزّ و جلّ فطرت الله التي فطر الناس عليها قال فطرهم على التوحيد (2)

يد، التوحيد أبي عن علي عن أبيه عن ابن فضال عن أبي جميلة عن محمد الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام مثله

ص: 277

1- فى التوحيد المطبوع: بكير عن زرارة، و الظاهر أنه غير صحيح.

2- الظاهر اتّحاده مع ما يأتى تحت رقم 8 و 10 و 13.

سن، المحاسن ابن فضال عن ابن بكير عن زرارة مثله.

(7) - يد، التوحيد ابن المتوكل عن علي بن إبراهيم عن يونس عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألتُه عن قول الله عزَّ وجلَّ فَطَرَتِ اللَّهُ النَّاسَ عَلَيْهَا مَا تَلَّكَ الْفِطْرَةُ قَالَ هِيَ الْإِسْلَامُ فَطَرَهُمُ اللَّهُ حِينَ أَخَذَ مِيثَاقَهُمْ عَلَى التَّوْحِيدِ فَقَالَ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ وَفِيهِمُ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْكَافِرُونَ.

(8) - يد، التوحيد أبي عن سعد عن أحمد وعبد الله ابني محمد بن عيسى عن ابن محبوب عن ابن رباب عن زرارة قال: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ فَطَرَتِ اللَّهُ النَّاسَ عَلَيْهَا قَالَ فَطَرَهُمْ جَمِيعاً عَلَى التَّوْحِيدِ.

(9) - يد، التوحيد ابن الوليد عن الصفار عن علي بن حصان [حسان (1) عن الحسن بن يونس (2) عن عبد الرحمن بن كثير (3) عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ فَطَرَتِ اللَّهُ النَّاسَ عَلَيْهَا قَالَ التَّوْحِيدُ وَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَعَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ.

ير، بصائر الدرجات أحمد بن موسى عن الخشاب عن علي بن حسان عن عبد الرحمن بن كثير مثله.

(10) - يد، التوحيد أبي عن سعد عن أحمد بن محمد بن أبيه عن ابن المغيرة عن ابن مسكان عن زرارة قال: قُلتُ لأبي جعفر عليه السلام أَصَدَّ لِحَاكِ اللَّهِ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ فَطَرَتِ اللَّهُ النَّاسَ عَلَيْهَا قَالَ فَطَرَهُمْ عَلَى التَّوْحِيدِ عِنْدَ الْمِيثَاقِ عَلَى مَعْرِفَتِهِ أَنَّهُ رَبُّهُمْ قُلتُ وَ خَاطَبُوهُ قَالَ فَطَاطَأَ رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ لَوْ لَا ذَلِكَ لَمْ يَعْلَمُوا مَنْ رَبُّهُمْ وَلَا مَنْ رَزَقَهُمْ.

ص: 278

1- هو علي بن حسان الواسطي كما في التوحيد المطبوع، وسيأتي الحديث عنه عن عبد الرحمن بن كثير تحت رقم 19. وستأتي ترجمته ها هنا.

2- عده الشيخ في رجاله من أصحاب الصادق عليه السلام و ظاهره كونه إمامياً.

3- مولى عباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، كان ضعيفاً، غمز أصحابنا عليه، وقالوا: كان يضع الحديث، له كتاب فضائل سورة إنا أنزلناه، و كتاب صلح الحسن عليه السلام. و كتاب فدك، و كتاب الاظلة كتاب فاسد مختلط. قاله النجاشي. و استظهر الوحيد البهبهاني وثاقته من رواية الثقة كتبه و ایراد المشايخ رواياته في كتب الاخبار و اعتناؤهم بها فتأمل.

(11)-يد، التوحيد أبي عن سَعْدِ بْنِ هَاشِمٍ وَابْنِ أَبِي الْخَطَّابِ وَابْنِ يَزِيدَ جَمِيعاً عَنْ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ ابْنِ أُذَيْنَةَ عَنْ زُرَّارَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حُنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَعَنِ الْحَنِيفِيَّةِ فَقَالَ هِيَ الْفِطْرَةُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ قَالَ فَطَرَهُمُ اللَّهُ عَلَى الْمَعْرِفَةِ قَالَ زُرَّارَةُ وَسَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ الْآيَةَ قَالَ أَخْرَجَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَخَرَجُوا كَالذَّرِّ فَعَرَفْتُهُمْ وَأَرَاهُمْ صَدْنَعَهُ وَ لَوْ لَا ذَلِكَ لَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ رَبَّهُ وَقَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ يَعْنِي عَلَى الْمَعْرِفَةِ بَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَالِقُهُ فَذَلِكَ قَوْلُهُ وَ لَكِنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ.

(12)-سن، المحاسن أبي عن ابن أبي عمير عن ابن أذينة عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام من قول الله حنفاء لله غير مشركين ما الحنيفية قال هي الفطرة التي فطر الناس عليها فطر الله الخلق على معرفته (1).

(13)-سن، المحاسن أبي عن علي بن نعمان عن ابن مسكان عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل فطرت الله التي فطر الناس عليها قال فطرهم على معرفته أنه ربهم ولو لا ذلك لم يعلموا إذا سئلوا من ربهم ولا من رازقهم (2).

(14)-سن، المحاسن المحسن بن أحمد (3) عن أبان الأحمري (4) عن أبي جعفر الأحول عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: عروة الله الوثقى التوحيد والصبغة الإسلام.

ص: 279

1- الظاهر اتّحاده مع صدر الحديث المتقدم.

2- الظاهر اتّحاد ذلك مع ما تقدم تحت رقم 6 و 8 و 10.

3- محسن بفتح السين المشددة كما في المحكى من الإيضاح، وبكسرهما كما في المحكى عن تاج العروس هو محسن بن أحمد البجلي يكنى أبا محمد؛ وأورده الشيخ في رجاله في أصحاب الرضا عليه السلام، وقال النجاشي: محسن بن أحمد القيسي من موالى قيس عيلان، روى عن الرضا عليه السلام، أخبرنا محمد بن محمد قال: حدثنا أحمد بن محمد الزراري، عن علي بن الحسن السعدآبادي، عن أحمد بن محمد ابن خالد، عن محسن بن أحمد بكتابه. انتهى. و ظاهرهما كون الرجل إماميا.

4- هو أبان بن عثمان الأحمر البجلي أبو عبد الله، عده الكشي من الذين اجتمعت العصابة على تصحيح ما يصح عنهم.

بيان: قال البيضاوى فى قوله تعالى صبغة الله أى صبغنا الله صبغته و هى فطرة الله التى فطر الناس عليها فإنها حلية الإنسان كما أن الصبغة حلية المصبوغ أو هداىته و أرشدنا حجته أو طهر قلوبنا بالإيمان تطهيره و سماه صبغة لأنه ظهر أثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ و تداخل قلوبهم تداخل الصبغ الثوب أو للمشاكله فإن النصارى كانوا يغمسون أولادهم فى ماء أصفر يسمونه العمودية و يقولون هو تطهير لهم و به تحقق نصرانيتهم (1).

«15»- مع، معانى الأخبار أبى عن سَعِدِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ فَضَالَةَ عَنْ أَبَانَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ صِبْغَةَ اللَّهِ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً قَالِ هِيَ الْإِسْلَامُ.

«16»- سنن، المحاسن ابن فضال عن ابن بكير عن زرارة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى قال ثبتت المعرفة فى قلوبهم و نسوا الموقف و سيدكرونه يوماً و لو لا ذلك لم يدر أحد من خالقه و لا من رازقه.

«17»- سنن، المحاسن البرنطى عن رفاعه عن أبى عبد الله عليه السلام فى قول الله وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم و أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى قال نعم لله الحجة على جميع خلقه أخذهم يوم أخذ الميثاق هكذا و قبض يده.

«18»- شف، كشف اليقين من كتاب القاضى القزوينى عن هارون بن موسى التلعكبرى عن محمد بن سهل عن الحميرى عن ابن يزيد عن على بن حسان (2) عن عبد الرحمن بن

ص: 280

1- قال الشيخ الطوسى فى كتابه التبيان- بعد ذكر ذلك المعنى من الفراء- و قال قتادة: اليهود تصبغ أبناءها يهودا، و النصارى تصبغ أبناءها نصارى. فهذا غير المعنى الأول، و انما معناه أنهم يلقنون أولادهم اليهودية و النصرانية فيصبغونهم بذلك لما يشربون قلوبهم منه، فقيل: صبغة الله التى أمر بها و رضيتها يعنى الشريعة لا صبغتك. و قال الجبائى: سمي الدين صبغة لأنه هيئة تظهر بالمشاهدة من أثر الطهارة و الصلاة و غير ذلك من الآثار الجميلة التى هى كالصبغة.

2- هو على بن حسان بن كثير الهاشمى مولى عباس بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ابن أخى عبد الرحمن بن كثير، قال النجاشى: ضعيف جدا، ذكره بعض أصحابنا فى الغلاة، فاسد الاعتقاد له كتاب تفسير الباطن تخليط كله. انتهى. و حكى عن ابن الغضائرى أنه لا يروى إلا عن عمه. أقول: الظاهر اتحاد الحديث مع ما تقدم فى الباب تحت الرقم 10 و تقدم ترجمة عبد الرحمن هاهنا.

كَثِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَطَرَتِ اللَّهُ النَّاسَ عَلَيْهَا قَالَ هِيَ التَّوْحِيدُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَنَّ عَلِيًّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(19)- شى، تفسير العياشى عَنْ زُرَّارَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ وَحُمَرَانَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: الصَّبْغَةُ الْإِسْلَامُ.

(20)- شى، تفسير العياشى عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِ اللَّهِ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً قَالَ الصَّبْغَةُ مَعْرِفَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْوَلَايَةِ فِي الْمِيثَاقِ.

(21)- شى، تفسير العياشى عَنْ الْوَلِيدِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّ الْحَنِيفِيَّةَ هِيَ الْإِسْلَامُ.

(22)- غو، غوالى اللئالى قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ حَتَّى يَكُونَ أَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ وَيُنصِّرَانِهِ (1).

بيان: قال السيد المرتضى رحمه الله فى كتاب الغرر و الدرر بعد نقل بعض التأويلات عن المخالفين فى هذا الخبر و الصحيح فى تأويله أن قوله يولد على الفطرة يحتمل أمرين أحدهما أن تكون الفطرة هاهنا الدين و يكون على بمعنى اللام فكأنه قال كل مولود يولد للدين و من أجل الدين لأن الله تعالى لم يخلق من يبلغه مبلغ المكلفين إلا ليعبده فينتفع بعبادته يشهد بذلك قوله تعالى وَ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ وَ الدليل على أن على يقوم مقام اللام ما حكاه يعقوب بن السكيت عن أبى يزيد عن العرب أنهم يقولون صف على كذا و كذا حتى أعرفه بمعنى صف لى و يقولون ما أعبطك على يريدون ما أعبطك لى و العرب تقيم بعض الصفات مقام بعض و إنما ساغ أن يريد بالفطرة التى هى الخلقة فى اللغة الدين من حيث كان هو المقصود بها و قد يجرى على الشىء اسم ما له به هذا الضرب من التعلق و الاختصاص و على هذا يتأول قوله تعالى فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فَطَرَتِ اللَّهُ النَّاسَ عَلَيْهَا أَرَادَ دِينَ اللَّهِ

ص: 281

1- رواه السيد المرتضى فى أول الجزء الرابع من أماليه مرسلًا عن أبى هريرة عن النبىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. و رواه أبو يعلى فى مسنده و الطبرانى فى الكبير و البيهقى فى السنن عن الأسود بن سريع و اللفظ هكذا: كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فأبواه يهودانه إلخ قاله السيوطى فى ج 2 ص 94 من الجامع الصغير.



الذى خلق الخلق له وقوله تعالى لا- تَبْدِيلَ لِحَلْقِ اللَّهِ أَرَادَ بِهِ أَنْ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْعِبَادَ لَهُ مِنَ الْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ لَيْسَ مِمَّا يَتَغَيَّرُ وَيَخْتَلِفُ حَتَّى يَخْلُقَ قَوْمًا لِلطَّاعَةِ وَآخَرِينَ لِلْمَعْصِيَةِ وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِذَلِكَ الْأَمْرَ وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُهُ ظَاهِرَ الْخَبَرِ فَكَأَنَّهُ قَالَ لَا تَبْدَلُوا مَا خَلَقَكُمْ اللَّهُ لَهُ مِنَ الدِّينِ وَالطَّاعَةَ بِأَنْ تَعْصُوا وَتَخَالِفُوا.

و الوجه الآخر فى تأويل قوله عليه السلام: الفطرة أن يكون المراد به الخلقة و تكون لفظة على على ظاهرها لم يرد بها غيره و يكون المعنى كل مولود يولد على الفطرة الدالة على وحدانية الله تعالى و عبادته و الإيمان به لأنه جل و عز قد صور الخلق و خلقهم على وجه يقتضى النظر فيه معرفته و الإيمان به و إن لم ينظروا و يعرفوا فكأنه عليه السلام قال كل مخلوق و مولود فهو يدل بخلقته و صورته على عبادة الله تعالى و إن عدل بعضهم فصار يهوديا أو نصرانيا و هذا الوجه أيضا يحتمله قوله تعالى فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا و إذا ثبت ما ذكرناه فى معنى الفطرة فقوله عليه الصلاة و السلام حتى يكون أبواه يهودانه و ينصرانه يحتمل وجهين أحدهما أن من كان يهوديا أو نصرانيا ممن خلقت له عبادتى و دينى فإنما جعله أبواه كذلك أو من جرى مجراهما ممن أوقع له الشبهة و قلده الضلال عن الدين و إنما خص الأبوين لأن الأولاد فى الأكثر ينشئون على مذاهب آبائهم و يألفون أديانهم و نحلهم و يكون الغرض بالكلام تنزيه الله تعالى عن ضلال العباد و كفرهم و أنه إنما خلقهم للإيمان فصدهم عنه أبائهم أو من جرى مجراهم و الوجه الآخر أن يكون معنى يهودانه و ينصرانه أى يلحقانه بأحكامهما لأن أطفال أهل الذمة قد ألحق الشرع أحكامهم بأحكامهم فكأنه عليه السلام قال لا تتوهموا من حيث لحقت أحكام اليهود و النصرانى أطفالهم أنهم خلقوا لدينهم بل لم يخلقوا إلا للإيمان و الدين الصحيح لكن آبائهم هم الذين أدخلوهم فى أحكامهم و عبر عن إدخالهم فى أحكامهم بقوله يهودانه و ينصرانه

(1)-لى، الأمالى للصدوق ابن المَتَوَكَّلِ عَنِ السَّعْدِ أَبَادِي عَنِ الْبَرْقِيِّ عَنِ الْبَرْنَطِيِّ (1) عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الْمُؤَصِّلِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: جَاءَ جَبْرٌ مِنَ الْأَحْبَارِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَتَى كَانَ رَبُّكَ فَقَالَ لَهُ ثَكَلْتُكَ أَتُكُّ وَ مَتَى لَمْ يَكُنْ حَتَّى يَقَالَ مَتَى كَانَ رَبِّي قَبْلَ الْقَبْلِ بِلَا قَبْلِ وَ يَكُونُ بَعْدَ الْبَعْدِ بِلَا بَعْدٍ وَ لَا غَايَةَ وَ لَا مُنْتَهَى لِغَايَتِهِ انْقَطَعَتِ الْغَايَاتُ عَنْهُ فَهُوَ مُنْتَهَى كُلِّ غَايَةٍ.

ج، الإحتجاج مُرْسَلًا بِزِيَادَةِ قَوْلِهِ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَفَنَبِيٌّ أَنْتَ فَقَالَ وَيْلَكَ إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مِنْ عِبِيدِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ.

يد، التوحيد بالإسناد المتقدم مع تلك الزيادة و قال الصدوق بعده يعنى بذلك عبد طاعة لا غير ذلك.

بيان: لما كان متى كان سؤالاً عن الزمان المخصوص من بين الأزمنة لوجوده و لا يصح فيما لا اختصاص لزمان به أجابه عليه السلام بقوله متى لم يكن حتى يقال متى كان و نبه على بطلان الاختصاص الذى أخذ فى السؤال ثم بين عليه السلام سرمديته فقال كان ربي قبل القبل أى هو قبل كل ما هو قبل شىء و لا قبل بالنسبة إليه و بعد كل ما هو بعد شىء و لا شىء بعده أو هو قبل الموصوف بالقبلية و البعدية لذاته أى الزمان و بعده بلا زمان إذ هو مبدأ كل شىء و غاية له و الغاية نهاية الامتداد و قد يطلق على نفس الامتداد و المعنى أنه لا غاية لوجوده و سائر كمالاته أزلا و أبدا و لعل المراد بها ثانيا نفس الامتداد أى ليس لما يتوهم له من الامتداد نهاية.

(2)ص: 284

و يحتمل أن يكون المراد بها أولاً أيضاً الامتداد فيكون مجروراً أى بلا امتداد زمانى و يحتمل أن يكون المراد بها ثانياً أيضاً النهاية أى كل ما توهمت أنه غاية له فهو موجود بعده و لا ينتهى إليه وجوده فكل غاية أى امتداد أو نهاية ينقطع عنه لوجوده تعالى قبله و بعده فهو منتهى كل غاية أى بعدها أو هو علة لها و إليه ينتهى وجودها فكيف تكون غاية له و يحتمل أن يكون المراد بالغايات نهايات أفكار العارفين فإنها منقطعة عنه لا تصل إليه و بكونه منتهى كل غاية أنه منتهى رغبات الخلائق و حاجاتهم و يمكن أن يحمل الغاية فى الأخيرتين على العلة الغائية أيضاً و الله يعلم.

(2)-مع، معانى الأخبار ابن المَتَوَكَّلِ عَنِ عَلِيِّ عَنِ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَكِيمٍ عَنِ مَيْمُونِ بْنِ الْبَنَانِ (3) قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ سُدَّ بِلْ عَنْ قَوْلِهِ جَلَّ وَعَزَّ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ فَقَالَ الْأَوَّلُ لَا عَنْ أَوَّلٍ قَبْلَهُ وَ لَا عَنْ بَدَأٍ سَبَقَهُ وَ آخِرٌ لَا عَنْ نِهَائِيَّةٍ كَمَا يُعْقَلُ مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ وَ لَكِنْ قَدِيمٌ أَوَّلٌ آخِرٌ لَمْ يَزَلْ وَ لَا يَزَالُ بِلَا بَدَأٍ وَ لَا نِهَائِيَّةٍ لَا يَقَعُ عَلَيْهِ الْحُدُوثُ وَ لَا يُحَوَّلُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ خَالِقٌ كُلِّ شَيْءٍ.

بيان: لا عن أول قبله أى لا مبتدأ عن أول يكون قبله زمانا و لا عن بدء على وزن فعل أو بدىء على وزن فعيل أى مبتدأ سبقه رتبة بالعلية و قوله لا عن نهاية أى لا معها مجازا و يحتمل أن تكون عن تعليلية أى ليست آخريته بسبب أن له نهاية بعد نهاية غيره و قوله لا يقع عليه الحدوث ناظر إلى الأول و قوله عليه السلام: و لا يحول من حال إلى حال ناظر إلى الآخر أى آخريته بأنه أبدى بجميع صفاته لا يعتره تغير فى شىء من ذلك و سيأتى تحقيقه فى باب الأسماء.

(3)-ج، الإحتجاج سَدَّالْ نَافِعِ بْنِ الْأَرْزَقِ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ أَخْبَرَنِي عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ مَتَى كَانَ فَقَالَ لَهُ وَيْلَكَ أَخْبَرَنِي أَنْتَ مَتَى لَمْ يَكُنْ حَتَّى أَخْبِرَكَ مَتَى كَانَ (4) سُبْحَانَ مَنْ

- 1- فى بعض نسخ الكافى: عن أبى إبراهيم، عن أبى الحسن الموصلى. ولعله كان بدلا عن أبى الحسن، لان المكرر فى أسناد الكافى رواية البنظى عن أبى الحسن الموصلى بدون واسطة، ولم نعرف لآبى الحسن هذا اسما، واحتمال كونه كنية لعبد العزيز بن عبد الله بن يونس الموصلى لا يلائم رواية التلعكبرى عنه، وسماعه منه فى سنة ست وعشرين وثلاثمائة، مع كون الرجل راويا عن أبى عبد الله عليه السلام.
- 2- فى بعض نسخ الكافى: عن أبى إبراهيم، عن أبى الحسن الموصلى. ولعله كان بدلا عن أبى الحسن، لان المكرر فى أسناد الكافى رواية البنظى عن أبى الحسن الموصلى بدون واسطة، ولم نعرف لآبى الحسن هذا اسما، واحتمال كونه كنية لعبد العزيز بن عبد الله بن يونس الموصلى لا يلائم رواية التلعكبرى عنه، وسماعه منه فى سنة ست وعشرين وثلاثمائة، مع كون الرجل راويا عن أبى عبد الله عليه السلام.
- 3- بالباء الموحدة والالف والنون المخففة، عده الشيخ فى رجاله من أصحاب السجّاد والصادقين عليهم السلام، و ظاهره كونه اماميا الا أنّه مجهول.
- 4- لان ما يصحّ أن يسأل عن وجوده «بمتى» يصحّ أن يسأل عن عدمه أيضا بذلك، فما لا يصحّ أن يسأل عن عدمه بمتى، لا يصحّ أن يسأل عن وجوده أيضا بذلك. والله تبارك وتعالى حيث لم يكن زمانيا- بل يكون وجوده أزليا غير مسبوق بالعدم وأبديا غير ملحق به- فلا يصحّ أن يسأل عن وجوده أو عدمه بمتى.



لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ فَرْدًا صَمَدًا لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا.

يد، التوحيد أبي عن سعد عن ابن عيسى عن ابن محبوب عن الشمالي مثله- فس، تفسير القمي أبي عن ابن محبوب عن الشمالي عن أبي الربيع مثله.

(4)- يد، التوحيد أبي عن سعد عن مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ حَارِثٍ (1) عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: أَخْرَجَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَقًّا (2) فَأَخْرَجَ مِنْهُ وَرَقَةً فَإِذَا فِيهَا سُبْحَانَ الْوَاحِدِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ (3) الْقَدِيمِ الْمُبْدِي الَّذِي لَا بَدَأَ لَهُ الدَّائِمِ الَّذِي لَا تَفَادَ لَهُ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ الْحَالِقُ مَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى الْعَالِمُ كُلِّ شَيْءٍ بِغَيْرِ تَعْلِيمٍ ذَلِكَ اللَّهُ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ.

(5)- يد، التوحيد ابنُ الْمُتَوَكَّلِ عَنْ مُحَمَّدِ الْعَطَّارِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَهْزِيَارٍ قَالَ: كَتَبَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى رَجُلٍ بِخَطِّهِ وَقَرَأْتُهُ فِي دُعَاءٍ كَتَبَ بِهِ أَنْ يَقُولَ يَا ذَا الَّذِي كَانَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ ۖ ثُمَّ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ ثُمَّ بَيَّنَّاهُ وَيَقْنَى كُلُّ شَيْءٍ ۖ وَيَا ذَا الَّذِي لَيْسَ فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلَى وَلَا فِي الْأَرْضِينَ السُّفْلَى وَلَا فَوْقَهُنَّ وَلَا بَيْنَهُنَّ وَلَا تَحْتَهُنَّ إِلَهٌ يُعْبَدُ غَيْرُهُ.

(6)- يد، التوحيد مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ الْمُدَّكَّرُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سُفْيَانَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ سَلَمَةَ اللَّبْقِيِّ (4) [اللِّيفِيِّ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ يَحْيَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَلْحَةَ عَنْ سَعْدِ بْنِ سِنَانَ (5) عَنِ الضَّحَّاكِ عَنِ النَّزَّالِ بْنِ سَبْرَةَ قَالَ: جَاءَ يَهُودِيٌّ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَتَى كَانَ رَبُّنَا قَالَ فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّمَا يُقَالُ مَتَى كَانَ لِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْ فَكَانَ وَرَبُّنَا هُوَ كَائِنٌ بِلَا كَيْفُونَةٍ كَائِنٌ كَانَ بِلَا كَيْفٍ يَكُونُ كَانَ لَمْ

ص: 285

- 1- لم نجد له ذكرا في كتب التراجم.
- 2- في القاموس الحقه- بالضم-: وعاء من خشب.
- 3- في القاموس الحقه- بالضم-: وعاء من خشب.
- 4- في التوحيد المطبوع: علي بن سلمة الليفي.
- 5- الاسناد في التوحيد المطبوع هكذا: إسماعيل بن يحيى بن عبد الله، عن عبد الله بن طلحة بن هجيم قال: حدثنا ابن أبو سنان أبو سفيان الشيباني سعيد بن سنان الخ أقول: رجال الحديث كلها من العامة

يَزَلُ بِلَا لَمْ يَزَلْ وَبِلَا كَيْفٍ يَكُونُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيْسَ لَهُ قَبْلُ هُوَ قَبْلَ الْقَبْلِ بِلَا قَبْلٍ وَبِلَا غَايَةٍ وَ لَا مُنْتَهَى غَايَةٍ وَ لَا غَايَةٍ إِلَيْهَا غَايَةٌ انْقَطَعَتْ  
الْغَايَاتُ عَنْهُ فَهُوَ غَايَةٌ كُلُّ غَايَةٍ.

بيان: بلا كينونة كائن أى كان و لم يحدث حادث بعد أو لا على نحو حدوث الحوادث قال الفيروزآبادى الكون الحدث كالكينونة قوله بلا كيف يكون أى صفة موجودة زائدة و لعل الوصف بقوله يكون للإشعار بأنه إذا كان له كيف يكون حادثا لا محالة قوله عليه السلام: بلا لم يزل أى بلا زمان قديم موجود يسمى بلم يزل ليكون معه قديما ثانيا و قوله عليه السلام: ثانيا بلا كيف يكون تأكيد لما سبق و يحتمل أن يكون الأول لنفى الكيفيات الجسمانية أو الحادثة و الثانى لنفى الصفات الحقيقية الزائدة أو القديمة و يحتمل أن يكون المراد بالآخر أنه ليس لوجوده فى الأزل و اتصافه بها كيف فيكون إشارة إلى نفي معلولية الوجود أو زيادته و فى الكافى بسند آخر كيف يكون له قبل و هو أظهر كما سيأتى أيضا قوله عليه السلام: بلا غاية أى امتداد و زمان موجود و لا منتهى غاية أى فى الأزل و لا غاية أى منتهى ينتهى إليها غاية أى امتداد فى لا يزال.

(7) -يد، التوحيد ابن المُنَوِّكِلِ عَنْ مُحَمَّدِ الْعَطَّارِ عَنْ سَهْلٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الْخَزَّازِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَمَاعَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ رَأْسُ الْجَالُوتِ لِلْيَهُودِ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ عَلِيًّا مِنْ أَجْدَلِ النَّاسِ وَ أَعْلَمِهِمْ أَذْهَبُوا بِنَا إِلَيْهِ لَعَلِّي أَسْأَلُهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ أَخْطَنُ فِيهَا فَأَتَاهُ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ مَسْأَلَةٍ قَالَ سَلْ عَمَّا شِئْتَ قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَتَى كَانَ رَبُّنَا قَالَ يَا يَهُودِيَّ إِنَّمَا يُقَالُ مَتَى كَانَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ فَكَانَ هُوَ كَائِنٌ بِلَا كَيْنُوْدَةٍ كَائِنٌ كَانَ بِلَا كَيْفٍ (1) يَا يَهُودِيَّ كَيْفَ يَكُونُ لَهُ قَبْلٌ وَ هُوَ قَبْلَ الْقَبْلِ بِلَا غَايَةٍ وَ لَا مُنْتَهَى غَايَةٍ وَ لَا غَايَةٍ إِلَيْهَا غَايَةٌ انْقَطَعَتْ الْغَايَاتُ عَنْهُ فَهُوَ غَايَةٌ كُلُّ غَايَةٍ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنَّ دِينَكَ الْحَقُّ وَ أَنَّ مَا خَالَفَهُ بَاطِلٌ.

أقول: قد أثبتنا خبر محمد بن عبد الله الخراسانى فى باب إثبات الصانع و سيأتى كثير من الأخبار فى باب نفي الزمان و المكان و سائر الأبواب مشحونة بما يناسب الباب من الأخبار.

ص: 286

1- فى الكافى: بلى يا يهودى ثم بلى يا يهودى كيف يكون إلخ.

الآيات؛

الأنعام: (91) و الحج: (74) و الزمر: (67): «ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ»

حمعسق: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» (11)

(1)- ما، الأمالى للشيخ الطوسى مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ شَاذَانَ الْقَمِّيَّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ عَنْ سَعْدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَيْسَى عَنْ عَلِيِّ بْنِ بِلَالٍ (1) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ بَشِيرِ الدَّهَّانِ (2) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَمَاعَةَ قَالَ: سَأَلَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ أَخْبِرْنِي أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ قَالَ تَوْحِيدُكَ لِرَبِّكَ قَالَ فَمَا أَعْظَمَ الذُّنُوبَ قَالَ تَشْبِيهُكَ لِخَالِقِكَ.

(2)- نص، كفاية الأثر علىُّ بْنُ الْحَسَنِ عَنْ هَارُونَ بْنِ مُوسَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ هَمَّامٍ عَنِ الْحَمِيرِيِّ عَنْ عُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ الْعَبْدِيِّ عَنْ دَاوُدَ بْنِ كَثِيرٍ الرَّقِّيِّ عَنْ يُونُسَ بْنِ زَيْدَانَ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَقُلْتُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ إِنِّي دَخَلْتُ عَلَى مَالِكِ (3) وَ أَصَحَّ حَابِهِ فَسَمِعْتُ بَعْضَهُمْ يَقُولُ إِنَّ لِلَّهِ وَجْهًا كَالْوَجْهِ وَ بَعْضَهُمْ يَقُولُ لَهُ يَدَانِ وَ احْتَجُّوا لِذَلِكَ بِقَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى بِيَدَيْ أَسَدٍ تَكْبُرَتْ وَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ هُوَ كَالشَّابِّ مِنْ أَبْنَاءِ ثَلَاثِينَ سَنَةً فَمَا عِنْدَكَ فِي هَذَا يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ قَالَ وَ كَانَ مُتَكِنًا فَاسْتَتَوَى جَالِسًا وَقَالَ اللَّهُمَّ عَفْوُكَ عَفْوُكَ ثُمَّ قَالَ يَا يُونُسُ مَنْ زَعَمَ أَنَّ لِلَّهِ وَجْهًا كَالْوَجْهِ فَقَدْ أَشْرَكَ وَ مَنْ زَعَمَ أَنَّ لِلَّهِ جَوَارِحَ كَجَوَارِحِ الْمَخْلُوقِينَ فَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ فَلَا تَقْبَلُوا شَهَادَتَهُ وَ لَا تَأْكُلُوا

ص: 287

1- البغداديّ الثقة، عده الشيخ في رجاله من أصحاب الجواد و الهادي و العسكري عليهم السلام.

2- لم نجده في التراجم بهذا العنوان.

3- أحد الأئمّة الأربعة للعامة، حكى عن ابن النديم في فهرسه أنّه قال: مالك بن أنس بن أبي عامر من حمير، و عداة في بنى تميم بن مرة من قريش، و حمل به ثلاثين سنين! و كان شديد البياض إلى الشفرة، طويلا عظيم الهامة أصلع الرأس، يلبس الثياب العدنّية الجياد و يكثر حلق شاربه و لا يغير شبيهه، و كان يأتي المسجد و يشهد الصلوات و يعود المرضى و يقضى الحقوق، ثم ترك الجلوس في المسجد و كان يصلّي في منزله و ترك اتباع الجنائز فكان يعاتب على ذلك، و كان يقول: ليس يقدر كل أحد يقول عذره، و كان فقيه الحجاز و سيدها في وقته، توفّي سنة تسع و سبعين و مائة، و هو ابن خمس و ثمانين و دفن بالبقيع.

ذَيْبَحَتَهُ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَصِفُهُ الْمُسَدِّبُونَ بِصِفَةِ الْمَخْلُوقِينَ فَوَجَّهَ اللَّهُ أَنْبِيَأُوهُ وَأَوْلِيَأُوهُ (1) وَقَوْلُهُ خَلَقَتْ بِيَدَيَّ أَسَّ تَكَبَّرَتْ أَيْدِي الْقُدْرَةِ كَقَوْلِهِ وَ  
 أَيْدِيكُمْ بِنَصَرِهِ فَمَنْ رَعِمَ أَنَّ اللَّهَ فِي شَيْءٍ أَوْ عَلَى شَيْءٍ أَوْ يَحُولُ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ أَوْ يَخْلُو مِنْهُ شَيْءٌ أَوْ يَسْتَعْلُ بِهِ شَيْءٌ فَقَدْ وَصَفَهُ بِصِفَةِ  
 الْمَخْلُوقِينَ وَاللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا يُقَاسُ بِالْقِيَاسِ وَلَا يُشَبَّهُ بِالنَّاسِ لَا يَخْلُو مِنْهُ مَكَانٌ وَلَا يَسْتَعْلُ بِهِ مَكَانٌ قَرِيبٌ فِي بُعْدِهِ بَعِيدٌ فِي قُرْبِهِ  
 ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّنَا لَا إِلَهَ غَيْرُهُ فَمَنْ أَرَادَ اللَّهَ وَ أَحَبَّهُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فَهُوَ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ وَمَنْ أَحَبَّهُ بِغَيْرِ هَذِهِ الصِّفَةِ فَاللَّهُ مِنْهُ بَرِيٌّ وَأَوْ نَحْنُ مِنْهُ بُرَاءٌ.

«(3)-لى، الأمالى للصدوق مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَاصِمٍ عَنِ الْكَلِينِيِّ عَنِ عَلَانَ (2) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَرَجِ الرَّخَجِيِّ (3) قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى أَبِي  
 الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَسْأَلُهُ عَمَّا قَالَ هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ فِي الْجِسْمِ وَ هِشَامُ بْنُ سَالِمٍ فِي الصُّورَةِ فَكَتَبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَعَاكَ  
 حَيْرَةَ الْحَيْرَانِ وَ اسْتَعَدَّ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ لَيْسَ الْقَوْلُ مَا قَالَ الْهَشَامَانِ.

يد، التوحيد الدقاق عن الكليني عن علي بن محمد رفعه عن الرخجي مثله بيان لا ريب في جلاله قدر الهشامين و براءتهما عن هذين  
 القولين وقد بالغ السيد المرتضى قدس الله روحه في براءة ساحتها عما نسب إليهما في كتاب الشافي مستدلا عليها بدلائل شافية و لعل  
 المخالفين نسبوا إليهما هذين القولين معاندة كما نسبوا المذاهب الشنيعة إلى زارة و غيره من أكابر المحدثين أو لعدم فهم كلامهما فقد  
 قيل إنهما قالا بجسم لا كالأجسام و بصورة لا كالصور فلعل مرادهما بالجسم الحقيقة القائمة بالذات و بالصورة الماهية و إن أخطأنا في  
 إطلاق هذين اللفظين عليه تعالى.

ص: 288

1- لان العباد يتوجهون بهم إلى الله تعالى و الله تعالى يخاطب العباد و يواجههم بهم عليهم السلام.

2- الظاهر أنه هو علي بن محمد بن إبراهيم بن أبان الرازي الكليني، أستاذ محمد بن يعقوب الكليني و خاله. قال النجاشي: يكنى أبا الحسن  
 ثقة، عين. أقول: علان بالعين المهملة المفتوحة ثم اللام المشددة و حكى عن الشهيد الثاني رحمه الله في تعليقه على الخلاصة أن علان  
 مخفف اللام.

3- بالراء المهملة المضمومة و الخاء المعجمة المفتوحة و الجيم و الباء نسبة إما إلى «رخج» كورة و مدينة من نواحي كابل، و قد يشدد  
 الخاء، أو إلى الرخجة أو الرخجية بتشديد الخاء فيهما، قرية على نحو فراسخ من بكلواذى



قال المحقق الدوانى المشبهة منهم من قال إنه جسم حقيقة ثم افترقوا فقال بعضهم إنه مركب من لحم و دم و قال بعضهم هو نور متلائي كالسبيكة البيضاء طوله سبعة أشبار بشبر نفسه و منهم من قال إنه على صورة إنسان فمنهم من يقول إنه شاب أمرد جعد ققط (1) و منهم من قال إنه شيخ أشمط الرأس و اللحية (2) و منهم من قال هو فى جهة الفوق مماس للصفحة العليا من العرش و يجوز عليه الحركة و الانتقال و تبدل الجهات و تنط العرش تحته أطيظ الرحل الجديد تحت الراكب الثقيل و هو يفضل عن العرش بقدر أربع أصابع و منهم من قال هو محاذ للعرش غير مماس له و بعده عنه بمسافة متناهية و قيل بمسافة غير متناهية و لم يستتف هذا القائل عن جعل غير المتناهى محصورا بين حاصرين و منهم من تستر بالكفة (3) فقال هو جسم لا - كالأجسام و له حيز لا كالأحياز و نسبته إلى حيزه ليس كنسبة الأجسام إلى أحيازها و هكذا ينفى جميع خواص الجسم عنه حتى لا يبقى إلا اسم الجسم و هؤلاء لا يكفرون بخلاف المصرحين بالجسمية انتهى.

و قال الشهرستاني حكى الكعبى عن هشام بن الحكم أنه قال هو جسم ذو أبعاد له قدر من الأقدار و لكن لا يشبه شيئا من المخلوقات و لا تشبهه و نقل عنه أنه قال هو سبعة أشبار بشبر نفسه و أنه فى مكان مخصوص و جهة مخصوصة و أنه يتحرك و حركته فعله و ليست من مكان إلى مكان و قال هو متناه بالذات غير متناه بالقدر.

و حكى عنه أبو عيسى الوراق أنه قال إن الله تعالى مماس لعرشه لا يفضل منه شىء من العرش و لا يفضل عنه شىء.

و قال هشام بن سالم إنه تعالى على صورة إنسان أعلاه مجوف و أسفله مصمت و هو نور ساطع يتلأأ و له حواس خمس و يد و رجل و أنف و أذن و عين و فم و له وفرة سوداء (4) و هو نور أسود لكنه ليس بلحم و لا دم.

ص: 289

1- الجعد من الشعر: خلاف الاسترسال. و قط الشعر: كان قصيرا جعدا فهو ققط.

2- شمط شمطا: خالط بياض رأسه سواد فهو [أشمط].

3- الكفة- بضم الكاف- حاشية الشىء، و كفة القميص ما استدار حول الذيل. و فى نسخة: «البلفكة» و لم نجد له معنى.

4- الوفرة: ما سال من الشعر على الأذنين.

ثم قال وغلا هشام بن الحكم فى حق على عليه السلام حتى قال إنه إله واجب الطاعة وهذا هشام بن الحكم صاحب غور فى الأصول لا يجوز أن يغفل عن إزاماته على المعتزلة فإن الرجل وراء ما يلزمه على الخصم ودون ما يظهره من التشبيه وذلك أنه ألزم العلاف فقال إنك تقول إن البارئ تعالى عالم بعلم وعلمه ذاته فيشارك المحدثات فى أنه عالم بعلم وبيائها فى أن علمه ذاته فيكون عالما لا كالعالمين فلم لا تقول هو جسم لا كالأجسام وصورة لا كالصور وله قدر لا كالأقذار إلى غير ذلك انتهى.

أقول: فظهر أن نسبة هذين القولين إليهما إما لتخطئة رواة الشيعة و علمائهم لبيان سفاهة آرائهم أو أنهم لما ألزموهم فى الاحتجاج أشياء إسكاتا لهم نسبوها إليهم والأئمة عليهم السلام لم ينفوها عنهم إما للتبرى عنهم إبقاء عليهم أو لمصالح آخر ويمكن أن يحمل هذا الخبر على أن المراد ليس هذا القول الذى تقول ما قال الهشامان بل قولهما مبين لذلك ويحتمل أن يكون هذان مذهبهما قبل الرجوع إلى الأئمة عليهم السلام والأخذ بقولهم فقد قيل إن هشام بن الحكم كان قبل أن يلقي الصادق عليه السلام على رأى جهم بن صفوان فلما تبعه عليه السلام تاب ورجع إلى الحق ويؤيده ما ذكره الكراچكى فى كنز الفوائد فى الرد على القائلين بالجسم بمعنييه حيث قال وأما موالاتنا هشاما رحمه الله فهى لما شاع عنه واستفاض من تركه للقول بالجسم الذى كان ينصره ورجوعه عنه وإقراره بخطائه فيه وتوبته منه وذلك حين قصد الإمام جعفر بن محمد عليهما السلام إلى المدينة فحجبه وقيل له إنه أمرنا أن لا نوصلك إليه ما دمت قائلا بالجسم فقال والله ما قلت به إلا لأنى ظننت أنه وفاق لقول إمامى فأما إذا أنكره على فاننى تائب إلى الله منه فأوصله الإمام عليه السلام إليه ودعا له بخير وحفظ.

(4) - عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ لِهَشَامٍ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُشْبِهُ شَيْئًا وَلَا يُسَبِّهُهُ شَيْءٌ وَكُلُّ مَا وَقَعَ فِي الْوَهْمِ فَهُوَ بِخِلَافِهِ.

(5) - وَرُوي عَنْهُ أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ: سُبْحَانَ مَنْ لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ كَيْفَ هُوَ إِلَّا هُوَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ لَا يُحَدُّ وَلَا يُحَسُّ وَلَا يُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَلَا يُحِيطُ بِهِ شَيْءٌ وَلَا هُوَ جِسْمٌ وَلَا صُورَةٌ وَلَا يَدَى تَخْطِيطٍ وَلَا تَحْدِيدٍ.

(6)-شى، تفسير العياشى عن جابر الجعفي قال قال محمد بن عليّ عليهما السلام يا جابر ما أعظم فريّة أهل الشام على الله يزعمون أنّ الله تبارك وتعالى حيث صدّ إلى السماء وضع قدمه على صدخرة بيت المقدس ولقد وضع عبد من عباد الله قدمه على حجر فأمرنا الله تبارك وتعالى أن نتخذها مصدلي يا جابر إنّ الله تبارك وتعالى لا نظير له ولا شبيهه تعالى عن صفة الواصين وجلّ عن أوهام المتوهمين واحتجب عن عين الناظرين ولا يزول مع الزائلين ولا يافل مع الأفلين ليس كمثله شيء وهو السميع العليم

(7)-شى، تفسير العياشى عن هشام المشرقي (1) عن أبي الحسن الخراساني قال: إنّ الله كما وصف نفسه أحد صد نور ثم قال بل يدها مبسوطتان فقلت له أفله يدان هكذا وأشرت بيدي إلى يده فقال لو كان هكذا كان مخلوقاً.

(8)-ج، الإحتجاج في سؤال الزنديق برواية هشام عن الصادق عليه السلام لا جسم ولا صورة ولا يحس ولا يجس ولا يدرك بالحواس الخمس لا تدركه الأوهام ولا تنقصه الدهور ولا تغيّره الأزمان الخبر.

(9)-ج، الإحتجاج قال الرضا عليه السلام إنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: قال الله جلّ جلاله ما آمن بي من فسّر برأيه كلامي وما عرفني من شبّهني بخلقى ولا على ديني من استعمل القياس في ديني.

يد، التوحيد ن، عيون أخبار الرضا عليه السلام لى، الأمالى للصدوق ابن المتوكل عن على عن أبيه عن الريان بن الصلت عن على بن موسى الرضا عليهما السلام عن أبيه عن أبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله قال الله جلّ جلاله مثله.

(10)-يد، التوحيد لى، الأمالى للصدوق ابن المتوكل عن عليّ عن أبيه عن الصقر بن دلف (2) قال: سألت أبا الحسن عليّ بن محمد عليهما السلام عن التوحيد وقلت له إني أقول بقول هشام بن الحكم فغضب عليه السلام ثم قال ما لكم ولقول هشام إنّّه ليس منّا من زعم أنّ الله

ص: 291

1- ضبطه الاكثر بالقاف و جزم المحقق الداماد أنّه بالفاء.

2- الموجود في التوحيد المطبوع والبحار: الصقر بن دلف؛ والموجود في التراجم: الصقر ابن أبي دلف. وضبط الصقر بالصاد المهملة المفتوحة والقاف الساكنة، و دلف بالبدال المهملة واللام المفتوحتين والفاء.

جِسْمٌ وَ نَحْنُ مِنْهُ بَرَاءٌ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ يَا ابْنَ دُلْفٍ إِنَّ الْجِسْمَ مُحَدَّثٌ وَ اللَّهُ مُحَدِّثُهُ وَ مُجَسِّمُهُ.

(11)- كَش، رجال الكشي عَليُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ عَنْ ابْنِ يَزِيدَ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ بَشَّارٍ عَنْ يُونُسَ بْنِ بَهْمَنٍ (1) قَالَ: قَالَ لِي يُونُسُ أَكْتُبْ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَاسْأَلْهُ عَنْ آدَمَ هَلْ فِيهِ مِنْ جَوْهَرِيَّةِ اللَّهِ شَيْءٌ قَالَ فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ فَأَجَابَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ مَسْأَلَةَ رَجُلٍ عَلَيَّ غَيْرِ السُّنَّةِ فَقُلْتُ لِيُونُسَ فَقَالَ لَا يَسْمَعُ ذَا أَصْحَابِنَا فَيَبْرءُونَ مِنْكَ قَالَ قُلْتُ لِيُونُسَ يَبْرءُونَ مِنِّي أَوْ مِنْكَ.

(12)- كَش، رجال الكشي طَاهِرُ بْنُ عَيْسَى (2) عَنْ جَعْفَرِ بْنِ أَحْمَدَ عَنِ الشُّجَاعِيِّ (3) عَنْ ابْنِ يَزِيدَ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ بَشَّارٍ عَنِ الْوَشَّاءِ عَنْ يُونُسَ بْنِ بَهْمَنٍ قَالَ قَالَ يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ كَتَبْتُ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ سَأَلْتُهُ عَنْ آدَمَ هَلْ كَانَ فِيهِ مِنْ جَوْهَرِيَّةِ الرَّبِّ شَيْءٌ فَكَتَبَ إِلَيَّ جَوَابَ كِتَابِي لَيْسَ صَاحِبُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ عَلَيَّ شَيْءٌ مِنَ السُّنَّةِ زَنْدِيقٌ.

بيان: الكلام في يونس و ما نسب إليه أيضا كما مر في الهشامين و قال الشهرستاني إنه زعم أن الملائكة تحمل العرش و العرش يحمل الرب و هو من مشبهة الشيعة انتهى.

(13)- لى، الأمالى للصدوق ابْنُ الْوَلِيدِ عَنِ الصَّقَّارِ عَنِ ابْنِ مَعْرُوفٍ عَنِ عَلِيِّ بْنِ مَهْزِيَّارٍ قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى أَبِي جَعْفَرِ الثَّانِي عَلَيْهِ السَّلَامُ جُعِلْتُ فِدَاكَ أَصَلَّى خَلْفَ مَنْ يَقُولُ بِالْجِسْمِ وَ مَنْ يَقُولُ يَقُولُ يُونُسَ يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَكَتَبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا تُصَلُّوا خَلْفَهُمْ وَ لَا تُعْطُوهُمْ مِنَ الزَّكَاةِ وَ ابْرءُوا مِنْهُمْ بِرَأْيِ اللَّهِ مِنْهُمْ.

ص: 292

1- بفتح الباء الموحدة و سكون الهاء و فتح الميم بعدها نون. حكى عن الغضائري أنه قال: يونس بن بهمن غال خطابي كوفي يضع الحديث روى عن أبي عبد الله عليه السلام.

2- أورده الشيخ في رجاله في باب من لم يرو عنهم عليهم السلام قال: طاهر بن عيسى الوراق يكنى أبا محمد من أهل كَش، صاحب كتب، روى عنه الكشي، و روى هو عن جعفر بن أحمد الخزاعي، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب. انتهى. أقول: ليس في كتب التراجم ما يلحق الرجل و راويه جعفر بن أحمد الخزاعي بالموثقين

3- قال التفرسى في نقد الرجال: اسمه علي بن الشجاع كما يظهر من الكشي، و يحتمل أن يطلق على الحسن بن الطيب أيضا، و يظهر من النجاشي - عند ترجمة محمد بن إبراهيم بن جعفر - أنه يطلق على محمد بن علي أيضا. انتهى.

«14»-لى، الأمالى للصدوق ابن الوليد عن الصفار عن البرقي عن أبي هاشم الجعفرى قال سمعت علي بن موسى الرضا عليهما السلام يقول إلهى بدت فدرتكَ ولم تبد هينته فجهلوك وبه قدروك و التقدير على غير ما به وصفوك وإني برى يا إلهى من الذين بالتشبيه طلبوك ليس كمثلك شئ يا إلهى ولن يدركوك و ظاهر ما بهم من نعمك دليلهم عليك لو عرفوك وفى خلقك يا إلهى مندوحة أن يتناولوك بل سووك بخلقك فمن ثم لم يعرفوك واتخذوا بعض آياتك رباً فبدلك وصفوك تعاليت ربى عمّا به المشبهون نعتوك.

بيان: وبه أى وبالجهل قوله و التقدير على غير ما به وصفوك أى التقدير بما قدروا به من المقادير الجسمانية ينافى ما وصفوك به من الربوبية و يحتمل أن يكون المراد بالتقدير مطلق التوصيف أى ينبغى و يجب توصيفك على غير ما وصفوك به من الجسم و الصورة و المندوحة السعة أى فى التفكير فى خلقك و الاستدلال به على عظمتك و تقدسك عن صفات المخلوقين مندوحة عن أن يتفكروا فى ذاتك فينسبوا إليك ما لا يليق بجنابك أو المعنى أن التفكير فى الخلق يكفى فى أن لا ينسبوا إليك هذه الأشياء.

يد، التوحيد ابن الوليد عن الصفار عن البرقي عن بعض أصحابنا (1) قال: مرّ أبو الحسن الرضا عليه السلام بقبر من قبور أهل بيته فوضع يده عليه ثم قال إلهى بدت فدرتكَ.

و ذكر نحوه.

«15»-شا، الإرشاد جاءت الرواية أن علي بن الحسنين عليهما السلام كان فى مسجد رسول الله صلى الله عليه و آله ذات يوم إذ سمع قوماً يشبهون الله بخلقهم ففرغ لذلك و ارتاع له و نهض حتى أتى قبر رسول الله صلى الله عليه و آله فوقف عنده و دفع [رفع صوته يناجى ربه فقال فى مناجاته له إلهى بدت فدرتكَ و لم تبد هينته فجهلوك و قدروك بالتقدير على غير ما به أنت شبهوك إلى آخر ما مرّ.

«16»-ن، عيون أخبار الرضا عليه السلام ابن المنوكل عن علي بن إبراهيم عن الصقر بن دلف (2) عن ياسر

ص: 293

1- لعله هو أبو هاشم الجعفرى، و الظاهر اتحاد الخبر مع ما تقدم.

2- قد مر ذيل الخبر العاشر أن الموجود فى التراجم الصقر بن دلف.

الْحَادِمِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى الرِّضَا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يَقُولُ مَنْ شَبَّهَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ وَمَنْ نَسَبَ إِلَيْهِ مَا نَهَى عَنْهُ فَهُوَ كَافِرٌ.

«(17) -يد، التوحيد الدقاق عن الكليني عن علان عن سهل عن إبراهيم بن محمد الهمداني قال: كتبت إلى الرجل يعني أبا الحسن عليه السلام أن من قبلنا من مواليك قد اختلفوا في التوحيد فمنهم من يقول جسمٌ ومنهم من يقول صورةٌ فكتب عليه السلام بخطه سبحانه من لا يحُدُّ ولا يوصفُ ليس كمثلِه شيءٌ وهو السميع العليم أو قال البصير».

«(18) -يد، التوحيد ن، عيون أخبار الرضا عليه السلام الفامى في مسجد الكوفة عن محمد الحميري عن أبيه عن إبراهيم بن هاشم عن علي بن معبد (1) عن الحسن بن خالد عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليهما السلام قال: قلت له يا ابن رسول الله إن الناس يسبونا إلى القول بالتشبيه والجبر لما روي من الأخبار في ذلك عن آبائك الأئمة عليهم السلام فقال يا ابن خالد أخبرني عن الأخبار التي رويت عن آبائي الأئمة عليهم السلام في التشبيه والجبر أكثر أم الأخبار التي رويت عن النبي صلى الله عليه وآله في ذلك؟ فقلت بل ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله في ذلك أكثر قال فليقولوا إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول في التشبيه والجبر إذا قلت له إنهم يقولون إن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقل من ذلك شيئاً وإنما روي عليه قال فليقولوا في آبائي الأئمة عليهم السلام إنهم لم يقولوا من ذلك شيئاً وإنما روي عليهم ثم قال عليه السلام من قال بالتشبيه والجبر فهو كافر مشرك ونحن منه برءاء في الدنيا والآخرة يا ابن خالد إنما وضع الأخبار عتاً في التشبيه والجبر الغلاة الذين صغروا عظمة الله تعالى فمن أحبهم فقد أبغضنا ومن أبغضهم فقد أحبنا ومن عادانا ومن عاداهم فقد والانا ومن وصلهم فقد قطعنا ومن قطعهم فقد وصلنا ومن جفاهم فقد برنا ومن برهم فقد جفانا ومن أكرمهم فقد أهاننا ومن أهانهم فقد أكرمنا ومن قبلهم فقد ردنا ومن رداهم فقد قبلنا ومن أحسن إليهم فقد أساء إلينا ومن أساء إليهم فقد أحسن إلينا ومن صدقهم فقد كذبنا ومن كذبهم فقد صدقنا ومن أعطاهم فقد حرمنا ومن حرمهم فقد أعطانا يا ابن خالد من كان من شيعتنا فلا يتخذن منهم ولياً ولا نصيراً».

ص: 294

ج، الإحتجاج عن الحسين بن خالد عنه عليه السلام مثله.

«(19)-ج، الإحتجاج الحَسَنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمَانِيُّ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّ هِشَامَ بْنَ الْحَكَمِ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جِسْمٌ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ عَالِمٌ سَمِيعٌ بَصِيرٌ قَادِرٌ مُتَكَلِّمٌ نَاطِقٌ وَ الْكَلَامُ وَ الْقُدْرَةُ وَ الْعِلْمُ يَجْرِي مَجْرَى وَاحِدٍ لَيْسَ شَيْءٌ مِنْهَا مَخْلُوقًا فَقَالَ قَاتَلَهُ اللَّهُ أَمَا مَا عَلِمَ أَنَّ الْجِسْمَ مَحْدُودٌ وَ الْكَلَامَ غَيْرُ الْمُتَكَلِّمِ مَعَاذَ اللَّهِ وَ أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ لَا جِسْمٌ وَ لَا صُورَةٌ وَ لَا تَحْدِيدٌ وَ كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ مَخْلُوقٌ وَ إِنَّمَا تَكُونُ الْأَشْيَاءُ بِإِزَادَتِهِ وَ مَشِيئَتِهِ مِنْ غَيْرِ كَلَامٍ وَ لَا تَرَدُّدٍ فِي نَفْسٍ وَ لَا نُطْقٍ بِلِسَانٍ.

يد، التوحيد الدقاق عن محمد الأسدي عن البرمكي عن علي بن العباس عن الحسين بن عبد الرحمن الحماني مثله (1) بيان قوله ليس كمثل شئ ء يومئ إلى أنه لم يقل بالجسمية الحقيقية بل أطلق عليه لفظ الجسم ونفى عنه صفات الأجسام ويحتمل أن يكون مراده أنه لا يشبهه شئ ء من الأجسام بل هو نوع مباين لسائر أنواع الأجسام فعلى الأول نفى عليه السلام إطلاق هذا اللفظ عليه تعالى بأن الجسم إنما يطلق على الحقيقة التي يلزمها التقدير والتحديد فكيف يطلق عليه تعالى.

وقوله يجرى مجرى واحد إشارة إلى عينية الصفات و كون الذات قائمة مقامها فنفي عليه السلام كون الكلام كذلك ثم نبه على بطلان ما يوهم كلامه من كون الكلام من أسباب وجود الأشياء فلفظة كُنْ\* في الآية الكريمة كناية عن تسخيرها للأشياء وانقيادها له من غير توقف على التكلم بها ثم نفى عليه السلام كون الإرادة على نحو إرادة المخلوقين من خطوط بال أو تردد في نفس ويحتمل أن يكون المقصود بما نسب إلى هشام كون الصفات كلها مع زيادتها مشتركة في عدم الحدوث و المخلوقية فنفاه عليه السلام بإثبات المغايرة أولا ثم بيان أن كل شئ ء سواه مخلوق و الأول أظهر و لفظة تكون يمكن أن تقرأ على المعلوم و على المجهول من باب التفعيل.

«(20)-ج، الإحتجاج عن يَعْقُوبَ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ أَبِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: لَا أَقُولُ إِنَّهُ قَائِمٌ فَأُزِيلُهُ عَنْ مَكَانٍ وَ لَا أَحُدُّهُ بِمَكَانٍ يَكُونُ فِيهِ وَ لَا أَحُدُّهُ أَنْ يَتَحَرَّكَ فِي شَيْءٍ مِنْ

ص: 295

1- الموجود في التوحيد المطبوع: الحسن بن الحسين بن عبد الله.

الْأَرْكَانَ وَالْجَوَارِحَ وَلَا أَحَدُهُ بِلَفْظِ شَقٍّ فِيمَ وَ لَكِنْ كَمَا قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ بِمَشِيئَتِهِ مِنْ غَيْرِ تَرَدُّدٍ فِي نَفْسٍ صَمَدًا فَرْدًا لَمْ يَحْتَجَّ إِلَى شَرِيكِ يُدَبِّرْ لَهُ مُلْكَهُ وَلَا يَفْتَحْ لَهُ أَبْوَابَ عِلْمِهِ.

بيان: فأزيله عن مكانه أى فأقول إنه يجوز أن يزول ويتحرك من مكان إلى آخر فيلزم مع كونه تعالى جسما محتاجا تبدل الأحوال عليه أو المعنى أن القيام نسبة إلى المكان يخلو بعض المكان عن بعض القائم عنه و شغل بعضه ببعضه مع أن نسبته تعالى إلى جميع الأمكنة على السواء ولا يشتغل به مكان وقوله فى شىء من الأركان أى بشىء من الأعضاء والجوارح ويحتمل أن يكون فى بمعناه ويكون المراد بها الحركة الكمية وقوله عليه السلام: بلفظ شقّ فم أى بكلمة تخرج من فلقة الفم عند تكلمه بها.

«(21) -فس، تفسير القمى مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْعَبَّاسِ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ أُسَيْدٍ (1) عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ سَمِعْتُ مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ صَدَّقَ لَمَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَ يُسَمَّى بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ (2) الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ فَتَاهَتْ هُنَالِكَ عَقُولُهُمْ وَ اسْتَخَفَّتْ حُلُومُهُمْ فَضَرَبُوا لَهُ الْأَمْثَالَ وَ جَعَلُوا لَهُ أَنْدَادًا وَ شَبَّهُوهُ بِالْأَمْثَالِ وَ مَثَلُوهُ أَشْبَاهًا وَ جَعَلُوهُ يَزُولُ وَ يَحُولُ فَتَاهُوا فِي بَحْرِ عَمِيقٍ لَا يَدْرُونَ مَا عَوْرُهُ وَ لَا يَدْرُونَ كَمِيَّةَ بَعْدِهِ (3)»

«(22) -ب، قرب الإسناد ابن عيسى عن البرنطى قال: قُلْتُ لَهُ جُعِلْتُ فِدَاكَ هُمْ يَقُولُونَ فِي الصِّفَةِ فَقَالَ لِي هُوَ ابْتِدَاءٌ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ لَمَّا اسْتَرَى بِهِ أَوْقَفَهُ جَبْرَيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَوْقِعًا لَمْ يَطَأْ أَحَدٌ قَطُّ فَمَضَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فَأَرَاهُ اللَّهُ مِنْ نُورٍ عَظَمَتِهِ مَا أَحَبَّ فَوَقَّفَتْهُ عَلَى

ص: 296

1- أقول: الصحيح كما فى نسخة من «فس» الحسن بن أسد، وفى نسخة اخرى منه الحسين بن اسيد، و لعل كلمة «اسيد» تصحيف لاسد، أورد الشيخ فى رجاله الحسن بن اسد البصرى فى أصحاب الرضا عليه السلام، و الحسين بن أسد فى أصحاب الجواد و الهادى عليهما السلام، و حكى عن ابن الغضائرى تضعيف الحسن، و احتمال الميرزا و غيره اتحادهما.

2- وفى نسخة: و سمي بهذه الأسماء

3- وفى نسخة: و لا يدركون كنه بعده.



التَّشْبِيهِ فَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ دَعَا لَا يَنْفَتِحُ عَلَيْكَ مِنْهُ أَمْرٌ عَظِيمٌ.

بيان: فقال لى هو ابتداء أى من غير أن أذكر ما وصفوه من التشبيه فوقفته على التشبيه أى فذكرت له ما يقولون فى التشبيه فأجابه عليه السلام بتزييه تعالى عن ذلك و نهاه عن القول بذلك و التفكير فيه لئلا يفتح عليه من ذلك أمر عظيم هو الكفر و الخروج عن الدين.

(23)- يد، التوحيد المُفسَّرُ بِإِسْنَادِهِ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ الْعَسْكَرِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَامَ رَجُلٌ إِلَى الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لَهُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ صِفْ لَنَا رَبَّكَ فَإِنَّ مَنْ قَبَلْنَا قَدِ اخْتَلَفُوا عَلَيْنَا فَقَالَ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّهُ مَنْ يَصِفُ رَبَّهُ بِالْقِيَّاسِ لَا يَزَالُ الدَّهْرُ فِي الْإِلْتِبَاسِ مَاثِلًا عَنِ الْمُنَهَاجِ ظَاعِنًا فِي الْإِعْوَجَاجِ صَدًّا عَنِ السَّبِيلِ قَانِلًا غَيْرَ الْجَمِيلِ أَعْرَفُهُ بِمَا عَرَفَ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ وَأَصْدُقُهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ غَيْرِ صُورَةٍ لَا يَدْرُكُ بِالْحَوَاسِّ وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ مَعْرُوفٌ بِغَيْرِ تَشْبِيهِ (1) وَ مُتَدَانٍ فِي بُعْدِهِ لَا يَنْظِرُ لَا يَمْتَلُ بِخَلِيقَتِهِ وَ لَا يَجُوزُ فِي قَضِيَّتِهِ الْخَلْقُ إِلَى مَا عَلِمَ مُتَقَادُونَ وَ عَلَى مَا سَدَّ طَرَفَ فِي الْمَكْنُونِ مِنْ كِتَابِهِ مَا ضُونَ لَا يَعْمَلُونَ خِلَافَ مَا عَلِمَ مِنْهُمْ وَ لَا غَيْرَهُ يُرِيدُونَ فَهُوَ قَرِيبٌ غَيْرٌ مُلْتَزِقٍ وَ بَعِيدٌ غَيْرٌ مُتَقَصِّصٌ يُحَقِّقُ وَ لَا يُمْتَلُ وَ يُوحِدُ وَ لَا يُبَعِّضُ يُعْرِفُ بِالْآيَاتِ وَ يُثَبِّتُ بِالْعَلَامَاتِ فَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ كَلَامٍ آخَرَ تَكَلَّمَ بِهِ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ أَبِيهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ قَالَ مَا عَرَفَ اللَّهُ مِنْ شَبْهَةٍ بِخَلْقِهِ وَ لَا وَصَفَهُ بِالْعَدْلِ مَنْ نَسَبَ إِلَيْهِ ذُنُوبَ عِبَادِهِ.

بيان: الطعن السير و التقصى البعد و بلوغ الغاية يحقق على المجهول أى يثبت وجوده و لا يمثل أى لا يوجد كنهه فى الذهن.

(24)- ضه، روضة الواعظين روى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال له رجل أين المعبود فقال عليه السلام لا يقال له أين لأنه أين الأنيبة و لا يقال له كيف لأنه كيف الكيفية و لا يقال له ما هو لأنه خلق الماهية سبحانه من عظيم تاهت الفطن فى تيار أمواج عظمتيه (2)

ص: 297

1- فى نسخة: معروف بغير شبيهه، و فى أخرى: معروف بغير تنبيهه.

2- التيار: موج البحر الهائج.

وَ حَصِرَتِ الْأَلْبَابُ عِنْدَ ذِكْرِ أَرْزَلَيْتِهِ وَ تَحَيَّرَتِ الْعُقُولُ فِي أَفْلاكِ مَلَكُوتِهِ.

«(25) - وَ رُوِيَ عَنْهُ أَيْضاً عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: اتَّقُوا أَنْ تُمَثِّلُوا بِالرَّبِّ الَّذِي لَا مِثْلَ لَهُ أَوْ تُشَبِّهُوهُ مِنْ خَلْقِهِ أَوْ تُلْقُوا عَلَيْهِ الْأَوْهَامَ أَوْ تُعْمَلُوا فِيهِ الْفِكْرَ وَ تَضْرِبُوا لَهُ الْأَمْثَالَ أَوْ تَتَعْتُوهُ بِعُوتِ الْمَخْلُوقِينَ فَإِنَّ لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ نَاراً.

«(26) - يد، التوحيد الدَّقَاقُ عَنِ الْأَسَدِيِّ عَنِ النَّخَعِيِّ عَنِ النَّوْفَلِيِّ عَنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ ظَهَيْرٍ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَرِيرِ الْعَبْدِيِّ عَنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُحْسُ وَلَا يُجْسُ وَلَا يُمَسُّ وَلَا يَمَسُّهُ وَلَا يَمَسُّهُ بِالْحَوَاسِّ الْخَمْسِ وَلَا يَقَعُ عَلَيْهِ الْوَهْمُ وَلَا تَصِفُهُ الْأَلْسُنُ فَكُلُّ شَيْءٍ حَسَنُهُ الْحَوَاسُّ أَوْ جَسَنُهُ الْجَوَاسُّ (1) أَوْ لَمَسَتْهُ الْأَيْدِي فَهُوَ مَخْلُوقٌ وَاللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ حَيْثُ مَا يُبْتَعَى يُوجَدُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَانَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كَانَ لَمْ يُوْجَدْ لَوْصَدَفَهُ كَانَ (2) بَلْ كَانَ أَرْزَلًا كَانَ كَانِنًا (3) لَمْ يَكُونَهُ مُكُونٌ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بَلْ كَوَّنَ الْأَشْيَاءَ قَبْلَ كَوْنِهَا فَكَانَتْ كَمَا كَوَّنَهَا عَلِيمٌ مَا كَانَ وَ مَا هُوَ كَائِنٌ كَانَ إِذْ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ وَ لَمْ يَنْطِقْ فِيهِ نَاطِقٌ فَكَانَ إِذْ لَا كَانَ.

بيان: نفي كان إما لإشعاره بالحدوث كما مر أو لعدم كونه زمانياً بناء على أن الزمان يخص المتغيرات ويدل الخبر على حدوث العالم.

«(27) - يد، التوحيد الدَّقَاقُ عَنِ الْأَسَدِيِّ عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ الْبَغْدَادِيِّ عَنِ سَهْلِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: إِلَهِي تَاهَتْ أَوْهَامُ الْمُتَوَهِّمِينَ وَ قَصَّرَ طَرْفُ الطَّارِفِينَ وَ تَلَاسَّتْ أَوْصَافُ الْوَاصِفِينَ وَ اصْمَحَلَّتْ أَقَاوِيلُ الْمُبْطِلِينَ عَنِ الدَّرَكِ لِعَجِيبِ شَأْنِكَ أَوْ الْوُقُوعِ بِالْبُلُوغِ إِلَى غُلُوكَ فَأَنْتَ الَّذِي لَا تَنْتَاهِي وَ لَمْ يَقَعْ عَلَيْكَ عِيُونَ بِإِسْأَرَةٍ وَ لَا عِبَارَةٌ هَيْهَاتَ ثُمَّ هَيْهَاتَ يَا أَوْلَى يَا وَحْدَانِي يَا فَرْدَانِي شَمَخَتْ فِي الْعُلُوبِ عِزُّ الْكِبَرِ وَ ارْتَفَعَتْ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ غَوْرَةٍ وَ نَهَايَةَ بَجْبُرُوتِ الْفَخْرِ.

بيان: أو الوقوع أى عليك و يحتمل تعلق قوله بالبلوغ بالوقوع بأن تكون

ص: 298

1- جس الاخبار و الأمور: بحث عنها. الجواس: هى الحواس الخمس.

2- وفى نسخة: كان لا يوجد لوصفه كان.

3- وفى نسخة: بل كان اولاً كان كائناً.

الباء ظرفية ويحتمل أيضا تنازع الوقوع و البلوغ في قوله إلى علوك فأتى الذى لا تتناهى أى ليس لمعرفتك و معرفة صفاتك حدود تنتهى إليها أو لعلمك و قدرتك و رحمتك و غيرها نهاية تقف عندها و المراد بالعيون الجواسيس أو بالفتح بمعنى حديد البصر إن ساعده الاستعمال و إذا حمل على العيون جمع العين بمعنى الباصرة فإسناد العبارة إليها مجازى و يحتمل أن تكون العبارة متعلقة بقوله لا تتناهى على اللف و النشر غير المرتب و شمع علا و طال و الغور القعر من كل شىء أى ارتفعت عن أن يدرك كنه ذاتك و صفاتك بالوصول إلى غور الأفكار و نهايتها بسبب جبروت و عظمة ذاتية توجب الفخر.

«(28)-يد، التوحيد ابْنُ الْمُتَوَكِّلِ عَنِ السَّعْدِ أَبَا دِيٍّ عَنِ الْبَرْقِيِّ عَنِ دَاوُدَ بْنِ الْقَاسِمِ قَالَ سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى الرِّضَا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يَقُولُ مَنْ شَبَّهَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ وَمَنْ وَصَفَهُ بِالْمَكَانِ فَهُوَ كَافِرٌ وَمَنْ نَسَبَ إِلَيْهِ مَا نَهَى عَنْهُ فَهُوَ كَاذِبٌ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ

«(29)-يد، التوحيد الْفَافِي عَنِ مُحَمَّدِ الْجَمِيرِيِّ عَنِ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ عِيْسَى عَنِ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنِ غَيْرِ وَاحِدٍ عَنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: مَنْ شَبَّهَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ وَمَنْ أَنْكَرَ قُدْرَتَهُ فَهُوَ كَافِرٌ.

«(30)-يد، التوحيد الْفَافِي عَنِ مُحَمَّدِ الْجَمِيرِيِّ عَنِ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ عِيْسَى عَنِ مُحَمَّدِ الْبَرْقِيِّ عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ عَنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: مَنْ شَبَّهَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يُشْبَهُ شَيْئًا وَلَا يُشَبَّهُ شَيْءٌ وَكُلُّ مَا وَقَعَ فِي الْوَهْمِ فَهُوَ بِخِلَافِهِ.

قال الصدوق رحمه الله الدليل على أن الله سبحانه لا يشبه شيئا من خلقه من جهة من الجهات أنه لا جهة لشيء من أفعاله إلا محدثة و لا جهة محدثة إلا و هى تدل على حدوث من هى له فلو كان الله جل ثناؤه يشبه شيئا منها لدلت على حدوثه من حيث دلت على حدوث من هى له إذ المتماثلان فى العقول يقتضيان حكما واحدا من حيث تماثلا منها و قد قام الدليل على أن الله عز و جل قديم و محال أن يكون قديما من جهة حادثا من أخرى و من الدليل على أن الله تبارك و تعالى قديم أنه لو كان حادثا لوجب

أن يكون له محدث لأن الفعل لا يكون إلا بفاعل وكان القول في محدثه كالقول فيه وفي هذا وجود حادث قبل حادث لا إلى أول وهو محال فيصح أنه لا بد من صانع قديم وإذا كان ذلك كذلك فالذي يوجب قدم ذلك الصانع ويدل عليه يوجب قدم صانعنا ويدل عليه.

«(31)- يد، التوحيد ابن الوليد عن محمد العطار عن ابن أمان عن ابن أورمة عن إبراهيم بن الحكم بن ظهير (1) عن عبد الله بن جوين العبدى (2) عن أبي عبد الله عليه السلام أنه كان يقول الحمد لله الذي لا يحس ولا يجس ولا يمس ولا يدرك بالحواس الخمس ولا يقع عليه الوهم ولا تصفه الألسن وكل شئ في حسنة الحواس أو لمسته الأيدي فهو مخلوق الحمد لله الذي كان إذ لم يكن شئ غيره وكون الأشياء فكانت كما كونها وعلم ما كان وما هو كائن».

«(32)- يد، التوحيد الهمداني عن علي عن أبيه عن القاسم (3) عن جده عن يعقوب بن جعفر قال: سمعت أبا إبراهيم موسى بن جعفر عليهما السلام وهو يكلم راكباً من النصارى فقال له في بعض ما ناظره إن الله تبارك وتعالى أجل وأعظم من أن يحد يد أو رجل أو حركة أو سكون أو يوصف بطول أو قصر أو تبلغه الأوهام أو تحيط بصره فته العقول أنزل مواعظه وعده وأمره بلا شفة ولا لسان ولكن كما شاء أن يقول كُن فكان خيراً كما أراد في اللوح».

«(33)- يد، التوحيد حمزة بن محمد العلوي عن علي بن إبراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس عن محمد بن حكيم قال: وصفت لأبي الحسن عليه السلام قول هشام الجواليقي وما يقول في الشاب الموفق ووصفت له قول هشام بن الحكم فقال إن الله عز وجل لا يشبهه شئ» (4)

ص: 300

1- ظهير وزان زبير، أورد النجاشي ترجمته في ص 11 من رجاله، قال: إبراهيم بن الحكم بن ظهير الفزاري، أبو إسحاق صاحب التفسير عن السدي، له كتب منها كتاب الملاحم وكتاب الخطب الخ. أقول: ظاهره كون الرجل امامياً.

2- في نسخة من التوحيد «جون» بدلا عن «جوين». وتقدم الحديث بإسناد آخر تحت رقم 26، وفيه: عبد الله بن جرير العبدى. والرجل ليس المذكوراً في كتب رجالنا.

3- هو قاسم بن يحيى وجده الحسن بن راشد.

4- يأتي الحديث بإسناد آخر مفصلاً تحت رقم 37.

بيان: الموفق هو الذى أعضاؤه موافقة لحسن الخلقة أو المستوى من قولهم أوفقت الإبل إذا اصطفت و استوت و قيل إنه تصحيف الريق أى ذا البهجة و البهاء و قيل هو تصحيف الموفق بتقديم القاف بمعنى المزين فإن الوقف سوار من عاج و وقفت يديها بالحناء نقتطها و يحتمل أن يكون تصحيف المونق (1).

(34)- يد، التوحيد ابن الوليد عن الصقار عن سهل عن حمزة بن محمد قال: كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام أسأله عن الجسم و الصورة فكتب عليه السلام سبحان من ليس كمثله شئ ء لا جسم و لا صورة.

يد، التوحيد العطار عن أبيه عن سهل عن بعض أصحابه مثله- يد، التوحيد العطار عن أبيه عن سهل عن حمزة بن محمد إلى قوله شئ ء- أقول رواه الكراجكى عن الحسين بن عبيد الله الواسطى عن التلعكبرى عن الكلينى عن محمد بن الحسن عن سهل.

(35)- يد، التوحيد أبى عن أحمد بن إدريس عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان بن يحيى عن على بن أبى حمزة (2) قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام سمعت هشام بن الحكم يروى عنكم أن الله جل و عز جسم صمدى نورى معرفته ضرورة يمن بها على من يشاء من خلقه فقال عليه السلام سبحان من لا يعلم كيف هو إلا هو ليس كمثله شئ ء و هو السميع البصير (3) لا يحد و لا يحس و لا يحس و لا يمس و لا يدركه الحواس و لا يحيط به شئ ء لا جسم و لا صورة و لا تحيط و لا تحديد.

بيان: معرفته ضرورة أى تقذف فى القلب من غير اكتساب أو تحصل بالروية تعالى الله عن ذلك و قد يؤول كلامه بأن مراده بالجسم الحقيقة العينية القائمة بذاتها لا غيرها و بالصمدى ما لا يكون خاليا فى ذاته عن شئ ء فيستعد أن يدخل هو فيه أو مشتلا على شئ ء يصح عليه خروجه عنه و بالنورى ما يكون صافيا عن ظلم المواد و قابلياتها بل عن الماهية المغايرة للوجود و قابلياتها له.

ص: 301

1- المونق: الحسن المعجب.

2- هو البطائنى الواقفى الضعيف، و قد ورد أحاديث كثير فى ذمه.

3- وفى نسخة: و هو السميع العليم

«(36)- يد، التوحيد الدَّقَاقُ عَنْ مُحَمَّدِ الْأَسَدِيِّ عَنِ الْبُرْمَكِيِّ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ صَالِحِ بْنِ أَبِي حَمَادٍ (1) عَنْ بَكْرِ بْنِ صَالِحٍ (2) عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ قَالَ سَمِعْتُ يُونُسَ بْنَ ظَبْيَانَ (3) يَقُولُ دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ هِشَامَ بْنَ الْحَكَمِ يَقُولُ قَوْلًا عَظِيمًا إِلَّا أَنِّي أَخْتَصِرُ لَكَ مِنْهُ أَحْرَفًا يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ جِسْمٌ لِأَنَّ الْأَشْيَاءَ شَيْئَانِ جِسْمٌ وَفِعْلُ الْجِسْمِ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الصَّانِعُ بِمَعْنَى الْفِعْلِ وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى الْفَاعِلِ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيْلَهُ أَمَا عَلِمَ أَنَّ الْجِسْمَ مَحْدُودٌ مُتَنَاهٍ وَالصُّورَةُ مَحْدُودَةٌ مُتَنَاهِيَةٌ فَإِذَا احْتَمَلَ الْحَدَّ احْتَمَلَ الزِّيَادَةَ وَالنَّقْصَانَ وَإِذَا احْتَمَلَ الزِّيَادَةَ وَالنَّقْصَانَ كَانَ مَخْلُوقًا قَالَ قُلْتُ فَمَا أَقُولُ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا جِسْمٌ وَلَا صُورَةٌ وَهُوَ مُجَسَّمٌ الْأَجْسَامُ وَ مَصُورٌ الصُّورُ لَمْ يَتَجَزَأْ وَلَمْ يَتَنَاهَ وَلَمْ يَتَزَايِدْ وَلَمْ يَتَنَاقَصْ لَوْ كَانَ كَمَا يَقُولُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ فَرْقٌ وَلَا بَيْنَ الْمُنْشِئِ وَالْمُنْشَأِ لَكِنْ هُوَ الْمُنْشِئُ فَرْقٌ بَيْنَ مَنْ جَسَمَهُ وَصَوَّرَهُ وَأَنْشَأَهُ إِذْ كَانَ لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ وَلَا يُشْبَهُهُ شَيْءٌ».

إيضاح: استدلل عليه السلام على نفى جسميته تعالى بأنه لو كان جسماً لكان محدوداً بحدود متناهيا إليها لاستحالة لا تناهى الأبعاد وكل محتمل للحد قابل للانقسام بأجزاء متشاركة في الاسم والحد فله حقيقة كلية غير متشخصة بذاتها ولا موجودة بذاتها

ص: 302

1- قال النجاشي في ص 140 من رجاله: صالح بن أبي حماد أبو الخير الرازي، واسم أبي الخير زادويه، لقي أبا الحسن العسكري عليه السلام وكان أمره ملبسا، يعرف وينكر إلخ أقول: وحكى عن ابن الغضائري تضعيفه

2- ضعفه النجاشي وابن الغضائري والعلامة وغيرهم.

3- قال العلامة في القسم الثاني من الخلاصة: يونس ظبيان- بالطاء المعجمة المفتوحة، والباء المنقطعة تحتها نقطة، قبل الياء والنون أخيراً- قال أبو عمرو الكشي: قال الفضل بن شاذان في بعض كتبه: الكذابون المشهورون: أبو الخطاب، ويونس بن ظبيان، ويزيد الصائغ، ومحمد بن سنان، وأبو سمينة أشهرهم؛ وقال النجاشي: انه مولى، ضعيف جدا، لا يلتفت إلى ما رواه، كل كتبه تخليط؛ قال ابن الغضائري: يونس بن ظبيان كوفي غال كذاب وضاع للحديث، روى عن أبي عبد الله عليه السلام، فانا لا نعتمد على روايته لقول هؤلاء المشايخ العظماء فيه.

أو هو مركب من أجزاء حال كل واحد منها ما ذكر فيكون مخلوقاً أو بأن كل قابل للحد و النهاية قابل للزيادة و النقصان لا يتأبى عنهما في حد ذاته و إن استقر على حد معين فإنما استقر عليه من جهة جاعل ثم استدل عليه السلام بوجه آخر و هو ما يحكم به الوجدان من كون الموجد أعلى شأنًا و أرفع قدراً من الموجد و عدم المشابهة و المشاركة بينهما و إلا فكيف يحتاج أحدهما إلى العلة دون الآخر و كيف صار هذا موجداً لهذا بدون العكس و يحتمل أن يكون المراد عدم المشاركة و المشابهة فيما يوجب الاحتياج إلى العلة فيحتاج إلى علة أخرى قوله فرق بصيغة المصدر أى الفرق حاصل بينه و بين من صورته و يمكن أن يقرأ على الماضى المعلوم.

«(37)- يد، التوحيد على بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن أبي عبد الله البرقي عن أبيه عن جده أحمد بن البرنطلي عن محمد بن حكيم قال: وصفت لأبي إبراهيم عليه السلام قول هشام الجواليقي و حكيت له قول هشام بن الحكم إنه جسم فقال إن الله لا يشبهه شيء أئ فحش أو خناً أعظم من قول من يصف خالق الأشياء بجسم أو صورة أو بخلق أو بتحديد و أعضاء تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

بيان: الخنا الفحش في القول و يحتمل أن يكون التردد من الراوى.

«(38)- يد، التوحيد ابن المتوكل عن محمد العطار عن سهل عن محمد بن علي القاساني قال: كتبت إليه عليه السلام أن من قبلنا قد اختلفوا في التوحيد قال فكتب عليه السلام سبحان من لا يحد و لا يوصف و لا يشبهه شيء و ليس كمثله شيء و هو السميع البصير.

«(39)- يد، التوحيد ماجيلويه عن محمد العطار عن الأشعرى عن عمران بن موسى عن الحسن بن جريش الرازي عن بعض أصحابنا عن الطيب يعنى علي بن محمد و عن أبي جعفر عليه السلام أنهما قالا من قال بالجسم فلا تعطوه من الزكاة و لا تصلوا وراءه.

«(40)- نص، كفاية الأثر أبو المفضل الشيباني عن أحمد بن مطوق بن سوار عن المغيرة بن محمد بن المهلب عن عبد الغفار بن كثير عن إبراهيم بن حميد عن أبي هاشم عن مجاهد عن ابن عباس قال: قدم يهودى على رسول الله صلى الله عليه و آله يقال له نعل فقال يا محمد إنى سائلك عن أشياء تلجلج في صدرى منذ حين فإن أنت أحببتى عنها أسلمت على يدك ب

قَالَ سَلْ يَا أَبَا عُمَارَةَ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ صِفْ لِي رَبَّكَ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّ الْخَالِقَ لَا يُوصَفُ إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَكَيْفَ يُوصَفُ الْخَالِقُ الَّذِي يَعْبُرُ الْحَوَاسِ أَنْ تُدْرِكَهُ وَالْأَوْهَامُ أَنْ تَنَالَهُ وَالْحَطَرَاتُ أَنْ تُحَدَّهُ وَالْأَبْصَارُ عَنِ الْإِحَاطَةِ بِهِ جَلَّ عَمَّا يَصِفُهُ الْوَاصِدُونَ نَأَى فِي قُرْبِهِ وَقَرَّبَ فِي نَائِهِ كَيْفَ الْكَيْفِيَّةِ فَلَا يُقَالُ لَهُ كَيْفَ وَآيْنُ الْآيْنِ فَلَا يُقَالُ لَهُ آيْنٌ هُوَ مُتَقَطِعُ الْكَيْفِيَّةِ وَالْآيْنُونِيَّةِ فَهُوَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ وَالْوَاصِفُونَ لَا يَبْلُغُونَ نَعْتَهُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ قَالَ صَدَقْتَ يَا مُحَمَّدُ أَخْبَرْنِي عَنْ قَوْلِكَ إِنَّهُ وَاحِدٌ لَا شَبِيهَ لَهُ أَلَيْسَ اللَّهُ وَاحِدٌ وَ الْإِنْسَانُ وَاحِدٌ فَوَحْدَانِيَّتُهُ أَشَدُّ بَهْتٌ وَوَحْدَانِيَّةُ الْإِنْسَانِ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ اللَّهُ وَاحِدٌ وَ أَحَدِيٌّ الْمَعْنَى وَالْإِنْسَانُ وَاحِدٌ ثَنَوِيٌّ الْمَعْنَى جِسْمٌ وَعَرَضٌ وَبَدَنٌ وَرُوحٌ فَإِنَّمَا التَّشْبِيهُ فِي الْمَعْنَى لَا غَيْرُ قَالَ صَدَقْتَ يَا مُحَمَّدُ.

«41»-يد، التوحيد ابن الوليد عن مُحَمَّدِ الْعَطَّارِ عَنِ الْأَشْعَرِيِّ عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَيْسَى عَنِ هِشَامِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْعَبَّاسِيِّ قَالَ: قُلْتُ لَهُ يَعْنِي أَبَا الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ جُعِلْتُ فِدَاكَ أَمْرِي بَعْضُ مَوَالِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ مَسْأَلَةٍ قَالَ وَمَنْ هُوَ قُلْتُ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ قَالَ وَفِي أَيِّ شَيْءٍ الْمَسْأَلَةُ قُلْتُ فِي التَّوْحِيدِ قَالَ وَ أَيْ شَيْءٍ مِنْ التَّوْحِيدِ قَالَ يَسْأَلُكَ عَنِ اللَّهِ جِسْمٌ أَوْ لَا جِسْمٌ فَقَالَ لِي إِنَّ لِلنَّاسِ فِي التَّوْحِيدِ ثَلَاثَةَ مَذَاهِبٍ اثْبَاتٌ بِتَشْبِيهِهِ وَمَذْهَبُ النَّفْيِ وَمَذْهَبُ اثْبَاتٍ بِلَا تَشْبِيهِهِ فَمَذْهَبُ الْإِثْبَاتِ بِتَشْبِيهِهِ لَا يَجُوزُ وَمَذْهَبُ النَّفْيِ لَا يَجُوزُ وَالطَّرِيقُ فِي الْمَذْهَبِ الثَّلَاثِ اثْبَاتٌ بِلَا تَشْبِيهِهِ.

«42»-يد، التوحيد ابن المَتَوَكَّلِ عَنِ الْحَمِيرِيِّ عَنِ ابْنِ عَيْسَى عَنِ ابْنِ مَجْبُوبٍ عَنِ يَعْقُوبَ السَّرَّاجِ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّ بَعْضَ أَصْحَابِنَا يَزْعُمُ أَنَّ لِلَّهِ صُورَةً مِثْلَ الْإِنْسَانِ وَقَالَ آخَرُ إِنَّهُ فِي صُورَةِ أَمْرَدٍ جَعَدٍ قَطَطٍ فَخَرَّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَاجِدًا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ سَهْلُ بْنُ جَعَانَ اللَّهُ الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ لَا يُحِيطُ بِهِ عِلْمٌ لَمْ يَلِدْ لِأَنَّ الْوَلَدَ يُشْبِهُ أَبَاهُ وَ لَمْ يُولَدْ فَيُشْبِهُ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ خَلْقِهِ كُفُوًا أَحَدٌ تَعَالَى عَنْ صِفَةٍ مِنْ سِوَاهُ عَلُوًّا كَبِيرًا.

بيان: الجعد ضد السبط قال الجزري في صفة شعره عليه السلام ليس بالسبط



ولا الجعد القلط السبط من الشعر المنبسط المسترسل و القلط الشديدة الجعودة.

«(43) - كش، رجال الكشي مُحَمَّدُ بْنُ مَسْعُودٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ الْقَمِيِّ عَنِ الْبَرْقِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُوسَى بْنِ عَيْسَى (1) عَنْ إِسْكِيْبِ بْنِ أَحْمَدَ الْكَيْسَانِيِّ (2) عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ هِشَامِ الْحَيَّاطِ (3) قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَسْأَلُكَ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ سَلْ يَا جَبَلِيَّ عَمَّاذَا تَسْأَلُنِي فَقُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ زَعَمَ هِشَامُ بْنُ سَالِمٍ أَنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ صُورَةً وَأَنَّ آدَمَ خُلِقَ عَلَى مِثَالِ الرَّبِّ فَيَصِفُ هَذَا وَهُوَ أَوْمَاتٌ إِلَى جَانِبِي وَشَعْرَ رَأْسِي وَزَعَمَ يُونُسُ مَوْلَى آلِ يَقْطِينٍ وَهِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ أَنَّ اللَّهَ شَيْءٌ لَا كَالْأَشْيَاءِ وَأَنَّ الْأَشْيَاءَ بَائِنَةٌ مِنْهُ وَأَنَّ بَائِنٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ وَزَعَمَ أَنَّ الْإِثْبَاتَ الشَّيْءُ أَنَّ يُقَالُ جِسْمٌ فَهُوَ جِسْمٌ لَا كَالْأَجْسَامِ شَيْءٌ لَا كَالْأَشْيَاءِ ثَابِتٌ مُوجُودٌ غَيْرٌ مَفْقُودٌ وَلَا مَعْدُومٌ خَارِجٌ عَنِ الْحَدِيثِ حَدِّ الْإِبْطَالِ وَحَدِّ التَّشْبِيهِ فَبِأَيِّ الْقَوْلَيْنِ أَقُولُ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرَادَ هَذَا الْإِثْبَاتَ وَهَذَا شَبَّهَ رَبَّهُ تَعَالَى بِمَخْلُوقٍ تَعَالَى اللَّهُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ شِبْهُهُ وَلَا مِثْلٌ وَلَا عَدْلٌ وَلَا نَظِيرٌ وَلَا هُوَ بِصِفَةِ الْمَخْلُوقِينَ لَا تَقْلُ بِمِثْلِ مَا قَالَ هِشَامُ بْنُ سَالِمٍ وَقُلْ بِمَا قَالَ مَوْلَى آلِ يَقْطِينٍ وَصَاحِبُهُ قَالَ فَقُلْتُ يُعْطَى الزَّكَاةَ مَنْ خَالَفَ هِشَامًا فِي التَّوْحِيدِ فَقَالَ بِرَأْسِهِ لَا.

بيان: أراد هذا الإثبات أي يونس وهشام بن الحكم ولعله عليه السلام إنما صوب قولهما في المعنى لا في إطلاق لفظ الجسم عليه تعالى و يظهر مما زعما من أن إثبات الشئ أن يقال جسم أن مرادهم بالجسم أعم من المعنى المصطلح كما مر.

ص: 305

1- الظاهر هو أبو جعفر السمان الهمداني الذي قال النجاشي في حقه: ضعفه القميون بالغلو وكان ابن الوليد يقول: إنّه كان يضع الحديث والله أعلم. أقول: حكى عن ابن الغضائري أيضا. تضعيفه وإنه يروى عن الضعفاء، ويجوز أن يخرج شاهدا، تكلم القميون فيه بالرد. و استثنوا من نوادر الحكمة ما رواه.

2- لم نجد له ذكرا في التراجم، والموجود في الكشي: اسكيب بن عبدك الكيساني.

3- لم نجد له ذكرا في التراجم، نعم قال صاحب تنقيح المقال: عبد الملك بن هشام الحنط الجبلي روى عنه الكشي مسندا عنه عن أبي الحسن الرضا عليه السلام رواية تأتي في هشام بن سالم يظهر منها كونه من الشيعة المتدينين، بل يستشتم من مجموع الرواية كونه مورد لطف الرضا عليه السلام فلاحظ و تدبر. انتهى. أقول: وأنت ترى أن الرواية خالية عما ذكره رحمه الله.

«44»-يد، التوحيد ماجيلويهِ عَنْ عَمِّهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الصَّيْرَفِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَمَّادٍ عَنِ الْمُفَضَّلِ عَنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يُقَدِّرُ قُدْرَتُهُ وَلَا يَقْدِرُ الْعِبَادُ عَلَى صِدْفَتِهِ وَلَا يَبْلُغُونَ كُنْهَ عِلْمِهِ وَلَا مَبْلَغَ عَظَمَتِهِ وَلَيْسَ شَيْءٌ غَيْرُهُ وَهُوَ نُورٌ لَيْسَ فِيهِ ظُلْمَةٌ وَ صِدْقٌ لَيْسَ فِيهِ كَذِبٌ وَ عَدْلٌ لَيْسَ فِيهِ جَوْرٌ وَ حَقٌّ لَيْسَ فِيهِ بَاطِلٌ كَذَلِكَ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ أَبَدَ الْأَبَدِينَ وَ كَذَلِكَ كَانَ إِذْ لَمْ تَكُنْ أَرْضٌ وَلَا سَمَاءٌ وَلَا لَيْلٌ وَلَا نَهَارٌ وَلَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ وَلَا نُجُومٌ وَلَا سَحَابٌ وَلَا مَطَرٌ وَلَا رِيَّاحٌ ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَحَبَّ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقًا يُعْظَمُونَ عَظَمَتَهُ وَيَكْبُرُونَ كِبْرِيَاءَهُ وَيُجِلُّونَ جَلَالَهُ فَقَالَ كُونَا ظَلِيلَيْنِ فَكَانَا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

قال الصدوق رحمه الله معنى قوله هو نور أى هو منير و هاد و معنى قوله كونا ظليلين الروح المقدس و الملك المقرب و المراد به أن الله كان و لا شىء معه فأراد أن يخلق أنبياءه و حججه و شهداءه فخلق قبلهم الروح المقدس و هو الذى يؤيد الله عز و جل به أنبياءه و شهداءه و حججه صلوات الله عليهم و هو الذى يحرسهم به من كيد الشيطان و وسواسه و يسددهم و يوفقهم و يمددهم بالخواطر الصادقة ثم خلق الروح الأمين الذى نزل على أنبيائه بالوحي منه عز و جل و قال لهما كونا ظليلين لظليلين و رسلى و حججى و شهدائى فكانا كما قال الله عز و جل ظليلين لظليلين لأنبيائه و رسله و حججه و شهدائه يعينهم بهما و ينصرهم على أيديهما و يحرسهم بهما و على هذا المعنى قيل للسلطان العادل إنه ظل الله فى أرضه لعباده يأوى إليه المظلوم و يأمن به الخائف الوجل و يأمن به السبل و ينتصر به الضعيف من القوى (1) و هذا هو سلطان الله و حجته التى لا تخلو الأرض منه إلى أن تقوم الساعة. (2)

ص: 306

1- و فى نسخة: و ينتصف به الضعيف من القوى.

2- ما ذكره الصدوق رحمه الله و ما أورده المصنّف فى البيان لا ينطبق شىء منهما على فقرات الرواية، و الذى يظهر من الروايات الواردة فى هذا اللسان أن المراد بقوله: ليس شىء غير: أنه الشىء بحقيقة الشيئية و الوجود كما يؤيده الفقرات التاليات. و المراد بالظليلين: العالمين العلوى و السفلى و هو المعنى المناسب لقوله: ليس شىء غير. ط.

بيان: قوله عليه السلام: و ليس شىء غيره أى كذلك أو كان كذلك حين لا شىء غيره و يحتمل اتصاله بما بعده أى هو متصف بتلك الأوصاف المذكورة بعد ذلك لا شىء غيره و قوله عليه السلام: كونا ظلين يحتمل أن يكون إشارة إلى خلق أرواح الثقلين فإن الظلال تطلق على عالم الأرواح فى الأخبار كما سيأتى أو إلى الملائكة و أرواح البشر أو إلى نور محمد و على صلوات الله عليهما أو نور محمد و نور أهل بيته عليهم السلام

و يُؤَيِّدُهُ مَا سَبَّيَاتِي فِي بَابِ بَدْءِ خَلْقِ أَرْوَاحِ الْأَيِّمَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: كَانَ اللَّهُ وَ لَا شَيْءٌ غَيْرُهُ فَأَوَّلُ مَا ابْتَدَأَ مِنْ خَلْقِ خَلْقِهِ أَنْ خَلَقَ مُحَمَّدًا وَ خَلَقْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ مَعَهُ مِنْ نُورِ عَظْمَتِهِ فَأَوْقَفْنَا أَظْلَمَةَ خَضِرَاءَ بَيْنَ يَدَيْهِ حَيْثُ لَا سَمَاءَ وَ لَا أَرْضَ وَ لَا مَكَانَ وَ لَا لَيْلَ وَ لَا نَهَارَ وَ لَا شَمْسَ وَ لَا قَمَرَ الْخَبَرَ.

وَ عَنْ صَفْوَانَ عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِينَ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ فَأَمَرَ نُورَيْنِ مِنْ نُورِهِ فَطَافَا حَوْلَ الْعَرْشِ سَبْعِينَ مَرَّةً فَقَالَ عَزَّ وَ جَلَّ هَذَانِ نُورَانِ لِي مُطِيعَانِ فَخَلَقَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ مُحَمَّدًا وَ عَلِيًّا وَ الْأَصْفِيَاءَ مِنْ وُلْدِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَ عَنِ الثَّمَالِيِّ قَالَ: دَخَلَتْ حَبَابَةُ الْوَالِيَّةُ (1) عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَتْ أَخْبِرْنِي يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ أَيَّ شَيْءٍ كُنْتُمْ فِي الْأَظْلَمَةِ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كُنَّا نُورًا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ قَبْلَ خَلْقِ خَلْقِهِ الْخَبَرَ.

و يحتمل أن يكون المراد بهما مادتي السماء و الأرض.

(45) -فس، تفسير القمى أبى عن البرنطى عن الرضا عليه السلام قال: قال لى يا أحمد ما الخلف بينكم و بين أصحاب هشام بن الحكم فى التوحيد فقلت فإذك قلنا نحن بالصورة للحديث الذى روى أن رسول الله صلى الله عليه و آله رأى ربه فى صورة شاب فقال هشام بن الحكم بالنفى بالجسم فقال يا أحمد إن رسول الله صلى الله عليه و آله لما أسرى به إلى السماء و بلغ عذبة سدرة المنتهى حرق له فى الحجب مثل سم الإبرة فرأى من نور العظمة ما شاء الله أن يرى و أردت أنتم التثنية دع هذا يا أحمد لا يفتح عليك منه أمر عظيم.

بيان: بالنفى أى نفى الصورة مع القول بالجسم و المراد بالحجب إما الحجب المعنوية و بالرؤية الرؤية القلبية أو الحجب الصورية فالمراد بنور العظمة آثار عظمتته بروية عجائب خلقه.

ص: 307

1- الحجابة بفتح الحاء و تخفيف الباء.

«46»-سن، المحاسن مُحَمَّدُ بْنُ عَيْسَى عَنْ أَبِي هَاشِمٍ الْجَعْفَرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي الْأَشْعَثُ بْنُ حَاتِمٍ أَنَّهُ سَأَلَ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ التَّوْحِيدِ فَقَالَ أَلَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ قُلْتَ نَعَمْ قَالَ أَفَرَأَى لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ فَقَرَأَتْ فَقَالَ وَمَا الْأَبْصَارُ قُلْتَ أَبْصَارُ الْعَيْنِ قَالَ لَا إِنَّمَا عَنَى الْأَوْهَامَ لَا تُدْرِكُ الْأَوْهَامَ كَيْفِيَّتَهُ وَهُوَ يُدْرِكُ كُلَّ فَهَمٍ.

سن، المحاسن مُحَمَّدُ بْنُ عَيْسَى عَنْ أَبِي هَاشِمٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَحْوَهُ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ الْأَبْصَارُ هَاهُنَا أَوْهَامُ الْعِبَادِ وَالْأَوْهَامُ أَكْثَرُ مِنَ الْأَبْصَارِ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَوْهَامَ وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَوْهَامُ.

بيان: كون الأوهام أكثر لأن البصر في الشخص متحد وله واهمة و متفكرة و متخيلة و عاقلة و كثيرا ما يسلب عن الشخص البصر و تكون له تلك القوى و يحتمل أن يكون المراد بها أكثرية مدرقاتها فإنها تدرك ما لا يدركه البصر أيضا.

«47»-شى، تفسير العياشى عَنِ الثَّمَالِيِّ عَنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ لَا يُوصَفُ اللَّهُ بِمُحْكَمٍ وَحِيهِ عَظْمٌ رَبُّنَا عَنِ الصِّفَةِ وَكَيْفَ يُوصَفُ مَنْ لَا يَحُدُّ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ

بيان: أى دل محكم الآيات على أنه لا يوصف كقوله تعالى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و قوله لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ أقول قد مرّ كثير من الأخبار المناسبة لهذا الباب فى باب إثبات الصانع و باب النهى عن التفكير و سياىتى بعضها فى باب جوامع التوحيد و باب احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على النصارى و باب الرؤية.

## باب 14 نفى الزمان و المكان و الحركة و الانتقال عنه تعالى و تأويل الآيات و الأخبار فى ذلك

(1)-لى، الأمالى للصدوق السنائى عن الأسدى عن التّحعى عن عمّه النّوفلى عن على بن سالم عن أبى بصير عن أبى عبد الله الصّادق عليه السلام قال: إنّ الله تبارك و تعالى لا يوصف بزمان و لا مكان و لا حركة و لا انتقال و لا سكون بل هو خالق الزّمان و المكان و الحركة و السّكون و الانتقال تعالى عمّا يقول الظّالمون علواً كبيراً.

(2)-شا، الإرشاد ج، الإحتجاج روى أن بعض أخبار اليهود جاء إلى أبى بكر فقال له أنت خليفة رسول الله على الأمة (1) فقال نعم فقال إنا نجد فى التّوراة أن خلفاء الأنبياء أعلم أمهم فخبّرني عن الله أين هو فى السماء هو أم فى الأرض فقال له أبو بكر فى السماء على العرش قال اليهودى فأرى الأرض خالية منه فأراه على هذا القول فى مكان دون مكان فقال له أبو بكر هذا كلام الرّنادقة اعزب عنى و إلا قتلتك فولى الرّجل متعجباً يستهزئ بالاسلام فاستقبله أمير المؤمنين عليه السلام فقال له يا يهودى قد عرفت ما سألت عنه و ما أحببت به و إنا نقول إنّ الله عزّ و جلّ أين فلا أين له و جلّ من أن يحويه مكان و هو فى كل مكان بغير مماسّة و لا مجاورة يحيط علماً بما فيها و لا يحلوشى ء من تدبيره تعالى و إني مخبرك بما جاء فى كتاب من كتبكم يصدق بما ذكرته لك فإن عرفتّه أئؤمن به قال اليهودى نعم قال ألسنتم تجدون فى بعض كتبكم أن موسى بن عمران كان ذات يوم جالساً إذ جاءه ملك من المسرّيق فقال له من أين جئت قال من عند الله عزّ و جلّ ثمّ جاءه ملك من المغرب فقال له من أين جئت قال من عند الله عزّ و جلّ ثمّ جاءه ملك آخر فقال له من أين جئت قال قد جئت من السماء السابعة من عند الله عزّ و جلّ و جاءه ملك آخر فقال من أين جئت قال قد جئت من الأرض السابعة السفلى من عند الله عزّ و جلّ فقال موسى عليه السلام سبحان

ص: 309

1- فى نسخة: أنت خليفة رسول هذه الأمة.

مَنْ لَا يَخْلُو مِنْهُ مَكَانٌ وَلَا يَكُونُ إِلَى مَكَانٍ أَقْرَبَ مِنْ مَكَانٍ فَقَالَ الْيَهُودِيُّ أَشْهَدُ أَنَّ هَذَا هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ وَأَنَّكَ أَحَقُّ بِمَقَامِ نَبِيِّكَ مِمَّنِ اسْتَوْلَى عَلَيْهِ.

بيان: عَزَبَ عنه يعزُبُ ويعزُبُ أى بعد و غاب و فسّر عليه السلام قوله و هو فى كل مكان بما ذكره بعده ليظهر أن المراد به الإحاطة بالعلم و التدبير.

(3)- شا، الإرشاد ج، الإحتجاج رَوَى الشَّعْبِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلًا يَقُولُ وَ الَّذِي احْتَجَبَ بِسَبْعِ طَبَاقٍ فَعَلَاهُ بِالْدَّرَةِ (1) ثُمَّ قَالَ لَهُ يَا وَيْلَكَ إِنَّ اللَّهَ أَجَلُّ مِنْ أَنْ يَحْتَجِبَ عَنْ شَيْءٍ أَوْ يَحْتَجِبَ عَنْهُ شَيْءٌ سِوَى اللَّهِ الَّذِي لَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ فَقَالَ الرَّجُلُ أَفَأُكْفِّرُ عَنْ يَمِينِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ لَا لَمْ تَخْلِفْ بِاللَّهِ فَيَلْزَمَكَ الْكُفَّارَةُ (2) وَإِنَّمَا حَلَفْتَ بِغَيْرِهِ.

(4)- ج، الإحتجاج فى جوابِ أسئلة الرّديق المنكر للقرآن- عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ مَعْنَى قَوْلِهِ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ فَإِنَّمَا خَاطَبَ نَبِيَّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ هَلْ يَنْتَظِرُ الْمُنَافِقُونَ وَ الْمُسَدِّرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ فَيُعَايِنُوهُمْ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَعْنِي بِذَلِكَ أَمْرَ رَبِّكَ وَ الْآيَةَ هِيَ الْعَذَابُ فِي دَارِ الدُّنْيَا كَمَا عَذَّبَ الْأُمَمَ السَّالِفَةَ وَ الْقُرُونَ الْخَالِيَةَ وَ قَالَ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا يَعْنِي بِذَلِكَ مَا يَهْلِكُ مِنَ الْقُرُونَ فَسَمَّاهُ إِتْيَانًا وَقَوْلُهُ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى يَعْنِي اسْتَوَى تَدْبِيرُهُ وَ عَلَا أَمْرُهُ وَقَوْلُهُ وَ هُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَ فِي الْأَرْضِ إِلَهُ وَقَوْلُهُ وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيَّنَ مَا كُنْتُمْ وَقَوْلُهُ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةَ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ فَإِنَّمَا أَرَادَ بِذَلِكَ اسْتِيْلَاءَ أَمْنَانِهِ بِالْقُدْرَةِ الَّتِي رَكَّبَهَا فِيهِمْ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ وَ أَنَّ فِعْلَهُمُ فَعَلُهُ الْخَبَرَ.

يد، التوحيد فى هَذَا الْخَبَرِ وَقَالَ فِي آيَةِ أُخْرَى فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا يَعْنِي أُرْسِلَ عَلَيْهِمْ عَذَابًا وَ كَذَلِكَ إِتْيَانُهُ بُنْيَانَهُمْ وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَاتَّيَانُهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ إِزْسَالُ الْعَذَابِ.

ص: 310

1- الدرّة بكسر الدال و تشديد الراء: السوط.

2- فى شا: فيلزمك الكفارة كفارة الحنث.

تبيان قال البيضاوى هَلْ يَنْظُرُونَ أَى مَا يَنْتَظِرُونَ يعنى أهل مكة وهم ما كانوا منتظرين لذلك ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ مَلْأِكَةُ الْمَوْتِ أَوِ الْعَذَابِ أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ أَى أمره بالعذاب أو كل آية يعنى آيات القيامة والهلاك الكلى لقوله أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يعنى أشرط الساعة. (1) أقول لعله عليه السلام فسّر إتيان الرب بالقيامة وإتيان أمره تعالى بقيامتها وإتيان بعض الآيات بنزول العذاب فى الدنيا وإتيان الملائكة بظهورهم عند الموت أو الأعم منه ومن غيره.

وقال الطبرسى رحمه الله أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ أَى تقصيدها نَقَصَ بِهَا مِنْ أَطْرَافِهَا اختلف فى معناه على أقوال أحدها أَوْ لَمْ يَرَوْا الكفار أنا نقص أطراف الأرض باماتة أهلها و ثانيها نقصها بذهاب علمائها وفقهائها و خيار أهلها و ثالثها أن المراد نقص الأرض نقصها من أطرافها بالفتوح على المسلمين منها فنقص من أهل الكفر و نزيد فى المسلمين يعنى ما دخل فى الإسلام من بلاد الشرك و رابعها أن معناه أَوْ لَمْ يَرَوْا ما يحدث فى الدنيا من الخراب بعد العمارة و الموت بعد الحياة و النقصان بعد الزيادة انتهى.

و أما ما ذكره عليه السلام أخيرا فى الخبر الأول فالظاهر تعلقه بالثلاثة الأخيرة فالمراد بالأولى نفوذ أمره تعالى فى السماء و الأرض و خلقه الملائكة و الحجج فيهما و إنفاذهم أمره تعالى فيهما و بالثانية كون الملائكة و الحجج معهم شاهدين عليهم و كذا الثالثة.

(5) -ج، الإحتجاج عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ جَعْفَرِ الْجَعْفَرِيِّ عَنْ أَبِي إِبْرَاهِيمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: ذُكِرَ عِنْدَهُ قَوْمٌ زَعَمُوا أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْزِلُ وَ لَا يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَنْزَلَ إِنَّمَا مَنْظَرُهُ فِي الْقُرْبِ وَ الْبُعْدِ سَوَاءٌ لَمْ يَبْعُدْ مِنْهُ قَرِيبٌ وَ لَمْ يَقْرُبْ مِنْهُ بَعِيدٌ وَ لَمْ يَحْتَاجْ إِلَى شَيْءٍ بَلْ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَ هُوَ ذُو الطَّلْوِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ أَمَا قَوْلُ الْوَاصِفِينَ إِنَّهُ يَنْزِلُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ فَإِنَّمَا يَقُولُ ذَلِكَ مَنْ يَنْسُبُهُ إِلَى نَقْصٍ أَوْ زِيَادَةٍ وَ كُلُّ مُتَحَرِّكٍ مُحْتَاجٌ إِلَى مَنْ يَحْرِكُهُ أَوْ يَتَحَرَّكُ بِهِ فَمَنْ ظَنَّ بِاللَّهِ الظُّنُونَ

ص: 311

فَقَدْ هَلَكَ وَأَهْلَكَ فَاحْذَرُوا فِي صِفَاتِهِ مِنْ أَنْ تَقْفُوا لَهُ عَلَى حَدٍّ مِنْ نَقْصٍ أَوْ زِيَادَةٍ أَوْ تَحْرِيكِ أَوْ تَحْرُكٍ أَوْ زَوَالٍ أَوْ اسْتِنزَالٍ أَوْ نُهُوضٍ أَوْ فُعودٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ صِفَةِ الْوَاصِفِينَ وَنَعْتِ النَّاعَتِينَ وَتَوْهْمِ الْمُتَوَهِّمِينَ.

يد، التوحيد الدَّقَاقُ عَنِ الْأَسَدِيِّ عَنِ الْبَزْمَكِيِّ عَنِ عَلِيِّ بْنِ عِيَّاشٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ رَاشِدٍ عَنِ يَعْقُوبَ بْنِ جَعْفَرِ الْجَعْفَرِيِّ مِثْلَهُ وَزَادَ فِي آخِرِهِ وَتَوَكَّلَ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ

بيان: إنما منظره أى نظره وعلمه وإحاطته بأن يكون مصدرا ميميا أو ما ينظر إليه فى القرب و البعد منه سواء أى لا يختلف اطلاعه على الأشياء بالقرب و البعد لأن القرب و البعد إنما يجريان فى المكانى بالنسبة إلى المكان و هو سبحانه متعال عن المكان و الطول الفضل و الإنعام.

قوله فإنما يقول ذلك من ينسبه إلى نقص أى النزول المكانى إنما يتصور فى المتحيز و كل متحيز موصوف بالتقدر و كل متقدر متصف بالنقص عما هو أزيد منه و بالزيادة على ما هو أنقص منه أو يكون فى نفسه قابلا للزيادة و النقصان و الوجوب الذاتى ينافى ذلك لاستلزامه التجزؤ و الانقسام المستلزمين للإمكان و أيضا كل متحرك محتاج إلى من يحركه أو يتحرك به لأن المتحرك إما جسم أو متعلق بالجسم و الجسم المتحرك لا بد له من محرك لأنه ليس يتحرك بجسميته و المتعلق بالجسم لا بد له فى تحركه من جسم يتحرك به و هو سبحانه منزه عن الاحتياج إلى المتحرك و عن التغير بمغير و عن التعلق بجسم يتحرك به و يحتمل أن يكون المراد بالأول الحركة القسرية و بالثانى ما يشمل الإرادية و الطبيعية بأن يكون المراد بقوله من يتحرك به ما يتحرك به من طبيعة أو نفس.

وقوله من أن تقفوا من وقف يقف أى أن تقوموا فى الوصف له و توصيفه على حد فتحدونه بنقص أو زيادة و يحتمل أن يكون من قفا يقفوا أى أن تتبعوا له فى البحث عن صفاته تتبعا على حد تحدونه بنقص أو زيادة و قوله حين تقوم أى إلى التهجد أو إلى الخيرات أو إلى الأمور كلها و تقلبك فى الساجدين أى ترددك و حركاتك فيما بين المصلين بالقيام و القعود و الركوع و السجود.



(6) -ج، الإحتجاج عن يَعْقُوبَ بْنِ جَعْفَرَ الْجَعْفَرِيِّ قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ الْغَفَّارِ السُّلَمِيُّ أَبَا إِبْرَاهِيمَ مُوسَى بْنِ جَعْفَرَ عَلَيْهِمَا السَّلَام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَقَالَ أَرَى هَاهُنَا خُرُوجًا مِنْ حُجْبٍ وَتَدَلِّيًّا إِلَى الْأَرْضِ وَ أَرَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ رَأَى رَبَّهُ بِقَلْبِهِ وَ نُسِبَ إِلَى بَصَرِهِ وَ كَيْفَ هَذَا فَقَالَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام دَنَا فَتَدَلَّى فَإِنَّهُ لَمْ يَدَلْ [يَتَدَلَّ عَنْ مَوْضِعٍ وَ لَمْ يَتَدَلَّ بِبَدَنِ فَقَالَ عَبْدُ الْغَفَّارِ أَصْفُهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ حَيْثُ قَالَ دَنَا فَتَدَلَّى فَلَمْ يَتَدَلَّ عَنْ مَجْلِسِهِ إِلَّا قَدْ زَالَ عَنْهُ وَ لَوْ لَا ذَلِكَ لَمْ يَصِفْ بِذَلِكَ نَفْسَهُ فَقَالَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام إِنَّ هَذِهِ لُغَةٌ فِي قُرَيْشٍ إِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ أَنْ يَقُولَ قَدْ سَمِعْتُ يَقُولُ قَدْ تَدَلَّيْتُ وَ إِنَّمَا التَّدَلَّى الْفَهْمُ.

بيان: التدلى القرب و النزول من علو و الامتداد إلى جهة السفلى و يكون من التدلل بمعنى الغنج و ما ذكره عليه السلام أن المراد به الفهم فهو على المجاز لأن من يريد فهم شىء يتدلى إلى القائل ليسمعه و يفهمه ثم اعلم أنه قد اختلف فى تفسير هذه الآية على وجوه.

الأول أن تكون الضمائر راجعة إلى جبرئيل عليه السلام فالمعنى وَ هُوَ أَى جبرئيل بِالْأَفُقِ الْأَعْلَى أَفُقِ السَّمَاءِ ثُمَّ دَنَا مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فَتَدَلَّى أَى تعلق به و هو تمثيل لعروجه بالرسول صلى الله عليه و آلِهِ أَوْ تَدَلَّى مِنَ الْأَفُقِ الْأَعْلَى فَدَنَا مِنَ الرَّسُولِ فَيَكُونُ إِشْعَارًا بِأَنَّهُ عَرَجَ بِهِ غَيْرَ مَنْفَصِلٍ عَنْ مَحَلِّهِ وَ تَقْرِيرًا لِشِدَّةِ قُوَّتِهِ وَ قِيلَ الْمَعْنَى قَرَبَ فَاشْتَدَّ قَرَبُهُ فَكَانَ الْبَعْدَ بَيْنَهُمَا قَابَ قَوْسَيْنِ أَى قَدَرَهُمَا أَوْ أَدْنَى وَ الْمَقْصُودُ تَمْثِيلُ مَلَكَةِ الْإِتِّصَالِ وَ تَحْقِيقُ اسْتِمَاعِهِ لِمَا أَوْحَى إِلَيْهِ بِنَفْسِ الْبَعْدِ الْمَلْبَسِ.

الثانى أن تكون الضمائر راجعة إلى محمد صلى الله عليه و آلِهِ أَى ثُمَّ دَنَا مُحَمَّدٌ مِنَ الْخَلْقِ وَ الْأُمَّةِ وَ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنْهُمْ فَتَدَلَّى إِلَيْهِمْ بِالْقَوْلِ اللَّيِّنِ وَ الدُّعَاءِ الرَّفِيقِ فَالْحَاصِلُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ اسْتَوَى وَ كَمَلَ فَدَنَا مِنَ الْخَلْقِ بَعْدَ عُلُوِّهِ وَ تَدَلَّى إِلَيْهِمْ وَ بَلَغَ الرِّسَالَةَ.

الثالث أن تكون الضمائر راجعة إلى الله تعالى فيكون دنوه كناية عن رفع مكانته و تدليه عن جذبته بشراشره إلى جناب القدس و الحاصل أنه مؤول بالدنو المعنوى و التقرب و المعرفة و اللطف على ما يؤول حديث من تقرب إلى شبرا تقربت

إليه ذراعا وقيل الدنو منه صلى الله عليه وآله وهو كناية عن عظم قدره حيث انتهى إلى حيث لم ينته إليه أحد والتدلى منه تعالى كناية عن غاية لطفه ورحمته.

(7)-لى، الأمالى للصدوق يد، التوحيد ن، عيون أخبار الرضا عليه السلام الدقاق عن الصوفى عن الرويانى عن عبد العظيم الحسى عن إبراهيم بن أبي محمود قال: قلت للرضا عليه السلام يا ابن رسول الله ما تقول فى الحديث الذى يزويه الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال إن الله تبارك وتعالى ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا فقال عليه السلام لعن الله المحرفين للكلم عن مواضعه والله ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله كذلك إنما قال صلى الله عليه وآله إن الله تبارك وتعالى ينزل ملكاً إلى السماء الدنيا كل ليلة فى الثلث الأخير و ليلة الجمعة فى أول الليل فى أمره فى إدى هل من سائل فأعطيه هل من تائب فأتوب عليه هل من مسد تغفر فأغفر له يا طالب الخير أقبل يا طالب الشر أقصر فلا يزال ينادى بهذا إلى أن يطلع الفجر فإذا طلع الفجر عاد إلى محله من ملكوت السماء (1) حدثنى بذلك أبى عن جدى عن أبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

ج، الإحتجاج مرسلًا مثله بيان الظاهر أن مراده عليه السلام تحريفهم لفظ الخبر ويحتمل أن يكون المراد تحريفهم معناه بأن يكون المراد بنزوله تعالى إنزال ملائكته مجازاً-ع، علل الشرائع السنانى والدقاق والمكتب والوراق عن الأسدى مثله.

(8)-لى، الأمالى للصدوق السنانى عن الأسدى عن النخعى عن النوفلى عن على بن سالم عن أبيه عن ثابت بن دينار قال: سألت زين العابدين على بن الحسين بن أبى طالب عليهما السلام عن الله جل جلاله هل يوصف بمكان فقال تعالى الله عن ذلك قلم أسرى نبيه محمد صلى الله عليه وآله إلى السماء قال ليريه ملكوت السماء وما فيها من عجائب صنعته وبدائع خلقه قلت فقول الله عز وجل ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله دنا من حجب النور فرأى ملكوت السموات ثم تدلى صلى الله عليه وآله فنظر من تحته إلى ملكوت الأرض حتى ظن أنه فى القرب من الأرض كقاب قوسين أو أدنى.

ص: 314

1- الملكوت: الملك العظيم، العز والسلطان. و الملكوت السماوى: هو محل القديسين فى السماء.

(9)-فس، تفسير القمي أبي عن حماد عن حريز عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ الرَّبَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ جُمُعَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ وَفِي كُلِّ لَيْلَةٍ فِي الثُّلُثِ الْأَخِيرِ وَآمَامَهُ مَلَكٌ يُنَادِي هَلْ مِنْ تَائِبٍ يَتَابُ عَلَيْهِ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَيَغْفِرُ لَهُ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَيُعْطِي سُؤْلَهُ اللَّهُمَّ أَعْطِ كُلَّ مُنْفِقٍ خَلْفًا (1) وَكُلَّ مُمْسِكٍ تَلْفًا فَإِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ عَادَ الرَّبُّ إِلَى عَرْشِهِ فَيَقْسِمُ الْأَرْزَاقَ بَيْنَ الْعِبَادِ ثُمَّ قَالَ لِلْفَضِيلِ بْنِ يَسَارٍ يَا فَضِيلُ نَصِيْبَكَ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ وَ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ إِلَيَّ قَوْلُهُ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ

بيان: نزوله تعالى كناية عن تنزله عن عرش العظمة والجلال وأنه مع غناؤه عنهم من جميع الوجوه يخاطبهم بما يخاطب به من يحتاج إلى غيره تلطفاً و تکرماً و عوده إلى عرشه عن توجهه تعالى إلى شئون آخر يفعله الملوك إذا تمكنوا على عرشهم قوله عليه السلام: نصيبك أي خذ نصيبك من هذا الخير ولا تغفل عنه.

(10)-ع، علل الشرائع المکتب و الأوراق و الهمة داني عن علي عن أبيه عن يحيى بن أبي عمران و صالح بن السدي عن يونس بن عبد الرحمن قال: قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام لأبي علة عن عرج الله بنبي صلى الله عليه وآله إلى السماء و منها إلى سدرة المنتهى و منها إلى حجب النور و خاطبه و ناجاه هناك و الله لا يوصف بمكان فقال عليه السلام إن الله لا يوصف بمكان و لا يجري عليه زمان و لكنّه عزّ و جلّ أراد أن يشرف به ملائكته و سدكان سماواته و يكرمهم بمشاهدته و يريه من عجائب عظمته ما يخبر به بعد هبوطه و ليس ذلك على ما يقوله المشبهون سبحانه الله و تعالى عما يصفون.

يد، التوحيد على بن الحسين بن الصلت عن محمد بن أحمد بن علي بن الصلت عن عمه عبد الله بن الصلت عن يونس مثله.

(11)-ع، علل الشرائع أبي عن سعد عن ابن عيسى عن ابن محبوب عن مالك بن عيينة (2) عن حبيب السجستاني قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قوله عزّ و جلّ ثمّ دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى فقال لي يا حبيب لا تقرأ هكذا

ص: 315

1- الخلف: البدل و العوض.

2- لم نجد له ذكراً في التراجم.

أَفْرَأْتُمْ دَنَا فَتَدَانِي فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى عَبْدِهِ يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَا أَوْحَى يَا حَبِيبُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمَّا فَتَحَ مَكَّةَ أَنْعَبَ نَفْسَهُ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَ الشُّكْرِ لِنِعْمِهِ فِي الطَّوَافِ بِالْبَيْتِ وَ كَانَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَهُ فَلَمَّا غَشِيَ يَهُمُ اللَّيْلُ انْطَلَقَ إِلَى الصَّفَا وَ الْمَرْوَةَ يُرِيدَانِ السَّعْيَ قَالَ فَلَمَّا هَبَطَا مِنَ الصَّفَا إِلَى الْمَرْوَةِ وَ صَارَا فِي الْوَادِي دُونَ الْعَلَمِ الَّذِي رَأَيْتَ غَشِيَ يَهُمَا مِنَ السَّمَاءِ نُورٌ فَأَضَاءَتْ لَهُمَا جِبَالُ مَكَّةَ وَ خَسَّاتُ أَبْصَارُهُمَا (1) قَالَ فَفَزِعَا لِذَلِكَ فَرَعَا شَدِيدًا قَالَ فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَتَّى ارْتَفَعَ مِنَ الْوَادِي وَ تَبِعَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا هُوَ بِرِمَائَتَيْنِ عَلَى رَأْسِهِ قَالَ فَتَتَأَوَّلُهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى مُحَمَّدٍ يَا مُحَمَّدُ إِنَّهَا مِنْ قِطْفِ الْجَنَّةِ فَلَا يَأْكُلُ مِنْهَا إِلَّا أَنْتَ وَ وَصِيكَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قَالَ فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِحْدَاهُمَا وَ أَكَلَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْأُخْرَى ثُمَّ أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَا أَوْحَى قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَا حَبِيبُ وَ لَقَدْ رَأَى نَزْلَةَ أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى يَعْنِي عِنْدَهَا وَافِي بِهِ جَبْرَيْلُ حِينَ صَدَّ عِدِّي إِلَى السَّمَاءِ قَالَ فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى مَحَلِّ السِّدْرَةِ وَقَفَ جَبْرَيْلُ دُونَهَا وَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ هَذَا مَوْقِفِي الَّذِي وَضَعَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ وَ لَنْ أَقْدِرَ عَلَى أَنْ أَتَقَدَّمَهُ وَ لَكِنْ امْضِ أَنْتَ أَمَامَكَ إِلَى السِّدْرَةِ فَوْقَ عِنْدِهَا قَالَ فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى السِّدْرَةِ وَ تَخَلَّفَ جَبْرَيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّمَا سَمَّيْتُ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى لِأَنَّ أَعْمَالَ أَهْلِ الْأَرْضِ تَصَدُّ بِهَا الْمَلَائِكَةُ الْحَفِظَةُ إِلَى مَحَلِّ السِّدْرَةِ وَ الْحَفِظَةُ الْكَرَامُ الْبَرَّةُ دُونَ السِّدْرَةِ يَكْتُبُونَ مَا تَرَفَعُ إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ مِنْ أَعْمَالِ الْعِبَادِ فِي الْأَرْضِ قَالَ فَيَنْتَهُونَ بِهَا إِلَى مَحَلِّ السِّدْرَةِ قَالَ فَظَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَرَأَى أَعْصَانَهَا تَحْتَ الْعَرْشِ وَ حَوْلَهُ قَالَ فَتَجَلَّى لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نُورُ الْجَبَّارِ عَزَّ وَجَلَّ فَلَمَّا غَشِيَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ النَّورُ شَخَصَ بِيَصْرِهِ وَ ارْتَعَدَتْ فَرَانِصُهُ قَالَ فَشَدَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمُحَمَّدٍ قَلْبَهُ وَ قَوَّى لَهُ بَصَرَهُ حَتَّى رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ مَا رَأَى وَ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَ لَقَدْ رَأَى نَزْلَةَ أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى قَالَ يَعْنِي الْمَوْافَاةَ قَالَ فَرَأَى مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَا رَأَى بِبَصَرِهِ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى يَعْنِي أَكْبَرَ الْآيَاتِ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ إِنَّ غَلْظَ السِّدْرَةِ بِمَسِيرَةِ مِائَةِ عَامٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا وَ إِنَّ

ص: 316

1- خساً البصر: كل وأعياء.

الْوَرَقَةَ مِنْهَا تُغَطِّي أَهْلَ الدُّنْيَا وَإِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَلَائِكَةً وَكَلَّهْمُ بِنَاتِ الْأَرْضِ مِنَ الشَّجَرِ وَ النَّخْلِ فَلَيْسَ مِنْ شَجَرَةٍ وَلَا نَخْلَةٍ إِلَّا وَ مَعَهَا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَلَكٌ يَحْفَظُهَا وَ مَا كَانَ فِيهَا وَ لَوْ لَا أَنَّ مَعَهَا مَنْ يَمْنَعُهَا لَأَكَلَهَا السَّبَاعُ وَ هَوَامُّ الْأَرْضِ إِذَا كَانَ فِيهَا تَمْرُهَا قَالَ وَ إِنَّمَا نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ أَنْ يَضْرِبَ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَلَاهُ تَحْتَ شَجَرَةٍ أَوْ نَخْلَةٍ قَدْ أَثْمَرَتْ لِمَكَانِ الْمَلَائِكَةِ الْمُؤَكَّلِينَ بِهَا قَالَ وَ لِذَلِكَ يَكُونُ الشَّجَرُ وَ النَّخْلُ أَنْسَاءً إِذَا كَانَ فِيهِ حَمَلُهُ (1) لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَحْضُرُهُ.

إيضاح: القطف بالكسر اسم للثمار المقطوعة من أصولها و شخوص البصر فتحه بحيث لا يطرف و الفريضة و دج العنق و اللحمية بين الجنب و الكتف لا تزال ترعد.

«(12) -فس، تفسير القمي قوله وَ هُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ ثُمَّ دَنَا يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَتَدَلَّى قَالَ إِنَّمَا أَنْزَلْتُ ثُمَّ دَنَا فَتَدَانِي فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ قَالَ كَانَ مِنَ اللَّهِ كَمَا بَيْنَ مَقْبِضِ الْقَوْسِ إِلَى رَأْسِ السَّيِّءِ أَوْ أَدْنَى (2) قَالَ بَلْ أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى قَالَ وَحَى الْمُسَافَهَةَ.

تبين: قال الجوهري تقول بينهما قاب قوس و قيب قوس و قاد قوس و قيد قوس أى قدر قوس و القاب ما بين المقبض و السية و لكل قوس قابان و قال بعضهم فى قوله تعالى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أراد قابى قوس فغلبه.

«(13) -ل، الخصال فى مسائل اليهودى عن أمير المؤمنين عليه السلام قال له فَرَبُّكَ يَحْمِلُ أَوْ يُحْمَلُ قَالَ إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ يَحْمِلُ كُلَّ شَيْءٍ بِقُدْرَتِهِ وَ لَا يَحْمِلُهُ شَيْءٌ قَالَ فَكَيْفَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةَ قَالَ يَا يَهُودِيُّ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا وَ مَا تَحْتَ الثَّرَى فَكُلُّ شَيْءٍ عَلَى الثَّرَى وَ الثَّرَى عَلَى الْقُدْرَةِ وَ الْقُدْرَةُ تَحْمِلُ كُلَّ شَيْءٍ عَنِ الْحَبْرِ.

«(14) -يد، التوحيد ن، عيون أخبار الرضا عليه السلام تميم القُرَشِيُّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الْأَنْصَارِيِّ عَنِ الْهَرَوِيِّ قَالَ: سَأَلَ الْمَأْمُونُ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى الرِّضَا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا

ص: 317

1- و فى نسخة: و لذلك يكون للشجر و النخل انسا إذا كان فيه حملة.

2- سية القوس بكسر السين: ما عطف من طرفيها.

فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ الْعَرْشَ وَالْمَاءَ وَالْمَلَائِكَةَ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَتِ الْمَلَائِكَةُ تَسْتَدِلُّ بِأَنْفُسِهَا بِالْعَرْشِ وَالْمَاءِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ جَعَلَ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ لِيُظْهَرَ بِذَلِكَ قُدْرَتَهُ لِلْمَلَائِكَةِ فَتَعَلَّمَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ثُمَّ رَفَعَ الْعَرْشَ بِقُدْرَتِهِ وَنَقَلَهُ وَجَعَلَهُ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَهُوَ مُسْتَوِيلٌ عَلَى عَرْشِهِ وَكَانَ قَادِرًا عَلَى أَنْ يَخْلُقَهَا فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ وَ لَكِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَهَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ لِيُظْهَرَ لِلْمَلَائِكَةِ مَا يَخْلُقُهُ مِنْهَا شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ فَيَسْتَدِلُّ بِحُدُوثِ مَا يَحْدُثُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرَهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ وَ لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ الْعَرْشَ لِحَاجَةٍ بِهِ إِلَيْهِ لِأَنَّهُ غَنِيٌّ عَنِ الْعَرْشِ وَعَنْ جَمِيعِ مَا خَلَقَ لَا يُوصَفُ بِالْكَوْنِ عَلَى الْعَرْشِ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِجِسْمٍ تَعَالَى عَنْ صِفَةِ خَلْقِهِ عُلُوًّا كَبِيرًا.

«(15) -يد، التوحيد مع، معانى الأخبار ن، عيون أخبار الرضا عليه السلام المُعَاذِيُّ عَنْ أَحْمَدَ الْهَمْدَانِيِّ (1) عَنْ عَلِيِّ بْنِ فَضَالٍ (2) عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَأَلْتُ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يُوصَفُ بِمَكَانٍ يَحُلُّ فِيهِ فَيُحْجَبُ عَنْهُ فِيهِ عِبَادُهُ وَ لَكِنَّهُ يَعْنِي أَنَّهُمْ عَنْ ثَوَابِ رَبِّهِمْ مَحْجُوبُونَ قَالَ وَ سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَ جَاءَ رَبُّكَ وَ الْمَلِكُ صَفًا صَفًا فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُوصَفُ بِالْمَجِيءِ وَ الذَّهَابِ تَعَالَى عَنِ الْإِنْتِقَالِ إِنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ وَ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَ الْمَلِكُ صَفًا صَفًا

ص: 318

1- هو أحمد بن محمد بن سعيد السبيعي الهمداني الحافظ، المكنى بأبي العباس، المعروف بابن عقدة، كان كوفيا زيدا جاروديا ثقة، تقدم ترجمته مفصلا

2- هو علي بن الحسن بن علي بن فضال بن عمر بن أيمن مولى عكرمة بن ربعي الفياض أبو الحسن كان فقيه أصحابنا بالكوفة، ووجههم و ثقتهم و عارفهم بالحديث و المسموع قوله فيه، سمع منه شيئا كثيرا و لم يعثر له على زلة فيه و لا ما يشينه، و قل ما روى عن ضعيف، و كان فطحيا، و لم يرو عن أبيه شيئا، و قال: كنت اقباله- و سنى ثمان عشرة سنة- بكتبه، و لا أفهم إذ ذاك الروايات، و لا أستحل أن أرويهما عنه، و روى عن أخويه عن أبيهما، و ذكر أحمد بن الحسين رحمه الله أنه رأى نسخة أخرجها أبو جعفر بن بابويه، و قال: حدّثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني، قال: حدّثنا أحمد بن سعيد، قال: حدّثنا علي بن الحسن بن فضال، عن أبيه، عن الرضا عليه السلام، و لا يعرف الكوفيون هذه النسخة، و لا رويت من غير هذا الطريق. قاله النجاشي و عدّ له كتب كثيرة.

قَالَ وَسَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ قَالًا يَقُولُ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ بِالْمَلَائِكَةِ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَهَكَذَا نَزَلَتْ قَالٌ وَسَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَعَنْ قَوْلِ اللَّهِ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَعَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ وَعَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَسْخَرُ وَلَا يَسْتَهْزِئُ وَلَا يَمَكُرُ وَلَا يُخَادِعُ وَ لَكِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُجَازِيهِمْ جَزَاءَ السُّخْرِيَّةِ وَ جَزَاءَ الْإِسْتِهْزَاءِ وَ جَزَاءَ الْمَكْرِ وَ الْخَدِيعَةِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلوًّا كَبِيرًا.

ج، الإحتجاج مرسلًا عنه عليه السلام بيان قال الزمخشري في الآية الأولى كونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف بهم وإهانتهم لأنه لا يؤذن على الملوك إلا للمكرمين لديهم ولا يحجب عنهم إلا المهانون عندهم وقال الرازي في الآية الثانية اعلم أنه ثبت بالدليل العقلي أن الحركة على الله محال لأن كل ما كان كذلك كان جسما والجسم مستحيل أن يكون أزليا فلا بد فيه من التأويل وهو أن هذا من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ثم ذلك المضاف ما هو فيه وجوه.

أحدها وجاء أمر ربك للمحاسبة والمجازاة و ثانيها وجاء قهر ربك كما يقال جاءتنا بنو أمية أى قهرهم و ثالثها وجاء جلائل آيات ربك لأن هذا يكون يوم القيامة وفي ذلك اليوم تظهر العظام و جلائل الآيات فجعل مجيئها مجيئا له تفخيما لشأن تلك الآيات و رابعها وجاء ظهوره وذلك لأن معرفة الله تصير ذلك اليوم ضرورية فصار ذلك كظهوره و تجليه للخلق فقال و جاء ربك أى زالت الشبه و ارتفعت الشكوك و خامسها أن هذا تمثيل لظهور آيات الله و تبين آثار قهره و سلطانه مثلت حاله في ذلك بحال الملك إذا ظهر بنفسه فإنه يظهر بمجرد حضوره من آثار الهيبة و السياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلها و سادسها أن الرب المربى فلعل ملكا هو أعظم الملائكة هو مرب للنبي صلى الله عليه و آله جدا فكان هو المراد من قوله و جاء رَبُّكَ و قال الطبرسي رحمه الله في الآية الثالثة أى هل ينتظر هؤلاء المكذبون بآيات الله

إلا أن يأتيهم أمر الله أى عذاب الله و ما توعدهم به على معصيته فى ستر من السحاب وقيل قطع من السحاب و هذا كما يقال قتل الأمير فلانا و ضربه و أعطاه و إن لم يتول شيئا من ذلك بنفسه بل فعل بأمره فأسند إليه لأمره به وقيل معناه ما ينتظرون إلا أن تأتيهم جلائل آيات الله غير أنه ذكر نفسه تفخيما للآيات كما يقال دخل الأمير البلد و يراد بذلك جنده و إنما ذكر الغمام ليكون أهول فإن الأهوال تشبه بظلل الغمام كما قال سبحانه و إذا غشيهم موج كالظلل و قال الزجاج معناه يأتيهم الله بما وعدهم من العذاب و الحساب كما قال فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا أى أتاهم بخذلانه إياهم و الأقوال متقاربة و قد يقال أتى و جاء فيما لا يجوز عليه المجىء و الذهاب يقال أتانى و عید فلان و جاءنى كلام فلان و أتانى حديثه و لا يراد به الإتيان الحقيقى ثم قال و قرأ أبو جعفر الملائكة بالجر قال وقيل معنى الآية إلا أن يأتيهم الله بظلل من الغمام أى بجلائل آياته و بالملائكة انتهى أقول على قراءته عليه السلام لا يحتاج إلى شىء من هذه التأويلات.

«16»-ج، الاحتجاج عن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام قال فى جواب اليهودى الذى سأل عن معجزات الرسول صلى الله عليه و آله إنه أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى مسيرة شهر و عرج به فى ملكوت السموات مسيرة خمسين ألف عام فى أقل من ثلث ليلة حتى انتهى إلى ساق العرش فدنا بالعلم فتدلى فدللى له من الجنة رفرف أخضر و غشى النور بصره فرأى عظمة ربه بفؤاده و لم يرها بعينه فكان كقاب قوسين بينها و بينه أو أذنى الخبر.

بيان: الضمير فى قوله بينها راجع إلى الجنة و رجوعه إلى العظمة بعيد.

«17»-يد، التوحيد، علل الشرائع ابن عصام عن الكليني عن علي بن محمد بن سليمان عن إسماعيل بن إبراهيم عن جعفر بن محمد التميمي عن الحسن بن علوان عن عمرو بن خالد عن زيد بن علي قال: سألت أبا سعيد العابدين عليه السلام فقلت له يا أبت أخبرني عن جدنا رسول الله صلى الله عليه و آله لَمَا عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ وَ أَمْرُهُ رَبُّهُ عَزَّ وَ جَلَّ بِخَمْسِينَ صَلَاةً كَيْفَ لَمْ يَسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ عَنْ أُمَّتِهِ حَتَّى قَالَ لَهُ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ



فَأَسْأَلَ التَّخْفِيفَ (1) فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ فَقَالَ يَا بُنَيَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ لَا يَقْتَرِحُ (2) عَلَيَّ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا يُرَاجِعُهُ فِي شَيْءٍ يَأْمُرُهُ بِهِ فَلَمَّا سَأَلَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَلِكَ فَكَانَ شَفِيعاً لِأُمَّتِهِ إِلَيْهِ لَمْ يَجْزُ لَهُ رَدُّ شَفَاعَةِ أَخِيهِ مُوسَى فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَسَأَلَهُ التَّخْفِيفَ إِلَى أَنْ رَدَّهَا إِلَيَّ خَمْسَ صَلَوَاتٍ قَالَ قُلْتُ لَهُ يَا أَبَتِ فَلِمَ لَا يَرْجِعُ إِلَيَّ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ (3) وَيَسْأَلُهُ التَّخْفِيفَ عَنْ خَمْسِ صَلَوَاتٍ وَقَدْ سَأَلَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَيَّ رَبِّهِ وَيَسْأَلَهُ التَّخْفِيفَ فَقَالَ يَا بُنَيَّ أَرَادَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنْ يُحْصَلَ لِأُمَّتِهِ التَّخْفِيفَ مَعَ أَجْرِ خَمْسِينَ صَلَاةً يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا أَلَا تَرَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمَّا هَبَطَ إِلَى الْأَرْضِ نَزَلَ عَلَيْهِ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ رَبَّكَ يُفَرِّئُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ إِنَّهَا خَمْسٌ بِخَمْسِينَ مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ قَالَ قُلْتُ لَهُ يَا أَبَتِ أَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لَا يُوصَفُ بِمَكَانٍ قَالَ تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا قُلْتُ فَمَا مَعْنَى قَوْلِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَزْجِعُ إِلَيَّ رَبِّكَ فَقَالَ مَعْنَاهُ مَعْنَى قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَأَهْدِيكَ وَمَعْنَى قَوْلِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى وَمَعْنَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ يُعْنَى حُجُّوا إِلَى بَيْتِ اللَّهِ يَا بُنَيَّ إِنَّ الْكَعْبَةَ بَيْتُ اللَّهِ تَعَالَى فَمَنْ حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ فَقَدْ حَجَّ إِلَى اللَّهِ وَالْمَسَاجِدُ بُيُوتُ اللَّهِ فَمَنْ سَعَى إِلَيْهَا فَقَدْ سَعَى إِلَى اللَّهِ وَقَدْ سَعَى إِلَى اللَّهِ وَفَصَدَّ إِلَيْهِ وَالْمُصَلَّى مَا دَامَ فِي صَلَاتِهِ فَهُوَ وَاقِفٌ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَأَهْلُ مَوْقِفِ عَرَفَاتٍ هُمْ وَفُوفٌ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِقَاعاً فِي سَمَاوَاتِهِ فَمَنْ عُرِجَ بِهِ إِلَى بُقْعَةٍ مِنْهَا فَقَدْ عُرِجَ بِهِ إِلَيْهِ أَلَا تَسْمَعُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ وَيَقُولُ فِي قِصَّةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ.

بيان: الغرض من ذكر هذه الاستشهادات بيان شيوع تلك الاستعمالات والتجاوزات في لسان أهل الشرع والعرف.

ص: 321

1- وفي نسخة: فأسأله التخفيف.

2- اقترح عليه كذا أو بكذا: تحكم وسأله إياه بالعنف و من غير روية.

3- وفي نسخة: فلم لم يرجع إلى ربّه عزّ وجلّ.

«18»-يد، التوحيد مَا جِئُوا بِهِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيْسَى عَنْ يُوسُفَ عَنْ أَبِي الْمَغْرَاءِ رَفَعَهُ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ مِنْ خَلْقِهِ وَخَلَقَهُ خَلْقًا مِنْهُ وَكُلُّ مَا وَقَعَ عَلَيْهِ اسْمٌ شَيْءٌ فَهُوَ مَخْلُوقٌ مَا خَلَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ.

يد، التوحيد حمزة العلوي عن علي عن أبيه عن علي بن عطية عن خثيمة عن أبي جعفر عليه السلام و ابن الوليد عن الصفار عن البرقي عن أبيه عن النضر عن يحيى الحلبي عن ابن مسكان عن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام مثله بزيادة.

«19»-يد، التوحيد حَمَزَةُ الْعَلَوِيُّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا فَقَالَ هُوَ وَاحِدٌ أَحَدِيُّ الذَّاتِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ وَبِذَلِكَ وَصَفَ نَفْسَهُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ بِالْإِشْرَافِ وَالْإِحَاطَةِ وَالْقُدْرَةِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ بِالْإِحَاطَةِ وَالْعِلْمِ لَا بِالذَّاتِ لِأَنَّ الْأَمَاكِنَ مَحْدُودَةٌ تَحْوِيهَا حُدُودٌ أَرْبَعَةٌ فَإِذَا كَانَ بِالذَّاتِ لَزِمَهُ الْحَوَايَةُ.

بيان: ما يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ أَي مَا يَقَعُ مِنْ تَنَاجِي ثَلَاثَةٍ وَيَجُوزُ أَنْ يَقْدَرَ مِضَافٌ أَوْ يُؤْوَلُ نَجْوَى بِمُتَنَاجِيْنَ وَيَجْعَلُ ثَلَاثَةَ صِفَةٍ لَهَا إِلَّا وَهُوَ رَابِعُهُمْ أَي إِلَّا- اللَّهُ يَجْعَلُهُمْ أَرْبَعَةَ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ يَشَارِكُهُمْ فِي الْإِطْلَاقِ عَلَيْهَا وَلَا خَمْسَةَ أَي وَلَا نَجْوَى خَمْسَةَ وَتَخْصِيصِ الْعَدَدَيْنِ إِمَّا لِخُصُوصِ الْوَاقِعَةِ أَوْ لِأَنَّ اللَّهَ وَتَرِ يَحِبُّ الْوَتْرَ وَالثَّلَاثَةَ أَوَّلَ الْأَوْتَارِ أَوْ لِأَنَّ التَّشَاوُرَ لَا يَدُلُّهُ مِنْ اثْنَيْنِ يَكُونَانِ كَالْمُتَنَازِعِينَ وَثَلَاثٍ يَتَوَسَّطُ بَيْنَهُمْ.

ثم اعلم أنه لما كان القدام والخلف واليمين والشمال غير متميزة إلا بالاعتبار عد الجميع حدين والفوق والتحت حدين فصارت أربعة والمعنى أنه ليست إحاطته سبحانه بالذات لأن الأماكن محدودة فإذا كانت إحاطته بالذات بأن كانت بالدخول في الأمكنة لزم كونه محاطا بالمكان كالممكن وإن كانت بالانطباق على المكان لزم كونه محيطا بالممكن كالمكان.

«20»-يد، التوحيد العطار عن سعد بن ابن يزيد عن الحسن بن علي الخزاز عن مثنى الحنّاط عن أبي جعفر أظنه محمد بن النعمان قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل وهو الله في السماوات وفي الأرض قال كذلك هو في كل مكان قلت بذاته قال ويحك إن الأماكن أقدار فإذا قلت في مكان بذاته لمك أن تقول في أقدار وغير ذلك ولكن هو بائن من خلقه محيط بما خلق علماً وقدره وإحاطة وسلطاناً وليس علمه بما في الأرض بأقل مما في السماء لا يبعد منه شيء والأشياء له سواء علماً وقدره وسلطاناً وملكاً وإحاطة.

تفسير قال البيضاوي وهو الله الضمير لله والله خبره في السماوات وفي الأرض متعلق باسم الله والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله هو الذي في السماء إله وفي الأرض إله أو بقوله يعلم سرركم وجهركم والجملة خبر ثان أو هي الخبر والله بدل ويكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد في الحرم إذا كنت خارجه والصيد فيه أو ظرف مستقر وقع خبراً بمعنى أنه تعالى لكمال علمه بما فيهما كأنه فيهما ويعلم سرركم وجهركم بيان وتقرير له.

«21»-يد، التوحيد أبي عن علي عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام بن الحكم قال: قال أبو شاكِر الديصاني إن في القرآن آية هي قوة لنا قلت وما هي فقال وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله فلم أدر بما أجيبه فحججت فخرت أبا عبد الله عليه السلام فقال هذا كلام زنديق خبيث إذا رجعت إليه فقل له ما اسمك بالكوفة فإنه يقول فلان فقل ما اسمك بالبصرة فإنه يقول فلان فقل كذلك الله ربنا في السماء إله وفي الأرض إله وفي البحار إله وفي كل مكان إله قال فقدمت فأتيت أبا شاكِر فأخبرته فقال هذه نقلت من الحجاز.

بيان: لعل هذا الديصاني لما كان قاتلاً بالهين نور ملكه السماء وظلمة ملكها الأرض أول الآية بما يوافق مذهبه بأن جعل قوله وفي الأرض إله جملة تامة معطوفة على مجموع الجملة السابقة أي وفي الأرض إله آخر ويظهر من بعض الأخبار أنه كان

من الدهريين فيمكن أن يكون استدلاله بما يوهم ظاهر الآية (1) من كونه بنفسه حاصلًا في السماء والأرض فيوافق ما ذهبوا إليه من كون المبدأ الطبيعية فإنها حاصلة في الأجرام السماوية والأجسام الأرضية معًا فأجاب عليه السلام بأن المراد أنه تعالى مسمى بهذا الاسم في السماء وفي الأرض والأكثر على أن الظرف متعلق بالإله لأنه بمعنى المعبود أو مضمن معناه كقولك هو حاتم في البلد.

(22)- يد، التوحيد القَطَانُ وَالدَّقَاقُ مَعَا عَنِ ابْنِ زَكَرِيَّا الْقَطَّانِ عَنِ ابْنِ حَبِيبٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُبيدِ اللَّهِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَسْوَدَ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ صَدِيقَانِ يَهُودِيَّانِ قَدْ آمَنَّا بِمُوسَى رَسُولِ اللَّهِ وَآتَيْنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَمِعْنَا مِنْهُ وَقَدْ كَانَا قَرَاءَ التَّوْرَةِ وَصُحُفَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَلِمَا عِلْمِ الْكُتُبِ الْأُولَى فَلَمَّا قَبِضَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَقْبَلَا يَسْأَلَانِ عَنْ صَاحِبِ الْأَمْرِ بَعْدَهُ وَقَالَا إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ نَبِيٌّ قَطُّ إِلَّا وَ لَهُ خَلِيفَةٌ يَقُومُ بِالْأَمْرِ فِي أُمَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ قَرِيبُ الْقَرَابَةِ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ عَظِيمِ الْقَدْرِ (2) جَلِيلُ الشَّانِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ هَلْ تَعْرِفُ صَاحِبَ الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِ هَذَا النَّبِيِّ قَالَ الْآخَرُ لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا بِالصَّفَةِ الَّتِي أَحَدَهَا فِي التَّوْرَةِ هُوَ الْأَصْلَعُ (3) الْمُصَفَّرُ فَإِنَّهُ كَانَ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَلَمَّا دَخَلَا الْمَدِينَةَ وَ سَأَلَا عَنِ الْخَلِيفَةِ أُرْسِدَا إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَلَمَّا نَظَرَا إِلَيْهِ قَالَا لَيْسَ هَذَا صَاحِبَنَا ثُمَّ قَالَا لَهُ مَا قَرَأْتُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ إِنِّي رَجُلٌ مِنْ عَشِيرَتِهِ وَهُوَ زَوْجُ ابْنَتِي عَائِشَةَ قَالَا هَلْ غَيْرُ هَذَا قَالَ لَا قَالَا لَيْسَتْ هَذِهِ بِقَرَابَةٍ فَأَخْبَرْنَا أَيْنَ رَبُّكَ قَالَ فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ قَالَا هَلْ غَيْرُ هَذَا قَالَ لَا قَالَا ذَلَّلْنَا عَلَى مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ فَإِنَّكَ أَنْتَ لَسْتَ بِالرَّجُلِ الَّذِي نَجِدُ فِي التَّوْرَةِ أَنَّهُ وَصِيٌّ هَذَا النَّبِيِّ وَ خَلِيفَتُهُ قَالَ فَتَغَيَّبَ مِنْ قَوْلِهِمَا وَ هَمَّ بِهِمَا (4) ثُمَّ أُرْسِدَهُمَا إِلَى عُمَرَ وَ ذَلِكَ أَنَّهُ عَرَفَ مِنْ عُمَرَ أَنَّهُمَا إِنْ

ص: 324

- 1- أو يكون استدلاله بظاها على وقوع التناقض في القرآن فيكون صادرا من غير حكيم فيكون فيها قوة له من إنكاره الصانع وبطلان الشرائع.
- 2- وفي نسخة: عظيم الخطر.
- 3- الاصلع: من سقط شعر مقدم رأسه.
- 4- أي عزم على قتلها.

اسْتَقْبَلَهُ بِشَىءٍ بَطَشَ بِهِمَا (1) فَلَمَّا أَتِيَاهُ قَالَا مَا قَرَأْتِكَ مِنْ هَذَا النَّبِيِّ قَالَ أَنَا مِنْ عَشِيرَتِهِ وَهُوَ زَوْجُ ابْنَتِي حَفْصَةَ قَالَا هَلْ غَيْرُ هَذَا قَالَ لَا قَالَا لَيْسَتْ هَذِهِ بِقَرَابَةٍ وَ لَيْسَتْ هَذِهِ الصِّفَةُ الَّتِي نَجِدُهَا فِي التَّوْرَةِ ثُمَّ قَالَا لَهُ فَأَيْنَ رَبُّكَ قَالَ فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ قَالَا هَلْ غَيْرُ هَذَا قَالَ لَا قَالَ دُلَّنَا عَلَى مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ فَأَرْشَدَهُمَا إِلَى عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَمَّا جَاءَهُ فَتَنَظَّرَا إِلَيْهِ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ إِنَّهُ الرَّجُلُ الَّذِي صِفْتُهُ فِي التَّوْرَةِ إِنَّهُ وَصِيُّ هَذَا النَّبِيِّ وَ خَلِيفَتُهُ وَ زَوْجُ ابْنَتِهِ وَ أَبُو السَّبْطَيْنِ وَ الْقَائِمُ بِالْحَقِّ مِنْ بَعْدِهِ ثُمَّ قَالَا لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيُّهَا الرَّجُلُ مَا قَرَأْتِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ قَالَ هُوَ أَخِي وَ أَنَا وَارِثُهُ وَ وَصِيُّهُ وَ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ وَ أَنَا زَوْجُ ابْنَتِهِ قَالَا هَذِهِ الْقَرَابَةُ الْفَاحِشَةُ وَ الْمَنْزِلَةُ الْقَرِيبَةُ وَ هَذِهِ الصِّفَةُ الَّتِي نَجِدُهَا فِي التَّوْرَةِ فَأَيْنَ رَبُّكَ عَزَّ وَ جَلَّ قَالَ لَهُمَا عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّ شَيْئًا أَتَيْتُكُمْمَا بِالَّذِي كَانَ عَلِيٌّ عَاهِدَ نَبِيِّكُمْمَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ إِنْ شِئْتُمَا أَتَيْتُكُمْمَا بِالَّذِي كَانَ عَلِيٌّ عَاهِدَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ قَالَا أَتَيْتُنَا بِالَّذِي كَانَ عَلِيٌّ عَاهِدَ نَبِيِّنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَقْبَلَ أَرْبَعَةَ أَمْلَاحٍ مَلَكَ مِنَ الْمَسْرِقِ وَ مَلَكَ مِنَ الْمَغْرِبِ وَ مَلَكَ مِنَ السَّمَاءِ وَ مَلَكَ مِنَ الْأَرْضِ فَقَالَ صَاحِبُ الْمَسْرِقِ لِصَاحِبِ الْمَغْرِبِ مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ قَالَ أَقْبَلْتُ مِنْ عِنْدِ رَبِّي وَ قَالَ صَاحِبُ الْمَغْرِبِ لِصَاحِبِ الْمَسْرِقِ مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ قَالَ أَقْبَلْتُ مِنْ عِنْدِ رَبِّي وَ قَالَ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ لِلْخَارِجِ مِنَ الْأَرْضِ مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ قَالَ أَقْبَلْتُ مِنْ عِنْدِ رَبِّي وَ قَالَ الْخَارِجُ مِنَ الْأَرْضِ لِلنَّازِلِ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ قَالَ أَقْبَلْتُ مِنْ عِنْدِ رَبِّي فَهَذَا مَا كَانَ عَلِيٌّ عَاهِدَ نَبِيِّكُمْمَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ أَمَا مَا كَانَ عَلِيٌّ عَاهِدَ نَبِيِّنَا فَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَ لَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَ لَا أَذْنَى مِنْ ذَلِكَ وَ لَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا الْآيَةُ

ص: 325

1- أى فتك بهما وأخذهما بصولة وشدة.

قَالَ الْيَهُودِيَّانِ فَمَا مَنَعَ صَاحِبَيْكَ أَنْ يَكُونَا جَعَلَاكَ فِي مَوْضِعِكَ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ فَوَالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى إِنَّكَ لَأَنْتَ الْخَلِيفَةُ حَقًّا نَجِدُ صِفَتَكَ فِي كُتُبِنَا وَتَقْرُؤُهُ فِي كِتَابِنَا وَإِنَّكَ لَأَنْتَ أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ وَأَوْلَى بِهِ مِمَّنْ قَدْ غَلَبَكَ عَلَيْهِ فَقَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدَّمَا وَأَخْرَا وَحِسَابُهُمَا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يُوقَفَانِ وَيُسْأَلَانِ.

(23)-يد، التوحيد العطار عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ عِيْسَى عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْرَةَ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ يَا أَبَا جَعْفَرٍ أَخْبِرْنِي عَنْ رَبِّكَ مَتَى كَانَ فَقَالَ وَيْلَكَ إِنَّمَا يُقَالُ لِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْ فَكَانَ مَتَى كَانَ إِنَّ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَانَ لَمْ يَزَلْ حَيًّا بِلَا كَيْفٍ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كَانَ وَ لَا كَانَ لِكُونِهِ كَيْفٌ وَ لَا كَانَ لَهُ أَيْنٌ وَ لَا كَانَ فِي شَيْءٍ وَ لَا كَانَ عَلَى شَيْءٍ وَ لَا ابْتَدَعَ لِكَانَهُ مَكَانًا (1) الْخَبِيرِ.

(24)-يد، التوحيد وَرَوَى أَنَّهُ سُئِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ سَمَاءً وَ أَرْضًا فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيْنَ سُؤَالَ عَنْ مَكَانٍ وَ كَانَ اللَّهُ وَ لَا مَكَانَ.

(25)-يد، التوحيد ابْنُ الْوَلِيدِ عَنْ مُحَمَّدِ الْعَطَّارِ عَنِ ابْنِ أَبَانَ عَنِ ابْنِ أَوْرَمَةَ (2) عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ صَالِحِ بْنِ حَمْرَةَ عَنْ أَبَانَ عَنِ أَسَدٍ عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ فِي شَيْءٍ أَوْ مِنْ شَيْءٍ أَوْ عَلَى شَيْءٍ فَقَدْ أَشْرَكَ لَوْ كَانَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى شَيْءٍ لَكَانَ مَحْمُولًا (3) وَ لَوْ كَانَ فِي شَيْءٍ لَكَانَ مَحْضُورًا وَ لَوْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ لَكَانَ مُحَدَّثًا (4).

ص: 326

1- كذا فيما عندنا من النسخ، وفي التوحيد المطبوع: ولا ابتدع لكونه مكانا. وفي نسخة اخرى منه: ولا ابتدع لمكانه مكانا.  
2- بضم الهمزة وإسكان الواو وفتح الراء المهملة، كذا في الخلاصة. وأورد النجاشي وغيره ترجمته في كتبهم، قال النجاشي في ص 231 من رجاله: محمد بن اورمة أبو جعفر القمي ذكره القميون وغمزوا عليه ورموه بالغلو، حتى دس عليه من يفتك به فوجدوه يصلي من أول الليل إلى آخره فتوقفوا عنه، و حكى جماعة من شيوخ القميين، عن ابن الوليد أنه قال: محمد بن اورمة طعن عليه بالغلو، فكل ما كان في كتبه مما وجد في كتاب الحسين بن سعيد وغيره فقل به، و ما تفرد به فلا تعتمد، و قال بعض أصحابنا: إنه رأى توقيعات أبي الحسن الثالث عليه السلام إلى أهل قم في معنى محمد بن اورمة وبراءته مما قذف به، و كتبه صحاح إلا كتابا ينسب إليه ترجمته تفسير الباطن فانه مختلط.

3- ولازمه جسميته، تعالى عن ذلك علوا كبيرا.

4- يأتي الحديث بطريق آخر عن المفضل تحت الرقم 39.

بيان: لكان محمولاً أى محتاجاً إلى ما يحمله قوله عليه السلام: محصوراً أى عاجزاً ممنوعاً عن الخروج عن المكان أو محصوراً بذلك الشىء ء و محويماً به فيكون له انقطاع و انتهاء فيكون ذا حدود و أجزاء.

«(26) - يد، التوحيد أبى عن عليّ عن أبيه عن ابن محبوب عن حماد بن عمرو عن أبي عبد الله قال: كذب من زعم أن الله عز و جلّ فى شىء ء أو من شىء ء أو على شىء ء.

قال الصدوق رحمه الله الدليل على أن الله عز و جل لا فى مكان أن الأماكن كلها حادثة و قد قام الدليل على أن الله عز و جل قديم سابق للأماكن و ليس يجوز أن يحتاج الغنى القديم إلى ما كان غنيا عنه و لا أن يتغير عما لم يزل موجوداً عليه فصح اليوم أنه لا فى مكان كما أنه لم يزل كذلك و تصديق ذلك

مَا حَدَّثَنَا بِهِ الْقَطَّانُ عَنْ ابْنِ زَكَرِيَّا الْقَطَّانِ عَنِ ابْنِ حَبِيبٍ عَنِ ابْنِ بُهْلُولٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سُلَيْمَانَ الْمَرْوَزِيِّ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ: قُلْتُ لِجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ هَلْ يَجُوزُ أَنْ نَقُولَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ فِي مَكَانٍ فَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ إِنَّهُ لَوْ كَانَ فِي مَكَانٍ لَكَانَ مُحَدَّثًا لِأَنَّ الْكَائِنَ فِي مَكَانٍ مُحْتَاجٌ إِلَى الْمَكَانِ وَ الْإِحْتِيَاجُ مِنْ صِفَاتِ الْحَدَثِ لَا مِنْ صِفَاتِ الْقَدِيمِ

«(27) - يد، التوحيد الدقاق عن الأسد دى عن البرمكى عن عليّ بن عباس عن الحسن بن راشد عن يعقوب بن جعفر الجعفرى عن أبي إبراهيم موسى بن جعفر عليهما السلام أنه قال: إن الله تبارك و تعالى كان لم يزل بلا زمان و لا مكان و هو الآن كما كان لا يخلو منه مكان و لا يشغل به مكان و لا يحلّ فى مكان ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم و لا خمسة إلا هو سادسهم و لا أدنى من ذلك و لا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ليس بينه و بين خلقه حجاب غير خلقه احتجب بغير حجاب محجوب و استتر بغير ستر مستور لا إله إلا هو الكبير المتعال (1)

ص: 327

1- من غرر الأحاديث؛ و كون الخلق حجاباً بأنفسهم نظير قول الرضا عليه السلام فى خطبته الآتية تحت رقم 3 من باب جوامع التوحيد: «حجب بعضها عن بعض ليعلم أن لا حجاب بينه و بينها غيرها» الخطبة. معناه استحالة المعاينة بالإحاطة اذ لا يمكن ذلك إلا بارتفاع الحجاب و مع ارتفاع الحجاب الذى هو نفس الخلق لا يبقى موضوع الخلق هذا. و هذا الكلام إذا انضم إلى قول أمير المؤمنين.

بيان: قوله غير خلقه أى ليس الحجاب بينه وبين خلقه إلا- عجز المخلوق عن الإحاطة به وقوله محجوب إما نعت لحجاب أو خبر مبتدأ محذوف فعلى الأول فهو إما بمعنى حاجب إذ كثيرا ما يجىء صيغة المفعول بمعنى الفاعل كما قيل فى قوله تعالى حِجَاباً مَسْتُوراً أو بمعناه ويكون المراد أنه ليس له تعالى حجاب مستور بل حجاب ظاهر وهو تجرده و تقدسه و علوه عن أن يصل إليه عقل أو وهم و يحتمل على هذا أن يكون المراد بالحجاب الحجة الذى أقامه بينه وبين خلقه فهو ظاهر غير مخفى و يحتمل أيضا أن يكون المراد به أنه لم يحتجب بحجاب مخفى فكيف الظاهر و أما على الثانى فالظرف متعلق بقوله محجوب أى هو محجوب بغير حجاب و هاهنا احتمال ثالث و هو أن يكون محجوب مضاف إليه بتقدير اللام و إجراء الاحتمالات فى الفقرة الثانية ظاهر و هى إما تأكيد للأولى أو الأولى إشارة إلى الاحتجاب عن الحواس و الثانية إلى الاستتار عن العقول و الأفهام.

(28)- يد، التوحيد مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْحَاقَ الْفَارِسِيِّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ النَّشَوِيِّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الصَّفَدِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَعْقُوبَ الْعَسَدِ كَرِيِّ وَأَخِيهِ مُعَاذٍ مَعَاذَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَيِّدِنَانَ الْحَنْظَلِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَاصِمٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَبِي هَاشِمِ الرُّمَانِيِّ عَنْ زَادَانَ عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ يَذْكُرُ فِيهِ قُدُومَ الْجَائِلِيِّ الْمَدِينَةَ مَعَ مِائَةٍ مِنَ النَّصَارَى بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسُؤَالَهُ أَبَا بَكْرٍ عَنْ مَسَائِلَ لَمْ يُجِبْهُ عَنْهَا ثُمَّ أُرْسِدَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَسَأَلَهُ عَنْهَا فَأَجَابَهُ فَكَانَ فِيهَا سَأَلَهُ أَنْ قَالَ لَهُ أَخْبِرْنِي عَنْ وَجْهِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَدَعَا عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِنَارٍ وَحَطَبٍ فَأَضْرَمَهُ فَلَمَّا اشْتَعَلَتْ قَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيْنَ وَجْهُ هَذِهِ النَّارِ قَالَ النَّصْرَانِيُّ هِيَ وَجْهُ مِنْ جَمِيعِ حُدُودِهَا قَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذِهِ النَّارُ مُدْبَّرَةٌ مَصْنُوعَةٌ لَا تَعْرِفُ وَجْهَهَا وَخَالِقُهَا لَا يُشَبِّهُهَا وَ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ

عليه السلام فى خطبته الآتية تحت رقم 34 من باب جوامع التوحيد: «حجب بعضها عن بعض ليعلم أن لا حجاب بينه وبين خلقه غير خلقه» الخطبة أفاد أن العباد لو انصرفوا عن الاشتغال بأنفسهم و اتباع هواهم و توجهوا إلى ربهم لاشرقت عليهم أنوار العظمة الإلهية، و هذا هو الذى يعبر عنه برؤية القلب كما مر فى عدة من الاخبار فى باب نفى الرؤية. ط.



فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ لَا يَخْفَى عَلَى رَبِّنَا خَافِيَةٌ وَ الْحَدِيثُ طَوِيلٌ أَخَذْنَا مِنْهُ مَوْضِعَ الْحَاجَةِ.

«(29)- يد، التوحيد الأُشدُّ نَانِي عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَهْرَوَيْهِ عَنْ دَاوُدَ بْنِ سُدَيْمَانَ عَنِ الرِّضَا عَنِ أَبِيهِ عَنِ آبَائِهِ عَنِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِنَّ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ لَمَّا نَجَى رَبَّهُ قَالَ يَا رَبِّ أَبْعِدْ أَنْتَ مِنِّي فَأُنَادِيكَ أَمْ قَرِيبٌ فَأُنَاجِيكَ فَأَوْحَى اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ إِلَيْهِ أَنَا جَلِيسٌ مَنْ ذَكَرَنِي فَقَالَ مُوسَى يَا رَبِّ إِنِّي أَكُونُ فِي حَالٍ أُجَلِّكَ أَنْ أذُكُرَكَ فِيهَا فَقَالَ يَا مُوسَى اذْكُرْنِي عَلَى كُلِّ حَالٍ.

«(30)- يد، التوحيد مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْفَارِسِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الرَّمَجِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَيْسَى الْوَاسِطِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَكَرِيَّا الْمَكِّيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي مُنِيفٌ مَوْلَى جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنِي سَيِّدِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ جَدِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: كَانَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ (1) يَصَلِّي يَمْرُ بَيْنَ يَدَيْهِ رَجُلٌ فَتَنَاهَا بَعْضُ جُلَسَائِهِ فَلَمَّا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ قَالَ لَهُ لِمَ نَهَيْتَ الرَّجُلَ قَالَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ حَظَرَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمُحْرَابِ فَقَالَ وَيْحَكَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَقْرَبُ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَحْظَرَ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَحَدٌ.

«(31)- يد، التوحيد الْمُظْفَرُ الْعَلَوِيُّ عَنْ ابْنِ الْعِيَّاشِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ إِشْكِيَبَ (2) عَنْ هَارُونَ بْنِ عُثْبَةَ عَنْ أَسَدِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ شِمْرٍ عَنْ جَابِرٍ قَالَ قَالَ الْبَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَا جَابِرُ مَا أَعْظَمَ فِرْيَةَ أَهْلِ الشَّامِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَزْعُمُونَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيْثُ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ وَضَعَ قَدَمَهُ عَلَى صَخْرَةٍ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَ لَقَدْ وَضَعَ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ قَدَمَهُ عَلَى حَجَرٍ (3) فَأَمَرْنَا اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ تَنْخِذَهُ مُصَدِّمًا يَا جَابِرُ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا شَبِيهَةَ تَعَالَى عَنْ صِدْقَةِ الْوَاصِ فِيهِ وَ جَلَّ عَنْ أَوْهَامِ الْمُتَوَهِّمِينَ وَ احْتَجَبَ عَنْ أَعْيُنِ النَّاطِرِينَ لَا يَزُولُ مَعَ الرَّائِلِينَ وَلَا يَأْفُلُ مَعَ الْإَهْلِينَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

ص: 329

1- وفي نسخة: كان الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام.

2- بكسر الهمزة وسكون الشين المعجمة أو السين المهملة، والكاف والياء المشناة من تحت والياء الموحدة.

3- وفي نسخة: على صخرة.

«32»-يد، التوحيد الدَّقَاقُ عَنِ الْأَسَدِيِّ عَنِ الْبُرْمَكِيِّ عَنِ عَلِيِّ بْنِ عِيَّاشٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ رَاشِدٍ عَنِ يَعْقُوبَ بْنِ جَعْفَرٍ عَنِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: لَا أَقُولُ إِنَّهُ قَائِمٌ فَأَزِيلُهُ عَنْ مَكَانِهِ وَلَا أَحُدُّهُ بِمَكَانٍ يَكُونُ فِيهِ وَلَا أَحُدُّهُ أَنْ يَتَحَرَّكَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَرْكَانِ وَالْجَوَارِحِ وَلَا أَحُدُّهُ بِلَفْظٍ شَقٍّ فِيمَ وَلَا كَيْنَ كَمَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُنْ فَيَكُونُ بِمَشِيئَتِهِ مِنْ غَيْرِ تَرَدُّدٍ فِي نَفْسٍ فَزُدْ صَمَدًا لَمْ يَحْتَجِ إِلَى شَرِيكَ يَكُونُ لَهُ فِي مُلْكِهِ وَلَا يَفْتَحُ لَهُ أَبْوَابَ عِلْمِهِ.

ج، الإحتجاج عن يعقوب مثله.

«33»-يد، التوحيد السَّنَانِيُّ عَنِ الْأَسَدِيِّ عَنِ النَّخَعِيِّ عَنِ النَّوْفَلِيِّ عَنِ عَلِيِّ بْنِ سَالِمٍ عَنِ أَبِي بَصِيرٍ عَنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يُوصَفُ بِزَمَانٍ وَلَا مَكَانٍ وَلَا حَرَكَةٍ وَلَا انْتِقَالٍ وَلَا سُكُونٍ بَلْ هُوَ خَالِقُ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ وَالْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ تَعَالَى عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ غُلُوبًا كَبِيرًا.

«34»-يد، التوحيد مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْحَاقَ الْعَرَّائِمِيُّ عَنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ رُمَيْحٍ (1) عَنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ خَلْفٍ عَنِ بَشْرِ بْنِ الْحَسَنِ عَنِ عَبْدِ الْقُدُّوسِ عَنِ أَبِي إِسْحَاقَ السَّيِّعِيِّ عَنِ الْحَارِثِ الْأَعْوَرِ عَنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَنَّهُ دَخَلَ السُّوقَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مُؤَلِّهِ ظَهْرَهُ يَقُولُ لَا وَالَّذِي احْتَجَبَ بِالسَّبْعِ فَصَدَّ رَبَّ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ظَهْرَهُ ثُمَّ قَالَ مَنْ الَّذِي احْتَجَبَ بِالسَّبْعِ قَالَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ أَخْطَأْتُ نِكَلَتَكَ أُمُّكَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْفِهِ حِجَابٌ لِأَنَّهُ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا قَالَ مَا كَفَّارَةٌ مَا قُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ مَعَكَ حَيْثُ كُنْتُ قَالَ أُطْعِمُ الْمَسَاكِينَ قَالَ لَا إِنَّمَا حَلَفْتَ بِغَيْرِ رَبِّكَ.

«35»-يد، التوحيد الدَّقَاقُ عَنِ أَبِي الْقَاسِمِ الْعَلَوِيِّ عَنِ الْبُرْمَكِيِّ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحَسَنِ عَنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَاشِمِ الثَّمَمِيِّ عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَمْرٍو الثَّقَفِيِّ عَنِ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ فِي حَدِيثِ الرَّنْدِيقِ الَّذِي أَتَى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ سَأَلَهُ عَنْ قَوْلِهِ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى

ص: 330

1- في نسخة من التوحيد: عن أحمد بن محمد بن وضريح.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِذَلِكَ وَصَفَ نَفْسَهُ وَكَذَلِكَ هُوَ مُسْتَوِلٌ عَلَى الْعَرْشِ بَائِزٌ مِنْ خَلْقِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ الْعَرْشُ حَامِلًا لَهُ وَلَا أَنْ يَكُونَ الْعَرْشُ حَاوِيًا لَهُ وَلَا أَنَّ الْعَرْشَ مُحْتَاظًا لَهُ وَ لَكِنَّا نَقُولُ هُوَ حَامِلٌ الْعَرْشِ وَ مُسَيِّدٌ الْعَرْشِ وَ نَقُولُ مِنْ ذَلِكَ مَا قَالَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ فَثَبَّتْنَا مِنَ الْعَرْشِ وَ الْكُرْسِيِّ مَا ثَبَّتَهُ وَ نَقِينَا أَنْ يَكُونَ الْعَرْشُ أَوْ الْكُرْسِيُّ حَاوِيًا لَهُ وَ أَنْ يَكُونَ عَزَّ وَ جَلَّ مُحْتَاجًا إِلَى مَكَانٍ أَوْ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا خَلَقَ بَلْ خَلَقَهُ مُحْتَاجُونَ إِلَيْهِ قَالَ السَّائِلُ فَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ أَنْ تَرْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ إِلَى السَّمَاءِ وَ بَيْنَ أَنْ تَخْفِضُوهَا نَحْوَ الْأَرْضِ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَلِكَ فِي عِلْمِهِ وَ إِحْاطَتِهِ وَ قُدْرَتِهِ سَوَاءً وَ لَكِنَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ أَمَرَ أَوْلِيَاءَهُ وَ عِبَادَهُ بِرَفْعِ أَيْدِيهِمْ إِلَى السَّمَاءِ نَحْوَ الْعَرْشِ لِأَنَّهُ جَعَلَهُ مَعْدِنَ الرِّزْقِ فَثَبَّتْنَا مَا ثَبَّتَهُ الْقُرْآنُ وَ الْأَخْبَارُ عَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ حِينَ قَالَ ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ هَذَا يُجْمَعُ عَلَيْهِ فِرْقُ الْأُمَّةِ كُلُّهَا قَالَ السَّائِلُ فَتَقُولُ إِنَّهُ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْسَ ذَلِكَ عَلَى مَا يُوجَدُ مِنَ الْمَخْلُوقِ قَالَ السَّائِلُ وَإِذَا نَزَلَ أَلَيْسَ قَدْ حَالَ عَنِ الْعَرْشِ وَ حَوْلَهُ عَنِ الْعَرْشِ انْتَقَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْسَ ذَلِكَ عَلَى مَا يُوجَدُ مِنَ الْمَخْلُوقِ الَّذِي يَنْتَقِلُ بِاخْتِلَافِ الْحَالِ عَلَيْهِ وَ الْمَالَاتِ وَ السَّامَةِ وَ نَاقِلٍ يَنْقُلُهُ وَ يُحَوِّلُهُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ بَلْ هُوَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى لَا يَحْدُثُ عَلَيْهِ الْحَالُ وَ لَا يَجْرِي عَلَيْهِ الْحَدُوثُ فَلَا يَكُونُ نَزُولُهُ كَنَزُولِ الْمَخْلُوقِ الَّذِي مَتَى تَنَحَّى عَنْ مَكَانٍ خَلَا مِنْهُ الْمَكَانُ الْأَوَّلُ وَ لَكِنَّهُ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا بِغَيْرِ مُعَانَاةٍ وَ لَا حَرَكَةٍ فَيَكُونُ هُوَ كَمَا فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ عَلَى الْعَرْشِ كَذَلِكَ هُوَ فِي سَمَاءِ الدُّنْيَا إِنَّمَا يَكْشِفُ عَنْ عَظَمَتِهِ وَ يَرَى أَوْلِيَاءَهُ نَفْسَهُ حَيْثُ شَاءَ وَ يَكْشِفُ مَا شَاءَ مِنْ قُدْرَتِهِ وَ مُنْظَرُهُ فِي الْقُرْبِ وَ الْبُعْدِ سَوَاءً.

ثم قال قال مصنف هذا الكتاب قوله عليه السلام: إنه على العرش إنه ليس بمعنى التمكن فيه ولكنه بمعنى التعالي عليه بالقدرة يقال فلان على خير واستعانه على عمل كذا وكذا ليس بمعنى التمكن فيه والاستقرار عليه ولكن ذلك بمعنى التمكن منه والقدرة عليه وقوله في النزول ليس بمعنى الانتقال وقطع المسافة ولكنه على معنى

إنزال الأمر منه إلى سماء الدنيا لأن العرش هو المكان الذى ينتهى إليه بأعمال العباد من السدرة المنتهى إليه وقد يجعل الله عز وجل السماء الدنيا فى الثلث الأخير من الليل وفى ليالى الجمعة مسافة الأعمال فى ارتفاعها أقرب منها فى سائر الأوقات إلى العرش وقوله يرى أوليائه نفسه فإنه يعنى بإظهار بدائع فطرته فقد جرت العادة بأن يقال للسلطان إذا أظهر قوة وقدرة وخيلا ورجلا قد أظهر نفسه وعلى ذلك دل الكلام و مجاز اللفظ.

أقول: من قوله قال السائل إلى آخر كلامه لم يكن فى أكثر النسخ وليس فى الإحتجاج أيضا.

«(36)-يد، التوحيد أبى عن سعد بن ابن عيسى وابن هاشم عن الحسن بن علي عن داود بن عليّ اليعقوبى (1) عن بعض أصحابنا عن عبد الأعلى مولى آل سام عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وآله يهودى يقال له سبخت (2) [سُبَخْتُ فَقَالَ لَهُ يَا مُحَمَّدُ جِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنْ رَبِّكَ فَإِنْ أَجَبْتَنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ وَإِلَّا رَجَعْتُ فَقَالَ لَهُ سَلْ عَمَّا شِئْتَ فَقَالَ أَيْنَ رَبُّكَ فَقَالَ هُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ (3) وَ لَيْسَ هُوَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْمَكَانِ بِمَحْدُودٍ قَال فَكَيْفَ هُوَ فَقَالَ وَ كَيْفَ أَصِفُ رَبِّي بِالْكَيفِ وَ الْكَيْفُ مَخْلُوقٌ وَ اللَّهُ لَا يُوصَفُ بِخَلْقِهِ قَالَ فَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّكَ نَبِيٌّ قَالَ فَمَا بَقِيَ حَوْلَهُ حَجْرٌ وَ لَا مَدْرٌ وَ لَا غَيْرُ ذَلِكَ إِلَّا تَكَلَّمَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ يَا شَيْخُ إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ (4)

ص: 332

- 1- بالياء المثناة كما هو المحكى عن الإيضاح أو بالباء الموحدة نسبة إلى يعقوبا قرية من قرى البغداد على ما حكى عن الشهيد الثانى رحمه الله، وهو داود بن على الهاشمى المترجم فى ص 115 من رجال النجاشى بقوله: داود بن على اليعقوبى الهاشمى أبو على بن داود، روى عن أبى الحسن موسى عليه السلام، وقيل: روى عن الرضا عليه السلام، له كتاب يرويه جماعة، منهم عيسى بن عبد الله العمرى.
- 2- اختلفت النسخ فى ضبطه ففى بعضها «سبخت» بالياء الموحدة ثم الحاء المهملة، وفى بعض آخر بالباء والحاء المعجمة، وفى البحار المطبوع شجرت «شبخت خ ل» وضبط بضم السين و الباء وسكون الحاء المهملة، و بضم السين وسكون الباء وفتح الحاء، و بضم السين وسكون الباء وضم الحاء المعجمة، وعلى أى حال كان رجلا من ملوك فارس، وكان ذربا، كما يأتى فى حديث آخر.
- 3- فى حديث آخر له: فقال: هو فى كل مكان موجود بآياته.
- 4- وفى نسخة: يا سبخت إنّه رسول الله.

فَقَالَ سَبَحْتَ [سَبَّحْتُ بِاللَّهِ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ أُبَيِّنُ ثُمَّ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ.

(37) - حص، قصص الأنبياء عليهم السلام الصَّدُوقُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ رُمَيْحَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ الْخُزَاعِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الصَّادِقِ عَنْ آبَائِهِ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِثْلَهُ - ير، بصائر الدرجات إِبْرَاهِيمُ بْنُ هَاشِمٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ مِثْلَهُ.

(38) - يد، التوحيد ابْنُ الْمُتَوَكَّلِ عَنِ الْحَمِيرِيِّ عَنِ ابْنِ عَيْسَى عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: كَذَبَ مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ مِنْ شَيْءٍ ءِ أَوْ فِي شَيْءٍ ءِ أَوْ عَلَى شَيْءٍ ءِ.

(39) - يد، التوحيد مَا جِيلَوِيهِ عَنْ عَمِّهِ عَنِ الْبَرْقِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ عَنِ الْمُفَضَّلِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ مِنْ شَيْءٍ ءِ أَوْ فِي شَيْءٍ ءِ فَقَدْ أَشْرَكَ ثُمَّ قَالَ مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ مِنْ شَيْءٍ ءِ فَقَدْ جَعَلَهُ مُحَدَّثًا وَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ فِي شَيْءٍ ءِ فَقَدْ زَعَمَ أَنَّهُ مَحْصُورٌ وَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ عَلَى شَيْءٍ ءِ فَقَدْ جَعَلَهُ مَحْمُولًا

(40) - يد، التوحيد ابْنُ الْوَلِيدِ عَنِ ابْنِ أَبَانَ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنِ النَّضْرِ عَنِ ابْنِ حُمَيْدٍ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ مِنْ شَيْءٍ ءِ أَوْ فِي شَيْءٍ ءِ أَوْ عَلَى شَيْءٍ ءِ فَقَدْ كَفَرَ قُلْتُ فَسَّرَ لِي قَالَ أَعْنِي بِالْحَوَايَةِ مِنَ الشَّيْءِ ءِ لَهُ أَوْ يَأْمَسَاكَ لَهُ أَوْ مِنْ شَيْءٍ ءِ سَبَقَهُ.

(41) - وَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى قَالَ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ مِنْ شَيْءٍ ءِ فَقَدْ جَعَلَهُ مُحَدَّثًا وَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ فِي شَيْءٍ ءِ فَقَدْ جَعَلَهُ مَحْصُورًا وَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ عَلَى شَيْءٍ ءِ فَقَدْ جَعَلَهُ مَحْمُولًا.

بيان: قوله بالحواية من الشئ ء له تفسير لقوله في شئ ء وقوله أو يأمساك له تفسير لقوله على شئ ء وقوله أو من شئ ء سبقه تفسير لقوله من شئ ء.

(42) - يد، التوحيد الطَّالِقَانِيُّ عَنْ أَحْمَدَ الْهَمْدَانِيِّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الصُّغَدِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَعْقُوبَ الْعَسَدِ كَرِيِّ وَ أَخِيهِ مُعَاذٍ مَعَا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانَ الْحَنْظَلِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

عَاصِمٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَبِي هَاشِمٍ الرُّمَائِيِّ عَنْ زَادَانَ عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ يَدْكُرُ فِيهِ قُدُومَ الْجَائِلِيْقِ الْمَدِينَةَ مَعَ مَائَةِ مِنَ النَّصَارَى بَعْدَ قَبْضِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسُؤَالَهُ أَبَا بَكْرٍ عَنْ مَسَائِلَ لَمْ يُجِبْهُ عَنْهَا ثُمَّ أُرْسِدَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَسَأَلَهُ فَأَجَابَهُ فَكَانَ فِيمَا سَأَلَهُ أَنْ قَالَ لَهُ أَخْبِرْنِي عَنِ الرَّبِّ أَيْنَ هُوَ وَأَيْنَ كَانَ قَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يُوصَفُ الرَّبُّ جَلًّا جَلًّا لَهُ بِمَكَانٍ هُوَ كَمَا كَانَ وَكَانَ هُوَ لَمْ يَكُنْ فِي مَكَانٍ وَ لَمْ يَزَلْ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ وَلَا أَحَاطَ بِهِ مَكَانٌ بَلْ كَانَ لَمْ يَزَلْ بِلا حَدٍّ وَلَا كَيْفٍ قَالَ صَدَقْتَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ الرَّبِّ أَفِي الدُّنْيَا هُوَ أَوْ فِي الآخِرَةِ قَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَزَلْ رَبَّنَا قَبْلَ الدُّنْيَا هُوَ مُدَبِّرُ الدُّنْيَا وَعَالِمٌ بِالآخِرَةِ فَأَمَّا أَنْ يُحِيطَ بِهِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ فَلَا وَ لَكِنْ يَعْلَمُ مَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ قَالَ صَدَقْتَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ أَخْبِرْنِي عَنِ رَبِّكَ أَيَحْمِلُ أَوْ يُحْمَلُ فَقَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّ رَبَّنَا جَلَّ جَلَالُهُ يُحْمَلُ وَلَا يُحْمَلُ قَالَ النَّصَبَرَانِيُّ وَ كَيْفَ ذَلِكَ وَ نَحْنُ نَجِدُ فِي الْإِنْجِيلِ وَ يُحْمَلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَ يَذُ ثَمَانِيَةَ فَقَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَحْمِلُ الْعَرْشَ وَ لَيْسَ الْعَرْشُ كَمَا تَظُنُّ كَهَيْئَةِ السَّرِيرِ وَ لَكِنَّهُ شَيْءٌ مَحْدُودٌ مَخْلُوقٌ مُدَبَّرٌ وَ رَبُّكَ عَزَّ وَ جَلَّ مَا لِكُهُ لَا أَنَّهُ عَلَيْهِ كَكُونَ الشَّيْءِ عَلَى الشَّيْءِ وَ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ بِحَمَلِهِ فَهُمْ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ بِمَا أَوْدَرَهُمْ عَلَيْهِ قَالَ النَّصَبَرَانِيُّ صَدَقْتَ رَحِمَكَ اللَّهُ وَ الْحَدِيثُ طَوِيلٌ أَخَذْنَا مِنْهُ مَوْضِعَ الْحَاجَةِ.

«43»-يد، التوحيد الدقاق عن الأسددي عن البرمكي عن جذعان بن نصر عن سهل عن ابن محبوب عن عبد الرحمن بن كثير عن داود الرقي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله عز وجل وكان عرشه على الماء فقال لي ما يقولون قلت يقولون إن العرش كان على الماء والرَّبُّ فَوْقَهُ فَقَالَ فَقَدْ كَذَّبُوا مَنْ زَعَمَ هَذَا فَقَدْ صَيَّرَ اللَّهُ مَحْمُولًا وَ وَصَفَهُ بِصِفَةِ الْمَخْلُوقِينَ وَ الزَّمَهُ أَنَّ الشَّيْءَ الَّذِي يَحْمِلُهُ أَقْوَى مِنْهُ قُلْتُ بَيْنَ لِي جُعِلْتُ فِدَاكَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ حَمَلَ دِينَهُ وَ عِلْمَهُ الْمَاءَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ أَرْضٌ أَوْ سَمَاءٌ أَوْ جَنٌّ أَوْ إِنْسٌ أَوْ شَجَرٌ أَوْ قَمَرٌ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ نَتَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ لَهُمْ مَنْ رَبُّكُمْ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ نَطَقَ رَسُولَ اللَّهِ وَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْآئِمَّةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَقَالُوا أَنْتَ رَبَّنَا فَحَمَلَهُمُ الْعِلْمَ وَ الدِّينَ ثُمَّ قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ هُوَ لَاءِ حَمَلَةُ عِلْمِي وَ دِينِي وَ أَمْنَائِي فِي خَلْقِي وَ

هُمُ الْمَسْمُؤُونَ ثُمَّ قِيلَ لِبَنِي آدَمَ أَقْرُوا لِلَّهِ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَ لِهَؤُلَاءِ النَّفَرِ بِالطَّاعَةِ فَقَالُوا رَبَّنَا أَقْرُزْنَا فَقَالَ لِلْمَلَائِكَةِ اشْهَدُوا فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ شَهِدْنَا عَلَى أَنْ لَا يَقُولُوا إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ يَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَ كُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ يَا دَاوُدُ وَلَا يَتَنَا مُوَكَّدَةً عَلَيْهِمْ فِي الْمِيثَاقِ.

قال الصدوق رحمه الله في التوحيد إن المشبهة تتعلق بقوله عز وجل إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ وَ لَا حِجَةَ لَهَا فِي ذَلِكَ لِأَنَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ عَنِ بَقُولِهِ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ أَيْ ثُمَّ نَقَلَ الْعَرْشَ إِلَى فَوْقِ السَّمَاوَاتِ وَ هُوَ مُسْتَوٍ عَلَيْهِ وَ مَالِكٌ لَهُ فَقَوْلُهُ عَزَّ وَ جَلَّ ثُمَّ إِنَّهُ هُوَ لَدَفَعَ الْعَرْشَ إِلَى مَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ وَ نَقَلَهُ لِلْإِسْتِوَاءِ وَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ اسْتَوَى اسْتَوَى لِأَنَّ الْإِسْتِوَاءَ لِلَّهِ تَعَالَى (1) عَلَى الْمَلِكِ وَ عَلَى الْأَشْيَاءِ لَيْسَ هُوَ بِأَمْرٍ حَادِثٍ بَلْ كَانَ لَمْ يَزَلْ مَالِكًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَ مُسْتَوِيًا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَ إِنَّمَا ذَكَرَ عَزَّ وَ جَلَّ الْإِسْتِوَاءَ بَعْدَ قَوْلِهِ ثُمَّ وَ هُوَ يَعْنِي الِرْفَعَ مَجَازًا وَ هُوَ كَقَوْلِهِ وَ لَنْبَلُوكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَ الصَّابِرِينَ فَذَكَرَ نَعْلَمَ مَعَ قَوْلِهِ حَتَّى وَ هُوَ عَزَّ وَ جَلَّ يَعْنِي حَتَّى يَجَاهِدَ الْمُجَاهِدُونَ وَ نَحْنُ نَعْلَمُ ذَلِكَ لِأَنَّ حَتَّى لَا يَقَعُ إِلَّا عَلَى فِعْلِ حَادِثٍ وَ عِلْمُ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ بِالْأَشْيَاءِ لَا يَكُونُ حَادِثًا وَ كَذَلِكَ ذَكَرَ قَوْلُهُ عَزَّ وَ جَلَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ بَعْدَ قَوْلِهِ ثُمَّ وَ هُوَ يَعْنِي بِذَلِكَ ثُمَّ رَفَعَ الْعَرْشَ لِاسْتِوَاءِهِ عَلَيْهِ وَ لَمْ يَعْنِ بِذَلِكَ الْجُلُوسَ وَ اعْتِدَالَ الْبَدَنِ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جِسْمًا وَ لَا ذَا بَدَنِ تَعَالَى اللَّهُ عَنِ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا (2).

ص: 335

1- في نسخة: لان استيلاء الله تعالى.

2- قال السيد الرضوي قدس الله روحه في كتابه تلخيص البيان بعد قوله تعالى: «ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ»\*: وهذه استعارة، لان حقيقة الاستواء إنما توصف بها الاجسام التي تعلو وتهبط وتميل وتعتمد والمراد بالاستواء هاهنا الاستيلاء بالقدرة والسلطان، لا بحلول القرار والمكان، كما يقال: استوى فلان الملك على سريره ملكه بمعنى استولى على تدبير الملك، وملك معقد الامر والنهي، ويحسن صفة بذلك وإن لم يكن له في الحقيقة سريره يقعد عليه، ولا مكان عال يشار إليه، وإنما المراد نفاذ أمره في مملكته، واستيلاء سلطانه على رعيته. فان قيل: فالله سبحانه مستول على كل شيء بقهره وغلبته ونفاذ أمره وقدرته، فما معنى اختصاص العرش بالذكر هاهنا؟ قيل: كما ثبت أنه تعالى رب لكل شيء، وقد قال في صفة نفسه: «رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ»\* وقال: «رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ» فان قيل: فما معنى قولنا: عرش الله إن لم يرد بذلك كونه عليه؟ قيل: كما يقال: بيت الله وإن لم يرد كونه فيه، والعرش تطوف به الملائكة تعبدًا، كما أن البيت في الأرض تطوف به الخلائق تعبدًا.

«44»-سن، المحاسن أبي عمير ذكره قال: اجتمعت اليهود إلى رأس الجالوت فقالوا إن هذا الرجل عالم يعنون به علي بن أبي طالب عليهما السلام فأنطلق بنا إليه لنسأله فأتوه فقيل له هو في القصر فانتظروه حتى خرج فقال له رأس الجالوت يا أمير المؤمنين جئنا نسألك قال سل يا يهودي عما بدا لك قال سألتك عن ربنا متى كان فقال كان بلا كيثونة كان بلا كيف كان لم يزل بلا كم وبلا كيف كان ليس له قبل هو قبل القبيل بلا قبل ولا غاية ولا منتهى غاية ولا غاية إليها انقطع عنه الغايات فهو غاية كل غاية قال فقال رأس الجالوت لليهود امضوا بنا (1) فهذا أعلم مما يقال فيه (2).

بيان: ولا غاية إليها أي ينتهي إليها.

«45»-سن، المحاسن القاسم بن يحيى عن جده الحسن عن أبي الحسن موسى عليه السلام وسئل عن معنى قول الله على العرش استوى فقال استولى على ما دق وجل.

ج، الاحتجاج عن الحسن مثله.

«46»-يد، التوحيد مع، معاني الأخبار ابن المتوكل عن الحميري عن ابن عيسى عن ابن محبوب عن مقاتل بن سليمان قال: سألت جعفر بن محمد عليهما السلام عن قول الله عز وجل الرحمن على العرش استوى قال استوى من كل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء.

«47»-فس، تفسير القمي محمد بن أبي عبد الله عن سهل عن ابن محبوب عن محمد بن مارد أن أبا عبد الله عليه السلام سئل عن معنى قول الله عز وجل الرحمن على العرش استوى فقال استوى من كل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء.

يد، التوحيد ماجيلويه عن محمد العطار عن سهل مثله

ص: 336

1- وفي نسخة: مروا بنا.

2- وفي الرواية دلالة على كونه تعالى هو المطلوب المطلق لكل شيء.



يد، التوحيد ابن الوليد عن محمد العطار عن سهل عن الخشاب رفعه عن أبي عبد الله عليه السلام مثله.

«48»-يد، التوحيد أبي عن سعد عن محمد بن الحسن بن عن صفوان بن يحيى عن عبد الرحمن بن الحجاج قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى فَقَالَ اسْتَوَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ لَمْ يَبْعُدْ مِنْهُ بَعِيدٌ وَ لَمْ يَقْرُبْ مِنْهُ قَرِيبٌ اسْتَوَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .

بيان: اعلم أن الاستواء يطلق على معان الأول الاستقرار و التمكن على الشئ ء الثانى قصد الشئ ء و الإقبال إليه الثالث الاستيلاء على الشئ ء قال الشاعر.

قد استوى بشر على العراق. من غير سيف و دم مهراق.

الرابع الاعتدال يقال سويت الشئ ء فاستوى الخامس المساواة فى النسبة.

فأما المعنى الأول فيستحيل على الله تعالى لما ثبت بالبراهين العقلية و النقلية من استحالة كونه تعالى مكانيا فمن المفسرين من حمل الاستواء فى هذه الآية على الثانى أى أقبل على خلقه و قصد إلى ذلك و قد روى أنه سئل أبو العباس أحمد بن يحيى عن هذه الآية فقال الاستواء الإقبال على الشئ ء و نحو هذا قال الفراء و الزجاج فى قوله عز و جل ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ و الأكثرون منهم حملوها على الثالث أى استولى عليه و ملكه و دبره قال الزمخشري لما كان الاستواء على العرش و هو سرير الملك لا يحصل إلا مع الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على السرير يريدون ملكه و إن لم يقعد على السرير البتة و إنما عبروا عن حصول الملك بذلك لأنه أصرح و أقوى فى الدلالة من أن يقال فلان ملك و نحوه قولك يد فلان مبسوطه و يد فلان مغلوله بمعنى أنه جواد أو بخيل لا فرق بين العبارتين إلا فيما قلت حتى أن من لم يسط يده قط بالنوال أو لم يكن له يد رأسا و هو جواد قيل فيه يده مبسوطه لأنه لا فرق عندهم بينه و بين قولهم جواد انتهى و يحتمل أن يكون المراد المعنى الرابع بأن يكون كناية عن نفي النقص عنه تعالى من جميع الوجوه فيكون قوله تعالى عَلَى الْعَرْشِ

حالية و سيأتي توجيهه ولكنه بعيد و أما المعنى الخامس فهو الظاهر مما مر من الأخبار.

فاعلم أن العرش قد يطلق على الجسم العظيم الذى أحاط بسائر الجسمانيات وقد يطلق على جميع المخلوقات وقد يطلق على العلم أيضا كما وردت به الأخبار الكثيرة (1) و سيأتي تحقيقه فى كتاب السماء و العالم.

فإذا عرفت هذا فإما أن يكون عليه السلام فسر العرش بمجموع الأشياء و ضمن الاستواء ما يتعدى بعلى كالاستيلاء و الاستعلاء و الإشراف فالمعنى استوتت نسبته إلى كل شىء حال كونه مستوليا عليها أو فسره بالعلم و يكون متعلق الاستواء مقدرا أى تساوت نسبته من كل شىء حال كونه متمكنا على عرش العلم فيكون إشارة إلى بيان نسبته تعالى و أنها بالعلم و الإحاطة أو المراد بالعرش عرش العظمة و الجلال و القدرة كما فسر بها أيضا فى بعض الأخبار أى استوى من كل شىء مع كونه فى غاية العظمة و متمكنا على عرش القدس و الجلالة و الحاصل أن علوقدره ليس مانعا من دونه بالحفظ و التربية و الإحاطة و كذا العكس و على التقادير فقول الله توى خبر و قوله عَلَى الْعَرْشِ حال و يحتمل أن يكونا خبرين على بعض التقادير و لا يبعد على الاحتمال الأول جعل قوله عَلَى الْعَرْشِ متعلقا بالاستواء بأن تكون كلمة على بمعنى إلى و يحتمل على تقدير حمل العرش على العلم أن يكون قوله عَلَى الْعَرْشِ خبرا و قوله الله توى حالا عن العرش لكنه بعيد و على التقادير يمكن أن يقال إن النكتة فى إيراد الرحمن بيان أن رحمانيته توجب استواء نسبته إيجابا و حفظا و تربية و علما إلى الجميع بخلاف الرحيمية فإنها تقتضى إفاضة الهدايات الخاصة على المؤمنين فقط و كذا كثير من أسمائه الحسنى تخص جماعة كما سيأتى تحقيقها و يؤيد بعض الوجوه التى ذكرنا ما ذكره الصدوق رحمه الله فى كتاب العقائد حيث قال اعتقادنا فى العرش أنه جملة جميع الخلق و العرش

ص: 338

1- قال الشيخ الطوسى قدس سره فى كتابه التبيان ذيل قوله تعالى: «ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ»\* فى سورة يونس: قيل: إن العرش المذكور هاهنا هو السماوات و الأرض، لانهن من بنائه، و العرش: البناء، و منه قوله: «يَعْرِشُونَ»\* أى يبنون، و أمّا العرش المعظم الذى تعبد الله الملائكة بالحفوف به و الاعظام له و عناه بقوله: «الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ» فهو غير هذا.

فى وجه آخر هو العلم و

سُئِلَ عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى فَقَالَ اسْتَوَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ

٥٤

انتهى وإنما بسطنا الكلام فى هذا المقام لصعوبة فهم تلك الأخبار على أكثر الأفهام.

أقول: قد مرت الأخبار المناسبة لهذا الباب فى باب إثبات الصانع و باب نفى الجسم و الصورة و سيأتى فى باب احتجاج أمير المؤمنين صلوات الله عليه على النصارى و باب العرش و الكرسي و باب جوامع التوحيد.

إلى هنا تمّ الجزء الثالث من بحار الأنوار من هذه الطبعة المزدانة بتعليق نفيسة قيّمة و فوائد جمّة ثمينة؛ و يساوى هذا الجلد مع 104 صفحة من ثانى أجزاء الطبع الكمپانى و يحوى 276 حديثاً و 14 باباً و الله الموفق للخير و الرشاد جمادى الثانية 1376 هـ

ص: 339

- باب 1 ثواب الموحّدين و العارفين، و بيان وجوب المعرفة و علّته، و بيان ما هو حقّ معرفته تعالى؛ و فيه 39 حديثاً. 1
- باب 2 علّة احتجاج الله عزّ و جلّ عن خلقه؛ و فيه حديثان. 15
- باب 3 إثبات الصانع و الاستدلال بعجائب صنعه على و جوده و علمه و قدرته و سائر صفاته؛ و فيه 29 حديثاً. 16
- باب 4 توحيد المفضّل. 57
- باب 5؛ حديث الإلهيّة. 152
- باب 6 التوحيد و نفي الشريك، و معنى الواحد و الأحد و الصمد، و تفسير سورة التوحيد؛ و فيه 25 حديثاً. 198
- باب 7 عبادة الأصنام و الكواكب و الأشجار و النيرين و علّة حدوثها و عقاب من عبدها أو قرّب إليها قرباناً؛ و فيه 12 حديثاً. 244
- باب 8 نفي الولد و الصاحبة؛ و فيه 3 أحاديث. 254
- باب 9 النهى عن التفكّر فى ذات الله تعالى، و الخوض فى مسائل التوحيد، و إطلاق القول بأنّه شىء؛ و فيه 32 حديثاً. 257
- باب 10 أدنى ما يجزى من المعرفة فى التوحيد، و أنّه لا يعرف الله إلا به؛ و فيه 9 أحاديث. 267
- باب 11 الدين الحنيف و الفطرة و صبغة الله و التعريف فى الميثاق؛ و فيه 42 حديثاً. 276
- باب 12 إثبات قدمه تعالى و امتناع الزوال عليه؛ و فيه 7 أحاديث. 283
- باب 13 نفي الجسم و الصورة و التشبيه و الحلول و الإتحاد، و أنّه لا يدرك بالحواسّ و الأوهام و العقول و الأفهام؛ و فيه 47 حديثاً. 287
- باب 14 نفي الزمان و المكان و الحركة و الانتقال عنه تعالى، و تأويل الآيات و الأخبار فى ذلك؛ و فيه 47 حديثاً. 309

## رموز الكتاب

ب: لقرب الإسناد.

بشا: لبشارة المصطفى.

تم: لفلاح السائل.

ثو: لثواب الأعمال.

ج: للاحتجاج.

جا: لمجالس المفيد.

جش: لفهرست النجاشي.

جع: لجامع الأخبار.

جم: لجمال الأسبوع.

جُنَّة: للجنة.

حة: لفرحة الغري.

ختص: لكتاب الاختصاص.

خص: لمنتخب البصائر.

د: للعدد.

سر: للسرائر.

سن: للمحاسن.

شا: للإرشاد.

شف: لكشف اليقين.

شى: لتفسير العياشي.

ص: لقصص الأنبياء.

صا: للإستبصار.

صبا: لمصباح الزائر.

صح: لصحيفة الرضا عليه السلام.

ضا: لفقهِ الرضا عليه السلام.

ضوء: لضوء الشهاب.

ضه: لروضه الواعظين.

ط: للصراط المستقيم.

طا: لأمان الأخطار.

طب: لطبّ الأئمة.

ع: لعلل الشرائع.

عا: لدعائم الإسلام.

عد: للعقائد.

عدة: للعدة.

عم: لإعلام الورى.

عين: للعيون و المحاسن.

غر: للغرر و الدرر.

غط: لغيبة الشيخ.

غو: لغوالى اللئالى.

ف: لتحف العقول.

فتح: لفتح الأبواب.

فر: لتفسير فرات بن إبراهيم.

فس: لتفسير عليّ بن إبراهيم.

فض: لكتاب الروضة.

ق: للكتاب العتيق الغرويّ

قب: لمناقب ابن شهر آشوب.

قبس: لقبس المصباح.

قضا: لقضاء الحقوق.

قل: لإقبال الأعمال.

قية: للدروع.

ك: لإكمال الدين.

كا: للكافي.

كش: لرجال الكشيّ.

كشف: لكشف الغمّة.

كف: لمصباح الكفعميّ.

كنز: لکنز جامع الفوائد و تأويل الآيات الظاهرة معا.

ل: للنخصال.

لد: للبلد الأمين.

لى: لأمالى الصدوق.

م: لتفسير الإمام العسكريّ عليه السلام.

ما: لأمالى الطوسيّ.

محص: للتمحيص.

مد: للعمدة.

مص: لمصباح الشريعة.

مصبا: للمصباحين.

مع: لمعاني الأخبار.

مكا: لمكارم الأخلاق.

مل: لكامل الزيارة.

منها: للمنهاج.

مهج: لمهج الدعوات.

ن: لعيون أخبار الرضا عليه السلام.

نبه: لتنبيه الخاطر.

نجم: لكتاب النجوم.

نص: للكفاية.

نهج: لنهج البلاغة.

نى: لغيبة النعماني.

هد: للهداية.

يب: للتهذيب.

يج: للخرائج.

يد: للتوحيد.

ير: لبصائر الدرجات.

يف: للطرائف.

يل: للفضائل.

ين: لكتابي الحسين بن سعيد او لكتابه و النوادر.



يه: لمن لا يحضره الفقيه.

ص: 341

## تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم  
جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ  
(التوبة : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمة لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجاناً. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والندور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضاً الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟  
ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟  
تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلا:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر أباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : [www.ghbook.ir](http://www.ghbook.ir)

البريد الإلكتروني : [Info@ghbook.ir](mailto:Info@ghbook.ir)

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز  
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية  
اصبهان  
الغمامية

WWW

للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم  
**www.Ghaemiyeh.com**

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩